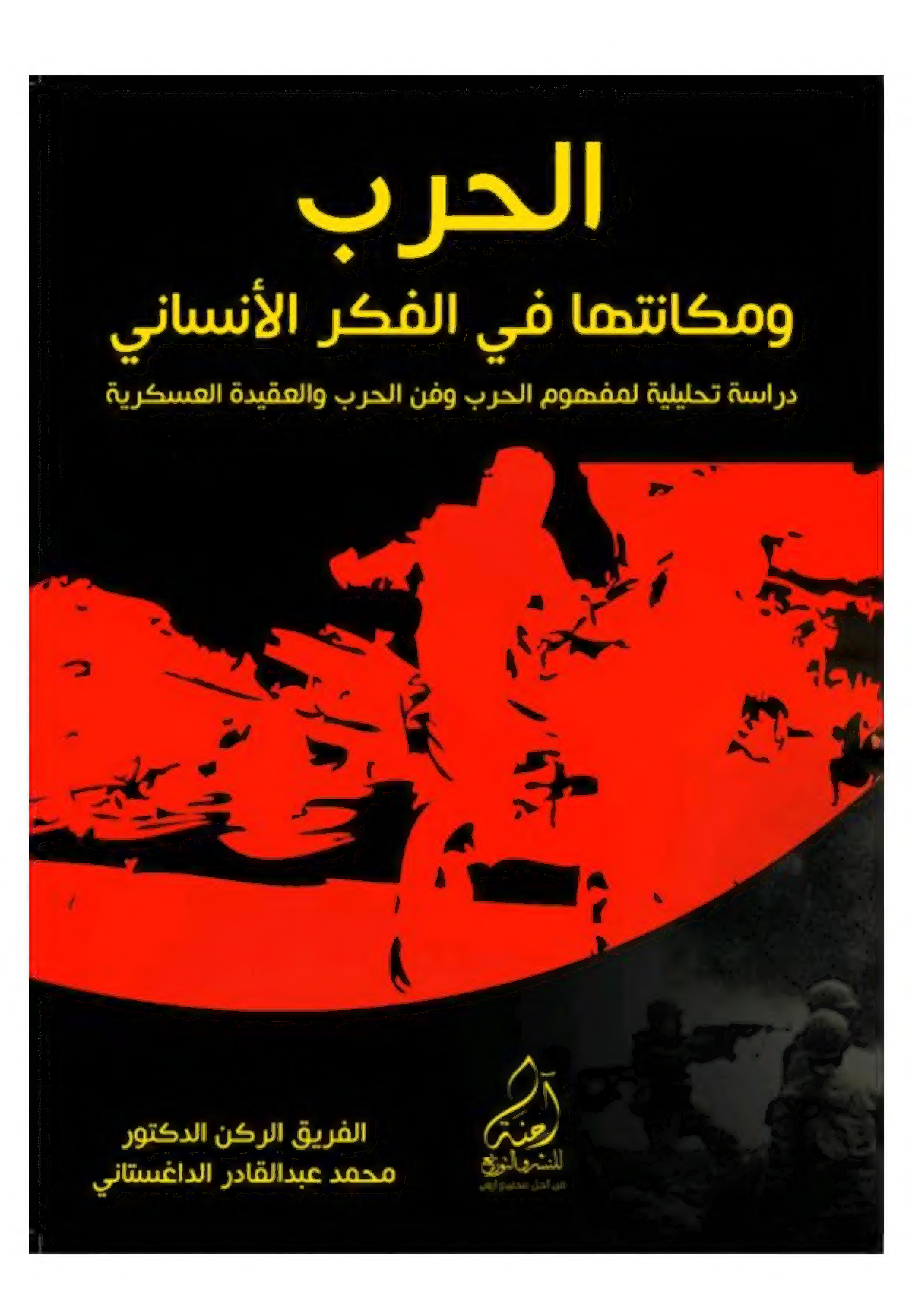
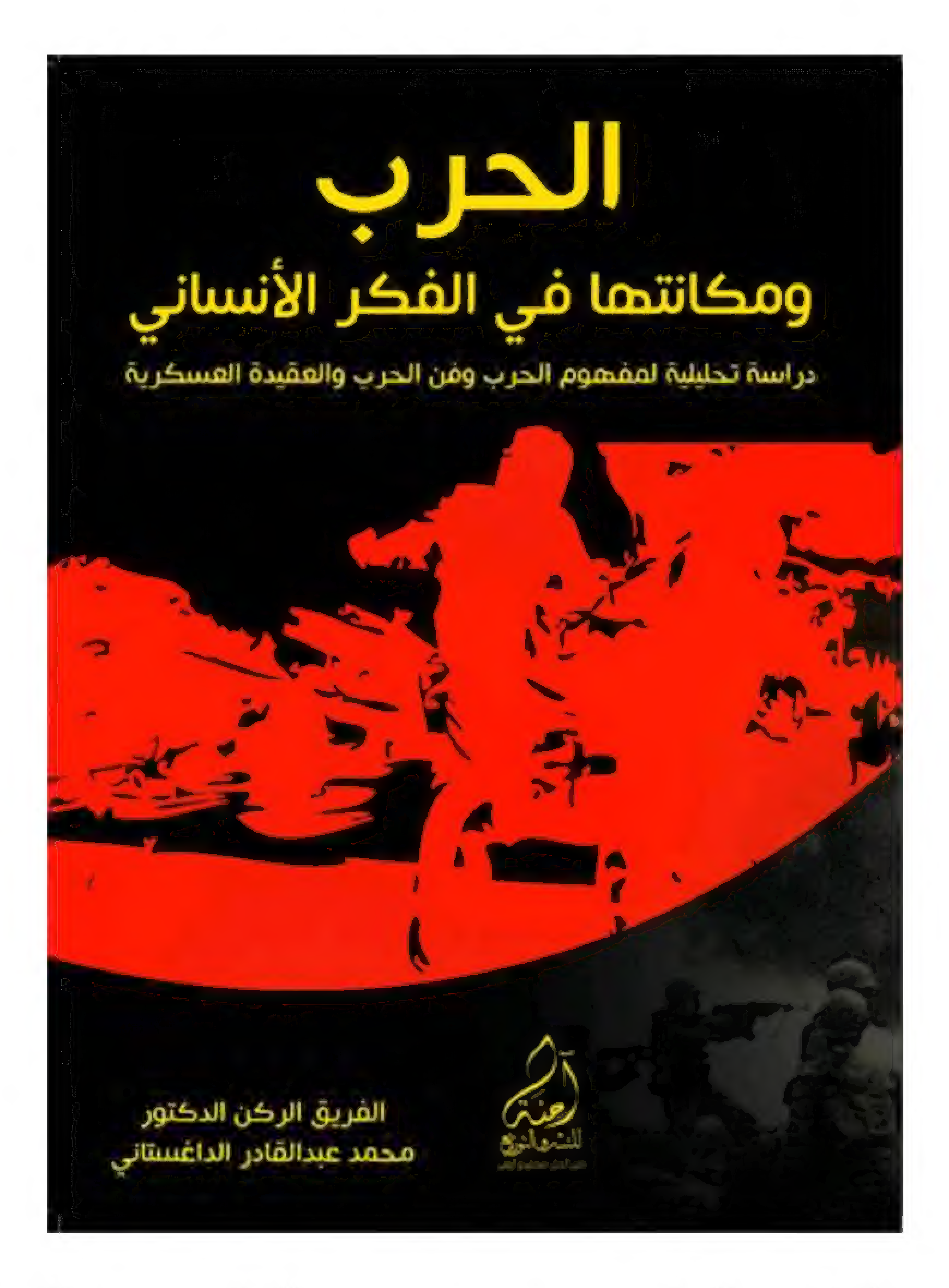

الحرب
ومكانتها في الفكر الأنساني
دراسة تحليلية لمفهوم الحرب وفن الحرب والعقيدة العسكرية
الفريق الركن الدكتور
محمد عبدالقادر الداغستاني
آمنة
للنشر والتوزيع

الحرب و مكانتها في الفكر الإنساني

دراسة تحليلية لمفهوم الحرب وفن الحرب والعقيدة العسكرية



الفريق الركن. الدكتور: محمد عبد القادر عبد الرحمن الداغستاني

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (732/12/2012)

337.5

الداغستاني، محمد عبد القادر

الحرب ومكانتها في الفكر الإنساني - دراسة تحليلية لمفهوم الحرب وفن الحرب والعقيدة العسكرية/ محمد عبد القادر الداغستاني - عمان: دار آمنة للنشر والتوزيع، 2012

ر.إ: (732/12/2012)

الواصفات: سياسة - تاريخ.

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية

دار آمنة للنشـــر والتوزيـــــع

الأردن - عمان - شارع الجامعة الأردنية - مقابـل

كليـة الزراعة (الجامعة الأردنيـة) مجمع سمارة

التجـاري (233) الطابق الأرضـي

تلفون: 0799670131 962+

www.amnahhouse.com

info@amnahhouse.com

amnah2m@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الإنفال آية 60]

صدق الله العظيم

إهداء

إلى المدرسة والمؤسسة الأصيلة (القوات المسلحة العراقية) التي تربينا فيها وعلمتنا القيم والمباديء والأسس العسكرية وغرست في نفوسنا محبة وقيمة الفداء والتضحية للوطن إلى الرجال اللذين سبقونا و إلى الأخوة والأبناء اللذين كان لناشرف مرافقتهم وقيادتهم. إلى كل هؤلاء والى أرواح كل شهداء القوات المسلحة العراقية اللذين رووا بدمائهم تراب الوطن والأمة. أتقدم بهذا الجهد المتواضع آملا إن يساهم في رفد المكتبة العربية بموضوع جديد ومهم على طريق العلم والتقدم لأمتنا وعراقنا الحبيب.

مع خالص تقديري وأعتزازي

الفريق الركن الدكتور

محمد عبد القادر عبدالرحمن الداغستاني

المقدمة

الحرب كظاهرة أجتماعية وكنشاط سياسي/ عسكري لازمت الجنس البشري منذ بدء الخليقة ولحد الآن و تاريخ البشرية حافل بحروب عديدة تكاد ان تكون مستمرة، حتى يبدوا وكإن حالة الحرب هي السائدة في العالم وإن السلم ما هو ألا أمر طارىء. أتسمت هذه الظاهرة وبشكل دائم بأستخدام القوة والعنف وسفك الدماء والتدمير. وكانت الحرب ولازالت تحضى بأهتمام باحثين ومفكرين وعلى مر التاريخ.... هناك من يحاول أعتبارها جزء من الطبيعة البشرية، وهناك من أعتبرها قضية قدرية لابد منها، وهناك من أعتبرها صراع طبقي، وهناك من أعتبرها ضرورة لابد منها عندما ترتبط بقضية حق وغيرها من مفاهيم ونظريات عديدة.

لقد جاءت هذه المفاهيم والتعاريف ضمن بحوث ودراسات مختلفة وهي في حقيقتها تعبر عن وجهات نظر أو رؤى أو تجارب تاريخية تعكس حالات وظروف تاريخية أرتبطت بأسماء دول وقادة وملوك لها ولهم خصوصيتهم وأسبابهم وغاياتهم ودوافعهم للحرب. والحرب كما هو معلوم لها أسبابها ودوافعها وقواعدها وأصولها وطرق وأساليب خوضها ولكن ما ينبغي معرفته قبل كل ذلك هو، مفهوم الحرب وفلسفة الحرب وبعبارة أوضح ماهي الحرب ؟ ومحاولة هذا الفهم لابد وان يقودنا إلى أصل الحرب وكيف نظر أليها المفكرون على أمتداد التاريخ حتى عصرنا الراهن، هذا الفهم يمكن إن يقودنا إلى المعرفة الواضحة واجراء المقارنة بين تلك المفاهيم وصولا إلى الفكر الذي ينظر الى الحرب بأعتبارها جزءا من الفكر الإنساني، ليس القصد منها ظلم وأستعباد البشر بل هو من أجل غايات إنسانية نبيلة هدفها تخليص البشر من الظلم والأستعباد، لذلك جاء عنوان الكتاب هو بقصد البحث عن مكان الحرب في الفكر الإنساني، هذا الفهم يقودنا إلى الأجابة عن السؤال لماذا الحرب ؟ وحتى يتكامل هذا الفهم فإننا نجد إنفسنا أمام سؤال أخر وهو إن الحرب أذا ما فرضت أو وقعت لأي سبب فإن الضرورة تدعوا لمعرفة كيف تخاض تلك

الحرب ؟ الأجابة على هذا السؤال يتناوله موضوع فن الحرب الذي يبحث في الأسس النظرية والتطبيقية لخوض الحرب في كل مجالتها (الأستراتيجية والعملياتية والتكتيكية)، لذا أصبحت دراسة الحرب غير متكاملة أذا لم يدرس معها فن الحرب حيث يكمل أحدهما الأخر، وحتى نفهم الحرب لابد من دراسة تاريخ الحرب كمفهوم، كيف تطور تاريخيا وماهي أسباب ودوافع ذلك التطور وما ينطبق على الحرب ينطبق على فن الحرب الذي ينبغي دراستة، فهو الأخر تطور تاريخيا مع تطور تجارب الحروب والحاجات والدوافع المختلفة التي أفرزتها تلك الحروب، ومع التطورات العلمية والتكنولوجية التي كان للفن الحربي دور الريادة فيها. كما إن دراسة تاريخ فن الحرب تسمح برؤية الطريق الذيتطور خلاله هذا الفن منذ الماضي وحتى تبلوره في شكله الحاضر. كما تسمح بالتنبؤ العلمي الصحيح لتطوره المقبل أستنادا إلى وسائط الصراع وظروف المجتمع الراهن.

إن أساليب وأشكال الصراع المسلح تتبدل و تتطور بأستمرار. فالأساليب القديمة تندثر لتحل محلها أساليب جديدة والتمسك بالقديم يعنى الفشل حتما. ولهذا السبب تعتبر الدراسة العميقة لخبرة الحروب الماضية ولتاريخ فن الحرب وسيلة هامة جدا للتوصل إلى الفهم الكامل للفن الحربي المعاصر ولفن تطوره المقبل. وقد أدرك القادة القدماء هذه الحقيقة جيدا فعملوا على دراسة وأستخدام خبرة الحروب الماضية وبشكل حاذق في ظروفهم الواقعية، ولم تكن نجاحاتهم نتيجة العبقرية أو الصدفة وحدها بل كانت نتيجة الدراسة الواعية لخبرة الحروب الماضية، وتطبيق هذه الخبرة بشكل بارع فى ظروفهم الواقعية، فالثورات الاجتماعية والتطورات التي تبدل النظم القائمة وتقيم نظم سياسية - أقتصادية - أجتماعية جديدة تؤدى حتما الى نشوء جيوش جديدة وفن حربي جديد يتوائم مع تلك التطورات ويصبح أحد أهم أدوات الحسم والتغيير التي تنسجم مع النظريات السياسية لبعض الإنظمة التي وظفت فن الحرب لأغراض منها الهيمنة وأخضاع الشعوب والسيطرة على ثرواتها الأقتصادية في أغلب الأحيان، وفي أحيان أخرى تتحول إلى حروب تحرير

والدفاع عن القيم والمبادىء وغيرها من أغراض عديدة. ولإن فن الحرب هو وليد تلك التطورات لذا لا يجوز نسيان الصلة الوراثية بين الفن الحربي القديم والجديد عند دراسة تطور فن الحرب.

إن تطور فن الحرب يسير وفق خط صاعد من الأدنى إلى الأعلى ومن البسيط الى المركب ومع التطورات التكنولوجية في مجالات التسليح نجد إن أساليب خوض الحرب وتنظيمات القوات المسلحة تتعقد يوما بعد يوم، كما تزداد دوما أبعاد الصراع المسلح مع تلك التطورات وهذه كلها قوانين، موضوعية عامة لوحظت طيلة قرون عديدة. وهذا ما يفرض على الدارسين معرفة الصلة الوثيقة بين القديم و الجديد.

لقد حاولت خلال هذا الكتاب إن أتوصل الى نتائج مهمة سواء منها ما يتعلق بمفهوم الحرب ووجه النظر التي يمكن إن تنسجم مع واقع أمتنا وتنطلق من خلال عقيدتنا وتاريخنا، كما حاولت تقديم العديد من النماذج الحقيقية خلال عرض فن الحرب سواء منها الأستراتيجية أو فن العمليات الذي أعتقد إنه بحاجة الى المزيد من البحث من أجل الوصول الى الفهم الدقيق له خصوصا في الجانب العملي على مستوى الفيلق والجيش، أما التكتيك فإني حاولت التركيز على تطوره التاريخي أولا ثم أهم الأسس التي أعتمدها من العصور القديمة وحتى عصرنا الراهن، والتي كانت تمثل المحور الذي دارت حوله كل تلك التطورات. ثم تناولت موضوع حسابات القدرات القتالية للقوات المتحاربة، وهي حسابات مبنية على طرق رياضية أصبحت معتمدة من قبل العديد من الجيوش المتقدمة، بدلا من أعتماد الأسس والتقديرات العامة التي يمكن إن تؤدي الى نتائج سلبية على القطعات المنفذة كما حصل في العديد من المعارك، وهو موضوع جدير بالأهتمام لأهميته في الحرب الحديثة، كما قدمت نموذج أخر مكمل له وهو أسلوب حسابات الجبهات والأعماق ضمن المستوى التكتيكي وهي حسابات مبنية على أسس علمية بنيت على خبرة الحرب العراقية الأيرانية، والتي تعتبر مكمله لحسابات القدرات القتالية وبهذا الشكل

نكون قد ساهمنا بتقديم نموذج حديث لتلك الأساليب التي أصبح من الواجب الأخذ بها من قبل الجيوش الحديثة.

وحتى تتكامل الصورة والربط الدقيق بين مفهوم الحرب وفن الحرب وجدنا ان الضـرورة تقضي بدراسـة العقيـدة العسكرية التـي تعتبـر بمثابـة الموجـه والمرشد والتي تنطلق من النظرية السياسية للدول والإنظمة السياسية وفهمها وفلسـفتها للحـرب، لتصبح بمثابـة المرشـد والموجـه لفن الحـرب بكل فروعـه أستراتيجية وعملياتية وتكتيكية، كما تقضي الضرورة بمعرفة العلاقة العملية او الواقعية بين العقيدة كمفهوم نظري وبين فن الحرب كجانب تطبيقي وكيف تكون هذه العلاقة بينهما على الصعيد الواقعي، وهو ما اطلقنا عليه مصطلح دورة الحرب التي حاولنا من خلالها شرح تلك العلاقة وقدمنا عدد من النماذج الواقعية لبعض الحروب في محاولة لتقريب صورة هذه العلاقة للفهم، لإننا وجدنا إن العرض النظري لا يمكن إن يعطي الصورة الحقيقة للموضوع الذي أردنا بحثه ومناقشته.

واخيرا تناولنا موضوع اخر مهم وهو كيف يمكن ان تنتهي الحرب، هذا الموضع الذي لم يأخذ حقه من البحث والدراسات بقدر ما أخذ موضوع الحرب وفن الحـرب لإن هنـاك الكثـيرين ممـن اتخـذوا قرار الحرب ولكن لم يعرفوا كيف ينهونها، وإن الكثير من الخطط الموضوعة قبل الحرب لم تصل الى نتيجتها المقررة، وكثيرا ماوجد القادة انفسهم في موقف لا يختلف عما كان عليه الأمر قبل الحرب إن لم يكن أسوأ منه.

قد يكون موضوع الحرب وفن الحرب من المواضبيع المطروحة من قبل العديد من الباحثين والدارسين اللذين تناولوه بصيغ وأساليب مختلفة، وطرحوا خلال دراستهم وبحوثهم العديد من الأفكار والنظريات التي أخذنا منها الكثير، ولكن مـا حـاولنا التميز به من خلال هذا البحث هو محاولة التوصل إلى مفاهيم تتلائم مع فكر أمتنا وتاريخها وواقعها مع الربط الواقعي بين الجانب النظري والعملي من خـلال طرح العـديد من التجـارب وخصـوصا تجـارب الحـروب

العراقيـة التـي نجـد إنفسـنا ملزمين بطرح ما أمكن من تلك التجارب الغنيـة خصوصا للحرب العراقية- الأيرانية التي دامت ثمان سنوات ومرت بتطورات عـديدة بين مد وجزر ونجـاح وفشـل للطـرفين، وهي محاولة لأستثارة فكر باحثين أخرين لأكمال تلك التجارب وطرحها بأسلوب جديد يحمل في طياته الخبرة والفائدة والحيادية من أجل الحقيقة التي نخشى من طمسها مع مرور الزمن، وهي دعوة لكل أخواننا من قادة وهيئات ركن لكتابة تاريخ تلك الحروب من أجل مصلحة أجيالنا وتاريخنا.

إن جملـة الحقائق هـذه دفعتنـا إلى أختيار هذا الموضوع وبحثه بالرغم من الصعوبات التي حسبنا مواجهتها، لقد حاولنا إن نجمع بين عدة أختيارات مهمة ومعقدة في أطار موحد مترابط، لإننا وجدنا من خلال الخبرة والتجربة بإننا بحاجة الى مثل هذا الموضوع، فبدلا من إن يتيه الباحث أو الدراس بين مراجع ومصـادر عـديد فـإننا جمعنـا أغلـب وأهم الأراء والمفاهيم في بودقة واحـدة ساعين للربط بينها وتعزيزها بنماذج لمعارك تاريخية، وصولا الى الأجابة عن تسؤولات عديدة تشغل بال وفكر الكثير من الباحثين خصوصا العسكريين من قادة وهيئات ركن والتي يمكن إن يجدوا فيها عونا مناسبا لهم، ولغيرهم من البـاحثين مـن أجـل أعطـاء صورة مناسبة للفكر والعلم العسكري في جوانبـه المختلفـة. أمـلا إن يسـاعد هـذا الجـهد فـي أغنـاء الفكر العسكري والسياسي بأعتباره مرجع تاريخي للحرب وفن الحرب والعقيدة العسكرية.

وتحقيقـا للغايـة التـي أشـرنا أليها، فقد عـالجنا الموضوع ضمن أربعة فصول تضـمنت فـي فصلها الاول الـوقوف علـى الجـانب التأصيلي النظـري لمعنـى ومفهوم الحرب. حيث انصرف القسم الأول لدراسة معنى ومفهوم الحرب. اما القسـم الثـاني فقـد أرتـأينا ان نعـالج فيـه الحرب فـي الفكر الأسلامي لغايات سنعمل على توضيحها لاحقا.

الفصل الثاني انصرف إلى معالجة فن الحرب والأستراتيجية العسكرية. عالجنا في القسم الأول منه مفهوم فن الحرب. اما القسم الثاني فقد انصرف لمعالجة

موضوع الأستراتيجية العسكرية.

واستكمالا لدراسة كل اقسام فن الحرب جاء الفصل الثالث لنعالج ضمنه فن العمليات والتكتيك. حيث انصرف القسم الأول لدراسة فن العمليات. اما القسم الثاني فقد عالجنا ضمنه موضوع التكتيك.

أما الفصل الرابع والأخير فقد أرتأينا ان نحقق من خلاله الترابط النظري والعملي بين الفصول من خلال معالجة موضوع العقيدة العسكرية ودورة الحرب. ففي القسم الأول عالجنا موضوع العقيدة العسكرية. اما القسم الثاني فقد عالجنا ضمنه موضوع دورة الحرب وإنهاء الحرب.

هذا وقد خلصت الدراسة الى خاتمة وجملة أستنتاجات كنا قد توصلنا اليها من خلال بحثنا للظاهرة موضوع الدراسة.

ومن الله التوفيق

الفصل الأول: التأصيل النظري لمعنى ومفهوم الحرب

القسم الأول في معنى ومفهوم الحرب

كانت الحرب ولا زالت وستبقى جزء من حياة الإنسان مهما تغيرت الظروف والأحوال ومهما تطور الوعي العلمي والإنساني. والتاريخ حافل بحروب عديدة، فخلال القرون التي سبقت الميلاد وحتى عصرنا الراهن عانت الشعوب من ويلات آلاف الحروب، وخلال القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين تعرضت البشرية لحربين عالميتين مدمرتين وحروب محدودة كالحرب الكورية (1950) وحرب التحرير الجزائرية (1954- 1962) والحرب الفيتنامية (1965-1973) والحروب العربية - الإسرائيلية (1948و 1967و 1973) والحرب الهندية - الباكستانية (1971) والحرب العراقية - الإيرانية (1980-1988) وحرب الأفغان مع الاتحاد السوفيتي (1979-1989) وحرب الخليج الثانية (1991) ثم حرب الأفغان مع أمريكا وحلف الأطلسي منذ (2001) والتي لا تزال قائمة، ثم حرب الخليج الثالثة ضد العراق واحتلاله في (2003 /9/4) من قبل أمريكا وبريطانيا. وهكذا نجد إن كل خطوة خطتها البشرية من أجل التقدم العلمي والإنساني كان وراءها الحروب والتدمير وسفك الدماء وقهر الشعوب من أجل التسلط والسيطرة وإلهيمنة في أغلب الأحيان ومن أجل التحررمن قيود الظلم والاستبداد في أحيان أخرى.

إن فكرة الحرب وفلسفتها تقوم على أساس دراستها وتفحصها بما هو أبعد من المسائل النمطية السائدة والمتعلقة بالأسلحة والتسليح والاستراتيجية والتكتيك. إنها تحقق في المعنى والغوص في علم الأسباب المولدة لها (Etiology) وماذا تعني للبشرية، وللطبيعة الإنسانية، ولأخلاق المهنة وآدابها.

ولذلك نرى إن فلسفة الحرب تتداخل في بعض أقسامها مع فلسفة التاريخ وفلسفة السياسة وفلسفة القانون وأخيراً مع فلسفة الأديان ولقد مرت بمحطات تاريخية عديدة عبر القرون الماضية فهناك مفكرون دعوا الى

الحروب واعتبروها أداة شر على الإنسان كما جاء بالتعاليم (الكونفوشيوسية والطاوية)، وهناك من أعتبرها ضرورة لمعاقبة الشرير وإن وجود القوة هي ضمانة للمحافظة على الأمة وحياة الشعوب، وهي حالة الضرورة وهذا ما كان واضحا لدى الفكر الصيني القديم الذي سيتم التطرق له، وهناك الفكر الهندوسي الذي كان أكثر عسكرية وأقل سلمية من التراث الصيني إذ اعتبر الحرب قضية مسلم بها، ونظر إليها كظاهرة سياسية طبيعية يصعب إلغاءها والحيلولة دون وقوعها. وبين هذين الرأيين كانت تدور باقي الأفكار والنظريات مرورا بالرومان والأغريق ثم الأديان السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلام) ثم النظريات الأخرى التي تلتها من القرن الخامس عشر وإلى عصرنا الراهن.

ومن أجل إعطاء صورة واضحة لهذا المفهوم عبر التاريخ وتعزيزا لما سبق عرضه، سأحاول وبشيء من الإيجاز عرض تلك التطورات التاريخية في محاولة للربط بين الفكر القديم والحديث. وصولا إلى ما يلائم فكرنا وظروفنا كأمة لها فكرها وخصوصيتها في هذا العالم.

عرف العالم منذ أكثر من خمسة وعشرين قرنا قادة ومفكرين وفلاسفة قدموا للعالم مفاهيم وآراء مختلفة عن فكرة الحرب وفلسفتها وطرائق إدارتها، ولازالت معظم تلك الكتابات حتى يومنا هذا مجال واسع للبحث والمناقشة العلمية بغية التوصل إلى مفهوم دقيق ومتطور يتلائم مع العصر الحالي.

لقد أحيط مفهوم الحرب بالعديد من الأسئلة وعلى مر التاريخ. فهل الحرب حالة قدرية مفروضة على الإنسان لا مجال للتخلص منها ؟ أم هي جزء من طبيعته وتكوينه ؟، أم إنها ضرورة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو عقائدية ؟. هذه جميعا تساؤلات وربما هناك العديد غيرها يجد الباحث نفسه ملزما للتوصل إلى إجابات مقنعة قدر الإمكان بشإنها وهذا ما سأحاول التوصل إليه من خلال هذا البحث.

يعتقد الكثير من الباحثين إن أقدم المفاهيم الفلسفية المسجلة حول الحرب

هي ما جاء بها المفكر الصيني (صون تسو) قبل أكثر من خمسة وعشرين قرنا، والسبب يكمن إن كتابه (فن الحرب) هو الوحيد الذي ترجم إلى الإنجليزية ثم إلى العربية ولكن تبين فيما بعد إن كتاب(صون تسو) لم يكن سوى واحد من سبع كتب تراثية كتبت في الصين(1) عن الحرب هي:

- الكتاب الأول - التعاليم السرية الست للتايكونغ (2).
- الكتاب الثاني - طرق سوما (3).
- الكتاب الثالث - فن الحرب لصون تسو(4).
- الكتاب الرابع - ووتسو(5).
- الكتاب الخامس - ويي لياتسو (6).
- الكتاب السادس، السوقيات الثلاث "لهوانغ شيكونغ"(7).
- الكتاب السابع - أسئلة وأجوبة بين "تانغ تايزونغ ولي ويكونغ"(8).

تقدم هذه السلسلة من المؤلفات التراثية للصين القديمة صورة واضحة ومعبرة عن مرحلة تاريخية مهمة من تاريخ الصين والبشرية كونها تمثل أحد نماذجها الحضارية. ما تشترك به هذه المؤلفات على الرغم من كونها كتبت عبر مراحل تاريخية مختلفة هو إن كتابها عبروا عن معاناة وصراعات عميقة بين قوى الخير التي تتصارع مع قوى الشر، فهناك دائما شعوب وأشخاص مظلومون وهناك تسلط وظلم لحق بهم من قوى أخرى مثلتها ولايات وحكام ظالمون وهناك في الجانب الآخر صراع الخير مع تلك القوى يقودها ملك أو حاكم صالح يسعى لإنقاذ شعبه، وفي مثل هذه المحن نجد من يمد يد العون له ويأخذ بيده - ذلك هو الحكيم الفيلسوف الذي يقدم للحاكم الرأي والمشورة فيما يتعلق بحكم الولاية وعلاقة الحاكم بالشعب، وكيف يتمكن من اختيار قادته العسكريين وموظفيه وكيف يدير شؤون الولاية وكيف يخوض الحرب كل ذلك من خلال حوار سلس ومتوازن يحمل في طياته الخبرة والدراية والنظرة الفلسفية المستمدة أصلا من الطريقة الكونفوشيوسية(9)(*).

والطاوية(**10**)(*) التي كانت تركز دائما على المروءة والأخلاق والفضيلة ووجود الحكومة الفاضلة التي تستند إلى حب الشعب وتؤمن الازدهار الاقتصادي وتتبنى سلوك متوازن بين الناس مع تطبيق العقاب والثواب وتضع الجدير في مكانه المناسب وتمتنع عن مضايقة أو إيذاء الشعب.

تشترك هذه المؤلفات في معالجة قضايا الحرب بجوانبها الاستراتيجية والتكتيكية إضافة للأمور الأخرى المتعلقة بالحكم وإدارة الدولة.

سأحاول التطرق إلى أهم ماجاء بتلك المؤلفات فيما يخص الحرب ضمن هذا القسم أما القضايا التي تخص فن الحرب بفروعه فسإناقشها ضمن الفصول اللاحقة.

1- ضمن الكتاب الثاني (طرق سوما) الذي يعتبر من أكثر المؤلفات أصالة فيما عدا كتابي (صون تسو) و (صن بن). مؤلف هذا الكتاب هو (تاسوما) كانت نظرته إلى الحرب نظرة موضوعية وواقعية، بحيث أعتبرها ضرورية لحكم الولاية وضرورية لتهدئة الأوضاع وإنقاذ المظلوم عندما لاتنفع الوسائل الأخرى. يقول (تؤمن الحرب الوسائل الضرورية لمعاقبة الشرير وإنقاذ المظلوم) (1) ويؤكد على الاستثمار الواعي للقوة ويعتبرها أساس السياسة. كما أعتبر الحرب مسألة موازنة استراتيجية للقوة. ومن الأمور المهمة التي جاء بها تأكيده على المروءة والتقوى في الحكم وعلى الاستقامة التي هي أساس الفضيلة، ومع كل ذلك عند الفشل في تحقيق الأهداف لابد من الحرب، عليه تصبح الحرب وفق هذا المفهوم حالة أضطرار وليس أختيار وهذا مفهوم متطور جدا ويحمل في جوانبه لمحات إنسانية عميقة وبعد نظر في طريقة استخدام القوة التي ربطها بالأستخدام الواعي وليس الأستخدام المتهور العاطفي، وهذه مفاهيم متطورة حتى إنها تقترب في مفهومها مع ما جاءت به الرسالات السماوية.

2- المؤلَف الآخر هو فن الحرب (لصون تسو)، وهو الكتاب الثالث ضمن هذه

السلسة والذي أكتسب أهمية استثنائية على المستوى العالمي. لقد حدد (صون تسو) في مقدمة كتابه هذا مفتاح فلسفته حول مفهوم الحرب حيث أعتبرها من أهم شؤون الولاية والطريق إلى البقاء أو الفناء، وهذا أعتراف ولأول مرة بإن الحرب ليست حالة طارئة وليست خيار يمكن إن يتخذ في أي وقت كحل لأزمة عابرة أو مأزق سياسي أو الرغبة في الثأر والانتقام أو بقصد التوسع والهيمنة على الدول والشعوب، بل هي فعل وعمل يتسم بالوعي الكامل المعبر عن الإرادة الإنسانية ولما تتركه من آثار على مجمل حياة الأمم والشعوب، ولذلك فهي قابلة للتحليل العقلاني. وهذه الأسباب كلها توجب التفكير بها وتحليلها بشكل دقيق ومتإن، وحتى تعطي الأهمية المطلوبة فإنه حدد إطار تلك الدراسة بخمسة عوامل، مع الاستمرار بتحليلها وتقويمها من خلال التقديرات والبحث عن طبيعتها الحقيقية. وأول العوامل الخمسة هو الطريقة ويقصد بها الطريقة التي تدفع الناس إلى الانسجام التام مع الحاكم والتضحية معه من أجل القضية التي يحارب من أجلها. وهذه الحالة لا يمكن إن تتحقق ما لم تكن هناك قناعة مطلقة من الشعب بأهمية وعدالة القضية التي يحاربون من أجلها. العامل الثاني هو (السماء) وتشمل (ين ويانغ)**(11)(*)** وهي بموجب العقيدة الصينية تشتمل على مجموعة من الأضداد في الكون، وعلى هذه الأضداد أعتمد الفن السري للحرب في الصين القديمة. العامل الثالث هو الأرض، والمقصود بها دراسة الأرض من كافة النواحي كما تدرس حاليا ضمن تقادير الموقف من ناحية طبيعتها وأهميتها وكيفية تأثيرهاعلى العمليات الدفاعية، التعرضية إلخ. العامل الرابع هو (القيادة) وقصد بها ما يجب توفره في القيادة التي تخطط وتدير الحرب، وأولها الحكمة ثم المصداقية والمروءة والشجاعة والحزم. وهي شروط بالغة الأهمية للقيادة المسؤولة عن الحرب والتي لو توفرت للقيادات التي تقرر خوض الحرب لما وقعت الكوارث والمصائب على البشرية. العامل الخامس (القوانين) وقصد بها تنظيم القوات، وقوانين وتعليمات عمل القوات، وطريقة وأسلوب القيادة، وهذا ما نطلق عليه حاليا (القيادة والسيطرة) ثم الشؤون الإدارية، والتي تشمل على كافة القضايا

التي تحتاجها القوات المسلحة في الحرب من مأكل ومشرب ووقود وطبابة وغيرها، وهي ما يطلق عليه ضمن السياقات العسكرية الحالية (الشؤون الإدارية) **(12)(*)**.

3- المؤلف الرابع - ووتسو

اعتبر أحد الأسس الجوهرية للفكر العسكري الصيني وعلى الرغم من إنه أقل سعة من فن الحرب إلا إنه ينظر في جميع نواحي الإعداد للحرب والمعركة بشكل جاد ويقترح استراتيجيات قابلة للتطبيق عموما لحسم مواقف تعبوية معينة. مؤلف هذا الكتاب هو (ووتشي) الذي سمته الأجيال اللاحقة (ووتسو).

لقد حدد (ووتشي) العديد من المقاربات الفكرية حول مفهوم الحرب وغايتها وطرق إدارتها وهي على الجملة تتوافق كثيرا مع ما يطرحه العلم العسكري في وقتنا الحاضر. فإذا كانت الحرب تعبر في أحد جوانبها عن ذلك الصراع بين القيم والمعتقدات الفكرية لأطراف تتعارض فيها، فإنه قد صورها بأعتبارها صراع بين الخير والشر. وإذا كان هذا الصراع يفترض من أجل الانتصار فيه، فإنه يتطلب مستوى عال من الأقتدار العسكري.

على الرغم من قصر الوقت الذي أمضاه (ووتشي) في الدراسات (الكونفوشيوسية) الشكلية إلا إنه شكل الفترة التكوينية التي أستوعبت فيها المعتقدات الأساسية التي اقترحها فيما بعد كأساس للحكومة الصالحة. مع ذلك فإن (ووتشي) على الرغم من كونه مناصرا قويا للمروءة والتقوى إلا إنه شدد على القوة وضمان درجة عالية من الأستعداد العسكري وبدونهما ستصبح الفضائل (الكونفوشيوسية) جوفاء دون معنى ويهيمن الشر على العالم. أعتمد (ووتشي) على التعبئة العامة للمواطنين كأساس للحرب وحول الحرب من حرب النبلاء إلى التعبئة الشاملة للشعب، وهذا أمر مهم وجديد ومتطور على فهم الحرب يكاد يقترب كثيرا من الفهم المعاصر للحرب التي أصبحت تعني الأمة بكاملها. كذلك نادى بالسياسات (الكونفوشيوسية) المتنورة التي تقدم

للشعب الرفاه المادي الكلي وتكسب تأييده الحماسي وتغرس فيه الفضائل السامية، وهذه حالة أخرى للتطور الفكري بتأكيده على رفاه الشعب وكسب تأييده وربطها مع الفضائل (الكونفوشيوسية). كما تناول موضوع التدريب والتوحيد وأهمية الانسجام بينهما وشدد على أهمية التنظيم الصحيح والضبط العسكري، وأعطى أهمية خاصة لأختيار الرجال وتقويمهم وإسناد الواجبات إليهم بضمنها القتالية والمناصب الإدارية المناسبة لمواهبهم وخبرتهم الفردية. ولإن السلوك والاندفاع مهمان يقترح سياسات من شإنها توظيف دواخله النفسية بشكل واع من أجل تشكيل قوة قتالية مندفعة. كما وازن وبشكل دقيق بين العقاب والثواب وأعتبرهما غير كافيين أو يمكن التعويل عليهما لضمان الضبط وإظهار الشكل المنشود للسلوك وفي هذا إشارة إلى أهمية التربية النفسية المقترنة بالفضائل والتي تعتبر الأساس في عمل القوات المسلحة. وهناك إشارة أخرى جديرة بالاهتمام وهي تكريم عوائل الذين يموتون في القتال التي اعتبرت من ضمن أسس وجود القوة القوية المندفعة والمنضبطة وتعتبر حالة متقدمة جدا في الجانب الإنساني على صعيد الجيش والشعب. أما نظرته إلى الحرب فإنه حددها من خلال منظور فلسفي مبني على الانسجام بين السلوك والعقيدة المرتكزة على التقوى والمروءة والفضيلة وبين الأفعال التي تترجم إلى الخطط القابلة للتنفيذ. فإذا إنسجمت الأفعال مع الطريقة يصبح بالإمكان تحقيق الأهداف وصون المنجزات... وبخلاف ذلك سيصاب البلد بالكارثة **(13)**.

4- ضمن الكتاب السادس الذي هو بعنوان - السوقيات الثلاث - لهوانغ شيكونغ

والذي يعتقد إن تاريخه يقع ما بين نهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي - الكتاب يتألف من ثلاثة فصول - الفصل الأول هو السوق الأعلى - يتضمن السوق الأعلى على قواعد السلوك والمكافئات والتمييز بين الأشرار والبواسل ويوضح النجاح والهزيمة. أما السوق الأوسط فيوضح الاختلافات في الفضيلة والسلوك ويوضح التغييرات في ميزان القوة. أما

السوق الأدنى فينظم الطريقة والفضيلة ويتحرى الأمن والخطر ويوضح كارثة إيذاء الجدير.

يبدو إن التأثير (الطاوي) كان هو المهيمن على الكتاب لذلك عندما تناول أمر الحرب أعتبرها أمرا مشؤوما وشريرا وتنتهك ما يراه الطاويون إنه الميل الطبيعي للحياة، وعلى عكس الموقف الإيجابي للتعاليم السرية الستة والأعمال الأخرى التي ظلت تعتبر الحرب ذات أهمية حاسمة للأمة. يستحوذ الجانب السلبي أو المظلم للشؤون العسكرية على الأهتمام في السوقيات الثلاثة (يجب أستخدام الجيش بصورة منضبطة، مع ذلك عندما تقضي الضرورة للحفاظ على الولاية والتمسك بمبادىء المدنية وحماية الحياة ينبغي إن يكون الأستخدام منسجما مع الطريقة. ولإن التردد والشك يحكم المؤسسات العسكرية لذلك عندما يتخذ قرار أستخدام الجيش ينبغي إن يكون أستخدامه حاسما. الملك الحكيم لا يجد لذة في أستخدام الجيش. الأسلحة أدوات مشؤومة وطريقة السماء تمقتها مع ذلك عندما عندما لا يمكن تجنب أستخدامها ينبغي إن تنسجم مع طريقة السماء). ثم يمضي في الكلام (يبقى الأساس وإمكانية العمل العسكري هو الشعب دائما وفي كثير من الولايات أصيب أهلها بالفقر وعمها السخط وينبغي بشعب الحاكم الحقيقي إن يكون جيد الأكل والملبس وينعم بالراحة ومرتبطا بملكه وولايته بقوة)**(14)**.

إن ما يجلب الانتباه من خلال دراسة كافة هذه المؤلفات هي جملة أمور مهمة يمكن أجمالها بما يلي:

1 - يمكن أعتبار الفكر الصيني القديم المتعلق بقضايا الحرب كمفهوم وبفن الحرب كأفرع، فكرا متطورا جدا قياسا إلى الأفكار الأخرى السائدة في ذلك الزمان.

2 - ينطلق الفكر الصيني لمفهومه للحرب وفلسفتها من خلال منظور عقائدي/ أخلاقي بالدرجة الأولى حيث تركز أغلب المؤلفات على الفضيلة والاستقامة

وأعتبارها أساس الحكم وإدارة البلاد وكان تأثير(الكونفوشيوسية) واضحا في أغلب تلك المؤلفات وكذلك الطريقة (الطاوية) التي كانت هي الأخرى تركز على الفضيلة والاستقامة، ومن الطبيعي إن تكون مثل هذه الأفكار أكثر تطورا وإنسانية من الكثير من النظريات السائدة في ذلك العصر وحتى في عصرنا الراهن الذي غيبت فيه الجوانب الأخلاقية والإنسانية عند صياغة النظريات السياسية والعسكرية.

3 - اعتبرت الحرب من أهم شؤون الولاية أو الدولة وهي قضية حياة أو موت كما قال(صون تسو)، كما أعتبرت ضرورية وحيوية لتهدئة الأوضاع ومعاقبة الشرير وإنقاذ المظلوم كما عبر عنها (سوما) في مؤلفه(طرق سوما) ويبدوا إنه وضع شرطا لهذه الحرب وهوالأستثمار الواعي للقوة وأعتبره أساس السياسة، كما أشار إلى إن التعامل بالمروءة وممارسة التقوى في الحكم والاستقامة هي أساس الفضيلة، ولكن عندما تخفق الاستقامة في تحقيق الأهداف الأخلاقية والسياسية المنشودة فإنهم يلجأون إلى السلطة وتأتي السلطة من الحرب.

4 - الأمر المثير للانتباه والتأمل هو إن الحرب بموجب هذه المفاهيم، هي صراع بين الخير والشر، وهي حالة الاضطرار وليس الضرورة أو الأختيار لإنها تتناقض مع الفهم العقائدي التي اعتبرها عمل شرير، وهذه كلها تعبر عن عمق في النظرة الأخلاقية والإنسانية وهي في حقيقتها تمثل إدراك مدهش ومتطور لمفهوم وفلسفة الحرب.

لقد مضت فترة طويلة من بعد صون تسو وباقي مفكري الصين الذين أشرنا إليهم لم تقدم خلالها مفاهيم جديدة عن الحرب عدا ما جاء به الإسلام من أسس ومبادىء سيأتي ذكرها لاحقا.

خلال الفترة التي سبقت القرون الوسطى كان للفكر الديني المسيحي تأثير واضح على فلسفة الحرب وكما يبدوا كانت هناك مدرستان تختلفإن في رؤيتيهما لموضوع الحرب. الأولى هي السلوكية التي تنطلق من نظرة دينية تقول إن السيد المسيح لم يعالج موضوع الحرب ولم يتطرق إليه بسبب

وأعتبارها أساس الحكم وإدارة البلاد وكان تأثير(الكونفوشيوسية) واضحا في أغلب تلك المؤلفات وكذلك الطريقة (الطاوية) التي كانت هي الأخرى تركز على الفضيلة والاستقامة، ومن الطبيعي إن تكون مثل هذه الأفكار أكثر تطورا وإنسانية من الكثير من النظريات السائدة في ذلك العصر وحتى في عصرنا الراهن الذي غيبت فيه الجوانب الأخلاقية والإنسانية عند صياغة النظريات السياسية والعسكرية.

3 - اعتبرت الحرب من أهم شؤون الولاية أو الدولة وهي قضية حياة أو موت كما قال(صون تسو)، كما أعتبرت ضرورية وحيوية لتهدئة الأوضاع ومعاقبة الشرير وإنقاذ المظلوم كما عبر عنها (سوما) في مؤلفه(طرق سوما) ويبدوا إنه وضع شرطا لهذه الحرب وهوالأستثمار الواعي للقوة وأعتبره أساس السياسة، كما أشار إلى إن التعامل بالمروءة وممارسة التقوى في الحكم والاستقامة هي أساس الفضيلة، ولكن عندما تخفق الاستقامة في تحقيق الأهداف الأخلاقية والسياسية المنشودة فإنهم يلجأون إلى السلطة وتأتي السلطة من الحرب.

4 - الأمر المثير للانتباه والتأمل هو إن الحرب بموجب هذه المفاهيم، هي صراع بين الخير والشر، وهي حالة الاضطرار وليس الضرورة أو الأختيار لإنها تتناقض مع الفهم العقائدي التي اعتبرها عمل شرير، وهذه كلها تعبر عن عمق في النظرة الأخلاقية والإنسانية وهي في حقيقتها تمثل إدراك مدهش ومتطور لمفهوم وفلسفة الحرب.

لقد مضت فترة طويلة من بعد صون تسو وباقي مفكري الصين الذين أشرنا إليهم لم تقدم خلالها مفاهيم جديدة عن الحرب عدا ما جاء به الإسلام من أسس ومبادىء سيأتي ذكرها لاحقا.

خلال الفترة التي سبقت القرون الوسطى كان للفكر الديني المسيحي تأثير واضح على فلسفة الحرب وكما يبدوا كانت هناك مدرستان تختلفإن في رؤيتيهما لموضوع الحرب. الأولى هي السلوكية التي تنطلق من نظرة دينية تقول إن السيد المسيح لم يعالج موضوع الحرب ولم يتطرق إليه بسبب

طبيعة تعاليمه التي كانت تدعوا إلى المحبة والسلام وعمل الخير، وإن الإنجيل لم يشتمل على موقف واضح وصريح من الحرب. أما المدرسة الثانية فقد إنطلقت من رؤية سياسية رافضة للنموذج السلوكي، وتنطلق تلك المدرسة من خلال التفسير (لمفهوم الدولة والسلطة) فتقول بإن الدولة ثم السلطة أقيمت بإرادة الله ولمصلحة الإنسان وبما إن الطبيعة الإنسانية طبيعة آثمة وتجنح إلى الخطيئة في بعض الأحيان، فإن السلطة تقوم بوظيفة إلهية، وهي محاربة الخطيئة ومعالجتها والعمل على أجتثاثها لذلك فإن الحرب، رغم كونها خطيئة، فإنها ضرورية كعلاج للخطيئة، لذلك تصبح القوة وفق هذا المفهوم وسيلة لتحقيق العدالة وهي بذلك تتحول إلى عنصر خير لإنها تهدف إلى حماية الناس من شرور الآخرين سواء كانوا من الداخل أو الخارج. وهنا تظهر مقاربة بين الفكرين الصيني القديم وبين هاتين المدرستين، ويبدوا إن هذا التفسير كان هو المسيطر على فكرة الحرب.

ومن هذا المفهوم جاء الربط الديني العقائدي للحرب خلال القرون الوسطى، منطلقين من كون السلطة هي الوسيلة لتحقيق العدالة، ولما كان الملك يمثل رأس السلطة لذا فإن مهمته الإشراف على الأمور الدنيوية بحيث تصبح موكلة إليه، لإن إرادته مستمدة من إرادة الله سبحانه وتعالى وعلى الجميع الخضوع له والامتثال لإرادته والخروج عنها خروج عن إرادة الله. وكان الفرسان في ذلك العصر هم أساس التنظيم العسكري وفي أعلى درجاته وهم يعتبرون إنفسهم جنود الله وعليهم تقع مهمة تنفيذ الإرادة الإلهية،التي هي إرادة الملك أيضا. ووفق هذا المنظور تصبح الحرب هي وسيلة تحقيق العدالة وهي بنفس الوقت تمثل أستكمال الواجب الديني المعنوي الذي أعطى الأساس القوي لإدارة الحرب، وكانت هذه النظرة أو الفلسفة هي التي أوجدت صورة التنظيم العسكري لتلك القرون، حتى تغيرت الصورة فيما بعد عندما تحولت الجيوش إلى جيوش مرتزقة والتي كانت بمثابة صفحة غير مشرقة في تاريخ الفن العسكري.

مع حلول عصر النهضة ظهرت دراسات لعدد من المفكرين تناولت جوانب الحرب بأشكال مختلفة ومن أبرز من ساهم في هذه الدراسة (ميكافيلي - 1469 - 1527). لقد درس ميكافيلي الحرب بشكل دقيق وجعل منها علما أجتماعيا يرتبط بالنظريات ووجهات النظر الاقتصادية والقانونية والسياسية. أعتقد ميكافيلي إن القوة هي أساس وجود الدولة لذا ينبغي إن تعطى عناية خاصة لدراسة الحرب، ويبدوا إنه كان متطرفا جدا في أهمية دراسة الحرب كونه أعتبر إن الشغل الشاغل للأمير هو دراسة الحرب. كما إنه ربط بين القانون كوسيلة لفرض السلطة وديمومتها وبين وجود القوة العسكرية التي هي أساس وجود الدولة وقدرتها على تطبيق قوانينها. كما أعطى للتنظيم العسكري السليم أهمية خاصة وأعتبره أساس الدولة. كانت أفكاره مبنية على أساس دراساته للتاريخ خصوصا الروماني والدستور السياسي لروما، ثم دراسته للظروف التي مرت على أوربا خصوصا ما جرى على إيطاليا التي كانت تعيش حياة رفاهية ورغد وتطور علمي وفني، وكانت ولاياتها الخمس قد أهملت الجانب العسكري بشكل كبير، حتى يقال إن الناس في إيطاليا امتنعواعن إن تكون لهم أية صلة بصورة ما بالجندي المحترف الذي أصبح من سمات القرن الخامس عشر، وكانت النتيجة إن أجتاحها جيش فرنسي يقوده(شارل الثامن) في عام (1494) وكان الجيش مجهز بمدفعية قوية وجيش قوي من جنود مشاة سويسريين وتمكن من الإطاحة بنظامها السياسي بسرعة فائقة. وكان من نتائج هذا الاجتياح إن حدثت تطورات كبيرة على فن الحرب، أعتبر بمثابة إنتصار الفن الحديث للحرب على الأسلوب القديم، وكان على إيطاليا إن تعيد النظر بالتعاليم والأساليب العسكرية حتى يلحقوا بالتطورات الجديدة، وكانت فلورنسا التي كانت تحت حكم (بييرو سودريني)آنذاك**(15)(*)** هي الرائدة في هذا المجال وشاءت الظروف إن يعمل (ميكافيلي) مع (بييروسودريني) خلال الفترة (1498- 1512) وكان من المفضلين لديه، فجاءت كتاباته حول الحرب متأثرة بكل تلك التجارب، وكان كتابه (فن الحرب) معبرا عن كل تلك المرحلة حيث ناقش فيه جملة أمور تخص التنظيم وفن القتال، إلا إنه ركز وبشكل

واضح على القوة العسكرية في الحياة السياسية واعتبرها أساس وجود الدولة، وهي كما يبدوا أشارة مبكرة إلى أرتباط الحرب بالسياسة. كما إنتقد (ميكافيلي) فكرة الجيوش المرتزقة التي كانت سائدة في ذلك العصر ودعى إلى الحرب الشاملة بأستخدام الأمة كلها في شخص واحد وهي حالة مهمة جدا وتسترعي الاهتمام. كانت آراء ميكافيلي تمثل بداية جديدة على تطور مفهوم الحرب من مجاله الضيق إلى مجاله الأوسع. إن أحد الأسباب المهمة التي دعت (ميكافيلي) لتبني مفهوم الحرب الشاملة هي النتائج السيئة التي أفرزتها تجربة الجيوش المرتزقة خلال القرن الخامس عشر، فتلك الجيوش وقادتها لم يكونوا يقاتلون من أجل هدف واضح بقدر ما كانوا يقاتلون من أجل مصالحهم الخاصة، يقول(ميكافيلي) عنهم (كانوا مفككين لا تربطهم أي وحدة، تملؤهم الأطماع، غير مخلصين ولا تتوفر فيهم روح الضبط والربط، شجعان بين الأصدقاء، جبناء في مواجهة الأعداء، لا يهابون الله ولا أيمان لهم بالرجال) **(16)**. كان القادة يفهمون الحرب على إنها تمثل الوسيلة الوحيدة للعمل والحياة، أي إن الحرب بهذا المفهوم، هي حرفة وليست بقصد هدف وطني مهم، لذلك كانت معاركهم عبارة عن مناورات تظهر فنونهم القتالية ولكن دون معارك فاصلة، ودون سفك الكثير من الدماء لإن الجندي أصبح يمثل رأس مال القائد وخسارته تعني خسارة رأس المال. من كل ذلك خرج (ميكافيلي) بمفهوم الحرب الذي يقول فيه (إن إدارة الحروب في إيطاليا فيها شيء خاطىء، حيث لا يمكن إن تسمى حربا عندما لا يقتل الناس بعضهم بعضا، وعندما لا تدمر المدن وتنهب الأرض، فإن التدمير الكامل لأرض العدو يجب إن يكون الهدف الأساسي للحرب، والحرب الحقيقية هي قتال للبقاء وفي مثل هذا القتال فإن كل شيء يسمح به، وعندما يكون أمن الدولة وسلامتها يتوقفان على القرار الذي يتخذ فلا يجب البتة تقدير العدالة أو نقيضها ولا يجب التفكير في القسوة أو الإنسانية ولا في الشرف أو العار)**(17)** كان هذا المفهوم رغم كونه احتوى على شيء من الواقيعة إلا إنه كان متطرفا في تلك النظرة التي جعلت من الحرب أداة تدمير وبغض النظر عن النتائج التي تسببها،

دون مراعاة الجانب الإنساني الذي يجب إن يكون حاضرا في كل الظروف والأحوال.

بعد (ميكافيلي) جاء مفكرون آخرون عالجوا مفهوم الحرب بأشكال وصيغ متباينة منطلقين من التجارب والدروس وطبيعة الإنظمة السياسية السائدة في كل مرحلة من مراحل التاريخ.

كان في مقدمتهم (هنري جوميني. 1779-1869)**(18)** و (كارل فون كلاوزفيتز - 1780 - 1831) **(19)** و تعتبر كتاباته من أهم البحوث التي عالجت موضوع الحرب. ويحتل كتابه (فن الحرب) مكانة خاصة في تاريخ الفكر العسكري كما يعتبر من أمهات الكتب في القرن التاسع عشر. إذ يعد في رأي العديد من الكتاب والمفكرين أول دراسة واضحة للحرب ومعبرة عنها ومحيطة بكل جوانبها. كما إنه يمثل الحد الفاصل بين نظريات الحرب للفترة ما بين بدايات الثورة الصناعية وبدايات القرن التاسع عشر، التي أعطت للحرب مفاهيم جديدة يمكن أعتبارها بدايات لنظريات الحرب الحديثة.

أما (جوميني) الذي كان معاصرا (لكلاوفيتز) فيبدوا إن أفكاره لم تكن تتطابق مع آراء كلاوزفيتز في أكثر من مجال، وهذا ما دعاه إلى نقده في أكثر من مكان كما ادعى إن كلاوزفيتز نقل عنه الكثير من أفكاره.

نظر جوميني إلى الحرب بأعتبارها صورة من صور النشاط البشري على الأرض وهي ليست صورة شاذة من صور هذا النشاط الذي له تاريخه الخاص به والمنفصل عن غيره من صور التاريخ، بل هي جزء مكمل لتاريخ الحضارة، لذا ينبغي دراسة هذا النشاط بشكل دقيق، ولقد عارض جوميني الآراء المضادة لعسكريين سبقوا عصره مثل (الماريشال دي ساكس) والذي كان يقول (إن الحرب علم تغطيه الظلمة الحالكة، وفي وسط هذه الظلمة لا يستطيع الإنسان السير بقدم ثابتة، إن لكل العلوم أصولا ومبادىء كثيرة ولكن لا شيء من هذا للحرب) **(20)**. وكان رأي (جوميني) إن العقل البشري يستطيع إن يوجد وإن

يقدم بصورة منطقية الوسائل التي تمكن من النجاح في الحرب. أي إنه يعتبر العلم الوسيلة لتحقيق النجاح في الحرب. وكان هناك من يعتقد بإمكانية وضع طرق محددة للحرب يمكن تطبيقها لكل الحالات مثل الوصفات الجاهزة من أمثال(بييلو)، ولكن جوميني عارض هذه الآراء التي تضع للحرب وصفات جاهزة. كان(جوميني) ينظر إلى الحرب بأعتبارها مأساة غامضة وهي ليست بحال كعملية حسابية، وأعتبر إن التفكير السليم وحده لا يكسب المعارك بل لابد من توفر الصفات الأخرى كالذكاء والشجاعة والابتكار والمبادأة، وفي الحقيقة كان رأيه مصيبا جدا فالحرب كانت ولا تزال تمثل مأساة في حقيقتها وعلى كل المستويات رغم ما يحاول البعض من تحسين صورتها كونها وسيلة لإيقاف ومنع الشر وإنصاف المظلومين وغيرها. وهي بنفس الوقت مأساة غامضة لا أحد يعرف نتائجها وما تسببه من تخريب ودمار وتأثيرات نفسية واجتماعية واقتصادية، ووجهة النظر هذه تتطابق مع العديد من مفكري الصين القدماء.

أما الغرض من الحرب حسب أعتقاده فهو تدمير قوات العدو المسلحة. وفي ذلك أقتراب من وجهة نظر (كلاوزفيتز) رغم أختلافه في أمور أخرى عديدة، فمثلا كان (كلاوزفيتز) يركز على طبيعة الحرب من ناحية فهمها وفلسفتها، نجد (جوميني) يركز على الجوانب العملية من الحرب وأعتبر إن الغرض من الحرب هو أحتلال كل أو بعض أراضي العدو، ومثل هذا الأحتلال يتم بالسيادة الناجحة على منطقة العمليات. وأعطى أهتمام كبير للتخطيط الجيد للحرب. وفي كتابه (الدراسة الموجزة) ناقش سياسة الحرب والعامل اللامنطقي فيها، وعرض في أول هذين الفصلين جدولا لمختلف صور الحرب مميزا بينها تبعا لأهدافها وأغرضها السياسية،ولقد توصل بشكل لايدعو إلى الشك إلى إن الغرض السياسي لأي حرب يلعب دورا كبيرا في تكوين طبيعة الحرب، وهذه إشارة متميزة من قبله بكون الحرب تابعة للسياسة وهي أداة من أدواتها كما نادى بذلك (كلاوزفيتز)**(21)**.

أما (كلازفيتز) فلقد نظر إلى الحرب نظرة خاصة بأعتبارها عملا من أعمال العنف، وإنها عبارة عن مبارزة على نطاق واسع، وإن العنف هو الوسيلة، وفرض الإرادة هي الغاية. كما أعتبر إن هزيمة العدو ونزع سلاحه نزعا شاملا أو وضعه بهذا الموقف هو هدف الحرب التي تكون نتيجتها فرض الإرادة على الطرف الآخر. وإنه ليست هناك وسيلة سوى وسيلة واحدة للحرب هي المعركة. كما نادى بإن تأخذ الحرب أقصى مدياتها في العنف ولا حدود للعنف، لإن نزع سلاح العدو والقضاء عليه لايتم بدون المزيد من سفك الدماء. ودعى إلى التطرف في استخدام القوة دون النظر إلى ما تثيره من حالات اشمئزاز أو ردود فعل لدى بعض ذوي النفوس الطيبة وفي نهاية الفصل الخامس بالغاية والوسائل.

يبدو إنه لخص فكرته في الحرب بقوله:

(ونستدل من كل ما تقدم على إن هناك عدد من الأشكال والطرق للوصول إلى هدف الحرب أي إلى هدفها السياسي، ولكن الوسيلة الوحيدة للوصول إليه هي الاشتباك، لذا يخضع كل شيء في الاشتباك إلى القانون الأعلى للحل الحاسم لقوة السلاح، وعندما يستخدم العدو هذا السبيل فإننا نجد إنفسنا مضطرين إلى السير على منواله، وعلى الطرف الذي يود استخدام طريقة أخرى إن يتأكد من إن خصمه لم يستخدم الحل الحاسم بقوة السلاح وإلا خسرت قضيته أمام هذا الحكم العادل، والخلاصة إن تدمير قوات العدو هو أهم هدف ورهان في الحرب قاطبة) ثم يؤكد بعد هذا العرض بقليل على (إن الحل الرامي للأزمة أي الجهد الرامي إلى إبادة القوات المعادية هو الابن الشرعي للحرب) **(22)**

ملاحظة(*) إن ما جاء به (كلاوزفيتز) عن مفهوم الحرب وربطها بالعنف وأعتبار

المعركة هي الوسيلة الوحيدة لكسب الحرب وإن نزع سلاح العدو والقضاء عليه لا يتم بدون المزيد من سفك الدماء، قد أثارت جدلا طويلا من بعده رغم وجود الكثيرين ممن آمنوا بها، لكن هناك من أعتبرها قد ضللت الكثير من القادة وأصبحت أداة سهلة بيد رجال الحرب الميالين إلى سفك الدماء لتبرير ما

يقومون به. وكان أبرز من عارضه وإنتقده على هذه الآراء هو (جوميني) معتبرا إن آراءه قد جاءت تكرارا لما قدمه وإنه كان مقلدا له. ويبدوا إن أكثر النقد الموجه لآراء (كلاوزفيتز) كان بسبب إصراره وتكراره على العنف اللا محدود في الحرب. هذه الآراء التي تسببت في تضليل الكثيرين ممن أخذوها على شكلها المجرد دون التعمق في فهمها وهذا ما ألحق بفلسفته للحرب الكثير من الضرر رغم قيمتها العسكرية.**(23)** وكان (ليدل هارت) و (فولر) من أكثر المفكرين الذين وجهوا النقد لتلك النظريات، وكانوا من أبرز من قدم مفاهيم جديدة مبنية على المنطق العقلاني والأخلاقي للحرب، كان لها الفضل في تغير الصورة المظلمة عن هذا المفهوم الذي أثار الكثير من الجدل.

إن أهم ما تميزت به آراء (ليدل هارت) حول الحرب هو إنه كان يعتبر الحرب ظاهرة لا يمكن تجاوزها ضمن المجتمع البشري ولكون هذه الظاهرة أمرا لايمكن الخلاص منه فإنه يدعو إلى فهمها من خلال تحليل أسبابها ودوفعها والظروف التي أوجدتها. وكإن يقول (إذا أردت السلم فافهم الحرب)، وهو عكس الشعار الروماني القديم الذي يقول (إذا أردت السلم فأستعد للحرب). ولم يكن يدعوا إلى التدمير المطلق ولا إلى الإنتصار الكامل المطلق في الحرب الذي كثيرا ما قاد السياسيين والعسكريين إلى المزيد من سفك الدماء والخراب والتدمير من أجل تحقيق هذا النصر المزعوم الذي لم يكن يحمل غير جذور الحرب والحقد. وفي محاولة توضيحه لمفهوم الحرب فإنه اعتبر الحرب هي المجال المفتوح للعنف المطلق، أي لاتوجد حدود لهذا العنف مهما حاولت الأطراف من وضع حدود أو قيود لها. وإن العاقل لا يذهب إلى الحرب إلا إذا كان كارها ومضطرا لها دفاعا عن النفس ودرءا للعدوان وتصديا للخطر ودفعا للظلم وكسبا للسلام الحقيقي الوطيد العادل المشرف، وليس حبا بالقتال وتلذذا به وتعطشا للدماء وإزهاقا للأرواح. كان يعارض طريقة دراسة الحروب من خلال الاكتفاء بدراسة وقائعها وجوانبها الاستراتيجية والسياسية ويعتبرها مجرد وصف وسرد تاريخي لا يحمل سوى الشكليات والقشور، ولكن ما ينبغي الوصل إليه هو الجذور لتلك الحروب والتي قد تكون معرفتها هي الشيء

المهم الذي ينبغي التوصل إليه. كان مقتنعا بإن أغلب دوافع الحروب انطلقت من خلال المصالح الشخصية وليس من خلال مصلحة الوطن وكثيرا ما كانت طموحات السياسين والعسكريين سببا في تلك الحروب وسببا في استمرارها، وكان تحليله ودراسته لشخصية (ونستون تشرشل) خير مثال على هذه النتيجة(**24**).

كان(ليدل هارت) يدعو إلى التفكير بعمق وروية من قبل المخططين وصناع القرار قبل أتخاذ قرار الحرب لإن ما يلي الحرب هو النتيجة المطلوب الوصول إليها ألا وهي (السلام العادل). وهذه النتيجة كثيرا ما فشل مخططوا الحرب وصناعها في أعتمادها، لذلك كانت نتائج أغلب الحروب هي عكس ما تمنى أو فكر به هؤلاء. إن هذا الرأي فيه الكثير من الالتزام بالجوانب الأخلاقية والإنسانية والواقعية، لإن من ينظر إلى ما يلي الحرب من نتائج ودمار ومن يقرأ تاريخ الحروب وأسبابها وجذورها وظروفها سيجد نفسه، خصوصا إذا تجرد من المصالح الخاصة والطبيعة الميالة للشر والعدوان، وبحساب الأرباح والخسائر المترتبة على خوض الحرب، سيجد إن بإمكانه التوصل إلى حل التناقضات والمشاكل مهما تعقدت وصعبت من خلال التفاهم والحوار الذي يمكن إن يقود إلى طريق السلام أفضل من اللجوء للحرب بكل ما فيها من تناقضات وغموض ونتائج مأساوية، ذلك لإن الحرب، كما وصفها (جوميني) مأساة غامضة وهذه حقيقة لا يمكن تجاوزها مهما تطور العلم و مهما تطورت تقنيات القتال، ولا أحد يعرف، عندما يقرر على خوض الحرب متى ستكون نهايتها، وما هي نتائجها وكثيرا ما وجد القادة السياسيون إنفسهم بعد إنتهاء الحرب، إما على نفس خط البداية أو إنهم خسروا الكثير، وهذا ما أثبتته الكثير من الحروب عبر التاريخ، ولعل آخرها الحربين العالميتين الأولى والثانية والحروب العربية الإسرائيلية والحرب الفيتنامية والحرب العراقية الإيرانية ثم حرب الخليج الثانية وآخرها ما يجري على أرض العراق وأفغانستان. المؤسف رغم كل تلك الماسي والويلات التي خلفتها الحروب، فإن الكثير من الحروب التي خاضهتا الأمم والجيوش كانت بلا جدوى ولم تحقق السلم الحقيقي، وإن

قيادات الشعوب لم تتعلم من التاريخ إلا القليل.

والحقيقة إن ما كتبه (ليدل هارت)، خصوصا في المراحل الأخيرة من حياته يمثل، خلاصة خبرته الطويلة وهي أفضل ما كتب حول الحرب في القرن العشرين. لقد كان صادقا مع نفسه ومع الآخرين في تحليله للحرب، أسبابها ودوافعها، وكانت كل كتاباته تنطلق من دراسة عميقة لتاريخ الحروب وأسبابها ودوافعها الحقيقية، يقول (ونتعلم من التاريخ إن الحرب تولد الحرب. وتلك هي ظاهرة واضحة وحقيقة موضوعية تكررت مرة بعد أخرى في كل زمان ومكان، وأتفقت في الخطوط الأساسية والسياقات العامة البارزة، وإن اختلفت في التفاصيل والفروع والجزئيات، لإن أجواء الحروب تؤدي إلى تنشيط إنواع مختلفة ومتعددة من بذور وجراثيم الحرب وطفيليات الحقد والتعصب والعداء والانتقام) **(25)** ثم يقول في مكان آخر (كيف نأمل إن يتحرر العالم من الحرب، إذا لم نحرر إنفسنا أولا من الأسباب التي تولدها والدوافع التي تفجرها وهي الحقد والطمع والتعصب والجهل) **(26)** وحتى نتوصل إلى السلام الحقيقي يقول (أدرس ظاهرة الحرب وتعلم من تاريخها.) **(27)**.

أما (فولر) فكانت آرائه مطابقة لآراء (ليدل هارت) في فهمه للحرب. وتأكيده على إن الانتصار ليس هو الهدف الحقيقي للحرب بل السلم هو الهدف الحقيقي للحرب، كما يؤكد على إن السلم هو(الفكرة) التي ينبغي إن تتحكم بالسياسة أما النصر فما هو إلا وسيلة للوصول إلى هذا الهدف، وهذه الآراء مطابقة لآراء(ليدل هارت) بشكل كبير وهي آراء تدل على العمق في التفكير وإلى النظرة الواقعية الإنسانية التي تهدف إلى بناء الحياة الجديدة للشعوب، الحياة المبنية على التفاهم ونبذ العنف.

إن الحرب كفكرة تنموا وتتطور في عقول صناع القرار والمخططين لها، من خلال فلسفة نظامهم السياسي الذي له نظريته السياسية النابعة أساسا من غايته الوطنية التي تمثل التطلعات والطموحات الوطنية التي تسعى الأمة لبلوغها والتي تحركها دوافع عديدة منها التاريخية و الاقتصادية و

الأيديولوجية ومنها دوافع الحقد والطمع والثأر وغيرها، هذه جميعها تشكل الأطر العامة لتلك الغاية وهي التي ترسم بالتالي شكل ومحتوى الأهداف الوطنية المطلوب تحقيقها. هذه الفكرة تنموا في رحم تلك الدوافع وتتطور مع الزمن تبعا لقدرة العناصر المغذية لها خصوصا عندما تتعارض مع أفكار ونظريات أخرى بسبب التناقض القيمي والمفاهيمي لتلك النظريات والدوافع والغايات الوطنية. في مثل هذه الظروف تنمو وتتطور الفكرة التي كثيرا ما يحاول صناع القرار صياغتها ووضعها في إطارها الوطني منطلقين من خلال الكيفية التي يتم بها تحقيق أهداف ومصالح دولهم، وفي أحيان أخرى مصالحهم الخاصة أو مصالح مؤسساتهم أو أحزابهم. وهكذا تتحول تلك الفكرة مع مرور الزمن إلى صراع لا يمكن حسمه بدون الاستخدام الفعلي للقوة المسلحة. وهكذا تقع الحرب التي يتمازج فيها الفعل العسكري مع الغرض السياسي الذي بدأ فيه، والعمل العسكري في حقيقته ما هو إلا امتداد وتجسيد للقرار السياسي المتخذ بشإنها وترجمة فعلية للإرادة السياسية للأطراف المتصارعة وهي التعبيرالحقيقي لإرادة صناع القرار في أعلى مستوياته مهما كان شكل أو طبيعة نظام الحكم مجسدة في ذلك أقصى درجات العنف المنظم لتحقيق تلك الأغراض السياسية.

وما دامت الحرب تعبر عن الإرادة السياسية لصناع القرار لذلك فهي فعل من أفعال السياسية وهي أداة من أدواتها وهي مرتبطة بها أرتباطا وثيقا، وهذا المنطق ليس هو بالمنطق الحديث لمفهوم الحرب كما قد يتصور البعض بل هو في حقيقته منطق قديم قدم الحرب، ففي الأزمنة القديمة عندما كان الملك يمثل رأس الدولة وهو المعني بصيانة وحماية مصالح الولاية أو المملكة وهو الذي يمثل إرداة الأمة وبيده القيادة المطلقة لكل شؤون الدولة ومنها الحرب التي كان قرارها بيده، يشنها تبعا لمصالح أمته وما يعتقده هو من أهداف تحقق مصالح تلك الأمة أو مصالحه في أحيان أخرى. لذلك أصبحت الحرب أداة يحقق بها الملك غاية وأهدف السياسة التي إنبثقت أصلا من الفكرة أو الفلسفة التي يؤمن بها. فمثلا نجد من التاريخ القديم للصين وضمن كتاب طرق

سوما الذي سبقت الأشارة إليه إنه كان يؤكد على الاستثمار الواعي للقوة ويعتبرها أساس السياسة، أي إنها معبرة عن السياسية ومرتبطة بها، كما أكد(ميكافيلي) في كتابه (فن الحرب) على إن القوة التي تستخدم في الحرب هي أساس الحياة، وإن الأمير يجب إن لايشغله شيء أكثر من دراسة الحرب، وهذا يعني ارتباط الحرب بالسياسة التي يعتمدها الأمير. وكذلك جاءت آراء (جوميني) ثم (كلاوزفيتز) الذي يرى بإن الحرب هي أداة بيد السياسة بقوله (إن الحرب هي بمثابة أداة عقلية منطقية للسياسة الوطنية).

عقلية ومنطقية بمعنى إنها تستند إلى تقديرات كلف الحرب ومكاسبها أي الموازنة بين الكلف والمكاسب. وإن الحرب هي بمثابة أداة أو وسيلة أي إن الحرب لا ينبغي إن تكون بذاتها بل يجب إن تخدم مصالح الدولة وغايتها لذلك تصبح الحرب سياسة بوسائل أخر. أما كون الحرب وطنية بمعنى إن أهدافها يجب إن تحقق المصالح الوطنية وليس لغرض آخر. لذلك نجد إن رأيه في كون الحرب أداة للسياسة هي أبرز ما ساهم رأيه بقوله (وهكذا نرى إن الحرب ليست عملاً سياسياً فحسب، ولكنها أداة سياسية حقيقية واستمرار للعلاقات السياسية وتحقيق لهذه العلاقات بوسائل أخرى، وإن السمات الخاصة بالحرب ناجمة من صفات الوسائل التي تستخدمها، ويتطلب فن الحرب العام وفن القائد أيضاً إن لا تتضارب ميول السياسة ونواياها مع هذه الوسائل، وهذا الأمر مطلب لا يمكن تجاهله، ومع إن الوسائل تؤثر في بعض الحالات تأثيراً قوياً على النوايا السياسية، فإن هذا التأثير يبقى مجرد تعديل للنوايا التي تبقى غاية الغايات، وما الحرب سوى وسيلة ولا يمكن تصور الوسيلة مستقلة عن الغاية) **(28)** ويلخص كل ذلك بقوله:(ولذلك فإننا نكرر القول:بإن الحرب أداة من أدوات السياسة، وهي تحمل بالضرورة طابع هذه السياسة. وليست إدارة الحرب في خطوطها العريضة إلاسياسة، ولكنها سياسة تحمل السيف بدلا من القلم، دون إن يمنعها ذلك من إن تفكر حسب قوانينها الخاصة)**(29)**. ولقد أتفق معه في هذا الرأي أغلب المفكرين من (جوميني وليدل هارت وفولر) والماركسية اللينينة وغيرهم. وعندما تطورت الإنظمة السياسية في العالم

حتى وصلت إلى عصرنا الراهن فإننا نجد إن صناع القرار الذين يمثلون الشعب سواء بالطرق الديموقراطية السليمة أو الذين فرضوا إنفسهم على الشعب وأعتبروا إنفسهم ممثلين له بأسم الديموقراطية، هم أيضا جعلوا من الحرب أداة يلجأون إليها عندما تدعوا مصالح أممهم وعندما تفشل الوسائل الأخرى في تحقيق تلك المصالح. إذن الحرب كأداة للسياسية لم تتغير منذ القدم وإلى عصرنا الراهن رغم اختلاف الإنظمة السياسية وأساليب الحكم وما تغير هي الأسباب والمبررات وطرق وأساليب الحروب تبعا لتطور الغايات والمصالح ووسائل القتال. ومن ذلك نرى إن السياسة تهيمن بمعناها الوسع على كل نواحي الحرب من الأستحضارات وإدارتها وحتى نهايتها وهذه حالة لم تتغير مع كل التطورات التي حصلت. من التأثيرات المهمة في العلاقة بين السياسة والحرب هي الجغرافية السياسية(الجيوسياسية) **(30)** التي كانت وستبقى تمثل الاعتبار الحاسم في الشؤون الدولية، وكما يظهر من دراسة التاريخ فإن السيطرة على الأرض كانت تمثل محور النزاعات الدولية، وشكلت العزة القومية الناتجة عن الحصول على رقعة أوسع من الأرض أو مشاعر الحرمان القومي الناجم عن فقدان أرض "مقدسة" السبب لمعظم الحروب الدامية التي خاضتها البشرية منذ ظهور القومية، وليس هنالك مبالغة في القول بإن الدوافع المتعلقة بالأرض كانت الحافز الرئيسي الموجه للسلوك العدواني للدول القومية. الامبراطوريات هي الأخرى قامت من خلال الاستيلاء البارع على المواقع الجغرافية الحيوية مثل جبل طارق أو قناة السويس أو سنغافورة، وهي المواقع التي عملت كمحابس أو مسامير عجلة في منظومة السيطرة الإمبراطورية. كما قدمت ألمانيا النازية واليابان التعبير الأكثر تطرفا للعلاقة بين القومية وحيازة الأرض، فمسعى الرايخ الثالث تجاوز بكثير توحيد جميع الشعوب الناطقة بالألمانية تحت سقف واحد إلى التركيز على أوكرانيا والأراضي السلافية، كذلك سيطرت على اليابانيين الفكرة القائلة بإن الحيازة المباشرة لأراضي منشوريا ومن بعدها جزر الهند الشرقية الغنية بالنفط والتابعة لهولندا ضرورية لتحقيق المسعى الياباني لنيل السيادة القومية

والمكانة العالمية، ومن المنطق نفسه كان تعريف العظمة الروسية مرادفا للاستيلاء على الأراضي على مدى قرون عدة. كما يبرز دور وأهمية الجيوبوليتيكا في تبرير الحرب وكانت آراء المحللين أمثال(هارولد ماكندر) الذي أطلق مفهاهيم المنطقة المحورية ومنطقة القلب في العالم والذي صاغ مفهومه عن منطقة القلب بالسياق التالي:من يحكم أوربا الشرقية يسيطر على منطقة القلب. من يحكم منطقة القلب يسيطر على جزيرة العالم. ومن يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم كله. وقد استخدمت تلك المفاهيم كمبرر للحروب منها على سبيل المثال لجوء عدد من كبار السياسيين الألمان إلى استخدام الجيوبوليتيكا في تبرير مبدأ بلادهم في الضغط بأتجاه الشرق ومن أبرز تلك المحاولات محاولة(كارل هاوزهومن) في تكييف مفهوم ماكندر للاحتياجات الاستراتيجية الألمانية ونتيجة لذلك ظهر تشديد هتلر على حاجة الشعب الألماني إلى المجال الحيوي **(31)**.

الأمر المهم الآخر في هذه العلاقة بين الحرب والسياسة، إن هناك تأثيرات وحتى في بعض الأحيان تشويش على أصل وغاية وسياسة الحرب، مثل المصالح السياسية للأفراد أو المصالح الضيقة للمؤسسات العسكرية وغير العسكرية والتي غالبا ما تحدد أهم السياسات والسوقيات والقرارات التي تحكم الأفعال قبل وأثناءالحرب، فعلى سبيل المثال نجد إن هناك العديد من القرارات السوقية قد اتخذت إما لأسباب شخصية أو بسبب مصالح مؤسسات، فمثلا القرارالبريطاني للبدء بحملة القصف الجوي على ألمانيا عام (1942) لم يجر التوصل إليه لإن القصف السوقي كان من أشد السبل فعالية لكسب الحرب أو أفضل طريقة لأستخدام الموارد الشحيحة.(بل لإنه كان أحد السبل الأكثر نفعا للزعماء السياسين لإظهارهم بإنهم يقومون بعمل تعرضي ناجح على ألمانيا. وبالطريقة ذاتها، وإلى حد كبير كانت الضغوط لفتح جبهة ثانية في أوربا بأسرع وقت ممكن، تعكس حاجة الرئيس الأمريكي لكسب تأييد شعبي من خلال القيام بإجراء فعال. وعلى نحو مماثل إصرار تشرشل دون هوادة على قيام ويفل وأوكلنك لشن تعرضات قبل إن يحين الأوان في الصحراء

الغربية)**(32)**.وحول نفس الموضوع كتب (ليدل هارت)عن تشرشل كونه كان مسؤولا عن كارثتين عسكريتين أوشكتا إن تقصما ظهر القوات المسلحة البريطانية ماديا ومعنويا هما الفشل الذريع الذي حاق بالإنزال البريطاني في منطقة(الدردنيل) على جبهة(غاليبولي) في الحرب العالمية الأولى والانسحاب من ميناء دنكرك خلال الحرب العالمية الثانية **(33)**.

ولعل ما جرى خلال عهد الرئيس(نيكسون) من تداعيات على الأمن القومي الأمريكي من قضية(ووترغيت) وأستمرار التورط في المستنقع الفيتنامي وسفك الدماء تحت شعار السلام المشرف وعمليات القصف الجوي على (كمبوديا) ثم الإطاحة بالرئيس (الليندي) بإنقلاب عسكري نظمته وكالة المخابرات الأمريكية، وطبيعة العلاقات بين الرئيس ووزير خارجيته (هنري كيسنجر) ومساعديه ومستشاريه التي كانت تحركها دوافع ومصالح خاصة بينهم، ماهي إلا جزء من تأثير تلك العوامل التي كانت تدفع بكل منهم من أجل الحفاظ على مكانته بغض النظر عما يتطلبه الأمن القومي. يقول(سيمون هيرش) في نهاية كتابه ثمن القوة بعد إن أستعرض سنوات خدمة(كيسنجر) في البيت الأبيض وعلاقته مع الرئيس (نيكسون) (وفي النهاية، لم يعر نيكسون أو كيسنجر أهتماما كبيرا للثمن الإنساني الذي كلفته أعمالهما، وهو ثمن إضافي من أجل القوة، ويبدو إن نيكسون ومستشاره للأمن القومي لم يكونا يبديان الكثير من الاهتمام بمآسي الموتى والمعوقين في فيتنام وكمبوديا وكذلك في تشيلي وبنغلاديش وبيافرا والشرق الأوسط، عندما كانا في حمى معاركهما يقاتلان الاتحاد السوفيتي، وأوهامهما ومفاهيمها الخاطئة، وأعدائهما السياسيين وفي نفس الوقت يقاتل أحدهما الآخر) **(34)**.

ولعل الحرب العراقية الإيرانية تعطي دليلا آخر على هذا الموضوع حيث لم يكن سببها الرئيسي ما أعلن وما ظهر على السطح من مبررات وحجج للطرفين، رغم أهميتها خصوصا من وجهة نظر العراق بقدر ما كانت هناك عوامل داخلية خاصة، إنطلقت من حقد دفين ومطامع عمرها قرون عديدة

جاءت الثورة الإيرانية لتفجرها تحت مبررات وشعارات جديدة، منها تصدير الثورة وتحرير القدس من خلال العراق وإسقاط النظام العراقي كل هذه الأسباب وغيرها كانت أجواء تصعيد وأجواء حرب. أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما صرح به قادة إيران من بعد الثورة مباشرة. في بداية الثورة صرح أحد قيادي عناصر الثورة بما يلي (تخيل لو كان بمقدورك إسقاط صدام وإقامة جمهورية إسلامية هناك "في العراق" سيؤدي ذلك إلى تغيير موازين كل شيء، سيكون بمقدورك إلهيمنة على المنطقة، سيكون بمقدورك إلهيمنة على الشرق الأوسط بأكمله) **(35)**. بتاريخ (15/3/1980). وجه الإمام الخميني تحذير يقول فيه (أحذري أختي المعلمة أحذر أخي المعلم، أحذر أخي العامل، أحذر أخي الفلاح، أحذروا البعث الغادر، أحذروا أعدائكم أيها الشعب العراقي وثورة حتى النصر) **(36)**. كما وجه بيانا إلى الجيش العراقي بتاريخ(23/4/ 1980)، يقول فيه (إنني يائس من كبار القادة العسكريين ولكني لست يائسا من الضباط والمراتب والجنود وما أتوخاه منهم إما إن يثوروا أبطالا وينقضوا على أساس الظلم كما حدث في إيران، وإما إن يفروا من معسكراتهم وثكناتهم وألا يتحملوا عار ظلم حزب البعث)**(37)**. وبتاريخ (8/4/1980)، صرح قطب زادة وزير خارجية إيران آنذاك (إن عدن وبغداد تابعتان لنا) وفي مقابلة مع راديوا مونت كارلو بتاريخ (23 شباط1980) صرح أيضا إن العراق جزء من إيران، ثم صرح بتاريخ(9/4/1980) بإن حكومته (قررت الإطاحة بالحكومة العراقية) **(38)**. وفي(14 أيلول 1980) أعلن الجنرال (فلاحي) نائب رئيس أركان الجيش الإيراني بإن إيران لا تعترف باتفاقية الجزائر بشإن الحدود البرية، وكان (الخميني) قد رفع شعار طريق القدس يمر من خلال كربلاء، كما قاموا بتشكيل ما عرف بالجيش الثوري الإسلامي لتحرير العراق من أجل إنهاء حكم العملاء الظالمين القتلة، وكان(الخميني) قد وجه رسالة مفتوحة إلى (محمد باقر الصدر) مؤسس حزب الدعوة متضمنة توجيها محرضا للشروع بتحدي الحكومة العراقية وهناك العديد من تلك التصريحات والتي تحمل جميعها نبرة التهديد والوعيد والحرب، وفي طياتها كل إرث الماضي من حقد دفين وحب

للسيطرة وإلهيمنة على العراق تحت شعارات تصدير الثورة وتخليص العراق من نظام الحكم، وللعلم فإن عدد الاعتداءات الإيرانية المثبتة بوثائق رسمية عراقية للفترة من(23-شباط 1979) وحتى(أب 1980) بلغت (548) أعتداء من أختراقات بالطائرات وفتح النار على المخافر الحدودية وإطلاق النار على الطائرات المدنية العراقية وإجبار طائرة عراقية على الهبوط عنوة في طهران، ولقد وثق العراق (293) مذكرة أحتجاج بكافة الأعتراضات التي تعرض لها وقدمها إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية وإيران، ولم تكتف إيران بذلك بل قامت خلال الفترة من(4-22ايلول 1980) بقصف المدن الحدودية، ونفذت طيران أستطلاع جوي للأراضي العراقية ثم هاجمت منطقة(نفط خانة) بطائرتين مقاتلتين تم إسقاطهما وأسر أحد الطيارين. وفي(19 ايلول 1980)أعلنت إيران إغلاق شط العرب ومضيق هرمز بوجه الملاحة العراقية وهو يعتبر بمثابة إعلان حرب**(39)**. رغم كل محاولات العراق إلى تجنب التصعيد وحل المشاكل بالطرق السلمية والاحترام المتبادل التي لم تجد نفعا مما حمل العراق إلى الدفاع عن نفسه وردع العدوان، وكما سبقت الإشارة إليه من إن أجواء الحروب تؤدي إلى تنشيط إنواع مختلفة ومتعددة من بذور وجراثيم الحرب وطفيليات الحقد والتعصب والعداء والانتقام، وهذا هو حقيقة ما دفع الطرفين العراقي والإيراني إلى الحرب.

كما كانت دوافع غزو وأحتلال العراق هي الدليل الآخر على الدوافع والمصالح للسياسين والمؤسسات الاقتصادية الأمريكية بشكل خاص عام (2003). لقد كان العراق في مقدمة أهداف القيادة السياسية الأمريكية وبدفع خاص من زعامات المحافظين الجدد وعلى رأسهم(رامسفيلد ومساعده وولفوفيتز ومدير التخطيط الاستراتيجيي في وزارة الدفاع ريتشارد بيرل) بأعتبار العراق مدخل لسيطرة كاملة على البترول بدلا من ضياع الوقت في قضايا مستعصية الحل، مثل الصراع العربي الإسرائيلي، وتصفية الحسابات مع العراق يمكن إن تفتح مداخل إلى تسوية الحسابات القديمة مع إيران، مما يمهد لخروج شرق أوسط جديد تحت السيطرة الأمريكية)**(40)**، وعند تحليل الدوافع نجد إن أغلبها تكمن

ورائها العوامل الاقتصادية حتى يمكن القول إن نظرية وفلسفة الحرب للدول العظمى دون أستثناء محكومة بعوامل أقتصادية بالدرجة الأولى رغم وجود عوامل أخرى ولكنها تبدوا ثانوية، حتى يمكن القول إنها أصبحت من سمات العصر الراهن. ومن الطبيعي إن تغلف تلك الدوافع والمبررات بأغطية مختلفة، كحقوق الإنسان والحرية والديموقراطية أو الدينية وغيرها، لتساق على أساس إنها الدوافع الحقيقية لتلك الحروب(*)**(41)**.

يقول (وليام بولك) في بداية كتابه لكي نفهم العراق (يبدو إن الإدراة الأمريكية برئاسة (جورج. د. بوش) تعي دائما ما تقول: فالرئيس يقول إنه يسعى إلى نشر الحرية في جميع إنحاء المعمورة، فهو حتما لا يعني نشر الحرية للشعوب والأفراد، وإنما الحرية للشركات عابرة القارات في الوصول إلى أي سوق أو مصدر طبيعي تبتغيه دونما عوائق). ثم يتطرق إلى الأرباح الكبيرة التي جنتها الشركات النفطية وشركات تصنيع الأسلحة أمثال (هاليبريون) و(بكتل) و(شيفرون تكسكسو) التي عهد إليها بيع إنتاج العراق من البترول وشركة(لوكهيد مارتن) أكبر شركات السلاح في أمريكا والتي شكل رئيسها(روبرت جاكسون) لجنة تحرير العراق عام(2002)، التي ترأسها (جورج شولتز) وزير الخارجية السابق والرئيس التنفيذي لشركة(بكتل) و(ديك تشيني) رئيس مجلس إدارتها الذي قدمته اللجنة مرشحا لمنصب نائب الرئيس، وكان كل من(زلماي خليل زادة) المندوب السامي في العراق و(حميد قرضاي) يعملان مستشارين مدفوعي الأجر لشركة(يونيكال) التي أشترتها شركة (شيفرون) لاحقا كما كان(زلماي خليل زادة) يعمل بنفس الوقت مستشارا لإسرائيل في زمرة أخرى، وكانت عقود (هاليبرتون وبكتل) في العراق قد تم الاتفاق عليها مع الإدراة الأمريكية دون مناقصات وقبل الغزو الأمريكي للعراق بشهور، أما شركة (شيفرون)، فالآنسة الفاضلة(كونداليزا رايس) أتت من مجلس أدارها، فعهد إليها بيع نفط العراق، وهكذا جاء القابضون على السلطة من وراء ستار في الولايات المتحدة بفريق متكامل رائحته النفط لافتراس العراق ونفطه ولإعادة رسم خريطة النفط العالمية)**(42)**.

حتى في زمن السلم فإن الضرورات السياسية كثيرا ما تفرض نفسها على الضرورات المهنية والفنية للقوات المسلحة، فحجم القوات وتسليحها وتجهيزها وما يرافقها من صراع على الميزانيات، كلها عوامل تفرضها المصالح السياسية في أغلب الأحيان. وقد يشارك العسكريون السياسيون في مثل تلك القرارات، من خلال إعطائهم الغطاء الشرعي لقراراتهم السياسية، منطلقين من مصالحهم المختلفة التي قد تكون الرغبة في التعظيم الشخصي، أو تعزيز المكانة وإلهيبة الوظيفية، أو الرغبة في الحصول على منافع اقتصادية، أو الخشية من الزعماء السياسيين، وقد يستخدمون حجج بارعة وبراهين على الخطط والمشاريع المطروحة بأعتبارها أكثر عقلانية وفائدة، وبذلك يقدمون خدمة لصناع القرار السياسي، ولكن كل ذلك يكون على حساب المنطق الموضوعي العقلاني للحرب. وأعتقد جازما بوجود مثل هذه الحالات في كل جيوش العالم ولو إنها قد تختلف من مكان لآخر وخير مثال على ذلك ما يجري في العراق حاليا.

ولا يقتصر الأمر على موضوع التسليح والتجهيز وغيرها من متطلبات القوات المسلحة، بل هناك قضية أخرى قد تكون أكثر خطور من كل تلك العوامل وهي تسيس الاستخبارات لصالح السياسيين الموجودين في السلطة، الذين يجدون في عملية السيطرة على المؤسسات الاستخبارية والمخابراتية الطريق الإنسب لتعزيز مصالحهم السياسية أكثر من الرغبة للسيطرة على الجهاز العسكري، الذي سيكون بالتالي خاضعا لسيطرتهم من خلال تلك الأجهزة وهذا ما نراه في الكثير من دول العالم في الوقت الحالي، حيث نجد إن هذه الأجهزة هي التي تتحكم في الكثير من الأمور والقرارات في الدولة لصالح سياسي السلطة، هذا من جانب ومن جانب آخر نجد هناك العديد من الزعماء السياسيين عندما يحتاجون إلى تبرير مهني لشن الحرب وتعوزهم المبررات المنطقية فإنهم يلجاون إلى الأجهزة الاستخبارية لطلب المعلومات التي تتوائم مع ما يرغبون به، وقد يدفعون تلك الأجهزة إلى التركيز على الأمور التي يريدون إبرازها

لأغراضهم السياسية من خلال الإيحاء لتلك الأجهزة لتقديم ما هو مرغوب من قبلهم من عدمه، وعندها تصبح الاستخبارات مسيسة لصالح السياسيين وتتجرد بشكل تدريجي من مهنيتها وأستقلاليتها ومصداقيتها، وكثيرا ما تسببت ومن خلال دعمها للقرار السياسي المرغوب إلى مشاكل وكوراث على الصعيدين الداخلي والخارجي، وغالبا ما تسببت في نشوب الحروب وتدمير الدول والشعوب. وهناك أمثلة عديدة على هذه الحالات في العالم، فمثلا كان(ستالين) و(هتلر) لا يتساهلان مع معلومات تعارض معتقداتهم وقد أخبر(هتلر) (روبنتروب) ذات مرة (إنه عندما يضطر إلى أتخاذ قرارات عظيمة، كان يعتبر نفسه أداة العناية الإلهية التي أختارها الرب، وأضاف إلى إنه قبل اتخاذ القرارات المهمة كان يساوره شعورا باليقين المطلق). **(43)**

وكما حدث في عهد الرئيس(بوش الابن) من سيطرة وزارة الدفاع تحت سلطة الثلاثي (رامسفيلد وتشيني وولفوتيزو)على القرار السياسي، الذي وضع الحرب على العراق من أولى أولوياته، حتى إنهم أجبرو الاستخبارات إلى الرضوخ لمطالبهم بكون العراق يمتلك أسلحة تدمير شامل خلافا لقناعاتهم وخلافا لخططهم التي كانت تؤكد على ضرورة إدامة الضغط على الإرهاب وتصفية القاعدة في أفغانستان. كانت رسالة البيت الأبيض التي عاد بها(جورج تنت) بعد أحداث(11 أيلول) مباشرة (إن الحرب على العراق حتمية وقد حان الوقت لكي تؤدي الوكالة قسطها من المهمة، ومن بدا عليه من العاملين في الوكالة إنه غير متحمس بشإن العراق، سرعان ما وجد نفسه وعلى نحو غامض في موقف المتفرج، أما زملاؤهم الأكثر تحمسا وطموحا، فكانت تنتظرهم الترقيات العاجلة سواء في مديرية العمليات أم مديرية الاستخبارات، الذراع التحليلي للوكالة. كان الضغط من إدارة بوش ينصب رأسا على صفوف أسرة الاستخبارات في البلاد عاصفا بحياتهم المهنية وحياتهم العادية على حد سواء).**(44)**

كانت إدارة بوش تضغط على الوكالة التي لم يكن لديها أدلة مقنعة للحرب على

العراق يبين. (جورج تنت) إن الوكالة طلب منها تقديم عرض لمجلس الأمن القومي يوم (21 ديسمبر 2002) عن العراق فيما إذا كان لديه أسلحة تدمير شامل. ولكن يبدوا إن العرض أثار غضبهم، لإنهم لم يقدموا ما يكفي لإقناع الشعب بالحرب، (عندها طالب بوش بأضافة بعض البهارات حتى يستسيغ الأمريكيين الطبخة).**(45)**

وكما يبدوا ومن خلال كل ما نشر إن وكالة المخابرات المركزية أجبرت على تقديم تقارير تؤكد أمتلاك العراق لأسلحة تدمير شامل وإن له علاقة مع القاعدة وهي معلومات ظهر بطلانها ولعل ما ذكره رئيس جهاز المخابرات (جورج تنت) في كتابه خير دليل على ذلك، بقوله (حتى بعد مرور الشهور والسنون على أحداث 11/ أيلول ورغم كل البحث والتحقق لم يجدوا دليلا واحد يشير إلى تورط العراق) **(46)**. وفي مجال التأثير السياسي على الاستخبارات يقول تنت (إن مسؤولي إدارة بوش وصانعي السياسات بإدارة بوش كانوا يظهرون أمتعاظهم وعدم الرضا عن تقارير السي. أي. إيه، التي تقول بعدم وجود علاقة بين العرق وتنظيم القاعدة) **(47)**. وفي مكان آخر وحول تدخل القيادة في عمل الاستخبارات ذكر إن نائب الرئيس (تشيني) وخلال إلقاءه خطاب يوم(26 أب 2002) في حشد من المحاربين القدماء، أتهم(صدام) بحيازة سلاحا نوويا في القريب العاجل وسوف يضرب أمريكا وحلفاءها، وهكذا قفز(تشيني) على دور الاستخبارات دون تنسيق مسبق أو علمها، وهو كما ذكر(تنت) تجاوز على دوره، إضافة إلى إن ما ذكره كان مجاف للحقيقة **(48)**. وقال إن وكالة سي. أي. إيه وجدت نفسها في أوائل أيلول(2002) تحت ضغط من جانب لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ لأعداد تقرير يتوافق مع نواياهم المبيتة ورغبتهم المتعمدة في ضرب العراق حتى يتم تخويل الرئيس(بوش) سلطة المضي بالحرب **(49)**. وفي نهاية كتابه يقول (وإذا عدنا إلى الوراء، سنجد إننا أخطإنا إلى حد ما عندما أستسلمنا للضغوط نسبيا عندما وجدنا إن الحقيقة لم تكن قابلة للتصديق) **(50)**. وحدث نفس الشيء في بريطانيا عندما أستند بلير على معلومات تفيد بإن للعراق

قدرة على شن هجوم خلال(45) دقيقة، والتي كانت مبررا لمشاركته بالحرب وهي طبعا معلومات غير صحيحية إطلاقا لسبب بسيط وهو إن العراق لايمتلك وسائل لإيصال تلك المقذوفات إلى الأراضي البريطانية حتى قبل حرب الخليج الثانية، أما بعدها وفي ظروف الحصار، فإن قدرة الصواريخ العراقية لم تتعدى (150) كم إضافة لعدم امتلاك العراق لأسلحة كيمياوية أو جرثومية في ذلك الوقت، وكانت فرق التفتيش قد دمرت كل مخزون العراق ومختبراته.

وما حصل مع وزير خارجية أمريكا عندما ألقى كلمته في مجلس الأمن قبل الحرب بوقت قليل عندما أشار في كلمته إلى أمتلاك العراق لأسلحة تدمير شامل، وحسب قول (جورج تنت) في مذكراته إن(باول) أستلم وثيقة من البيت الأبيض مؤلفة من(59) صفحة وكان يظن إنها نظمت بالتنسيق مع وكالته ولكن الوكالة كما ذكر لا علم لها بها، ثم يمضي بالقول (كان عرض باول أمام الأمم المتحدة عظيما ولكن للأسف جوهره غير متماسك. وكانت الركائز الأساسية المختلفة للخطاب وخاصة ما يتعلق ببرنامج أسلحة العراق الكيمياوية والبايولوجية بدأت في التداعي واحدة تلو الأخرى وبالتالي فقد تم تعليق وزير الخارجية من رقبته أمام العالم كما تردت مصداقية أمتنا إلى الحضيض) **(51)** ولقد أعترف لاحقا بقوله لقد تورطت في ذلك.

ومن أجل إن يهيمن رجل السياسة على الأجهزة الاستخباراتية نجد حالة أخرى هي التدخل في عمل تلك الأجهزة بشكل مباشر كما كان(تشرشل) يعمل، كان يسعى إلى معرفة كل المعلومات المخابراتية (كان من جانب يقدر أهمية عمل المخابرات أكثر من أي زعيم آخر خلال الحرب العالمية الثانية وقام بمساهمة عظيمة في تطويرها، ومن جانب آخر لم يكن يتردد في تجاهلها عندما لاتنسجم مع أستراتيجيته وغالبا ما كان يرنو إلى إن يصبح ضابط مخابرات بنفسه).**(52)**

وحتى يتمكن الرؤساء من أحتواء تلك الأجهزة لمصالحهم نجد إن الكثيرين

منهم وفي أغلب دول العالم يميلون إلى أختيار رؤوساء تلك الأجهزة ممن تنسجم وجهات نظرهم السياسية وخصائصهم الشخصية معهم مثال (كارتر - سورنسون، ريغان - كايسي، دايان - زائيرا)**(53)**. وفي دولنا العربية شواهد كثيرة على ذلك، وكثيرا ما نجد إن عامل الأمن الشخصي وموالاة النظام تطغى على الجانب المهني والعلمي عند الأختيار لهذه المناصب، وكثيرا ما وجدنا أشخاصا ذوي قدرات محدودة توكل إليهم مهام في غاية الخطورة على الأمن الوطني. وهكذا نجد إن قرار الحرب رغم خطورته وأهميته كثيرا ما تتلاعب به العديد من العوامل منها المنطقية ومنها غير المنطقية وغير العقلانية وكثيرا ما تكون رغبات وطموحات الزعماء السياسين، إضافة إلى عوامل الحقد والغضب والتعصب الأعمى والرغبة في القتل والتدمير، من أهم عوامل ومسببات الحروب التي تكون الشعوب ضحية لها. ولعل التجربة العراقية في هذا المجال تمثل خير دليل على ذلك، فالرئيس(صدام حسين) لم يكن يرغب بتقارير استخبارات تخالف قناعاته ووجهة نظره أو ما ماكن يريده، خصوصا للفترة التي سبقت حرب الخليج الثانية والثالثة، وكان الولاء الشخصي للرئيس من قبل رئيس جهاز الاستخبارات والهاجس الأمني من ذلك الشخص أهم من الجانب الفني والمهني رغم خطورة الوضع الذي كان يمر على العراق، وهذا ما إنعكس على أختياره لرؤساء تلك الأجهزة وعلى أدائها خلال تلك الفترة.

كان(كلاوزفيتز) قد أوضح خلال تحليله لنظرية الحرب التي وصفها بكثرة متغيراتها غير المحدودة وتفاعلاتها المعقدة إلى ضرورة إيجاد قاسم مشترك لها بحدوده الدنيا وهكذا طور ثالوثه المشهور كما سماه (ثالوثه التناقضي. وكانت المجموعات الأساسية الثلاث للمتغيرات هي الشعب ((أو العنف الفطري والكراهية والعداوة والقوى الطبيعية العمياء)) والعسكر ((القائد وجيشه الذي يجب إن يدير عنصري الفرصة وانعدام التأكد ويتخذ القرارات والخيارات الخلاقة قبل وأثناء المعركة)) والحكومة ((التي يجب إن تستخدم الحساب العقلاني للحرب من أجل مصالح الدولة وتأمين أهداف الحرب وزيادة قوة الدولة إلى أقصى حد نسبة إلى الدول الأخرى والحفاظ عليها وأستنباط

الاتجاه الأستراتيجي العام بما فيه ملائمة الموارد والتناقضات مع المكاسب المتوقعة) **(54)**.

حاول (كلاوزفيتز) من خلال هذا الثالوث إن يختصر المتغيرات الكثيرة التي تواجه الباحث أو الدارس للحرب وحصرها في ثلاثة عوامل، وهذه العوامل لم تكن عوامل مادية بقدر ما يمكن تسميتها مدونات أو قواعد نظرية. الشيء المهم إن هذه المتغيرات كانت بحاجة إلى وضعها ضمن بيئة الحرب الحقيقية التي لا يمكن فهم النظرية بدونها وهي البيئة المادية التي يحتمل إن تدور ضمنها الحرب والمقصود بها، الاقتصاد الذي يشكل عماد عنصر القوة في الحرب ومن أهم أسبابها، والتكنولوجيا التي كانت ولازالت من أهم العوامل التي تؤثر على طبيعة وشكل الحرب في العصر الحديث فمثلا (الدروع وما أحدثته من تغيرات على قابيلة الحركة والطائرات والسمتيات وما أحدثته بإضافة بعدا جديدا للحرب، والصواريخ والمدفعية وأخيرا السلاح النووي والأسلحة الذكية، كلها تمثل التكنولوجيا التي تدور الحرب في بيئتها والتي تتغير بتغير تلك التكنولوجيات، ومعها تتطور نظريات الحرب). ولا يمكن فهم الحرب دون فهم تلك البيئة وإلا ستبقى الفلسفة تدور في مجالها النظري الفلسفي فقط.

وفق هذا التحليل أضيف عامل رابع هو العامل المادي والذي يتمثل بالاقتصاد والتكنولوجيا، والذي يمثل البعد النوعي الجديد، ليتحول مثلث(كلاوزفيتز) إلى مربع. وفي هذا المجال يقول مايكل هاندل (في الواقع تتميز كافة عناصر ثالوثه بكونها غير مادية بطبيعتها وللهيمنة المركزية للتكنولوجيا العسكرية في كافة نواحي الحرب المعاصرة فبوسعنا الافتراض إنه لو كان كلاوزفيتز حيا اليوم لربما اقترح هيكلا تحليليا من أربع متغيرات مع البعد المادي كبعد رابع، وهكذا يصبح الثالوث مربع مؤلف من الشعب والعسكر والحكومة والبعد المادي. الذي يمكن إن يصبح على قدر متساو مع تلك العناصر الثلاث من أجل الفهم النظري للحرب)**(55)**.

كما يبدوا على هذا الثالوث إنه لم يأخذ الجانب المادي بنظر الاعتبار كعامل حاسم ضمن نظرية الحرب في ذلك الحين ليس على أعتبار إنه غير موجود أو غير مؤثر فهذا العامل كان أيضا له تأثير على نظرية الحرب ولكنه لم يكن بالقدر الذي عليه في العصر الحديث. ولكن ما ينبغي الانتباه له إن هذا النموذج في حالة وجود قناعة بأعتماده لفهم نظرية الحرب والتي تبدوا ملائمة لعصرنا الراهن، فإن الحاجة تدعوا إلى عدم أعتمادها بشكلها المجرد من قبل المخططين وأصحاب القرار حيث تدعوا الضرورة لإيجاد نوع من التوازن بينها، وإن لايكون هناك ميل لترجيح عامل على عامل آخر لإن ذلك يمكن إن يؤدي إلى نتائج خطيرة فمثلا التركيز على عامل الشعب في حرب العصابات أو الحرب الشعبية دون الاهتمام بالعوامل الأخرى كالتكنولوجيا المتطورة، أو التركيز على العامل التكنولوجي دون باقي العوامل كما حدث لأمريكا في حرب فيتنام والحرب في أفغانستان، أو التركيز على الكثرة العددية بأسلحة قديمة مقابل تكنولوجيا متطورة كما حدث مع القيادة العراقية خلال الحربين (حرب الخليج الثانية والثالثة).

وإلى جانب وجهات النظر التي تقدمنا بذكرها، والتي عالجت مفهوم الحرب، فإن الفكر الماركسي كان له هو الآخر وجهة نظر حول ما تعنيه الحرب، إلا إن معالجته لم تتعد لها بذاتها كظاهرة مجردة، إنما إنشغل بدراسة وتحليل الواقع الاجتماعي المحكوم بعوامل أقتصادية قادت إلى إنقسامه وظهور ما يعرف بالصراع الطبقي. لكن المعالجة الحقيقية جاءت على يد(لينين) الذي تحدث عن الحرب عندما نقل مفاهيم الماركسية على صعيد المجتمع الواحد إلى المجتمع الدولي فتحدث عن صراعات وحروب بين قوى دولية مستغلة وقوى مستغلة والدافع في كلا الحالتين هو الدافع الاقتصادي ولقد جاءت كل تلك التفسيرات من خلال ما سمي بالماركسية اللينية.

الماركسية اللينية لا تنظر إلى الحرب كحتمية قدرية لابد منها، بل ترى فيها ظاهرة أجتماعية تاريخية خضعت للتطور البشري عبر التاريخ (الحرب ظاهرة

أجتماعية تاريخية ولقد مرت أزمان لم يكن فيها البشر يعرفون ما هي الحرب وستأتي أزمان تزول فيها الحرب من تاريخ المجتمع إلى الأبد. إن ظهور الحروب وطبيعتها ومكانتها في التاريخ شإنها شإن أي ظاهرة اجتماعية تاريخية خاضعة لقوانين التطور الأجتماعي التي أكتشفتها الماركسية اللينينية) **(56)** كما أعتبرت الماركسية اللينينية إن النظام الأقتصادي هو العامل المؤثر في كافة العلاقات الأجتماعية (وعلى العلاقات الاقتصادية يعتمد طابع التناقضات الأجتماعية وأسلوب حلها - إن النظام الأقتصادي يحدد في آخر المطاف. كافة العلاقات الأجتماعية والسياسية والأيدولوجية بجانبها ظروف نشوب الحرب) **(57)** كما تعتبر النظرية الماركسية اللينينية، بإن الحرب هي وسيلة حل التناقضات التي تحدث نتيجة للتطور الاجتماعي (إن الحرب هي الوسيلة لحل التناقضات التناحرية للتطور الاجتماعي في المجتمع الطبقي بأستخدام العنف) **(58)** ثم تمضي النظرية في تحليل ظاهرة الحرب ومرحلة نشوئها وأعتبرت إن الحروب لم تنشأ إلا بعد إنتهاء العصر المشاع البدائي وظهور الملكية الخاصة بوسائل الإنتاج، وفي هذا تأكيد على العامل الاقتصادي الذي تعتبره أساس وجود الحروب. وما حدث بين الجماعات العشائرية والقبائل البدائية التي لم تعرف الملكية الخاصة ونظام الطبقات لم تكن حروب بالمعنى الحقيقي. كما توصلت إلى إن الحرب ظاهرة أجتماعية سياسية وهي أستمرار للسياسة بوسائل أخرى، وهي تخضع للأهداف السياسية للطبقات التي تشنها، وفي هذا إشارة واضحة إلى العلاقة بين الحرب والسياسة. ويبدو إن هذا الفهم مطابق لمفهوم(كلاوزفيتز) الذي أعتبر الحرب مجرد أستمرار للسياسة بوسائل أخرى، يقول(لينين) في هذا الصدد (هذه الكلمة المأثورة إنما قالها(كلاوزفيتز) وهو من أعمق الكتاب في القضايا العسكرية وبحق أعتبر الماركسيون دائما هذه الفكرة أساسا نظريا للمفاهيم حول صفة كل حرب معينة) **(59)** وفي مناسبات أخرى أثنى لينين على(كلاوزفيتز) وأعتبره من أعمق وأشهر كتاب فلسفة الحرب وتاريخها بقوله (إنه من أشهر كتاب فلسفة الحروب وتاريخها إنه كاتب أصبحت أفكاره الأساسية اليوم المكتسبات التي لا

تناقش لكل شخص يفكر)**(60)**.

كانت الماركسية اللينينة لا تنظر إلى الحرب بشكلها السياسي المجرد أي كونها مرتبطة بالقرار السياسي للدول فحسب، بل كانت تنظر إلى جذورها التي تعزوها في حقيقتها إلى الصراع الطبقي الذي تحركه المصالح خصوصا الاقتصادية التي يؤدي تقاطعها في غالب الأحيان إلى الحرب بين الدول، ولما كان النظام السياسي لأي دولة يمثل تلك المصالح لذا تصبح الحرب بهذه الطريقة هي المعبرة عن تلك السياسة ومرتبطة بها (إن جوهر الحرب أي الأمر الحاسم منها والذي يعبر عن طبيعتها وأختلافها النوعي عن حالة المجتمع السليمة تتلخص بإن الحرب هي أستمرار لسياسة طبقات ودول وائتلافات معينة بوسائل العنف) **(61)**.

من ذلك يظهر إن الماركسية اللينينة قد قبلت بتعريف (كلاوزفيتز) ولكنها ركزت على كشف طبيعتها السياسية التي تشكل الحرب أستمرارا وإنعكاسا لها، من أجل الكشف عن المحتوى الطبقي للحرب إذ أعتبرت إن التحليل الواقعي الموضوعي للطبقات التي تشن الحرب هوالأساس الذي يحدد الموقف من الحرب أي عدالتها أو عدم عدالتها، ولكن(لينين) يبرر الحرب إذا كانت تخدم مصالح طبقة البروليتاريا فيقول (إن علينا إن نقيم الحرب لا بعدد الخسائر التي سببتها بل بنتائجها السياسية، وينبغي إن توضع مصالح الطبقة فوق مصالح الأفراد الذين يموتون ويعانون من الحرب. وإذا خدمت الحرب مصالح البروليتاريا، كطبقة ليس هناك غيرها، وأمنت تحريرها من قبضة الرأسمالية، وضمنت حرية كفاحها وتطورها، فإن مثل هذه الحرب تعتبر تقدما بصرف النظر عن الضحايا والآلام التي تشتمل عليها)**(62)**. وأعتقد إن هذا التعريف قريب جدا من الواقع الحالي الذي نعيشه في ظروفنا الراهنة لإن كافة الحروب التي تم شنها كانت تمثل مصالح الطبقات ومصالح السياسين الذين يمثلون تلك الطبقات التي تشن تلك الحروب، ويتجلى ذلك بشكل واضح من خلال الحروب الإمبريالية التي شنتها الدول الإمبريالية مثل البرتغال وإسبانيا

وبريطانيا وأمريكا. أما البروليتاريا فهي تعتبر الحرب ضرورية عندما تشن من أجل التخلص من قبضة الرأسمالية وهي لذلك تصبح معبرة عن مصلحة تلك الطبقة أيضا مع أختلاف الأهداف ولكنه بنفس الوقت يعطي المبرر لطبقة البروليتاريا إن تشن الحرب دفاعا عن مصالحها. كما حدث عندما أحتل الاتحاد السوفيتي أفغانستان رغم عدم وجود طبقة بروليتاريا ولكن كان هناك ماركسيين مؤيدين للأتحاد السوفيتي، وكما حدث عندما تدخل في المجر وأعاد السيطرة عليها خشية من وقوعها بيد الرأسمالية. وكما حدث في القوقاز وغيرها.

أما (ماوتسي تونغ) فينطلق من تعريف لينين، بدوره ليعطي تعريفا للحرب أكثر تكاملا من تعريف (كلاوزفيتز) فيقول (الحرب هي أعلى أشكال الصراع لحل التناقضات بين الطبقات أو الأمم أو الدول أو المجموعات السياسية عندما تتطور تلك التناقضات إلى مرحلة معينة، وقد وجدت هذه الظاهرة منذ بزوغ الملكية الفردية وتكون الطبقات) **(63)**. وفي هذا التعريف نجد إن (ماو تسي تونغ) لم يتطرق إلى جعل الحرب وسيلة أو أستمرار للسياسية ولكنه أعتبرها صراع في أعلى مراحله وفي ذلك أختلاف عن (كلاوزفيتز) و (لينين) ولكنه يتفق مع المفهوم الماركسي اللينيني بإنها صراع طبقات وإنها لم تبرز إلا بعد ظهور الملكية وفي هذا تأكيد على العامل الطبقي والاقتصادي بشكل غير مباشر.

واستكمالاً للآراء ووجهات النظر حول مفهوم الحرب نجد إضافة لما تم ذكره آنفاً وجود ثلاث مدارس فكرية رئيسية تعالج فكرة وفلسفة الحرب هي:

المدرسة الكوارثية (The cataclysmic):

وهي التي تتوافق مع رأي (ليو تولستوي) الذي يضم في كتابه (الحرب والسلم) استطراداً فلسفياً واضحاً حول فلسفة الحرب. إن هذه المدرسة تنظر إلى الحرب على إنها لعنة على البشرية سواء كان يمكن تجنبها أو إنها لا ترد، والتي

تخدم أهدافاً قليلة إلى جانب التسبب بالدمار والألم والتي يمكن إن تولد تغييرات اجتماعية عنيفة.

يمكن اعتبار وجهة نظر (تولستوي) كمقولة ثانوية مساعدة لفلسفة الكوارثية في الحرب، كذلك يمكن اعتبار (الكوارثية) العرقية (Ethnocentric) كمقولة ثانوية للفلسفة نفسها، والتي تبرز بشكل دقيق على عهد إلهي، أو الاعتقاد بـ (سمو العرق) لأمة معينة فمثلاً تنظر اليهودية إلى الحرب كعقاب وقع على الإسرائيليين كما ورد في بعض كتبهم (تاناخ العهد القديم) والتي ترى إن الحرب عمل مفروض من الله ولا يمكن تجنبه.

لذلك فإن (تولستوي) يرى بان الحرب هي شيء يصيب الإنسان وهي ليست بأي شكل تحت تأثير إرادته الحرة، ولكنها بدلاً من ذلك نتيجة فعل القوى الكونية التي تقاوم.

المدرسة الأخروية (Eschatological)

ترى هذه المدرسة إن الحروب خصوصاً الكبرى منها، وكإنها تتجه نحو هدف ما، وتؤكد إن بعض النزاعات النهائية سيكشف الطريق المرسوم لكل الحروب، والذي يتشكل بـ (ثوران) اجتماعي هائل يتبعه مجتمع جديد خال من الحروب (هناك نظريات ترى إن هذا المجتمع قد يكون مثالياً أو قد يكون عكسه تماماً)

وهناك نظريتان حول هذا الموضوع: الكونية والمسيحاتية:

النظرية الكونية وتعبر عنها الماركسية.

النظرية المسيحاتية ورؤيتها لمعركة (هارمجدون) والتي تنبثق من المفهوم اليهودي - المسيحي (المسيحيون الصهاينة) منهم المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية اللذين يؤمنون بالأخروية، والتي تبشر بالمجيء الثاني للمسيح وهزيمة الشيطان النهائية.

هذه النظرية تبلغ ذروتها في اتحاد البشرية في إيمان واحد تحت سلطة حاكم واحد مسيطر (هم اليهود) لذلك يمكن اعتبار الحملات الصليبية ومفهوم النازية للعرق الأسمى والصهيونية - المسيحية التي تؤمن بنزول المسيح وإعادة بناء الهيكل في القدس ومن روادها المحافظون الجدد وغيرها كتعبير عن هذا التوجه والمفهوم.

المدرسة السياسية (Political)

يعتبر (كارل فون كلاوزفيتز) أحد أركان هذه المدرسة والذي كان يرى إن الحرب هي أداة بيد الدولة وفق مقولته الآتية (إن الحرب هي أداة عقلية منطقية للسياسة الوطنية)**(64)**

ونحن نعالج موضوع الحرب من وجهات نظر مختلفة نجد إنه من الضروري بمكان الوقوف على نمط التفكير الإسرائيلي - الصهيوني في تصديه لهذه الظاهرة، وهي مسألة نعتقد إنها على قدر وافر من الأهمية بالنسبة لنا كأمة عربية لإن إسرائيل تمثل العدو الحقيقي لهذه الأمة مهما تغيرت الظروف والأحوال، وإسرائيل لها نظريتها الخاصة حول الحرب لإن الحرب بالنسبة لها تعتبر محور وجودها منطلقة، من الفكر الفلسفي للنظرية الصهيونية التي بنيت على الاغتصاب والقهر والسيطرة بالقوة على أرض فلسطين واستعمارها، وآمنت بإن القوة هي أساس هذه النظرية وأساس وجودها.

لقد عملت الحركة الصهيونية على تحويل العقيدة الدينية اليهودية إلى نظرية سياسية هدفها المطالبة بالحق التاريخي المستند على وعد إلهي كما يدعون، وبهذا الربط كان الدين اليهودي هو الأساس الذي ارتكزت عليه النظرية السياسية اليهودية، والذي أتخذه دعاتها حجة للمناداة (بالقومية اليهودية) وسندا للمطالبة لتحقيق(الوعد الإلهي) وحقا لملكية أرض فلسطين والعودة إليها لبناء الدولة اليهودية الجديدة والمعبد الثالث في أورشليم (القدس) من خلال النظرية السياسية المبنية على الجانب الديني نظرت العقيدة الإسرائيلية

للحرب على إنها (مهمة إلهية) والحرب حسب هذه النظرية عمل مقدس لإن قائدها هو (الله). وفي هذا المجال يقول(موشي جورين) حاخام جيش الدفاع الإسرائيلي إبان الجولة الثالثة في حزيران (1967) إن حروب إسرائيل الثلاثة مع العرب في السنوات (48 و56 و 67)إنما هي حروب مقدسة... إذ دارت أولها لتحرير أرض إسرائيل واشتعلت الثانية لتثبيت أركان إسرائيل.. وأما الثالثة فقد كانت لتحقيق كلمات إنبياء إسرائيل)**(65)**.

كما تقول العقيدة بإن التوارة والسيف قد نزلا من السماء. وأعتبرت العقيدة الدينية إن الانتماء للجيش هو امتياز ودلالة على عمل ديني يحمل أعمق المعاني الروحية. وللتدليل على مغزى هذا القول نرى إن (ثيودور هيرتزل) حول هذا الوعد الديني إلى مخطط صهيوني سياسي معززا بالأسانيد التالية:

1 - إن خلاص شعب الله المختار هو وعد إلهي لشعب متميز، إذ تقول التوراة (إنت شعب مقدس الرب إلهك، إياك قد اختار الرب لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض) **(66)**.

2 - إن الأستيلاء على هذه الأرض واجب تفرضه التوراة على بني إسرائيل ومهمة يخصهم بها الرب، حيث يأمر نبيهم(يوشع بن نون) في التوراة قائلا (قم واعبر الأردن إنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي إنا معطيها لبني إسرائيل) **(67)**.

3 - إن احتلال هذا الشعب لأرض الميعاد حق إلهي منحه الرب لبني إسرائيل حيث تقول التوراة (أدخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأباكم إبراهيم وإسحق ويعقوب إن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم) **(68)**.

ولا تكتفي العقيدة الصهيونية بما حددوه في التوراة من أراضي فلسطين بل تذهب لأبعد من ذلك حيث تبيح لنفسها الاستيلاء على أية أرض تطؤوها أقدام جنود بني إسرائيل، فتلك وصية الرب ووعده الإلهي لشعبه المختار معززين ذلك بما ورد في التوراة العهد القديم (كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم

أعطيه كما كلمت موسى) **(69)**. وللتأكيد على ذلك يقول بن (جوريون) في إحدى خطبه (هنا تكون الحدود - حيث يصل الزحف الإسرائيلي.. إن ما حدده الرب هو أفضل ضمان لإسرائيل، أما الضمانات التي أعطتها الدول الثلاث الكبرى فليس لها مثل هذا الوضوح أو الثقة) **(70)**.

وفي مجال الحرب والسلوك الأخلاقي فإن العقيدة الإسرائيلية سخرت الحرب حسب ما تقتضيه ضرورة الاستعمار والاغتصاب بأعتبارها أحد أهم الأسس التي تنطلق منها هذه العقيدة. وبشإن التعامل مع المدن التي يتم احتلالها فإنهم يستندون في ذلك إلى الجانب الديني الذي وكما يبدوا صاغوه، كما يريدون وليس كما يريد الله - يذكر النص (أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبك فلا تستبق منهم نسمة)**(71)**. وفي مكان آخر من سفر أشعيا يقول (تحطم أطفالهم أمام عيونهم، وتنهب بيوتهم، وتفضح نسائهم. لا يرحمون ثمرة بطن، ولا تشفق عيونهم على الأولاد) **(72)**.

وللتأكيد على غرس تلك المفاهيم في عقلية كل يهودي خصوصا المجندين وحتى يكونوا متيقنين بهذه النظرية الإجرامية في السلوك والحياة... يقول بن جوريون (إن كل تاريخ إسرائيل القديم يرويه لنا الكتاب المقدس.. بالدرجة الأولى تاريخ إسرائيل العسكري صرف - لقد حارب اليهود الأوائل الأشوريين والبابليين والمصريين والكنعانيين والفرس والإغريق والرومان.. وحين هزموا على يد فيالق تيتوس بعد معركة بائسة.. آثروا إن يقتلوا إنفسهم في مسعدة على إن يستسلموا وقد رأت إسرائيل الحديثة في مسعدة رمزا لإرادتها فاليوم يقسم المجندون يمين الولاء فوق قلعة مسعدة**(73)** وهم يرددون (لن تسقط مسعدة مرة أخرى) **(74)**. وبالعودة إلى أفكار(ثيودور هيرتزل) نجد إنه جعل من
الاضطهاد الذي عاناه اليهود في الشتات حافزا معنويا لخوض الصراع المقبل ضد العرب قوامه الحقد على البشرية جمعاء.. ولقد صرح في هذا الشان بقوله (ما هي قوتنا الدافعة ؟ إنها بؤس اليهود) ثم نادى بإن فكرة إُقامة الدولة اليهودية تملك القوة الضرورية لتحقيق ذلك فيقول (هذه الأمة اليهودية سوف

تبقى أما ما عداها فسوف يزول، بل يجب القضاء عليه لإنه غير أهل للبقاء) **(75)**. وحتى تبقى الأمة اليهودية ويزول ما عداها فلا بد إن تقام الدولة اليهودية كما نادى بها (هرتزل) وكما ينادي بها حاليا حكام إسرائيل، آخرهم ما تقوم به حكومة (نتنياهو) التي تصر على تبني مشروع قرار من الكنيست بجعل إسرائيل دولة يهودية خلافا لكل الأعرف والقوانين والقرارات الدولية. ومن أجل إن تتحق تلك الدولة فإن منطق القوة يسبق الحق أو فوق الحق ويجب إن يسود في كل الظروف والأحوال. ومن هذا الفهم لمنطق القوة كضرورة حتمية لنجاح النظرية الحربية الصهيونية إنبثق الفكر العسكري الإسرائيلي والعقيدة العسكرية والنظرية الحربية التي بني عليها أساس وجود إسرائيل وقوتها التي تتزايد يوما بعد يوم. وليس من بأس إن يستتر استخدام القوة تحت ذرائع مختلفة مثلا الدفاع عن النفس أو أمن الحدود وتسمية الجيش بجيش الدفاع وغيرها، وفي هذا المجال نجد إن النظرية الصهيونية تعتمد على أسلوب مزدوج لتحقيق غايتها وهما العمل السياسي والاستعمار الاستيطاني، وكلاهما يستند على القوة المقترنة بالفعل العسكري كلما اقتضت ضرورة تحقيق الأهداف، فمن خلال العمل السياسي تمكنت من تعبئة الطاقات السياسية للحركة الصهيونية بكل أجهزتها الرسمية والشعبية، وكذلك تجنيد إلهيئات والمنظمات الدولية والمدنية، لتحقيق مجموعة من الأهداف السياسية المتتالية بدءا من وعد (بلفور) عام (1917) ثم صدور قرار التقسيم عام (1947) ثم صدور البيان الثلاثي عام (1950) لضمان حدود إسرائيل ثم التوسع في الحروب وقضم الأرض تدريجيا حتى لا يتبقى للفلسطينيين غير نسبة محدودة من أصل الضفة الغربية وهذه النسبة لا يزالون يتفاوضون عليها، ثم التحول إلى إلهيمنة السياسية والاقتصادية على المنطقة، وكذلك الاستمرار بتحقيق التفوق النوعي في المجال العسكري.

من كل ذلك نستنتج إن فلسفة الحرب من وجهة النظر الإسرائيلية بنيت على أساس ديني من خلال اعتماد النصوص التوارتية، التي كتبت من قبلهم بحيث تحقق كافة متطلباتهم التي تركز على اغتصاب أرض فلسطين وقتل شعبها،

واعتبار ذلك حق لإنه مبني على وعد إلهي، وإن الرب هو الذي يقود الحرب وهم في هذا المفهوم اختلفوا مع كافة النظريات والمفاهيم الخاصة بالحرب سواء منها القديمة أو الحديثة، وهم بهذا المفهوم أعطوا للحرب شرعية خاصة بهم دون سواهم وإن لهم الحق في شنها متى ما يريدون وتحت المبررات التي يسوقونها للعالم، وعلى العالم إن يؤيدها سواء رضوا أم أبو، وهذا ما نراه على أرض الواقع منذ احتلال فلسطين عام (1948) ولحد الآن. واللافت للنظر إن الدول الكبرى التي تختلف فلسفتها للحرب عن فلسفة إسرائيل تقف معها على الدوام رغم عدم القناعة بمشروعية ذلك النهج بسبب كون اللوبي الصهيوني هو المهيمن على قرارات تلك الدول أولا، ولكون تلك الدول تهدف إلى إضعاف الإسلام والعرب ثانيا، ومثل هذا التوجه تقف من ورائه دوافع دينية أيضا، لذلك التقت المصالح بين الطرفين التي كان ولا يزال محركها الأساسي هو الأساس الديني أضافة للمصالح الاقتصادية والسياسية.

إن مفهوم الحرب من وجهة النظر الإسرائيلية وتطبيقاتها على أرض الواقع لا تثير الاستغراب كونها منطلقة أساسا من النظرية الصهيونية التي تؤمن بحق إسرائيل بكل ما تقوم به كونهم مخولين من الله سبحانه وتعالى وكما بينا آنفا. ولكن ما يدعوا إلى التأمل والتفكير هو إن فلسفة الحرب المعتمدة من قبل الغرب وعلى رأسها أمريكا تكاد إن تكون مطابقة للنظرية الإسرائيلية في الكثير من جوانبها، فمنذ إن سيطر الصهاينة المسيحيون على السياسة الأمريكية، أو ما يسمون(المحافظون الجدد) اتخذت السياسة الأمريكية منحى مؤيد لإسرائيل في كل ما تقوم به من جرائم واغتصاب ومعاداتهم للإسلام الذي حولوه إلى العدو الرئيسي بعد الشيوعية وكانت أحداث (11 أيلول 2001) هي إشارة الانطلاق للحرب العلنية على الإسلام تحت حجة الإرهاب والقاعدة التي هم من ساهموا في بنائها وتصديرها للعالم كواجهة مشوهة للإسلام.

إن مفهوم الحرب في أذهان العديد من الرؤساء الأمريكان عبر تاريخها الطويل تنطلق من كون الحرب ضرورة لأمريكا وضرورة لتثبيت مكانة الرئيس بين

ساسة بلاده ولا تكتمل هذه المكانة إلا بإن تكون للرئيس حربه الخاصة ليثبت بها رجولته وفي هذا الصدد يقول (جورج بوش) الأب (إن الحرب هي الوسيلة التي تكشف فيها الأمم موارد قوتها الداخلية والخارجية) **(76)** وأثبت رجولته في حرب الخليج الثانية، وبالنزول على شواطيء الصومال.

أما(بوش الابن) فكان أكثر عدوانية وحبا للحرب والقتل، فبينما نجده مدمن خمر نراه يتحول فجاة إلى مؤمن متطرف يؤمن بإن عودة المسيح لن تحصل قبل إن يتم إعادة بناء هيكل سليمان، وإن تصبح القدس عاصمة لإسرائيل وهي نظرية المسيحية الصهيونية. وإنه إلى جانب ذلك كان مؤمن بنظرية القوة قبل كل شيء ففي اجتماع جرى في (15/أيلول 2001) في كامب ديفد مع مستشاريه المقربين قال (إن الشعب الأمريكي يريد عملا كبيرا، انفجارا عظيما، لا أريد معركة واحدة أريد حربا ممتدة يشعر بها الشعب الأمريكي، ويتأكد إننا نواصل الدفاع عنه حتى أقاصي الأرض. ويقول(كولن باول) كما روى للكاتب (بوب ودوارد) إنه في هذه اللحظة أحسست إن الرئيس يريد إن يقتل أحد، كما رأيت أمامي رجلا أستيقضت لديه كل غرائز القتل) **(77)**. ولعل من يراجع أفكار الحركة الصهيونية المسيحية يجد إن هذه الحركة جندت نفسها لخدمة المخططات الصهيونية من خلال التفسيرات الدينية للتوارة والتي تروج بوصفها نبوءات لابد إن تتحقق، والقصد منها تكوين قناعات دينية جماعية للمجتمع الأمريكي يتوافق مع الأهداف الاستراتيجية لإسرائيل ضمن فلسطين والوطن العربي، ومن أبرز هذه النبوءات هي نبوءة (هرمجيدون أو ماجيدو) والتي ستكون مسرح لأكبر حرب في تاريخ البشرية والتي يقتل فيها الملايين من البشر، عندها تحين ساحة اللحظة العظيمة، بنزول المسيح لينقذ الإنسانية من الاندثار الكامل، بعد هذه الحرب لم يكن قد بقي غير(144) ألف يهودي فقط هؤلاء يتحولون إلى المسيحية ليبدئون بشارة جديدة للمسيح **(78)**. ويبدوا إن أغلب قادة اليمين المسيحي الجديد، يعتقدون إن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحرب النووية العالمية أو الكوارث الطبيعية أو الانهيار الاقتصادي والفوضى الاجتماعية، هذه

النبوءة كان أغلب الرؤساء الأمريكين مؤمنين بها مثل (ريغان) الذي ينقل عنه قوله (إن جميع النبوءات التي يجب إن تتحقق قبل (هرمجيدون) قد تحققت، ففي الفصل(38) من حزقيال إن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك بعد ألفي سنة، يبدوكل شيء في مكانه بانتظار معركة (هرمجيدون) والعودة الثانية للمسيح)**(79)**.

إن مفهوم الحرب بالنسبة للأمريكان يبدوا إنه مبني أساسا على مبدء القوة والتدمير، ويبدوا إن مفاهيم (كلاوزفين) في هذا المجال بالذات هي قريبة من ذلك التفكير والتي سبقت الإشارة لها، خصوصا في العقود الأخيرة من القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين، عندما تبنى المحافظون الجدد نظرية (الصدمة والرعب)المبنية على القوة والعنف المفرط مع التدمير والتهجير بقصد خلق حالات الرعب والصدمة، ليس للقوات المسلحة وحسب بل حتى للسكان المدنيين والدليل على ذلك ما نشاهده من نماذج واقعية كالذي حدث مع العراق في الحربين (1991و 2003) وافغانستان عام (2001) ولا تزال، نظرية (الصدمة والرعب) التي يلخصها أهم مستشار للبيت الأبيض وأستاذ العلوم السياسية في كلية الدفاع الوطني(د. هارلان أولمان) بقوله (إن على أمريكا إن تستعمل أقوى شحنة من القوة المكثفة والمركزة والكاسحة، بحيث تنهار أعصاب أي عدو يقف أمامها، وتخور عزيمته قبل إن تنقض عليه الصواعق من أول ثانية في الحرب إلى آخر ثانية منها، وإن يتم تقطيع أوصاله وتكسير عظامه وتمزيق لحمه دون فرصة يستوعب فيها ما يجري له) **(80)**.

وهكذا نجد إن القيادة الأمريكية طبقت هذه النظرية ليس على القوات المسلحة فقط بل حتى تجاه السكان المدنيين وبكل قسوة دون النظر إلى أي اعتبار إنساني أو أخلاقي، وخارج كل قواعد القانون الدولي، كما نجد إن هذه النظرية جرى تطبيقها ليس على المستوى الاستراتيجي فقط بل حتى على المستوى العملياتي والتكتيكي، وما كنا نشاهده من أساليب العنف والقسوة المفرطة تجاه المدنيين، من ضربات جوية وقنابل يدوية ذات أصوات مرعبة

إلى عمليات تكسير الأبواب ودهم البيوت دون سابق إنذار مع الحرق والنهب والسلب ثم الاحتجاز والقتل، ما هي إلا تطبيق حقيقي لتلك النظرية والعقيدة القتالية المبنية على الصدمة والرعب والتي دربت عليها حتى القوات العراقية وأصبحت جزءا من أساليب قتالها. وعندما نقارن كل تلك الأعمال بما قام به المغول والتتر نجد إن هؤلاء كانوا أرحم من الأمريكان واليهود في حروبهم رغم ما ينسب لهم من وحشية.

مما مر آنفا نجد إن فلسفة الحرب الأمريكية وحتى الغربية تلتقي في حقيقتها مع نفس الفلسفة الإسرائيلية رغم ما يقال وينشر من مفاهيم تبدوا منطقية على السطح الظاهر ولكن الحقيقة والأفعال تشير إلى عكس ذلك فهي فلسفة مبنية على فكر أيديولوجي ديني/ مادي، أساسه القوة.

القسم الثاني الحرب في الفكر الإسلامي

بعد إن تم استعراض وجهات نظر متعددة حول مفهوم الحرب، نجد من الضروري الوقوف على مضمون الفكر الإسلامي ونظرته إلى هذه الظاهرة رغم اختلاف أو تقارب المدارس الفكرية.

الدين الإسلامي في مفهومه لا يقتصر على العبادة والتقرب إلى الله فقط، وإنما هو دستور من أعظم الدساتير التي عرفتها الإنسانية من خلال وضعه القواعد والأسس الكفيلة بإقامة المجتمع الإنساني السليم. إن الإسلام هو دين الحق والعدالة والإنسانية، دين التوحيد ودين الرسالة الاجتماعية التي حملت الخير للعالم. الإسلام لم يجعل الحرب هدف يسعى لتحقيقه من أجل نشر العقيدة بل نظر إليها كوسيلة لتحقيق الهدف عندما تقضي الضرورة، ((كتب عليكم القتال وهو كره لكم)**(81)**. وبعبارة أخرى، إن الإسلام لم يضع السيف كوسيلة لنشر العقيدة كما يصورها أعداء الإسلام، بإنه دين العنف والإرهاب وكما يقولون حاليا، بل إنه اعتبر السلام هو أساس الدعوة (يا أيها الذين أمنوا ادخلوا في السلم كافة)**(82)**وقوله تعالى: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)

(83) وقوله تعالى: (فإن اعتزلوكم ولم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) **(84)** ثم من خلال الدعوة إلى الحكمة والموعظة الحسنة، كونها السبيل الأمثل لنشر العقيدة بدل العنف والمواجهة (ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ظل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)**(85)**. وتعزيزا لهذا الرأي نجد إن الآيات التي ذكر فيها السلم قد بلغت (138) آية.

وحتى نكون قريبين من فهم طبيعة الرسالة الإسلامية وكيف تدرجت من التبليغ والدعوة إلى الحق ثم المراحل اللاحقة حتى ترسخ الدين وانتشر. فإن أول ما أوحى به الله سبحانه وتعالى إلى النبي محمد (ص) بقوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) **(86)** وفي هذه الآيه أمر الرسول (ص) بإن يقرأ في نفسه ولم يأمره بالتبليغ، وهي دلالات واضحة للتعريف بنزول رسالة جديدة إلى العالم تحمل في طياتها تعريف الإنسان بأصله وبالعلم الذي سيكون عماد البشرية في ذلك العصر الذي اتسم بالجهل للكثير من الجوانب العلمية التي عرفت فيما بعد.

ثم إنزل سبحانه وتعالى الأمر التالي بقوله (يا أيها المدثر قم فإنذر) **(87)** ثم أمره بإن ينذر عشيرته الأقربين (وإنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)**(88)**. ثم جاءت الخطوة التالية بالتوسع بالدعوة (وكذلك أوحينا إليك قرءانا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها)**(89)** ويبلغ الرسول عن ربه تعالى بقوله (آلر كتاب إنزلناه أليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) **(90)**. حملت هذه الآية الدعوة الشاملة للإسلام على المستوى الإنساني والعالمي وهي تأكيد على كونها ليست مقصورة على العرب في مكة والحجاز وحتى يعرف المسلون ما هو مطلوب منهم للمرحلة القادمة.

بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية أمر الله سبحانه وتعالى الرسول(ص)

بإظهار الدعوة بقوله (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين). **(91)** ومضت اثني عشر عاما والمسلمون يتحملون كل هذا الظلم والاضطهاد في مكة، ومع كل ذلك لم يؤمر المسلمون بالقتال، وكان الرسول (ص) يدعوا الله بقوله (اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون)**(92)** وكان الرسول (ص) يأمر المسلمين بالصبر والدعوة إلى الحكمة والموعظة الحسنة كما في قوله سبحانه وتعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) **(93)** وهذا تأكيد على إن الإسلام
لم يضع السيف كوسيلة لنشر الدين. حتى حصلت بيعة العقبة ثم الهجرة إلى المدينة المنورة، وهناك أسس الرسول(ص) بناء الدولة الجديدة بدءا بالتآخي بين الإنصار والمهاجرين، ثم وضع وثيقة المدينة المشهورة التي أقرت حرية الدين وحرية الرأي وحرمة الحياة وحرمة المال وكذلك ما له علاقة بالحرب **(94)**.

بعد كل ذلك أذن للمسلمين بالقتال (أذن للذين يقاتلون بإنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) **(95)** وهذا تأكيد مرة أخرى على إن الحرب والقتال هي للضرورة وهي لدفع الظلم وليس للعدوان. ثم كانت معركة بدر في السنة الثانية للهجرة وكانت أول انتصار يحققه المسلمون على كفار قريش، وتلتها معركة أحد والخندق والغزوات العديدة الأخرى، ثم توج الرسول (ص) كل تلك المرحلة بصلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة الذي أظهر سماحة الإسلام وتجنبه للحرب وكانت تلك المعاهدة أحد أهم أسباب انتشار الإسلام بين القبائل ومن أهم أسباب فك تحالفات العشائر العربية مع قريش وإضعافها بشكل غير مباشر، وكان صلح الحديبية مقدمة لسقوط الطائف آخر معاقل المشركين، وحقق الرسول (ص) أول تطبيق لما يعرف اليوم بالاستراتيجية غير المباشرة. وفي السنة الثامنة للهجرة دخل الرسول مكة على رأس عشرة آلاف مؤمن، وكان أهم حدث يسجل خلال فتح مكة هو إن الرسول (ص) أعلن العفو العام عن الجميع رغم كل ما لحق به وبالمسلمين من أذى وظلم على مدى كل تلك السنين الماضية، وهنا يثبت الإسلام رسالته السمحاء وإنه دين التسامح

والمحبة.

بعد فتح مكة وفي السنة التاسعة توجه الرسول (ص) إلى الطائف ووقعت معركة حنين المشهورة، والتي امتحن فيها الله المسلمين عندما غرتهم قوتهم (لقد نصركم الله في مواقع كثير ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم إنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وإنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) **(96)**.

ثم أمر الرسول(ص) بحصار الطائف الذي استمر اثني عشر يوما ثم حل شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم، وهنا تتجلى عظمة الرسول (ص) ورسالة الإسلام الإنسانية فأمر بفك الحصار وعسكر في وادي الجعرانة وفي هذا الموقف طلب أحد المسلمين من الرسول(ص) إن يدعوا على ثقيف ولكن الرسول الكريم (ص) توجه إلى الله بالدعاء فقال (اللهم اهد ثقيفا وأت بهم) **(97)**.

وكان المسلون قد غنموا في معركة حنين ألآف النساء والذراري وستة آلاف بعير ومن الشاة ما لا يحصى، ولكن عندما جاءه وفد هوازن ملتمسين رد نسائهم وأبنائهم ردهم إليهم بعد إن أسلموا وأرسل إلى مالك بن عوف قائد ثقيف في المعركة بإنه إذا أسلم رد إليه أهله وماله وجاء فعلا إلى الرسول وأسلم على يده، فرده قائدا على قومه وهكذا تمكن الرسول من فك تحالف هوازن من ثقيف كما أضعف ثقيف بنفس الوقت. وجاءت الضربة الأخرى لثقيف عندما لحق عروة بن مسعود أحد زعماء ثقيف جيش الرسول قبل وصوله المدينه فأسلم على يده وعاد إلى الطائف آملا دعوة قومه إلى الإسلام ولكنهم قتلوه قبل إن يدخل، وقال كلمته المشهورة قبل وفاته عندما سئل فيما يراه في دمه فأجاب عروة الذي لم يمض على إسلامه غير بضعة أيام.. (كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله قبل إن يرتحل منكم، فادفنوني معهم). فعلم رسول الله (ص)

بأمر عروة فقال (إن مثل عروة في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه) **(98)**. ومن بعد ذلك تحول الرسول (ص) في رسالته إلى خارج الجزيرة وكانت حملة تبوك آخر حملة في حياةالرسول (ص).

وفي نحو قرن من الزمان كان علم الإسلام خفاقا بين الشرق والغرب من الاندلس وغرب أوربا إلى الهند وتركستان والصين وغيرها، وفي هذا دلالة واضحة على عالمية الإسلام. وهنا أود إن أشير إلى قول المستشرق يوروث سميث كما نقلته أ. د. نادية حسن صقر في كتابها فلسفة الإسلام بقوله عن النبي محمد (ص) (من حسن حظ التاريخ إن محمدا أسس في وقت واحد ثلاثة أشياء من عظائم الأمور وجلائل الأعمال، فإنه مؤسس لأمة وأمبراطورية وديانة) (ونحن نقول إن محمد (ص) بتأديته رسالة الإسلام إنما أقام حضارة هي الحضارة الإسلامية)**(99)**.

من خلال هذا العرض لمراحل الرسالة الإسلامية في عهد الرسول (ص) نجد إن الحرب في الإسلام كانت حالة مفروضه وليست مرغوبة كما يحلوا للبعض وصفها بقوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) **(100)**. والحرب في الإسلام حرب دفاعية بالأساس توجب على المسلم القتال عندما تتعرض عقيدته للخطر وعندما يتعرض للظلم والعدوان (أذن للذين يقاتلون بإنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير(*) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا إن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره وإن الله لقوي عزيز) **(101)** والحرب في الإسلام ضرورة واجبة من أجل إحقاق الحق والعدالة ومنع الفساد وإقامة المجتمع المؤمن الموحد. لذا أوجب الإسلام الحرب من أجل رفع راية الإسلام بقوله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) **(102)**. ثم يؤكد على صفة الحرب والقتال بقوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا

تعتدوا إن الله لايحب المعتدين)**(103)** والدين الإسلامي لم يهدف من رسالته إلى فرض السيطرة أو الهيمنة الاقتصادية أو استعمار الشعوب، بل هدف إلى نشر فكر ورسالة جديدة أعطى فيها للجانب الإنساني والأخلاقي أهمية خاصة لإنه هدف أساسا إلى تخليص الإنسان من الكفر والظلال. وعندما يعود الكافر إلى الطريق القويم فإن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم وفي ذلك قوله تعالى (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا إن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) **(104)** وللتأكيد على الجانب الإنساني الذي هدف إليه الإسلام فقد وضع للحرب أسسها وشروطها ومنع المسلم المجاهد من النهب والسلب والغدر والتمثيل وكان رسول الله (ص) إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله وأوصاه بمن معه من المسلمين خيرا ثم قال (أغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت أعداءك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم: أدعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم: ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم إنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا إن يتحولوا فأخبرهم إنهم يكونوا كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا إن يجاهدوا مع المسلمين. فإن أبوا فلهم الجزية فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبو فاستعن بالله وقاتلهم) **(105)** وكان المسلمون في كل حروبهم يقدمون الدعوة إلى الحق

وإلى السلام قبل الحرب، وفي هذا المجال هناك العديد من الشواهد التاريخية منها قصة ربعي بن عامر مع رستم قائد الفرس إذ قال له ربعي (الله، بعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام) ثم يمضي ربعي بالقول إلى رستم (إن مما سن لنا الرسول (ص) وعلم به أمتنا ألا نمكن الأعداء من إذائنا، ولا

نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثا، فانظر في أمرك وأمرهم، وأقروا واحدا من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء، فتقبل وتنكف عنك، وإن كنت عن نصرنا غنيما تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجا منعناك، أو المنابذة في اليوم الرابع، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا إن تبدإنا، إنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى) **(106)** عندما نقف أمام هذه الأسس ونقارنها مع ما نراه فيما يجري من حروب هل نجد في كل تاريخ الحروب مثل هذه الوصايا وهذه الفسلفة المبنية على روح التسامح والخلق الكريم والدعوة للحق.

في كتاب فلسفة الجهاد بين النظرية والتطبيق يتطرق المؤلف د. إياد خليل زكي لمفهوم الحرب عند المسلمين فيقول (إن المسلمين تفردوا بفهمهم للحرب من خلال فهمهم للإسلام فالحرب لديهم ليست غاية أو هدف وإنما هي وسيلة لتحقيق غاية أسمى وأعز من الحرب نفسها كما إنها ليست كل شيء وإنما هي جزء من كل والكل هو الجهاد وإن ما ورد من استعمال لكلمة الحرب أو الغزو أو القتال في الإسلام ما هي إلا مصطلحات استعملت لتشير إلى الجانب أو الجزء القتالي من الجهاد في الإسلام) **(107)**.

أما أ.د. عبد القادرمحمد فهمي فيذكر حول مفهوم الإسلام للحرب (فإن الإسلام يقدم لنا موقفا لحضارة دينية لم تعرف في خبرتها التاريخية تناقضا بين النظرية الأخلاقية والممارسة السياسة، ولهذا نظر الإسلام إلى الحرب بأعتبارها ظاهرة تنجز وظيفة جهادية لها طبيعة مقدسة. ذلك إن أساس الاستراتيجية بمعناها الشامل في الفكر الإسلامي هو السلم وإقامة علاقات ودية مع الشعوب والأمم الأخرى التي تريد السلام أو تقبل به انطلاقا مما دعى إليه القرآن الكريم - (يأيها الذين أمنوا أدخلوا في السلم كافة) **(108)** وهو في هذا المفهوم يتفق مع رأي د إياد بكون الحرب جزء من الجهاد لإن الجهاد هي القيمة العليا في الإسلام والحرب جزء من هذا الكل.

من كل ما مر يمكن إن نخلص إلى إن الحرب في الإسلام قضية قدرية لا مجال

للتخلص منها ما دام هناك صراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) **(109)**.

إن المسلمين حاربوا بدافع فكري ثوري روحي دفاعا عن العقيدة و لإعلاء كلمة الحق ودفاعا عن الإنسانية ولم يحاربوا من أجل السيطرة على الشعوب واستعمارها بل حاربوا من أجل تخليص تلك الشعوب من السيطرة والاستغلال والضلالة ومن أجل إقامة مجتمع تسوده الحرية والعدالة الاجتماعية.

إن الحرب في الإسلام هي حرب دفاعية، حرب غير عدوانية تهدف إلى حماية العقيدة ومحاربة الكفر والفساد والضلال. وإن الحرب هي جزء من مفهوم وقيمة عليا هي الجهاد في سبيل العقيدة حيث يأخذ الجهاد صيغ وأشكال مختلفة من أجل حماية العقيدة ونشرها.

الحرب في الإسلام حرب إنسانية، تهدف إلى إيجاد سلام عادل ولا تهدف إلى إخضاع الشعوب بالقوة واستعبادها كما تقوم به الإمبريالية والصهيونية.

قبل إن إنهي هذا القسم لابد من إلقاء نظرة سريعة على ما قاله (ليدل هارت) عن حروب الرومان وحروب القرون الوسطى المظلمة التي سادت فيها أعمال القتل والذبح دون استثاء من رجال ونساء وأطفال وما رافقها من تخريب وحرق وتدمير على أيدي السكوسنين والفرنكيين حتى حل عصر الفروسية الذي تطورت خلالها مفاهيم الحرب، لتصبح أكثر إنسانية وأخلاقية، كان سببها العرب، ويقصد بهم العرب المسلمون لإنهم كانوا في ذلك العصر هم حملة راية الإسلام للعالم وكانت حروبهم تمتاز بكونها حروب تحمل المثل والقيم الإنسانية والأخلاقية العليا كما أمر بها الإسلام يقول في هذا الصدد (ولقد لعبت أخلاقيات وقيم وقوانين الفروسية دورا بارزا في تحقيق هذا التطور وإحراز هذا التقدم. ويعود الفضل الأكبر والزخم الأعظم في نشوء وإنتشار هذه الظاهرة إلى أصل عربي ومصدر عربي. وينبغي إن نعترف دون حرج ولا تردد إن العرب كانوا أسرع وأسبق من الأوربيين في إرساء الحرب على القيم

الأخلاقيـة والمبادىء الإنسانية، وتقنينها بالضوابط والحدود، بل إنهم كانوا الأساتذة والرواد في هذا الميدان بالذات وعنهم نقلناها، ومنهم تعلمناها وبهم عرفناها) **(110)**. كما نذكر بهذه المناسبة ما قاله المفكر الفرنسي العلامة ((غوستاف لوبون)) في كتابه الموسوعي المعنون حضارة العرب بقوله (لم ير التـاريخ فـاتحا أعـدل ولا أرحـم مـن العـرب) إن مثـل هـذه الأقـوال مـن كبـار المفكـرين وغيـرهم تعطـي الـدليل الواضـح علـى قيمـة الإسـلام وعلـو مكانتـه كرسـالة إنسـانية جـاءت لكل العـالم مـن أجـل نشـر العـدل والسـلام والقـيم الأخلاقيـة، ولـيس مـن أجـل الحـروب وسـفك الـدماء والقتـل والاغتصـاب والاستعمار والهيمنة كما يجري حاليا. وبمقارنة سريعة لهذه المفاهيم مع ما سبق عرضه عن مفهوم الحرب من وجهة النظر الإسرائيلية نجد الفرق الكبير بين المفهومين، مفهوم ينطلق من التحريف والتزوير للكتاب المقدس بما يخدم أغراض الصهيونية ورغبتهم في الاغتصاب والقتل والتدمير وابتعادهم عن كل القيم الإنسانية واعتمادهم مبدأ القوة فوق الحق في كل ما يقومون به، وبين المفهـوم الإسـلامي الـذي يحمـل كـل قـيم الإنسـانية وقـيم الحـق والإنصـاف والعـدالة، ومنـع كـل أعمـال القتـل والتـدمير والنهـب والسـلب وغيرهـا مـن قـيم ومبـادىء كـانت ولا تزال تميز هذا الفكر بين كل الأفكار والنظريات العالميـة الأخرى، والتي كانت سببا مباشرا لنشر هذه الرسالة في كل العالم، خلافا لكل الفتوحـات السـابقة التـي انتهـت بإنتهـاء قـوة الـدولة التـي كـانت تقـود تلـك الحملات ولم تترك سوى الآثار السيئة والخزي والعار الذي لحق بهؤلاء الغزاة.

وحتى نعطي أكبر مساحة ممكنة للأفكار والمفاهيم المتعلقة بالحرب كمفهوم، لابد من الإشارة إلى آراء بعض المدارس الفكرية العربية التي عالجت مفهوم الحـرب مـن جـوانب تتطـابق أحيـانا وتختلـف فـي أحيـان أخـرى عـن المـدارس الفكرية الغربية، فقد ورد في كتاب المدخل في السوق والجغرافية العسكرية تحـت عنـوان الحـرب مـا يلـي (إن الحـرب هـي آخـر وسـيلة مـن وسـائل فـض المنازعات وأشدها عنفا لحسم الخلافات التي تحدث بين الدول وعليه فإنها صورة من صور الكفاح بين الجماعات والدول. والحرب هي الطريق التي تعبر

فيه هذه الدول عن إرادتها للبقاء إذا ما مست حقوقها الرئيسية) **(111)**.

أما في قاموس المصطلحات العسكرية فقد ورد تعريف الحرب (الحرب هي القتال المسلح الذي ينشب بين دولتين أو أكثر في سبيل تحقيق هدف سياسي أو عسكري وتخوض غمارها جيوشها النظامية لحل النزاع القائم بينهما بعد إخفاق جميع المساعي الدبلوماسية لإيجاد تسوية سياسية)**(112)**.

وفي كتاب الرسول القائد ذكر اللواء محمود شيت خطاب التعريف التالي (يقصد بالحرب كل كفاح يقوم بين القوات المسلحة لدولتين أو أكثر إذا توفرت لدى أحدهما أو لديهما جميعا إنهاء ما بينهما من علاقات سلمية)**(113)**.

أما الموسوعة العسكرية العربية فلقد أعطت عناية خاصة لمفهوم الحرب بصورة عامة ومفهوم الحرب الشاملة والقومية بالإضافة إلى عرض ونقد لآراء كلاوزفيتز والماركسية اللينينية والرأسمالية وأتباع مذهب اللاعنف، وخلصت في النهاية إلى تحديد لمفهوم الحرب بالمعنى العسكري. فذكرت تحت عبارة الحرب بمعناها العام (هي شكل من أشكال العلاقات الدولية يستخدم فيها العنف المسلح بالإضافة إلى أدوات أخرى من أدوات السياسة وبمعنى أوسع وأشمل هي استخدام القوة بين جماعتين من البشر لنظامين متعارضين لهما مصالح متعارضة وتعتمد الدول على محاورات سياسات الدول الأخرى لكي تحمي مصالحها وتوسع دائرة نفوذها السياسي الذي يضمن تلك المصالح) **(114)**.

أما الحرب من وجه النظر العسكرية فذكرت (الحرب بمعناها العسكري هي فن تحقيق مطالب جماعية بأستخدام القوات المسلحة وهي تخضع للسياسة العسكرية وتطبيق الأستراتيجية والعمليات والتكتيك وتعمل السياسة العسكرية على إعداد القوات المسلحة لتكون قادرة على تأمين متطلبات الحرب وهي تتضامن في سبيل ذلك مع دوائر الدولة السياسية الأخرى أو إنها تخضع هذه الدوائر لتحقيق سياستها في بعض الدول للسياسة العسكرية الأثر

الرئيسي في كسب الحرب أو خسارتها)**(115)**.

لاحظت هناك عدم وضوح في المفاهيم التي طرحتها الموسوعة سواء ما يتعلق بتعريف الحرب العام والتي اعتبرتها شكل من أشكال العلاقات الدولية التي يستخدم فيها العنف المسلح ثم تعود إلى عبارة استخدام القوة وكان المفروض استخدام هذه العبارة من البداية. كما إنهم عرفوا الحرب مرتين، تعريف عام وآخر عسكري، وفي اعتقادنا إنهم لم يكونوا مصيبين في ذلك، لإن للحرب مفهوم واحد لا يقبل التجزئة، والتعريف العسكري الذي أوردوه ينطبق على مفهوم الحرب بشكلها العام، وكان الأفضل إعطاء تعريف واحد للحرب بدلا من هذا التعقيد بالمفاهيم.

يذكر ابن خلدون في مقدمته عن الحرب (إن الحرب وإنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ إن برأها الله وأصلها إرادة انتقام البشر بعضهم من بعض، ويتعصب لكل منهم أهل عصبية، فإذا تذمروا لذلك وتوافقت الطائفتان أحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع، كانت الحرب، وهي أمر طبيعي في البشر لا تخلو من أمة ولا من جيل)**(116)**.

وفي هذا التعريف ثلاث إشارات مهمة وهي إن الحرب حقيقة واقعة منذ خلق الله البشر وإن أصلها إرادة انتقام بين البشر أحدهما ضد الآخر وهي أمر طبيعي بين البشر لاتخلو منه أمة ولا جيل. وفي هذا التعريف اعتراف بإن الحرب أمرا لابد منه بين البشر ولا يمكن تجنبها ما دام البشر موجودون على سطح الأرض. وهذا التعريف قريب جدا من الواقع الذي نعيشه رغم ما يقال ويكتب ويبرر للحرب. كما هو مطابق للمفهوم الإسلامي.

ضمن كتاب المدخل إلى دراسة الاستراتيجية تطرق أ. د عبد القادر محمد فهمي إلى مفهوم الحرب ووجدت إن كتاباته حول هذا الموضوع تثير الكثير من الانتباه كما وجدت إنه من بين العديد من المفكرين أعطى للحرب مفهوما واضحا يمكن الاسترشاد به لفهم فكرة وفلسفة الحرب.

اعتبر الحرب (ظاهرة مركبة يتمازج فيها النشاط العسكري الميداني بالغرض السياسي الذي بدأ فيه وإن العمل العسكري في ميدان المعركة ما هو إلا امتداد وتجسيد للقرار السياسي) **(117)** وفي هذا إشارة واضحة إلى كون الحرب وسيلة من وسائل السياسة.

والحرب تنطوي على بعدين الأول يحكمه المنطق والجدلية وميدانه الفكر. والثاني تحكمه الآلية والحركة الميكانيكية لقوات الأطراف المتحاربة وميدانه أرض المعركة وسوح القتال. فالأول يتصل بالعلاقات البشرية وما تنطوي عليه من تناقضات وصراعات، وكما يقول كلاوزفيتز ((إن الحرب ليست نزاعا أو صراعا بين عناصر الطبيعة، إنها قبل كل شيء واقع بشري، وبتعبير أصح هي شكل من أشكال العلاقات البشرية)). أما البعد الثاني فإنه يتصل بأدوات العمل العنيف ووسائله وغاياته حيث يتم توظيف القوة العسكرية إلى أقصى حدودها لحسم التناقضات والصراعات التي تتصف بها العلاقات البشرية) **(118)**.

مثل هذا التحليل يقودنا إلى التساؤل هل تختلف الحرب عن الصراع؟

يقول أد. عبد القادر (الحرب تختلف شكلا ومضمونا عن الصراع. فالصراع تحكمه مفاهيم قيمية وعقائدية فلسفية يصعب في كثير من الأحوال إن تكون موضع أتفاق بالنسبة لأطرافه، وإن حالة التناقض هذه لا تحل إلا بزوال أحد الطرفين عن طريق حرب ينتصر فيها أحدهم على الآخر. وهذه النهاية هي نهاية جدلية أو نهاية صفرية قد لا تتحقق إلا في استثناءات قليلة. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يمكن إن نلاحظ إنه في الوقت الذي ترتبط فيه مضامين الصراع ومظاهره "سياسيا، أقتصاديا، أيديولوجيا.. الخ ".ترتبط الحرب أساسا بحالة الالتحام العضوي المباشر، وبعد إن تتصاعد وتائر الصراع إلى مستويات يصعب ضبطها والتحكم فيها، مما يدفع بالأطراف المتصارعة إلى العنف المسلح واستخدام القوة العسكرية وهنا تشكل الحرب الحل الأخير عندما تلجأ الأطراف المتصارعة إلى حسم تناقضاتها المتجذرة بالأداة

العسكرية بعد إن تعجز عن حلها بالوسائل السلمية) **(119)**.

ما ذكره أ.د (عبد القادر) بإن الحرب ظاهرة مركبة يتمازج فيها النشاط العسكري بالغرض السياسي وإن العمل العسكري هو امتداد وتجسيد للقرار السياسي، وهو بذلك يتفق مع قول (كلاوزفيتز) بإن الحرب امتداد للسياسة. كما كان تحليله لفكرة الحرب موفقة جدا. أما الحرب والصراع فقد ذكر إن الحرب تختلف عن الصراع وهذا رأي سديد لإن مفهوم الصراع أوسع من مفهوم الحرب ولكن الصراع متى ما تصاعد إلى حدوده القصوى فإن الحرب تكون واجبة وهنا تكون الحرب بمثابة الشكل النهائي للصراع. ولكن ما ذكره من كون الحرب تختلف شكلا ومضمونا عن الصراع وإن الصراع تحكمه مفاهيم قيمية وعقائدية فلسفية يصعب في كثير من الأحوال الاتفاق عليها وإن حالة التناقض لا تحل إلا بزوال أحد الطرفين. أعتقد إنه في هذا التفسير كان قريبا مما ذكرته الموسوعة العسكرية عن الحرب العقائدية التي لا تنتهي إلا بزوال أحد طرفي النزاع ولكنه يعود مرة أخرى فيقول: بعد إن تتصاعد وتائر الصراع إلى مستويات يصعب ضبطها والتحكم فيها مما يدفع الأطراف المتصارعة إلى العنف المسلح.. أي الحرب. وهذا اعتراف بإن الحرب هي أعلى أشكال الصراع وهي جزءا منه ولكنها الجزء الأخير منه. ولكن ذلك لا يعني إن الصراع يختتم دائما بالحرب ولعل الصراع الأمريكي السوفيتي خير دليل على ذلك والذي انتهى دون اللجوء إلى الحرب رغم وصوله إلى حافات الحرب في بعض المراحل. ولكن التفكير العقلاني بنتائج تلك الحرب وهو الخشية من استخدام السلاح النووي حول هذا الصراع إلى نوع من التعايش السلمي الذي يمثل أحد طرق إدارة الصراع. وكانت نهاية الاتحاد السوفيتي بدون حرب تمثل في الحقيقة أحد أشكال إنهاء الصراع، ولو إن تلك النهاية لم تكن بسبب الصراع مع أمريكا لوحدها بل تظافرت عليها عوامل عديدة منها داخلية ومنها اقتصادية ومنها أيديولوجية، كلها ساهمت في تلك النهاية.

وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام تطرق لها أ.د عبد القادر وهي إن الحرب

تجسيد حقيقي لإرادة صناع القرار، وإنا أؤيده في هذا القول وأقول إن أغلب الحروب لم تقع بإرادة ورغبة الشعوب ولكنها كانت برغبة صناع القرار والحكام في أغلب الأحيان فهم الذين يؤدلجون الحرب لتكون متماشية مع المزاج الشعبي وبذلك يدفعون شعوبهم إلى الحروب تحت حجج ومبررات قد لاتكون موجبة لتلك الحروب. ولعل الحرب التي شنها (بوش الابن) على العراق تؤكد مصداقية هذا الافتراض.

وكما قال ليدل هارت عندما كتب تحت عنوان جراثيم الحرب (يبدوإن جراثيم الحرب أوسع إنتشارا وأرسخ قدما وأوضح أثرا بين غلاة المتعصبين وجهابذة الطغيان والاستبداد ودعاة الحق المعصوم والكمال المطلق من رؤساء بعض الدول، يأتي التاريخ بأمثال هؤلاء أحيانا إلى مقام الصدارة ويرفعهم إلى القمة في غفلة من الزمن فتنوء شعوبهم وغيرها بأوزارهم الثقيلة وتئن الإنسانية جمعاء من ويلات هذا المصاب الأليم، الحقد الملعون والبلاء المبرم. حب السلطان مصيبة وحب العدوان أيضا مصيبة أخرى. ولكن حب السلطان إذا أقترن بحب العدوان، فتلك مصيبة المصائب، أو المصيبة الكبرى والقصوى) **(120)**. وفي هذا المجال نستذكر قول ابن خلدون: الكارثة إذا اجتمع المال مع السلطان.

وفي ضوء ما تم عرضه لابد ان نسأل ؟ لماذا الحرب ؟ وماذا نريد من الحرب ؟ هذه الأسئلة هي موجهة بالذات لأمتنا العربية الإسلامية فنحن أمة يجمعنا تاريخ وعقيدة ومصير مشترك رغم كل المحاولات التي تهدف إلى تفرقة هذه الأمة وإضعافها في الجانبين العقائدي والقومي ولكننا عندما نقف ونتأمل كل تلك التحديات سنجدها تحديات مشتركة للجميع ولا يظن البعض إنه في منجى منها رغم العلاقات الطيبة والتحالفات وغيرها ولكن الحقيقة غير ذلك والكل يعرف ذلك، هناك من رفع راية العداء السافر لأمتنا وديننا تحت حجج واهية منطلقين من عقائد باطلة غايتها وهدفها الحرب على الأمة الإسلامية والعربية بالدرجة الأولى.

عندما نتوجه بكلامنا هذا ليس القصد منه الدعوة إلى الحرب أو الترويج لها ولكنا نجد إنفسنا ملزمين بطرح الرؤيا الحقيقية لهذا المفهوم الفلسفي للحرب والتي يمكن إن يسترشد بها من قبل الباحثين والدراسين وأصحاب القرار خلال مراحل صياغة العقائد العسكرية ومرتكزات السوق العسكري العربي/ الإسلامي.

في ظل ظروفنا الراهنة، حاضرا ومستقبلا يمكن القول إن الرسالة الإسلامية كانت وستبقى الامتداد الروحي والفكري لأمتنا. ولايمكننا الانفصال عنها بأي شكل من الأشكال وإن مفاهيمنا المعاصرة لابد وإن تكون وتبقى استمرارا لتلك الرسالة بكل ما تحمله من معان وقيم ومفاهيم ومن هذه المفاهيم مفهوم الحرب. فالرسالة الإسلامية حولت المجتمع الإسلامي من واقع الصراع الطبقي الداخلي إلى مجتمع له وحدة فكرية بعيدة عن التناقض الداخلي إلى تناقض أكبر ولكن خارج الذات. كان السبب في تعزيز إيمان المسلمين بإنهم حملة رسالة إنسانية حضارية إلى كل العالم، لذلك لم تكن حروب المسلمين هي حروب فتوحات كما تجري تسميتها من قبل البعض بل هي بقصد نشر الدعوة وهذا هو السر في بقاء الرسالة الإسلامية ثابتة في كل مكان وصلت إليه في العالم على عكس الفتوحات التي حصلت بدوافع توسعية أو اقتصادية أو غيرها.

فالحرب وفق هذا المفهوم إنما هي دفاع عن النفس ودفاع لإعلاء كلمة الحق ضد الأعداء الذين يقفون في طريق أمتنا التي ترنو وعلى امتداد تاريخها إلى توحيد الصفوف والتحرر والعدالة الاجتماعية ومن أجل ذلك ترفض العدوان وترفض السيطرة والهيمنة الاستعمارية أي كان شكلها وهي بذلك تحمل صفات الإنسانية كما أرادها الله ورسوله، عليه من يقف في طريق هذه الأهداف وهذه الرسالة لابد وإن يقاوم بكل الوسائل الممكنة وآخرها الحرب التي تصبح في وقت من الأوقات ضرورة من أجل تلك الأهداف النبيلة.

إن الحرب وفق هذه النظرة المبدئية هي حالة الاضطرار المرتبطة بظرفه وليس

حالة الاختيار المعزول عن ظرفه. والحرب هي صراع إرادتين كل واحدة في اتجاهها المقرر. والحرب تقوم أحيانا على ما هو منطقي عندما ترتبط بقضية دفاع عن حق مغتصب أو رد عدوان وقد تقوم على أساس غير منطقي عندما تفرض علينا لأسباب عدوانية. وفي كلتا الحالتين فهي لاتخرج عن المفهوم الدفاعي. إذن، الحرب وفق هذا المنظور، تصبح شرطا من شروط تخليص الإنسان من استعباد الإنسان. كما وإنها في الوقت نفسه تكون شكلا من أشكال الجهاد في مسعاها ونتائجها، وبالنتيجة التي تهدف إليها لإنها مرتبطة جوهريا بحماية العقيدة وبالتحرر وبقيم التقدم والخلاص من التجزئة والتخلف والاستغلال والفساد. إن غاية الحرب حسب هذا الفهم هي إن تكون بقصد التفريق بين الحق والباطل ومنع الباغي من نيل مرامه وجعل كلمة الله هي العليا، وبالتالي تحقيق السلام العادل الذي يخلص الأمة وفق مدلولات ومعاني فهمنا هذا من واقعها المتمثل بالتيه والضياع والظلم وينقلها إلى واقع جديد تحقق من خلاله طموحاتها في التحرر والعدالة الاجتماعية والعيش بكرامة. وبموجب هذا المفهوم يمكننا القول بإن الحرب تصبح معادلة للسلام في قيمتها وليست نقيضا له لإنها أصبحت شرطا من شروط تحقيق السلام العادل.

إن الصراع الذي تعيشه أمتنا الإسلامية والعربية بالذات مع الصهيونية والاستعمار هو صراع يستهدف استنزاف هذه الأمة ووجودها لذلك يصبح النضال ضد الصهيونية والاستعمار هو نضال عادل لا يهدف إلى تخليص الأمة العربية حسب، ولكنه يستهدف تخليص الإنسانية من هذا الخطر، لذلك يصبح الدفاع عن الأمة العربية هو بحد ذاته دفاع عن الإنسانية، والحرب في هذا المعنى تصبح الشرط المفروض على الأمة العربية لجعل قضيتها كاملة ومستوعبة طبيعة العالم من هذين العدويين الكبيرين، (الاستعمار والصهيونية). وفي هذه الحالة تأخذ الحرب شكل أو طابع المعركة الطويلة التي لها أبعاد زمنية يمكن إن تمتد لعدة عقود، لإنها ستكون معنية بتصفية أثار مرحلة تاريخية بأكملها وتوابعها المستجدة في الفاشية الجديدة التي تمثلها الصهيونية الجديدة والتحالف الصهيوني الاستعماري.

إن الحرب من وجهة النظر هذه لاينبغي إن تحركها دوافع اقتصادية على الرغم من إن الاقتصاد يمثل أحد أهم أركان الحرب لإنها بذلك تتطابق مع المفاهيم والنظريات الاستعمارية التي تهدف من ضمن ما تهدف إليه السيطرة على ثروات الأمم والشعوب وفرض الهيمنة الاقتصادية والسياسية عليها كما يجري حاليا في الكثير من دول العالم. وعندما تتجرد الحرب من دوافعها المادية فإنها تتحول بالضرورة إلى الأهداف الإنسانية النبيلة التي تتحقق من خلالها شروط السلام العادل. ونؤكد مرة أخرى إن السلام العادل هو الذي تهدف إليه الحرب وإلى توطيد أركانه. إن هذا القول لاينبغي إن يفسر على إنه دعوة للحرب باعتبارها الوسيلة الملائمة لحل المعضلات، ولكنها وسيلة أخيرة توجبها الضرورة القصوى عندما تصبح الأهداف الإنسانية في خطر، وهي لذلك ينبغي إن لا تعدو عن كونها وسيلة دفاعية وفق هذا المدلول. وعندما توجب الضرورة خوضها فيجب إن تتم بشروطها التي أمر بها اللّٰه ورسوله فلا عدوان إلا على الظالمين ولا سلب ولانهب ولا إلحاق أذى بالأفراد والممتلكات والقيم الاجتماعية للغير. إن تجريد الحرب من الدوافع المادية أمرا صعبا جدا في ظروفنا الراهنة، كما وإن الأهداف الإنسانية والنبيلة التي أشرت إليها هي رهينة وجه نظر القائمين بها، وقد لاتكون كذلك من وجهة نظر الغير، لإن المصالح غالبا ما تكون وراء تلك الأهداف وهذه المصالح تختلف بأختلاف النظم السياسية ونظرياتها وطموحاتها وأهدافها،ولكن ومع كل ذلك تبقى هناك أسس ومبادىء إنسانية نبيلة لا يمكن الاختلاف حولها منها حروب التحرير ودرء العدوان التي تمثل حالة الدفاع عن الحق والرغبة في تحقيق السلام العادل. ومن هذا الفهم فإننا نرى إن مفهوم الحرب من وجهة النظر هذه يهدف إلى توطيد أركان السلام.

ولكن الشيء المهم، إن هذا المطلب لا ينجز إلا بامتلاك ناصية القوة التي تصون السلام وتقف حائلا دون العدوان. من هنا يصبح للقوة وجهان وجه ينطوي على أستخدام القوة إذا فشلت كل الوسائل الأخرى في حل التناقضات، والوجه

الثاني هو الحيلولة دون العدوان من خلال أمتلاك القوة والتهديد بها، وهذا هو الردع الذي يمكن إن يستشف بشكل جلي بقوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بها عدو الله وعدوكم) (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) **(121)**. وفق هذا المفهوم يكون للردع موقع متميز في فلسفةالحرب بأعتباره الوسيلة المثالية لتحقيق الأهداف التي تطمح إليها الأمة دون اللجوء لأستخدام القوة وهي في ذلك تكرس مفهوم الدفاع عن النفس من خلال امتلاك تلك القوة، التي قد تلجأ إليها اضطرارا إذا دعت الحاجة.

بعد هذا العرض يمكننا إن نعرف الحرب بما يلي (الحرب هي أعلى أشكال الصراع الذي تستخدم فيه القوة المسلحة، والذي تلجأ إليه الأمة في نضالها من أجل أستمرار وجودها والحفاظ على كيانها ضد الأخطار التي تهددها وتحقيقا للسلام العادل).

بموجب هذا التعريف فنحن نعتبر الحرب أعلى شكل من أشكال الصراعات التي تواجه الأمة والتي تأخذ صيغا مختلفة بين القوى الدولية، تبدأ بالتدرج من الأزمة صعودا إلى الضغوط السياسية والاقتصاية والنفسية وغيرها لتتطور هذه الأشكال لتصل في النهاية إلى طريق مسدود والذي تجد فيه السياسة نفسها في وضع لا تستطيع معه تحقيق أهدافها إلا بأستخدام القوةالعسكرية المسندة بعوامل القوة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية.. إلخ. أي إن الصراع في هذا المستوى يتحول إلى صراع مسلح يكون للقوة العسكرية فيه دور الريادة فهي التي تقود الصراع وهي التي تحسم الموقف لصالح السياسة. وفي هذا المفهوم اعتبرت الحرب ضرورة تلجأ إليها الأمة ولا تسعى إليها وبذلك أخذت طابع الدفاع عن النفس ولم تأخذ طابع أو صفة العدوان.

إن غاية الحرب وفق هذا التعريف حددت بالمحافظة على وجود الأمة وكيانها التي تسعى بكل الوسائل للمحافظة عليه. لذا وردت عبارة النضال لتعطي للأمة صفة العمل الدائم والدؤوب من أجل وجودها وكيانها وأخيرا تصل الأمة إلى

غايتها من وراء الحرب وهو تحقيق السلام العادل الذي في إطاره تتحقق العدالة الاجتماعية وتتحقق شروط الإنسانية. وبذلك لم يعد مفهوم الحرب مقصورا على تحقيق كسب أو نصر عسكري بل ينظر إلى ما وراء الحرب وهو السلام العادل.

الفصل الثاني: فن الحرب والاستراتيجية العسكرية

القسم الأول في مفهوم فن الحرب

ورد مصطلح فن الحرب عند العديد من المعنيين بالشإن العسكري ومنذ القدم مثل (صون تسو) و(ميكافيلي) و(جوميني) (وكلاوزفيتز) والجنرال (ستروكوف)**(122)**(*) هذا فضلا عن كتاب غربيين وشرقيين كتبوا عن فن الحرب، وحتى تكون الصورة متكاملة بين مفهوم الحرب كمفهوم فلسفي، والذي توصلنا بنتيجته إلى الإجابة عن السؤالين المهمين (لماذا الحرب ولماذا نحارب)، لابد من الإجابة على السؤال المهم (كيف تكون الحرب أو كيف نحارب) والذي يمثل الجانب التطبيقي لمفهوم الحرب.

إن فهم فن الحرب لابد وإن يبدأ بمعرفة تاريخه والذي هو تاريخ نشوء وتكون أساليب خوض الأعمال الحربية والحرب بالكامل، والتي ينظر اليها على إنها نتيجة لتطور البنية التشكيلية الأجتماعية الأقتصادية للمجتمعات بطبقاتها المختلفة، لذلك عند دراسة مراحل تطور فن الحرب لا يجوز إغفال التركيب الأجتماعي للجيش وأسلوب تعبئته وتنظيمه الداخلي وأسلوب التربية والتدريب ثم قواعد ومباديء استخدامه. وهكذا يصبح تاريخ فن الحرب معنيا بدراسة الأساليب التي كانت مستخدمة لخوض الأعمال الحربية في عصر تاريخي معين ومن قبل جيش معين وعلاقة ذلك الجيش بالمجتمع، ذلك إن الفن الحربي كان ولا يزال متأثرا بوضع وواقع المجتمعات التي تطورت تبعا لظروفها وحاجاتها، ومع تلك التطورات الأجتماعية تطورت التقنيات المختلفة للأسلحة والمعدات والتجهيزات وأساليب وطرق القتال المختلفة، ومعها تطور فن الحرب من البسيط إلى المعقد الذي أصبحت تحكمه نظريات وقواعد ومباديء خاصة به.

إن فن الحرب معني بالدراسة العميقة لخبرة الحروب الماضية ولتاريخ فن الحرب من أجل التوصل إلى الفهم الكامل للفن الحربي المعاصر، ولأفاق تطوره

المقبل، وهي التي تسمح برؤية الطريق الذي تطور خلاله منذ الماضي حتى تبلوره في شكله الحاضر، كما تسمح بالتنبؤ العلمي الصحيح لتطوره المقبل استنادا إلى تطور المجتمعات ووسائل الصراع المختلفة. لذلك يمكن القول إن فن الحرب كان ولا يزال معنيا وخلال مختلف العصور بأستخدام القوة العسكرية (من خلال نظريات الأستخدام) وتطبيق تلك النظريات عمليا والتي يعبر عنها بطرق وأساليب القتال المختلفة، وكذلك بكل ما له علاقة بتعبئة الجيوش وتسليحها وتجهيزها. وحتى تكون الصورة قريبة من فكر القارىء لابد من المرور على التطورات التاريخية لفن الحرب وما رافقته من تطورات اجتماعية اقتصادية وتقنية مختلفة.

عندما ننظر إلى تاريخ فن الحرب فإننا نجده قديما قدم الحروب عندما تحولت من اشتباكات صغيرة بين مجموعات بشرية لأسباب عديدة إلى اشتباكات كبيرة بين قوى منظمة لها عقائدها وإنظمتها ونظرياتها وقواعدها القتالية. في العصور القديمة قبل الميلاد وفي الشرق بالذات (الصين وبلاد الرافدين ومصر القديمة والهند وفارس) كان فن الحرب فنا متطورا له تنظيماته العسكرية وأساليبه القتاليه ونظرياته الخاصة. وشهدت تلك الفترة حدوث العديد من الحملات العسكرية الكبيرة إضافة للحملات الصغيرة، كما شهدت معارك مهمة وفاصلة كان لها الفضل في وضع أسس فن الحرب للمراحل والعصور اللاحقة على مستوى التسليح وتنظيم الجيوش وأساليب القتال، كما شهدت تلك العصور وجود فكر عسكري متطور خصوصا في (الصين القديمة) على يد مفكرين وفلاسفة وحكماء وقادة من أمثال (التايكونغ) و(صون تسو) و(وتسو) وغيرهم**(123)**. وفي بلاد (الرافدين) برز قادة كبار أمثال (لوكال زاكيزي) الذي وحد بلاد (سومر)، و(سرجون الأكدي) الذي يعتبر من أشهر ملوك الأكديين أمتد نفوذه إلى جبال (زاكروس)شرقا وغربا إلى دولة ماري وإلى غابات الأرز في لبنان وإلى عيلام التي انتصر عليها وإلى جزيرة دلمون (البحرين) وماجان (عمان) وأسيا الوسطى، وأسس أول أسطول بحري في الخليج وصل به إلى بحر العرب، أعتمد (سرجون) أستراتيجية الحرب الوقائية من خلال محاربته

كل القوى المحيطة به والتي كانت تتربص به، وبين الردع من خلال أمتلاكه قوة كبيرة مع أسطول قوي، كما يعتبر الأكديون أول من أسس إمبراطورية، والبابيلون من بعدهم وأشهر ملوكهم (حمورابي) (1792-1750) ق.م الذي امتد نفوذه إلى مملكة (ماري) و(أشور) و (عيلام)،، والذي ربط وبشكل حاذق بين السياسة والحرب من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجي الرئيسي وهو توحيد البلاد وجعلها قوة كبيرة ومؤثرة، امتاز حمورابي بتطبيق الأستراتيجية الغير مباشرة وأستراتيجية الاقتراب الغير مباشر، فمثلا لم يهاجم عيلام التي تمثل العدو اللدود لدولته إلا بعد إن إنهكها على مدى ثلاثين عاما بمشاغلتها ومناوشتها وإضعافها بشكل تدريجي، ومن ثم قام بمهاجمتها بعد إن تاكد من ضعفها، كما استخدم مع دولة ماري في الغرب أسلوب المهادنة وتوقيع معاهدة صداقة واستفاد منها في حروبه إلى إن ضعفت بشكل تدريجي، ثم وجه إليها الضربة الساحقة وتم احتلالها. و(الأشورين) الذين أسسوا أكبر إمبراطورية(911-824)ق.م واعتبروا من أهم رواد فن الحرب، وكان لقادتهم أمثال (تجلات بلاسر الثالث)(745- 612) ق.م الذي استولى على(إسرائيل) وسبى(اليهود)(732) ق.م ثم(شلمنصر الخامس) الذي حاصر(إسرائيل) ثم أحتلها خلفه (سرجون الثاني) (722) و(سنحاريب) الذي أحتل مدن(يهوذا)وحاصر(أورشليم) وفرض الجزية عليها (705-681) ق.م و(أسرحدون) ابن (سنحاريب) الذي احتل (الدلتا المصرية) وسيطر على أكثر مدن(مصر العليا) (681-669) ق.م، و(أشور بانيبال) الذي أخضع كل الأراضي(المصرية) لحكمه (661-626) ق.م. اعتبر الأشوريون أول من طبق نظرية الشعب المسلح، كما اعتمدو أستراتيجية التعرض الدائم بعد إن نظموا جيشهم ومدنهم وحصونها وجعلوها قواعد قادرة على الدفاع عن نفسها إذا قتضت الضرورة مما فسح المجال لقوتهم الضاربة من الانطلاق لمحاربة القوات والدول المناوئة لهم، كما اعتمدو على المباغتة في أغلب عملياتهم وعلى الحرب النفسية، وكذلك السرعة في حسم المعارك بالأعتماد على الفرسان والعربات الحربية التي وفرت لهم قابيلة الحركة ورد الفعل السريع، كما اعتمدوا

على اختيار أماكن تحشد لقواتهم موزعة على عموم البلاد لمجابهة أي هجوم مباغت وللإنطلاق منها لشن الهجمات. وفي مصر برز (أحموس) الذي طرد (الهكسوس) (1580) ق. م و(تحتومس الثالث) الذي قاد حملة كبيرة ضد (الميتانيين) في معركة(كركميش)، ثم(رمسيس الثاني) الذي قاد أكبر حملة ضد (الحيثيين) في معركة (قادش) (1288) ق.م التي أظهر فيها براعة فائقة في السرعة ورد الفعل. أما في الغرب فقد برز الفن الحربي المتميز في (اليونان) القديمة (أثينا) حيث كان لها جيش منظم له قواعده ونظرياته وأساليبه القتالية التي تميز بها، والتي كان لها الفضل في دحر الغزو(الفارسي) في موقعة (ماراثون) (490) ق.م بقيادة القائد اليوناني الشهير (ميلتياد) التي انتهت بتدمير قوة الإنزال الفارسية في سهل (ماراثون) بعد إن وضعت القوات الفارسية بموقف فقدت فيها قابلية الحركة للفرسان التي كانت تشكل قوتهم الضاربة وفقد القائد حرية العمل، ثم معركة (سلاميس) البحرية(480) ق.م بين اليونانيين والفرس التي تمكن فيها القائد اليوناني من خداع القائد الفارسي وجره إلى قناة ضيقة فقد فيها أسطوله القدرة على المناورة و حرية الحركة والعمل، وانتهت بحصار الأسطول الفارسي وتدميره وبذلك انتهت آخر محاولة للفرس للسيطرة على اليونان**(124)**.

كما شهدت تلك الفترة صراعا قويا بين أقوى دول اليونان (أثينا) و(إسبارطة) التي تغلبت على (أثينا) خلال الحرب (البيلوبونيسية) نسبة إلى جزيرة بيلوبونيس (421-431) ق.م**(125)**، ولكن الصراع لم ينتهي إلا بإنتهاء دور (إسبارطة) في معركة (ليفكترا) (371) ق.م على يد القائد اليوناني (أبا مينوند)الذي استخدم ولأول مرة تشكيل قتالي يقوم على أساس تركيز القوة على الاتجاه الرئيسي بدلا من التوزيع المتساوي الذي كان سائدا في ذلك الوقت، كما برز فيها دور قابلية الحركة وحرية العمل التي فقدها القائد الإسبارطي الذي لم يتمكن من اتخاذ قرار ينقذ به الموقف فخسر المعركة. ثم جاء دور(المقدونين) الذين كانت لهم إسهامات كبيرة على فن الحرب تحت قيادة (الإسكندر المقدوني)، الذي قاد أكبر حملة نحو الشرق والتي استمرت

عشرة أعوام اجتاز خلالها أكثر من (20) ألف كم، عبر خلالها آسيا الوسطى والهند وخاض خلالها العديد من المواقع أهمها موقعة (أربيلا) 331)ق.م**(126)** التي إنهت دور الإمبراطورية الفارسية، كما شهدت تلك العصور ظهور (روما القديمة) التي أصبحت من أقوى دول العالم القديم والتي وصل الفن الحربي في عهدها إلى أعلى مراحله، ولكن (القرطاجين) الذين أسسوا دولتهم على الأراضي (التونسية) (700-200) ق.م تمكنوا من التغلب عليهم بقيادة (هانيبال) في معركة (كانيا) (216) ق.م، التي كانت من أبرع وأهم المعارك التاريخية**(127)**. وانتهى دور (روما) بعد الصراع على السلطة بين زعماء روما الثلاث - (قيصر، بومبي، كراسوس)، الذي أدى إلى مصرع (كراسوس) أولا ثم(بومبي) لاحقا في معركة (فارسال) (48) ق.م بينه وبين (قيصر) الذي انتصر في هذه المعركة. وتحولت(روما) إلى إمبراطورية دامت حتى عام (476)م**(128)**.

كانت النظرة للفن الحربي القديم وحتى القرون الوسطى مرتبطة وبشكل دائم بالملوك والقادة الكبار لإنهم كانوا يقودون الجيوش والحملات الكبيرة، وكان ظهور قائد عسكري بارع يتقن فن المناورة والخداع ويحسن التحرك السريع كافيا لتحقيق اختلال في التوازن الإستراتيجي وسط قوات العدو ما يؤدي إلى انتصار كبير يبدل مصير أمة ويغير خارطة بلد، لذلك ارتبطت المعركة (التكتيك) بالأستراتيجية بشكل مباشر وكانت نتائج تلك المعارك هي التي تخلد أسماء الملوك والحكام والقادة الكبار. امتاز فن الحرب في العصور القديمة كونه على درجة عالية من الكمال سواء بالإنظمة العسكرية أم بالفن الحربي المتميز. أما خلال القرون الوسطى وفي الغرب خصوصا (أوروبا) فكان فن الحرب يتميز بكونه مركزا على (الفارس المسلح)، وكانت الفروسية هي أبرز سمة إنتجتها القرون الوسطى، والتي كانت تنطلق أساسا من نظرة روحية معتقدين إن الله هو الرئيس الأعلى لهذا التنظيم، وإن الملك هو ظل الله على الأرض وهو المفوض بكل الأمور الدنيوية ثم أصبح فيما بعد نائب الإله ووكيله على الأرض، وكانت الكنيسة تسعى إلى إعطاء الصبغة الدينية لكل أوجه

النشاطات الدنيوية بأعتبارها وسيلة تحقيق العدالة وتكريسا لمكانتها. لذلك كان واجب الفرسان في ذلك العصر حماية أهل البلاد والدفاع عنهم، معتقدين إنهم يخدمون الله سبحانه وتعالى، وتبعا لذلك فإن الفارس كان يضع خدمته العسكرية تحت إمرة سيده الأعلى الذي وكلت إليه الكنيسة الإشراف على النشاط الدنيوي (الملك). ولما كان السيد (صاحب الأرض/ الإقطاعي) بحاجة إلى من يحمي مصالحه ويدافع عنها ولكونه ملزم بتنفيذ إرادة الملك، فإنه احتاج إلى الفرسان ليقوموا بهذه المهمة، وهكذا أعطيت الأرض من قبل الإقطاعي للفرسان مقابل أدائهم الخدمة العسكرية في زمن الحرب وللأغراض التي يتطلبها وضع وحاجة البلاد. كان هذا النموذج يمثل شكل من أشكال العلاقة المادية (بضاعة مقابل خدمة عسكرية) وكان هذا التنظيم يتفق مع الواقع الزراعي الذي كان هو عماد الاقتصاد في ذلك العصر. (علما إن هذه الطريقة كانت مطبقة في الصين القديمة وبالتحديد خلال " مرحلة الربيع والخريف - (722-481) ق.م" ثم تحولت فيما بعد إلى طريقة تأجير الأرض التي وفرت المال اللازم لتجنيد مقاتلين جيدين وهي البداية لتكوين الجيش المحترف الدائم).

لذلك يمكن اعتبار الفن الحربي في ذلك العصر هو فن الملوك والأسر الحاكمة بشكله الخاص، وهو مسخر لخدمة العقيدة الدينية بشكل عام، ويبدو إن هذه الحالة ما هي الا استمرار لتوظيف العقيدة الدينية من القرون القديمة ثم استمرت إلى القرون الوسطى وحتى مراحل قريبة من العصور الحديثة (مع اختلاف العقيدة في كل عصر) بأعتبارها أفضل وسيلة لإقناع الناس بالحرب. ومع كل ذلك فإن الملك كثيرا ما كان يصبح في مواقف لا يحسد عليها، وكانت الحكومات تقف مضطربة بين تلبية طلبات الملك الحاكم وبين طبقة النبلاء الذين كانوا يمتلكون (ويتصرفون كإقطاعيين) ويتمتعون بأمتيازات كبيرة منها حق عدم دفع الضرائب وحق احتكار مراكز ورتب خاصة في الجيش خصوصا القيادات العليا والتي كانت تنتقل بالوراثة من شخص لآخر، وكان الضباط يجيئون من طبقة خاصة أيضا وهؤلاء يحملون القابهم بالوراثة، ومن النادر إن

تتعدى هذه الطبقة أيضا، أما المقاتلين فكانوا يأتون من طبقة الفلاحين الذين كانت تقع عملية تجنيدهم على عاتق سيد الأرض التي يعملون عليها، ومن الطبيعي إن يحاول سيد الأرض أو الإقطاعي المحافظة على موارده وتنميتها وزيادتها من خلال زيادة الإنتاج وزيادة أملاكه وهذا لا يمكن تحقيقة إلا من خلال المحافظة على العدد المناسب من الفلاحين، لذا لم يكن يرغب بتجنيد أعداد كبيرة من هؤلاء الفلاحين كجنود مقاتلين، وكان كثيرا ما يقدم من هم عديمي النفع من الناحية الاقتصادية. وكانت الحكومات تقع دائما بين موقفين متضادين هما طلب الملك بأعتباره القائد الأعلى وحاجته إلى الجيوش الكبيرة والتسليح والتجهيز وبين طبقة النبلاء / الإقطاعيين، فالحكومة ترغب زيادة دخلها الضريبي وتطمح إلى استخدام كل مواردها المادية والبشرية ولكنها لاتقدر على تحقيق ذلك بسبب موقف النبلاء المضاد لتلك الرغبات والطموحات. كانت الجيوش الإقطاعية هي السمة البارزة لجيوش تلك الحقبة من الزمن وكانت تلك الجيوش تنشأ وتتجمع عندما تدعو الضرورة لها، لذا لم يتوفر لهم التدريب الجيد والضبط والربط المطلوب للجيوش وكانت المعارك غالبا ما تتحول إلى صراع بين الفرسان الذين كانوا يمتهنون العسكرية بشكل دائم، لذا كان فن الحرب خلال القرون الوسطى هو حصيلة النظام الاجتماعي / الاقتصادي الذي كان سائدا في ذلك العصر، أساسه النظام الإقطاعي المستند على فكر ديني وظف لتحقيق مصالحه أكثر مما كان لصالح المجتمع، وأي تغيير في أسس هذا النظام لابد وإن يكون له انعكاس وتأثير على الميدان العسكري، وهذا ما حصل فعلا عندما غير النظام الاقتصادي النقدي الجديد قواعد النظام الزراعي السابق والذي كان له تأثيرمباشر على فن الحرب من خلال التغيير في القواعد والأسس التي كانت سائدة في ذلك العصر حيث، تحول ملاك الأراضي/ الإقطاعيين إلى أسلوب قبول النقود بدلا من أداء الخدمة العسكرية. وأصبح بإمكانهم استخدام أشخاص يقومون بأداء الخدمة العسكرية، وبنتيجة هذا التغير فقد الفرسان أهميتهم ودورهم، كما وضعت أسس الجيش المحترف الدائم، الذي يبقى في الخدمة ويمتهن العسكرية مقابل الأجور، وأوجد هذا

التنظيم الجديد الأساس للحكومة المنظمة. كبديل للنظام الإقطاعي.

كما وضع بنفس الوقت أساس وجود المرتزقة في الجيوش الذين لم تكن لديهم قضية يقاتلون من أجلها سوى المال. **(129)** كانت الجيوش تضم في صفوفها مقاتلين من قوميات مختلفة حتى يقال إن هناك مقاتلين كانوا يغيرون الجهة التي يقاتلون معها في كل مرة فتجد مقاتل يقاتل مثلا في صفوف الجيش البروسي ضد الجيش النمساوي خلال معركة معينة ثم تجده في معركة أخرى يقاتل مع الجيش النمساوي ضد الجيش البروسي، وهكذا فقدت الجندية صورتها أمام الناس وفقد الإقطاع السيطرة التي كانت مبنية على الرابط الديني/ الاقتصادي. لذلك لم تعد مهنة الجندية مهنة محترمة رغم التضحيات التي يقدمها المقاتلون، كانت النظرة لهم نظرة دونية ومؤلمة حتى في فرنسا التي كانت تضم أكبر نسبة من المواطنين الفرنسيين في حينها، كانت المقاهي تضع على أبوابها لافتة خط عليها (ممنوع دخول الكلاب والخدم والبغايا والجنود)**(130)**، كان هم الجندي هو الحصول على ما يقيم أوده لا إن يقاتل من أجل قضية أو تحقيق هدف للدولة مهما كانت قيمة وأهمية هذا الهدف. كان العامل المادي هو المهم في تكوين الجيوش فالدول الغنية كان بمقدرها تجنيد جيوش كبيرة والعكس بالنسبة للدول ذات الاقتصاد المحدود، وحتى تضمن القيادات حسن أداء المقاتلين وتنفيذهم للتعليمات ومن ثم القتال، لذلك كان المعول عليه من أجل ضمان الأداء الجيد لتلك الجيوش هو الضبط العالي أو القاسي والتدريب الراقي وهذا ما كان يؤكد عليه (ميكافيلي) (1469-1527) بقوله (إن الضبط والربط أكبر تأثيرا من الشجاعة، ويمكن إن يتغلب على القوة وحدها) ويمضي بالقول (إن القليل من الرجال هم الشجعان بالطبيعة، ولكن النظام الجيد والضبط والربط الجيدين في جيش ليمكن الاعتماد عليهما بدرجة أكبر من الاعتماد على الشجاعة وحدها)**(131)**. ومن أجل ضمان السيطرة الجيدة على الجيش خلال المعركة اقترح (ميكافيلي) إن لايزيد عدد الجيش عن خمسين ألف جندي (لإن القدر الذي يزيد على هذا يوجد اضطرابا، وليس فقط لايمكن السيطرة عليه بل إن هذه الزيادة تسبب فوضى حتى بين الجنود

الذين يتوافرلهم الضبط والربط الجيد) **(132)**، والسبب يكمن، إن(ميكافيلي) كان يعتبر المعركة هي النهاية التي لأجلها أعدت الجيوش، لهذا من الضروري العناية بأعداد هذه الجيوش**(133)**.

ومع كل ذلك جوبهت فكرة المرتزقة بمعارضة شديدة من قبل العديد من القادة والمفكرين ولعل أبرز من عارض هذه الطريقة هو (ميكافلي)، في كتابه فن الحرب حيث انتقد فكرة الجيوش المرتزقة التي كانت سائدة في ذلك العصر ودعى إلى الحرب الشاملة باستخدام الأمة كلها كشخص واحد توضع كل موارده وقوته موضع التجربة وقت الحرب. كانت الجيوش تتكلف الكثير من المال لذا لم تكن جيوشا كبيرة الحجم، كما كانت الحروب طويلة ولكنها لم تكن عنيفة، ولكن مع اكتشاف البارود واختراع المدافع، تحولت المعارك إلى معارك دامية خصوصا خلال القرن السابع عشر الذي انتهت خلاله الحرب الدينية التي سميت بحرب الثلاثين عاما (1618- 1648) والتي كانت عبارة عن صراع رهيب بين جنود المرتزقة، حتى وضعت معاهدة (ويستفالي) (1648م) حدا للفوضى في أوروبا والتي حولت أوروبا الوسطى بنتيجها إلى خرائب**(134)**، أما في إيطاليا فكان الأمر مختلفا حيث كان الحكام المستبدون المحليون يعتمدون على المرتزقة أيضا الذين يقاتلون من أجل المال، وكانت الحرب بالنسبة لهم مهنة وفن لذا كانوا يعملون على إطالة الحرب، وكانت أغلب حملاتهم بدون خسائر تذكر حتى قيل إن الحرب عندهم تحولت إلى ما يشبه التمارين التعبوية وبسبب الكلفة العالية للمدفعية والأسلحة الحديثة فقد أصبحت عملية امتلاكها مقصورة على الدول الكبرى مثل(فرنسا، بريطانيا، بروسيا) أما الدول الصغرى التي لا تمتلك المال ومن أجل الدفاع عن نفسها، لجأت إلى القلاع والحصون من أجل ذلك. ولكون الحروب كانت مكلفة لذا لم يعد أحد تواقا لخوضها ولم يكن هناك دافع معنوي يدفع المقاتلين إلى التضحية من أجله، كما أثرت حرب الثلاثين عاما على الموارد الاقتصادية واستنزفتها، مما جعل الجيوش تتحول إلى جيوش دائمية صغيرة من المتطوعين المدربين والمنضبطين. وقدم المارشال(دو ساكس) (1696-1750) وهو من أكثر القادة

نجاحا في القرن الثامن عشر في كتابه التخيلات (1877) نموذج لملاك مثالي لجيش من الجيوش هو(50000 ألف جندي منهم 34000 جندي مشاة. و 12000 فرسان والباقي مدفعية وصنوف أخرى)**(135)**.

وهكذا أصبحت الحرب المحدودة سمة فن الحرب (خلال القرن الثامن عشر) وحتى الفترة التي سبقت حرب السبع سنوات (1755-1763) وما تلاها والتي كانت عبارة عن حروب إنهاك و استنزاف ففي معارك السنوات السبع كان معدل الخسائر من(15-20 %) وفي معركة تورغو (1760) خسر الجيش البروسي بقيادة فردريك الثاني(30%) من جيشه. وفي معركة زورندورف (1758) خسر الروس (42%) من جيشهم وهذه أمثلة على حجم الإنهاك والاستنزاف التي تعرضت لها الجيوش خلال تلك المرحلة**(136)**. حتى إن خسائر الجيوش في تلك الحروب وكمعدل عام وصلت إلى ما بين (30 -40%) من تعداد الجيوش وهو رقم قياسي للخسائر التي يفترض إن تتراوح ما بين(10-15%)، وإلا تصبح المعركة خاسرة وغير مجدية حتى لو تحقق النصر فيها لأحد الطرفين. ويبدو إن هذا هو السبب المباشر الذي أدى إلى تجنب المعارك، إضافة إلى إن عمليات التموين الكبيرة التي تحتاجها الجيوش والمحافظة عليها أصبحت معقدة خصوصا بعد تحريم عمليات النهب والسلب، لذا تحولت مواد التموين للجيوش إلى القلاع والحصون للمحافظة عليها، وكان هذا سبب آخر لاستهداف القلاع إضافة للأسباب الأخرى. والمهم في كل تلك الحروب إن المدنيين كانوا منفصلين انفصالا تاما عنها.

وعندما تحول الفن الحربي إلى الحصون شهدت هي الأخرى تطورات كبيرة من أجل تامين الحماية وتحول الفن الحربي إلى حرب مواقع بدلا من حرب الحركة وكانت تلك سمة استراتيجية (فردريك الأكبر) (1712-1786) وهي حرب بطيئة في جملتها وتختلف كليا عن صورة الحرب السريعة العنيفة المليئة بالحركة التي أوصى بها في عام (1746). ومع نهاية القرن الثامن عشر انتهت معه فترة الحروب المحدودة**(137)**.

كانت الفترة التي امتدت من القرون الوسطى وحتى قيام الثورة الفرنسية تمثل كمال الأسلوب القديم لفن الحرب والذي كان يعتمد على مبدئي (الكتلة والصدمة) كلما كبرت الكتلة أمكن تحقيق أكبر قدر من الصدمة. أما بعد اختراع البارود واختراع المدفعية ومارافقها من تطورات تكنولوجية، ظهرت أفكار ونظريات جديدة تدعوا إلى المزج بين القوة النارية والحركة (أو ما يطلق عليه بالمناورة). والتي كتب عنها كتاب من أمثال الكونت (دو جيبين)(1737-1794) و(بيلو). التحول المهم الذي طرأ على فن الحرب هو خلال الفترة التي أعقبت الثورة الفرنسية، وكان أول من برع في تطبيق النظريات الجديدة، هو نابليون في سلسة معاركه والذي شكلت بداية الأسلوب الحديث الذي ما زلنا نتبعه في صور كثيرة. كانت الثورة الفرنسية (14/تموز/1789) تمثل بداية الحرب الشاملة أو حرب الشعوب كما سميت لإنها أصبحت تعني الشعب كله، وكانت معركة (فالمي)التي وقعت في(20ايلول 1792) في منطقة (مارن) شرق باريس بين تحالف البروسين والنمساويين الذين كانوا يطمحون إلى القضاء على الثورة الفرنسية، وإعادة الملكية وبين الفرنسيين تمثل أول اختبار للثورة. كانت قوات التحالف بقيادة (دوق برونزويك) والقوات الفرنسية بقيادة القائدين (ديمورييه وكلرمن). حشد الفرنسيون (60)ألف مقاتل من المحاربين القدماء بزيهم الأبيض، ممن شهد حرب السنوات السبع، إضافة إلى المتطوعين الجدد أصحاب السترة الزرقاء، بينما حشد البروسيين (42) ألف مقاتل. بدأت المعركة بتبادل القصف المدفعي العنيف الذي سقط خلاله ما لايقل عن (180) بروسيا و(300) فرنسي، بين قتيل وجريح، بعدها اندفعت كتائب المشاة الفرنسية المسلحة بالبنادق بتراتيب مزدوجة في الوقت الذي قام الفرسان الفرنسيون بحركة تطويق للبروسيين من الجناحين، وخشي البروسين الوقوع في الفخ فتخلوا عن مواضعهم وانسحبوا نحو الحدود في فوضى عارمة. وهكذا ثبتت معركة (فالمي) أقدام الثورة الفرنسية على الصعيدين الداخلي والأوربي.

ومن بعد إعدام (لويس السادس عشر) و(ماري إنطوانيت) (21 ك2 1793) تحالف ملوك أوروبا ضد الفرنسين الذين سارعوا لتأليف جيش الشعب وصدر

مرسوم بتجنيد(500000) جندي، ولكنه جوبه بعصيان في (الفاندي) والذي تم القضاء عليه بقسوة بالغة**(138)**، ولم يصبح التجنيد العام فاعلا حتى صدور مرسوم مجلس التوفيق في (23أب 1793)، الذي كانت بدايته (من هذه اللحظة، وإلى إن يتم طرد كل الأعداء عن أراضي الجمهورية، يعتبر كل الفرنسيين مصادرين بصفة دائمة)**(139)**، ومن بعد نجاح التجنيد أصبح لفرنسا جيش شعبي كبير يتميز عن غيره في أوروبا كونه يمثل الشعب بكل طاقاته وقوته وإيمانه التي جاءت من خلال مبادىء الثورة، وهكذا غيرت الثورة ونظام التجنيد أسس فن الحرب القديم والذي كان يتجنب المعارك كما لاحظنا، إلى مرحلة التفتيش عن المعارك مهما بلغت خسائرها، لسهولة التعويض وقلة الكلف المادية للجيش الجديد قياسا إلى الجيوش السابقة. هذا التبدل هو الذي أتاح (لنابليون) اكتساح أوروبا وروسيا خلال بضعة أعوام، ولم تكن الخسارة بالجنود تعني له شيئا (ففي عام (1805) كان يتبجح أمام (مترنيخ) في (شونبروم) بإنه يستطيع إن يسمح لنفسه خسارة (30000) جندي شهريا فقد كان سعر الجنود رخيصا برخص روث الحيوانات) **(140)**. كان(نابليون) قائدا متفردا في شخصيته وقابليته اللامحدودة والتي سخرها لشيء واحد هو الحرب، لذلك أوجد فن حربي مرتبط بأسمه، كان ولا يزال يمثل مدرسة فكرية متميزة في تاريخ فن الحرب. كانت كل حروبه فتح وغزو على نطاق واسع، كان يفتش عن المعركة ولا ينتظرها، يسعى إلى إبادة جيش العدو(كان هدفه دائما هو جيش العدو)**(141)**، ولا تهمه الحدود الدولية وحرمتها بقدر ما يهمه الهدف، لم تكن تهمه نفقات الحرب وتموين جيشه لإنه يعتاش على الأراضي التي يحتلها ويسد نفقات حربه من الغنائم، اتصفت أعماله بالوحشية والمجردة من اللياقة، لكنه لم يلتفت إلى كل ذلك بقدر اهتمامه بتحقيق أهدافه، كان رجلا مهتما بمصيره فقط، وقد تحدث عن ذلك، عندما كان في طريقه إلى(موسكو) عام(1812) قائلا (أحس بإني منقاد إلى هدف لا أعرفه، وعندما أبلغه، وعندما لا تكون هناك حاجة لي، تكفي ذرة واحدة لتحطيمي، وإلى إن يتحقق ذلك لن تستطيع كل القوى البشرية إن تفعل شيئا ضدي") **(142)**. كان فن الحرب

النابليوني إذا جاز تسميته بذلك يتركز على عاملين أساسيين هما الهجوم بأكبر حشد ناري وبشري (الكتلة "بشرية/ نارية" + الحركة العالية) والتي نتج عنها عملية المناورة كما بينا آنفا والتي استندت غالبا على المفاجأة التي تعتبر من مضاعفات القوة ومن (عناصر اللامتوقع في الحرب). وهي عكس نظرية القرون السابقة (الكتلة + الصدمة). وكان يستهدف إنهاء الحرب بموقعة واحدة رئيسية - وكان هدفه من الموقعة تدمير الجيش المعادي تدميرا كاملا ثم ينطلق إلى عاصمته وهذا ما حدث في موقعة مارنجو (1800) مع إيطاليا وموقعة أولم (1805) مع بروسيا وفي موقعة أينا أو ينا (1806)**(143)**.

بقي الفن الحربي خلال القرن التاسع عشر متأثرا بشكل كبير بنظريات نابليون، مع إهمال يبدو متعمدا لتأثير الثورة الفرنسية على المجتمع الفرنسي من الكثير من المفكرين، حيث نسبوا كل تلك النجاحات لعبقرية نابليون، رغم أهميتها وكونها حقيقية، ولكن إهمال عامل الثورة الفرنسية وما أحدثته في نفوس الشعب يعتبر خطأ كبيرا، فالثورة كانت السبب المباشر لبعث روح التحدي لدى الشعب، وتقبلهم فكرة الحرب رغم الوضع الاقتصادي السيء الذي كانت تعاني منه فرنسا عندما وجدوا إنفسهم إما تحالفات تحاول القضاء عليهم، هذه الروح الجديدة هي التي ساعدت نابليون على تحقيق أفكاره وطموحاته، لإنه وجد أمامه شعب مستعد لتقبل أفكاره والسير معه، والشعب وجد فيه القائد القادر على تحقيق طموحاته، وهكذا وجد أحدهما الآخر. وهنا لابد من السؤال: هل هي الصدفة التي أوجدت نابليون خلال تلك الفترة، والتي اعتبرت إحدى عناصر اللامتوقع في الحرب ؟ أم هو القدر الذي جاء به لأمر لا نعرفه كما هو الحال في الكثير من أمثاله في التاريخ القديم والحديث ؟أم هي العبقرية ؟ هذا السؤال المحير الذي يحتمل إن لا نجد له الإجابة المناسبة مهما بحثنا وفكرنا، ولكنه يبقى أحد العوامل المؤثرة على فن الحرب.

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت تطورات جديدة على فن الحرب بسبب السكك الحديدية التي ساعدت على السرعة في التحشد،

والإنتشار الواسع للتلغراف وانتشار الأسلحة والمدافع المحلزنة وزيادة القوة النارية وتعميم المحرك البخاري في الأساطيل وبناء المراكب المعدنية، كل تلك التطورات أوجدت تبدلات كبيرة على حركة الجيوش ومناورتها وفي أساليب خوض المعارك. وفي نوعية الجيوش من ناحية الحجم والنوع والتنظيم.

كان الجيش المعادي يمثل هدف الحرب الذي ينجز من خلال الموقعة الرئيسية (عدد من المعارك)، أي إن فن الحرب انحصر بين (الاستراتيجية والموقعة) **(144)(*)**، ولكن مع التغييرات التي حصلت على التكنولوجيا تغير هدف الحرب ولم تعد الاستراتيجية العسكرية تسعى إلى تدميرالجيش المعادي من خلال الموقعة باعتباره يمثل الانتصار الكامل، بل ظهرت عوامل أخرى زادت من تعقيد الاستراتيجية العسكرية. ولقد تأكد هذا المبدأ خلال الحرب الفرنسية - البروسية (1870 -1871) والحرب الروسية التركية (1877-1878) بسبب وجود احتياطي بشري مدرب أصبح بالإمكان تعويض الخسائر بسرعة. فمثلا بعد إن تم تدمير الجيش الفرنسي المؤلف من (300) الف جندي نظامي لم يتقرر مصير الحرب، لإن فرنسا استطاعت خلال الحرب ذاتها إعداد وتسليح جيش آخر أكبر من الجيش السابق. كما حصلت تطورات أخرى على فن الحرب هي القدرة على المناورة الاستراتيجية من خلال العمل على الخطوط الخارجة، بهدف تطويق الخصم. كما ظهرت في تلك الحروب بداية ملامح العملية أو ما اصطلح عليه لاحقا (بفن العمليات) وهي التي وضعت أسس استخدام التشكيلات الميدانية الكبيرة (الجيش أو ما يعادله) على جبهة واسعة (استخدام أكثر من تشكيل ميداني كبير على جبهة واسعة) لتنفيذ مهمة واحدة (كما حصل في عبور القوات الروسية لجبال البلقان، وعمل الجيشان الألمانيان عند سيدان، كما ظهرت الملامح الأولية لمعركة الملاقاة (تعني الاشتباك من المسير). (1) والسبب يكمن في إن النار التي تمثلها المدفعية أصبحت هي الواسطة التي تقرر مصير المعركة وليس الاشتباك بالحراب، كانت الموقعة تبدأ برمي المدفعية أولا ثم المسير مباشرة دون توقف لإعادة التحشد وتجميع القوى قبل المعركة كما كان يحدث في السابق. أي إن الاشتباك من المسير أظهر الملامح

الأولية للمعركة التصادفية أو معركة الملاقاة.

ونحن نستعرض تطورات فن الحرب لابد من إلقاء الضوء على تطور فن الحرب في الشرق الذي رافق فترة القرون الوسطى وما بعدها، وحتى ظهور نابليون، هو فن الحرب الإسلامي الذي يمثل حالة فريدة في الفن الحربي خلال تلك الفترة، فكما لاحظنا خلال المبحث الأول، إن الحرب في الإسلام انطلقت من عقيدة دينية هدفها نشر الدعوة وتخليص الإنسان من الظلم والاستغلال والضلالة والكفر، وهي حرب غير عدوانية لم يكن هدفها النهب والسلب واستعباد الشعوب بل تحريرها، وعندما نقارن هذا المفهوم مع المفاهيم التي كانت سائدة في القرون الوسطى وما قبلها حتى خلال الحروب الدينية، عندما كانت الكنيسة مسيطرة على الأمور الدينية والدنيوية، والتي وظفت الحرب بقصد السلطة التي أرادت الاستحواذ عليها باسم الدين، لذلك أصبح الدين وسيلة وليس غاية، أما العقيدة الإسلامية فإنها على العكس تماما، فالدين في الإسلام هو الغاية والحرب هي الوسيلة لتحقيق الغاية إذا لم تنفع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وبين الحالتين فرق كبير.

فن الحرب الإسلامي لم يكن مقلدا لأحد بقدر ما كان مبدعا في الكثير من الجوانب ونابعا من خلال واقع المجتمع العربي الإسلامي وبيئته، ففي القرون الوسطى كان المجتمع الغربي طبقي (إقطاع - نبلاء - فرسان - فلاحين مقاتيلن مجبرين على القتال من أجل العيش)، وكان هناك الفرسان المدرعون والكتل الكبيرة من المشاة المجهزة بالدروع وغيرها، وكانت الحرب تعتمد على حجم الكتلة التي يمكن استخدامها في المعركة حتى تنتج الصدمة، كانت الحرب بطيئة ومحدودة، كما كانت في الكثير من الأحيان حروب دامية، كان النهب والسلب صفة مميزة لتلك الحروب، كانت المعركة تحسم نتيجة الحرب لذا ارتبطت الاستراتيجية بالتكتيك، أما المسلمين فقد انطلقوا منذ البداية من خلال مجتمع متساو غير طبقي، لا فرق بين شخص وآخر إلا بقدر إيمانه، عملوا في الحرب وفق مباديء ثابتة هي المرونه والسرعة و قابلية الحركة العالية

المتأتية من الصبر وقابيلة التحمل العالية على الجوع والعطش التي يمتاز بها أبناء الصحراء، التي أدت إلى تقليص الذيل الإداري للجيش، مع التدريب العالي على استخدام أدوات الحرب والتي كانت إحدى أسس العقيدة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)، كانت قيادة المسلمين مبنية على المرونة والإبداع، فالقيادة العامة في المدينة المنورة ثم في الشام وبغداد لها مجلس حربي يخطط ويدير الحروب ويختار القادة الأكفاء، كانت تعطي االتوجيهات للقادة الميدانيين، والتي تحوي على أهداف العملية واتجاهاتها العامة وما ينبغي عمله مع الشعوب، وتترك لهم حرية التصرف كما تقتضيه العقيدة الإسلامية، كما عملت القيادة العامة وفي كثير من الأحيان على الخطوط الخارجة كما سميت لاحقا وبدأت تلك الاستراتيجية منذ عهد الخليفة الأول (أبو بكر الصديق)(رض) عندما شكل ثلاث جيوش أوكل قيادتها إلى (عمرو بن العاص) ووجهته نحو(فلسطين) و(يزيد بن أبي سفيان) ووجهته نحو شمال بلاد الشام و(شرحبيل بن حسنة) ووجهته منطقة (الأردن)، أما الجيش الآخر فكان بقيادة (خالد بن الوليد) ووجهته (العراق)، وكما حدث في معركة (اليرموك) 13هجري عندما أرسل الخليفة (أبو بكر) قوات إضافية بعد إن شعر بتحشد الروم فأرسل قوة كبيرة بقيادة (أبو عبيدة بن الجراح)، كما أوعز إلى (خالد بن الوليد) بالحركة من (العراق) إلى بلاد (الشام) وهكذا تجمعت ثلاثة جيوش كبيرة لتصبح تحت قيادة(خالد بن الوليد) الذي تميز بتفوقه على الروم، عندما اضطر جيش الروم لمقاتلته خارج مواضعهم من خلال خدعة أجبرتهم على ترك مواضعهم، ثم تمكن من فصل مشاتهم عن فرسانهم بقيامه بفتح ثغرة في صفوفهم نفذت منها خيالته ثم أغلقها ليقضي على المشاة لوحدهم، بعدها تفرغ للخيالة التي أصبحت بموقف صعب جدا**(145)**(*). وكما حدث في معركة(نهاوند) 21 هجري التي سميت ب(فتح الفتوح) لإن نهايتها كانت نهاية الإمبراطورية الفارسية، امتازت تلك المعركة بالتقدير الاستراتيجي الدقيق للخليفة (عمر بن الخطاب) الذي اتخذ قرارالهجوم على جيش الفرس قبل إن يتمكنوا من تجميع جيشي(يزدجرد والهرمزان) ومهاجمة المسلمين،

وعهد إلى (النعمان بن مقرن) بقيادة الجيش الذي تمكن من خداع الفرس وجرهم إلى خارج حصون مدينة (نهاوند) ثم القضاء عليهم بدلا من اعتماده أسلوب حصار المدينة التي كانت تتماشى مع رغبة القيادة الفارسية بسبب طبيعة تلك التحصينات القوية وطبيعة الأرض الجبلية المحيطة بها**(146)**.

كانت استراتيجية القادة الميدانيين تعتمد على قابيلة الحركة و المباغتة والمناورة التي تستهدف عمليات الالتفاف وضرب الأجنحة والمؤخرات، مع التكتيك الذي يستند على المناوشات والهجمات القوية التي برعوا فيها معتمدين على السرعة وخفة الحركة وإجادة استخدام السلاح، جميع هذه العوامل كانت مؤطرة بالأيمان العميق بالقضية التي يقاتلون من أجلها وهي التي كانت تؤمن الحافز القوي لكل تلك العمليات وهي السر في نجاحها إضافة لكفاءة وعبقرية القادة المنفذين. ولعل ما قام به القائد المسلم الشاب محمد بن القاسم الثقفي الذي فتح بلاد السند وقاتل أكبر قوة هندية في ذلك الوقت وهو بعيد عن قاعدته بمسافة لا تقل ألفي كيلومتر دليل على العبقرية والكفاءة والإيمان التي كان يتمتع بها، كانت الشروط التي اشترطها على الحجاج لقبوله المهمة دليل على تلك العبقرية والكفاءة القتالية، طلب منه إن يكون الجيش كامل التجهيز والإعداد والمؤن حتى لا تتوقف سيرة الفتح، وإن يرافق الجيش أسطول بحري ليكون الهجوم من اتجاهين بري وبحري، وإن يواصل الجهاد والسير حتى ينتهي من فتح بلاد السند، وكان له ما أراد، فحقق بذلك حلم المسلمين بنشر الرسالة في بلاد السند إلى يومنا هذا**(147)**.

عندما نقارن كل تلك الأسس مع أسس فن الحرب التي كانت سائدة في تلك القرون نكتشف الفرق الكبير بين الحالتين ونعرف السر في انتصار المسلمين على الفرس والروم والبيزنطيين وغيرهم من الذين كانوا يمتلكون أكبر وأقوى الجيوش في العالم حجما وتنظيما وتسليحا. كان لدينا قادة خلدهم التاريخ في عبقريتهم وإنجازاتهم وفنهم الحربي المتميز، فلا يمكن إن ننسى خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والعبيدة بن الجراح والمثنى بن حارثة الشيباني ومحمد

القاسم وموسى بن نصير وطارق بن زياد وغيرهم، ولكن مما يؤسف له إن هذا الفن الحربي المتميز لم يعطى حقه من البحث والدراسة من قبل مفكري الغرب ولاسيما العسكريين منهم، رغم أهميته وتأثيره على تطور فن الحرب، وهناك أسباب كثيرة لا مجال لذكرها ضمن هذا المكان.

مع نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شهد فن الحرب تطورات كبيرة، كان سببها التطورات الاقتصادية التي أوجدتها التجمعات الرأسمالية الكبيرة والتي أصبح لها نفوذ كبير في صنع السياسة ومن الطبيعي إن تحاول تلك القوى الاقتصادية الجديدة الاستحواذ على مصادر المواد الأولية وعلى الأسواق وعلى مجالات استثمار رؤوس الأموال وعلى اليد العاملة الرخيصة، رافق كل تلك التطورات الاقتصادية تطورات تكنولوجية كبيرة كان لها تأثير على فن الحرب بكل جوانبه فقابلية الحركة تزايدت مع السكك الحديدية ووسائط النقل الجديدة**(148)**(*). وإلى جانب ذلك كانت هناك تطورات كبيرة في تكنولوجيا التسليح، حيث تم تطوير وصنع إنواع مختلفة من الأسلحة الآلية للمشاة والمدفعية وظهرت الدبابة والطائرة والأسلحة المضادة للطائرات، وكذلك البوارج الكبيرة والغواصات والغازات السامة وأجهزة الاتصال بعيدة المدى وغيرها من مختلف إنواع الأعتدة والأسلحة. ونذكر على سبيل المثال ما حصل في معركة (كوينغراتز) التي حدثت بين (النمسا) (وبروسيا) عام (1866) فقد أثبتت البندقية (درايسة) البروسية ذات الإملاء الخلفي المزودة بإبرة تفوقها على البندقية النمساوية، حيث حقق الرماة البروسيين خسائر مروعة بالنمساويين بلغت (45) ألف أصابة مقابل (9) آلاف من البروسيين**(149)**.

كل تلك المتغيرات، قلصت الزمان والمكان وجعلت من إمكانية تحقيق المباغتة الاستراتيجية من فكرة في الجانب النظري إلى بديل عملي، وما كان ممكنا سابقا على المستوى التكتيكي فقد أصبح الآن عنصرا استراتيجيا رئيسيا، وأوجد اختراع الكهرباء والهاتف والاتصالات اللاسلكية فرصا جديدة لتحسين القيادة والسيطرة وجعلها مركزية، لكنه أدى كذلك إلى حدوث مشاكل جديدة،

فالتأثير المشترك لقابليلة الحركة والاتصالات الحديثة المحسنة قد قلل بشكل كبير من الوقت المتيسر لاتخاذ القرارات الحاسمة، على الرغم من إنه زاد من حدة الضغوط النفسية على جميع مستويات صناع القرار. فالتغيرات التي لا يمكن إبطالها حدثت في الموازنة بين السيطرة السياسية والعسكرية على الحرب والعلاقة بين التعرض والدفاع ونوعية القوة البشرية المطلوبة ومعدل الاستنزاف بين الاقتصاد والمدنيين في الحرب، كما أربك التقدم التكنولوجي السريع كذلك التمييز بين ميدان المعركة والجبهة الداخلية وبين السكان المدنيين والمقاتلين كذلك. وأصبح تعديل العقائد العسكرية أمرا مألوفا تماما في مسعى لمواكبة التكنولوجيات الجديدة في مجالات الصناعة والنقل والكهرباء وصناعة التعدين والكيماويات وغيرها. كل تلك التحولات أوجدت تبدلات جذرية على فن الحرب، الذي كان منقادا إلى السياسة الجديدة للرأسمالية التي هدفها الربح المادي بالدرجة الأولى، وهذا يتطلب بالضرورة وجود جيوش كبيرة وقدرات عالية لحركة واستخدام تلك الجيوش في ميادين حرب جديدة، وتبعا لذلك زاد حجم الجيوش وأصبحت هناك جيوش الملايين،التي شكلت ما بين (10- 20%) من السكان بينما لم تتجاوز نسبتها (4-6%) خلال القرن التاسع عشر. كما امتازت الحروب بتوسع الأعمال القتالية والجبهات لتشمل دول عديدة مثلما حدث في الحرب العالمية الأولى، وأصبحت الحرب تدور في كل الظروف والأحوال الجوية وعلى مختلف إنواع الأراضي، وفي المحيطات وتحتها. وفي مقابل ذلك ظهرت الشيوعية بعد حرب ثورة أكتوبر(1917) وظهر الاتحاد السوفيتي كأكبر تجمع اشتراكي مناهض للرأسمالية، فرضت هذه التغيرات تبدلات مهمة على الفن الحربي في مجال التخطيط الاستراتيجي وتحضير مسارح العمليات التي أصبحت من أهم عوامل نجاح الاستراتيجية وكذلك نظم تعبئة القوات المسلحة وتأمين شؤونها الإدارية، كما أكدت تجربة الحروب العديدة ضرورة وجود فن العمليات كجزء من فن الحرب وفن العمليات هو الذي يبحث في أسلوب تحضير وتنفيذ العملية التي تجري بمستوى جيش أو أكثر.

من ناحية أخرى حدثت تطورات عديدة على التكتيك، في مجالات المعركة المشتركة التي شملت كل الصنوف مع حصول تغيرات على تنظيم التشكيلات الميدانية وكذلك أساليب قتالها والتي شكلت الأساس لمعارك الحرب العالمية الأولى. شهدت هذه الفترة أول تطبيق إمبريالي للحرب عندما أعلنت أمريكا الحرب على إسبانيا (1898) بقصد السيطرة على مستعمراتها في البحر الكاريبي، كانت أمريكا متفوقة على إسبانيا بعدة مرات في كل المجالات الاقتصادية والعسكرية، الأمر الذي قرر مصير الحرب لصالحها، فقد كانت السفن الحربية الأمريكية مجهزة بمدافع قوية، كما تمتاز بالتدريع القوي والمحركات القوية، وعلى العكس منها كانت السفن الحربية الإسبانية ضعيفة التسليح والتدريع، وما ساعد الأمريكان أيضا هي الانتفاضات المتكررة التي قامت بها المستعمرات الإسبانية على أمل تخلصها من الأستعمار، كان للتفوق الكمي والنوعي تأثير مهم على حسم الحرب إضافة لدور العامل الأقتصادي الذي مكن أمريكا من امتلاك السفن والمدفعية الجديدة المتفوقة و التي انتهت بسيطرة أمريكا على جزر (كوبا وبورتوريكو والفلبين وجوام). ثم حرب البوير (1899-1902) من قبل بريطانيا من أجل السيطرة على (الترانسفال وأورانجي) التي يطلق عليها (البوير الذين هم من أحفاد المهاجرين الهولندين والفرنسين وغيرهم من الأوربين) أظهرت هذه الحرب تفوق مقاتلي البوير الذين كانوا يمتلكون بنادق سريعة وذات مدبعيدة مع بعض المدافع وكانوا يتقنون فن التمويه والاستخدام الجيد للأرض(حرب العصابات) مما كبد البريطانيين خسائر كبيرة اضطرتهم في عام (1900) من حشد حولي(200) ألف رجل ضد(45) ألف، ومع كل ذلك لم يفلحوا في السيطرة عليها إلا عام (1902). ثم الحرب الروسية اليابانية (1904-1905) والتي نشبت بسبب الصراع بين الإمبراطوريتين على (كوريا)و(منشوريا)**(150)**.

أظهرت الحرب تأثير تكنولوجيا التسليح الجديد من خلال امتلاك الكميات الكبيرة من المدفعية والرشاشات والبنادق ووسائط الاتصالات (هاتف، راديو، تلغراف) على ميدان المعركة الذي اتسع بشكل كبير ولم يعد يعني مكان

الموقعة فقط، كما تأكد توفر الكثير من عناصر العملية (فن العمليات) بمستوى الجيش والجبهة التي كانت تدير تلك المعارك، كما تأكدت أهمية وجود الاحتياطات، وأهمية العمق في الدفاع الذي منع حدوث مناورات الالتفاف وضرب الأجنحة، كما أدى امتلاك الأسلحة الحديثة إلى خلق تأثير كبير على التكتيك، حيث زاد دور النيران في المعركة ولم يعد القتال بالسلاح الأبيض (الحراب) يعني شيئا مهما كما في السابق، كما انتهى دور الصفوف المتراصة عند الهجوم، وأصبح الترابط بين النار والمناورة والصدمة هو السر في نجاح المعركة ثم الحرب.

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى، ليبدء أكبر صراع اقتصادي عالمي بين الدول الكبرى (بريطانيا) التي كانت أكبر دولة استعمارية، و(فرنسا) التي كانت تمتلك مستعمرات واسعة، و(أمريكا) التي احتلت المركز الأول في الإنتاج الصناعي تليها (ألمانيا) وكلتا الدولتين لا تملكان مستعمرات كما هو حال (بريطانيا) و(فرنسا)، لذلك حاول(الألمان) إعادة تقسيم العالم من أجل الحصول على مصادر المواد الأولية والحصول على الأسواق، ومن الطبيعي إن يتعارض هذا النهج مع (بريطانيا) التي تريد الاحتفاظ بالمستعمرات وتريد تحطيم (ألمانيا) عدوها الرئيسي، و(فرنسا) التي كانت تبغي استعادة مقاطعتي (الألزاس واللورين) من(ألمانيا)، و(روسيا) التي كانت تتصارع مع (النمسا- هنكاريا) ومع (ألمانيا) من أجل السيطرة على (البلقان) لتأمين ممر بحري من البحر الأسود إلى المتوسط، وهكذا تحول الصراع الاقتصادي بين هذه الدول من أجل إعادة اقتسام ثروات العالم إلى حرب عالمية اشتركت فيها (23) دولة.

أفرزت الحرب العالمية الأولى العديد من النتائج على المستوى السياسي وعلى فن الحرب بشكل خاص، ففي المجال الاستراتيجي اعتمدت الدول المتحاربة على استراتيجية كلاوزفيتز (عدا بريطانيا التي تبنت استراتيجية الحرب غير المباشرة خارج المسرح الأوربي) لكن في المسرح الأوربي كان شأنها شأن الدول الأوربية التي اعتمدت الاستراتيجية المباشرة بالهجوم الكثيف الكاسح

لسحق القوات الرئيسية للعدو من خلال تركيز قوات متفوقة على قوات العدو الرئيسية والعمل على سحقها من خلال اعتماد مناورة ضرب الجناح أو الهجوم الجبهوي. فمثلا الخطة(17) الفرنسية كانت هجومية وهي تعتمد على الخرق الجبهوي على جبهتين من اليمين المنطقة الواقعة بين غابات(فوج وال موزيل) ومن اليسار شمالي خط (فردان - ميتز)، أما الألمان فقد تبنوا أيضا استراتيجية الهجوم كتطبيق لخطة شليفن(shlieffen)(*)**(151)** كانت الخطة تعتمد على مناورة ضرب الجناح، ولكن هذه القوة كانت صغيرة جدا لا تتناسب مع الدور المطلوب منها (*). وفي كلتا الحالتين، سرعان ما تحطمت تلك الهجمات أمام الخنادق والأسلاك الشائكة ومن ورائها الرشاشات، وبسبب السرعة في تداول الاحتياطات الدفاعية لصد الهجمات والتعويض عن الخسائر ولبطء الهجوم الذي يبدو إنه كان متعادلا مع سرعة رد فعل الدفاع، وهذا ما أعطى للدفاع ميزة كبيرة على الهجوم، عندها تحولت الحرب إلى مرحلة التوازن ثم إلى مرحلة الاستنزاف طويل الأمد. وأخيرا وكمحاولة لكسر الجمود قام الجيش الألماني بالهجوم في ربيع (1918) نتيجة فشل هجمات الحلفاء(1915-1917) ولكنه تحطم أمام دفاعات الحلفاء مما أتاح للحلفاء شن الهجوم المضاد في أوائل خريف (1918) والذي انتهى باستسلام ألمانيا.**(152)** خلال تلك الحرب تأكد صعوبة تطبيق استراتيجية القرن التاسع عشر إن لم يكن الخطأ في تطبيقها، بسبب كبر حجم الجيوش، وسعة مسارح العمليات التي شملت دولا عديدة، واستحالة كسب الحرب بموقعة أو أكثر، مع التوسع الكبير في استخدام المدفعية، والحجم الكبير للخسائر، كما تميزت الأعمال القتالية بالجمود والضعف الكبير في الجمع بين الحركة والقوة (المناورة) وتغلب الدفاع المستكن على طبيعة تلك العمليات وهذا ما وضع الأستراتيجية العسكرية في مأزق كبير، حيث تحولت الحرب إلى حرب خنادق واستنزاف، وكانت النتيجة إطالة زمن الحرب، كما تميزت تلك الحرب بكونها حرب بين أحلاف كبيرة وعلى مسارح واسعة، كان للتكنولوجيا أثرا كبيرا على تلك الحرب، من السكك الحديدية و الهاتف والتلغراف والراديو والطائرات، جميعها أدت إلى رفع

مستوى القيادة المركزية التي أصبحت تسيطر على الجيوش بشكل مركزي. كما ظهرت أهمية وجود القيادة السياسية والعسكرية السوقية (الموحدة) لإن الحرب لم تعد تهم القوات المسلحة حسب بل أصبحت تهم الشعب كله وأصبحت الدول بشعوبها وبنيتها التحتية مسارح عمليات هذه الحرب.

على مستوى فن العمليات أظهرت الحرب أهمية وجود قسم جديد لفن الحرب هو فن العمليات، الذي أخذت ملامحه تتضح مع نهاية القرن التاسع عشر ولكنه أصبح حقيقة مع نهاية هذه الحرب، رغم عدم اعتراف الغرب به لإنهم قسموا فن الحرب إلى استراتيجية عسكرية وتكتيك وكانت الاستراتيجية العسكرية تتبع الاستراتيجية العليا وهي بمثابة السياسة التي تقود الحرب في كل مجالاتها، ويكون دورها الحقيقي هو توجيه وتنسيق كل إمكانيات البلاد أو أعضاء الحلف بغية الحصول على الهدف السياسي للحرب وهي التي تنظر إلى ما وراء الحرب، أما الأستراتيجية العسكرية فهي معنية بتطبيق الأستراتيجية العليا على مستوى أدنى، وهي معنية باستخدام القوات المسلحة في الحرب، بعبارة أوضح هي وسيلة تنفيذ الأستراتيجية العليا**(153)**.

حسب اعتقادي، كان السوفيت أول من وضع أسس فن العمليات. وكان السبب في ذلك إن حروب القرن العشرين أصبحت تضم جيوش كبيرة تنتشر على جبهة واسعة، وكانت تلك الجيوش تشترك بمعارك عديدة ومختلفة تحت اسم العملية التي تتطلب تخطيطا وإدارة خاصة ومباشرة من قبل قيادة الجيش أو ما يعادله. رغم بروز مفهوم العملية التي كانت تضم عدة معارك إلا إن هذا المفهوم لم يحقق نتائج حاسمة بسبب طبيعة تلك الحرب التي تحولت إلى الدفاع شبه المستكن وعلى جبهات واسعة، وأصبح من المتعذر تنفيذ عمليات مناورة الالتفاف والإحاطة التي يمكن بواسطتها حسم المعارك بسرعة، لذا اقتصرت المناورة على عمليات الخرق للجبهات الدفاعية الثابتة، حيث تكيفت العملية مع واقع الحال وأصبحت هناك مناورة الخرق على قطاع ضيق ثم مناورة الخرق على جبهة واسعة ثم مناورة الخرق على عدة قطاعات بوقت

واحد.

في مجال التكتيك، أظهرت نتائج الحرب العالمية إن التكتيك كان متأثرا بشكل كبير بما أفرزته الأستراتيجية العسكرية على أرض الواقع، فهي من جانب كانت تؤمن بأستراتيجية (نابليون) التي كانت تستند على عاملين أساسيين هما الهجوم بأكبر حشد ناري وبشري (الكتلة+الصدمة) مع مناورة الالتفاف وضرب الأجنحة. ولكن ما جرى تطبيقه هو جزء من تلك الأستراتيجية فالألمان كانوا يحاولون الوصول إلى أعدائهم بمناورة ضرب الجناح ثم الهجوم على النقطة الحاسمة وهي الميزة الأساسية لخطة(شيلفن)، أما الفرنسيون فكانوا مؤمنين بالهجوم الأستراتيجي الجبهوي ولكن على جبهتين من أجل خرق الدفاعات المعادية، معتمدين على كثافة المشاة الذين تقع على عاتقهم مسؤولية انتزاع النصر بالسلاح الأبيض متوخين تحقيق الصدمة، ومثل هذا الهجوم يتطلب كثافة نيران كبيرة جدا لم تكن متوفرة لديهم، لإنهم لم يعطوا المدفعية أهميتها الفعلية في مثل هذه الحرب من ناحية الحجم والكثافة وكان دورها ثانويا قياسا للمشاة، على العكس منهم كان الألمان مهيئين لمواجهة مثل هذه الحشود بكثافة نارية كبيرة جدا من ناحيتي الحجم والنوع، وهكذا تحولت الحرب إلى مجزرة بين الطرفين، وكانت نتيجتها تحول الحرب إلى شكل الدفاع الذي أصبح ميزة هذه الحرب وبدا، وكإنه أقوى من الهجوم بعد إن استهلكت أغلب الاحتياطات وأصبحت حرب استنزاف. وكان التكتيك أسير هذا الواقع الذي فرض عليه، رغم العديد من المحاولات التي كانت تهدف إلى التغلب على المأزق، وبسبب الحاجة إلى إيجاد حلول على المستوى التكتيكي، شهدت المدفعية تطورات في مجالات زيادة كمية النيران والحجم والنوع وتطوير أساليب الاستخدام، أما المشاة فلقد تم زيادة قدرتها النارية من خلال استخدام الرشاشات والأسلحة الأتوماتيكية وتغيرت تشكيلاتها وأساليب قتالها التكتيكية عدة مرات لتوائم تطورات التسليح الجديد، كما قل عددها قياسا لما كانت عليه عند دخول الحرب. كان لظهور الدبابة كسلاح جديد تأثير قليل على التكتيك في بداية الحرب ولكنه تحسن بعد معركة (كامبري)(1917)**(154)**(1).

وأصبحت الدبابة تشارك المشاة في الهجوم بالاستفادة من نيرانها التي كانت تعوض عن المدفعية في تقديم الإسناد المباشر، ولكن استخدامها لم يتطور للقيام بمناورات عميقة بسبب غياب النظرية العلمية لتنظيم واستخدام هذا السلاح سواء على المستوى الاستراتيجي أو التكتيكي. كما استخدمت الغازات السامة ضمن مجال التكتيك للمساهمة في تذليل عمليات خرق الدفاعات. كما تحسن دور الهندسة العسكرية تحسنا كبيرا لمجاراة المتطالبات التكتيكية خصوصا لتعزيز المواضع الدفاعية التي كانت بحاجة دائمة إلى تطوير قدرات الصد والإعاقة للقوات المهاجمة. أما القوة الجوية فكان دورها محدودا في بداية الحرب ولكنه توسع مع نهايتها حيث أصبحت تقدم الإسناد للتشكيلات المدافعة بحمايتها من الطيران المعادي وضرب مواضع المدفعية، وفي كل الأحوال لم يتعد دورها الحدود التكتيكية(**155**).

خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية جرت العديد من الدراسات حول نتائج الحرب وما ظهر فيها من سلبيات كثيرة. وظهرت على أثرها آراء ونظريات ومذاهب مختلفة، كما وقعت خلال الثلاثينيات ثلاث حروب هي الحرب الإيطالية الحبشية وهي حرب هدفها استعمار الحبشة ولم تكن حرب متكافئة بين الطرفين، والحرب اليابانية الصينية التي امتدت على مساحات شاسعة وفي ظروف انعدام الجبهة المتصلة وفقدان التجهيز الفني وخاصة لدى الجيش الصيني. ثم الحرب الإسبانية التي كانت حربا صغيرة من حيث مستواها، ولم تعطي صورة كاملة عن الصراع بين جيوش كبيرة. لذلك لم تقدم تلك الحروب نتائج مهمة لفن الحرب بقدرما قدمت نتائج لبعض المسائل الخاصة(في مجال الحرب الشعبية وقتال العصابات). كان هناك تصور لدى الدول الكبرى بإن الحرب المقبلة هي أمرا محتملا جدا بسبب ما أفرزته الحرب الأولى من نتائج بعد معاهدة الصلح التي أبرمت بين ألمانيا والحلفاء، وما حدث من تطورات على الاقتصاد و الصناعات العسكرية خصوصا لدى ألمانيا التي كانت من أكبر المتضررين في الحرب، كما توقعوا إن تشمل الحرب كل الشعب والاقتصاد بأكمله، أي ستكون حرب شاملة تشمل البر والبحر والجو،

وهذا ما دعى تلك الدول إلى التركيز وتحضير البلاد للحرب بكل جوانبها، كما أدى التطور الكبير الذي حدث على الدروع والطائرات إلى اعتماد مذاهب قتالية جديدة لدى تلك الدول خصوصا لدى الألمان والفرنسين. كانت نظرية الحرب الألمانية مبنية على أساس الحرب الشاملة التي وضعت مبادئها من قبل لودندورف (*)**(156)**. في كتابه الحرب الشاملة التي تدعوا إلى تحويل الحياة بكاملها (اقتصادية - سياسية) لخدمة الحرب وإن هدف الحرب هو سحق وتدمير العدو تدميرا كاملا دون رحمة أو شفقة وبلا حدود **(157)** كما أكد على المفاجأة في الحرب وإن تعلن دون سابق إنذار لتحقيق المباغتة. كما كانت نظرية (نظرية شيلفن) التي وضعت قبل الحرب العالمية الأولى رغم فشلها في تلك الحرب، ولكن الألمان اعتبروها صحيحة في ظروف الاستخدام المكثف للدروع والطائرات، وبناءا على هذه النظرية بنيت استراتيجية الحرب الصاعقة أو الخاطفة والتي اعتبرت عمليات التطويق والتدمير هي النوع الرئيسي من فن العمليات الحربية، والتي تستهدف توجيه ضربة أولية قوية على تجمعات العدو الرئيسية بعد تجزئتها ثم تطوير الهجوم إلى العمق بالتعاون مع القوة الجوية ووحدات الإنزال الجوي، والتي طبقت في أول هجوم ألماني مفاجىء على بولندا أيلول(1939)، أما الفرنسيون فكان تصورهم على خلاف الألمان فهم كانوا متأثرين بالانتصار الذي حققه الجيش الفرنسي في الحرب الأولى واعتبروا إن النظريات الاستراتيجية والعملياتة التي طبقت لا تزال صالحة، واستنادا لذلك توقعوا إن تكون الحرب المقبلة حرب ثابتة (دفاعية) وستكون استراتيجيتهم مبنية على إنهاك العدو من خلال العمليات الدفاعية ريثما يصل الحلفاء، ومن ثم شن الهجوم عليه. لذلك كان تركيزهم على المشاة والمدفعية مع إهمال دور الدروع، وبناءا على ذلك قاموا بتشييد خط ماجينو الدفاعي المشهور في عام (1929) الذي امتد من الحدود السويسرية في الجنوب إلى الحدود البلجيكية في الشمال(360كم) ليتواصل مع الخط البلجيكي المحصن الممتد من(مدن نامور ولييج وإنفريين)، معتقدين إن هذا الخط المحصن يمكن إن يشكل حاجز قوي أمام القوات الألمانية. أما الإنجليز فلم يكونوا بعيدين عن

الفكر الفرنسي في الكثير من الجوانب خصوصا إهمال الدروع**(158)**. وبالنسبة للأمريكان فإنهم لم يكونوا مهتمين بغير الصناعة القوية التي ساهمت لاحقا في تكوين الجيوش الكبيرة بعد ابتداء الحرب والتي كان لها الدور الفاعل في تغير مسار الحرب مع التركيز على القوة البحرية من أجل تامين السيطرة على المحيطين الهادي والأطلسي، وتامين نقاط ارتكاز قوية (قواعد) في الأماكن الاستراتيجية المهمة من العالم. وتبعا لهذه الاستراتيجيات وضعت أسس العمليات والتكتيك لمرحلة الحرب المقبلة. ثم دخلت الحرب وفق شروطها بعد وصول بريطانيا إلى حالة الإنهاك.

خلال الحرب العالمية الثانية تميز فن الحرب بجملة عوامل مهمة أهمها: في المجال الاستراتيجي طبقت ألمانيا استراتيجية الحرب الصاعقة التي وضعت أسسها قبل الحرب، ولقد نجحت هذه الاستراتيجية التي اعتمدت على الضربة الأولية القوية المفاجئة بالدروع والقوة الجوية خلال الهجمات التي شنتها على بولونيا وأوروبا الوسطى والبلقان وروسيا خلال الفترة من(1939-1941)، وكانت المناورة (القوة + الحركة) هي مفتاح نجاح فن العمليات خلال تلك المرحلة، وهي على عكس استراتيجية دول أوروبا التي اعتمدت على الدفاع القوي المسند بقوة نارية كبيرة، وهي كما ذكرنا امتداد لخبرة القرن التاسع عشر والحرب الأولى. ولكن الأستراتيجية الألمانية لم تنجح في المراحل اللاحقة خصوصا خارج أوروبا في شمال إفريقيا ثم روسيا لاحقا والتي كانت بمثابة أكبر خطأ استراتيجي ارتكبته القيادة الألمانية مما أدى بها إلى تغيير استراتيجيتها والتحول إلى الدفاع اضطرارا منذ عام (1943)**(159)**.

أما الاستراتيجية الإنجلو - أمريكية فقد تميزت بكونها اعتمدت على خوض صراع مسلح على مسارح عمليات متعددة في وقت واحد مسرح المحيط الهادي، مسرح البحر الأبيض المتوسط، مسرح أوروبا الغربية وغيرها مع التركيز على المسرح الأوربي كأسبقية أولى، وقد أدى ذلك إلى تعقيد كبير في خطط الحرب وفي تنسيق عمل القوات وتوحيد الجهود إضافة إلى مشاكل

القيادة والسيطرة، كما اعتمدت استراتيجية الدفاع منذ بداية الحرب وحتى نهاية عام (1942)، حتى يتم إنهاك الألمان والاتحاد السوفيتي معا، ثم القيام بالإنزال في أوروبا لحسم الموقف مع ألمانيا، مع القيام بأعمال هجومية في المحيط الهادي بقصد احتلال الجزر المختلفة لتشكيل رأس جسر أولي يمهد للهجوم الكبير الذي يستهدف تدمير القوات اليابانية بعد حسم الموقف في أوروبا. والخلاصة إن تلك الاستراتيجية لم تكن تؤمن بالحسم السريع بل تعتمد على عمليات الإنهاك البطيء (الحرب الطويلة) معتمدين على التفوق الاقتصادي والعسكري خصوصا الأمريكي. وهي عكس استراتيجية الألمان التي كانت تؤمن بالحرب السريعة القصيرة التي تستهدف قوات العدو وكل مرتكزاته الاقتصاية.

أما الاتحاد السوفيتي فهو الآخر تعرض إلى هجوم شامل مفاجىء من قبل الألمان، وضعهم في موقف استراتيجي صعب جدا، ولم يكن أمامهم سوى القبول بمبدأ التخلي عن الأرض والقتال التراجعي إلى العمق مستغلين عمق أراضي الاتحاد السوفيتي والظروف المناخية المواتية في فصل الشتاء ريثما تتوفر الإمكانية للتحول إلى الهجوم، ويبدو إن السوفيت لجأوا إلى نفس استراتيجية الحلفاء وهي استراتيجية الإنهاك ليس كخيار مخطط له بل مضطرين إليه، (يبدو إنهم استحضروا خبرة الغزو النابوليوني) الإنهاك من خلال(العمق + المناخ)، وهي على عكس استراتيجية الألمان الذين كانوا يريدون حسم الحرب بسرعة. كان الروس بعد ما قاسوه من الألمان من أشد المؤمنين بالسلاح المدرع والقوة الجوية وهم مثل الألمان إنتجوا عشرات الآلاف من الدبابات والطائرات خلال المرحلة الدفاعية ومنها شكلوا فرق وجيوش مدرعة ومئات الأسراب من الطائرات التي عملت مع كتل الدروع في المعارك الهجومية والتي كان لها الدور الحاسم في دحر الألمان، مع إضافة عنصر آخر وهو حرب الإنصار التي كانت بمثابة الجزء المساند للتشكيلات المدرعة، ولقد نجح الطرفان الروس والحلفاء في المعارك الاستراتيجية الكبرى من خلال الحشد الكبير للقوات(القوة النارية + الحركة) في تدمير القوات

الألمانية.

من ذلك نجد إن تعارض الاستراتيجيات بين الألمان وخصومهم خلال مراحل الحرب، هي السبب في نجاح الحلفاء وخسارة ألمانيا الحرب إضافة إلى عوامل أخرى عديدة. رغم صحة المذهب القتالي الألماني الذي أصبح بمثابة الحافز لتلك الدول لاعتماده كأستراتيجية، مكنتهم من شن الهجمات المعاكسة على الألمان وتدميرهم، وفي هذا الموقف لابد وإن نستذكر قول صن تسو: (لاتوجد هناك دولة استفادت من الحرب الطويلة).

أما في مجال فن العميات فقد كان الألمان بارعين في عمليات المناورة (الإحاطة - الالتفاف)خلال أغلب مراحل الحرب حتى عندما تحولوا إلى الدفاع، أما الحلفاء فإنهم بعد تحولهم إلى الهجوم كانو يعتنقون مذهب الحرب الميكانيكية التي وضع أسسها(فولر) في كتابه الحرب الميكانيكية الذي نشره عام (1942) بعد هزيمة(رومل) والتي كانت امتدادا لأفكار (كلاوزفيتز) الذي كان يعتبر الهجوم هو الذي يقرر مصير المعركة مع تأمين التفوق المادي والمعنوي، أما الدفاع فهو يشكل دوما أقوى شكل للحرب، ولكن ليس له إلا غاية سلبية. كانت نظريته في المجال الاستراتيجي تعتمد على ثلاثة أبعاد هي القوة الجوية وقواعدها التي يجب المحافظة عليها والسرعة والقوة، وفي المجال التكتيكي (التعبوي) ركز على دور الآلية المدرعة التي يجب إن لا تبقى سلاح تكملة أو ساندا بل ينبغي إن تتشكل ضمن عمل جماعي (تشكيلات مدرعة) لتكون أداة للاختراق والاستثمار بالعمق**(160)**.

كما برع السوفيت أيضا في تطبيق فن العمليات خصوصا عندما تحولوا إلى الهجوم منذ شتاء (1941-1942) رغم تحولهم إلى الدفاع عدة مرات حتى عام (1944) عندما تحولوا إلى الهجوم وحتى نهاية الحرب. كان السوفيت هم أول من وضع أسس فن العمليات للعمليات الهجومية التي استهدفت خرق الدفاعات الثابتة من خلال تركيز النيران والخرق العميق بإنساق متعاقبة، كما نجحوا في عمليات التطويق وتدمير التجمعات الكبيرة والتي برزت خصوصا

خلال الهجوم المعاكس قرب ستالينغراد نهاية (1942) والتي أصبحت من سمات فن العمليات الهجومية السوفيتية، كما تميز الروس قرب نهاية الحرب بقوة الصدمة التي كانت تحدثها الكتلة الكبيرة من الدروع والمدفعية وباقي الأسلحة الساندة مع تطبيقهم المناورة على شكل المروحة وهي (المناورة على شكل حرف x) وهي الهجوم بالدروع على جبهة واسعة والخرق العميق في عدة أماكن ثم الالتقاء في نقطة التقاء بعيدة في العمق لاستغلال الوضع الذي تصبح عليه القوات المدافعة **(161)**.

أما العمليات الدفاعية فلقد لجأ اليها السوفيت من بداية الحرب عام (1941) وكانت دفاعاتهم ضعيفة بسبب سعة الجبهة وقلة الإمكانات مما أعطى المجال للألمان من القيام بعمليات الإحاطة وضرب الأجنحة، كما أهملوا الدفاع المضاد للدبابات والذي كلفهم الكثير، ولكنهم تلافوا نقاط الضعف تدريجيا وكانت معركة كورسك(1943) خير مثال على العملية الدفاعية الناجحة والتي استخدمت فيها الدروع بحجم فيالق وفرق.

خلال هذه الحرب برز الدور الكبير للقوة الجوية لكل الأطراف المشاركة بالحرب سواء من خلال عمليات الإسناد القريب للقوات الأرضية والتي كان لها الدور الرئيس في مساعدة القوات المدرعة الألمانية بشكل خاص على تنفيذ الحرب الخاطفة، أو عمليات التجريد المتوسط والعميق والذي نفذه الطيران الاستراتيجي الذي استهدف الأحتياطات ومراكز الأدامة والتموين وخطوط الموصلات وعقد الدفاع الجوي والمنشأت الاقتصادية خصوصا الصناعات الحربية والذي ظهر تأثيره بشكل واضح خلال الهجوم على ألمانيا.

كما برز دور السلاح النووي عندما ألقيت قنبلتان ذريتان على هيروشيما وناكازاكي وأدت إلى استسلام اليابان، ولكن ظهور هذا السلاح كان متأخرا مع نهاية الحرب لذا لم يظهر مذهب قتالي خاص به سوى في مجال التخريب والحجم الكبير للخسائر البشرية الذي أحدثته.

والأمر المهم الآخر الذي ظهر خلال الحرب الثانية والذي كان له تأثير واضح على فن الحرب باتجاهين إيجابي (مساند) وسلبي (مخرب)، هو ما سمي بالحرب الخفية والتي تجمع بين حرب الإنصار، العصابات، صحافة خفية هدفها شن الحرب النفسية، شبكات استخبارية عسكرية، سياسية، اقتصادية. تنظيمات سياسية، منها ما كان يعمل لمؤازرة الجهد العسكري الوطني في مراحل الدفاع تجاه العدوان ومنها ما كان يعمل على التخريب وزرع الفتن والحرب النفسية لدى الدول الأخرى سواء خلال الحرب أو السلم، وكانت تجارب دول المحور والحلفاء زاخرة بأمثلة عديدة لكل هذه الحالات وغيرها.

المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية أظهرت العديد من الدروس والخبرات كما سببت الحرب تدمير دول (ألمانيا واليابان) وإضعاف أخرى (بريطانيا وفرنسا) وظهور قوى جديدة (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي. ومن الطبيعي إن تترك تلك الحرب تأثيرات كبيرة على فن الحرب بكل أقسامه. أما أهم ما تميز به فن الحرب خلال الفترة التي تلت الحرب فهي كما يلي:

1 - ظهور فكرة الدفاع المشترك بين الدول التي خاضت الحرب بعد إن توصلت إلى نتيجة وهي صعوبة خوض حرب بشكل منفرد بين دول منفردة بسبب النتائج التي أصابت دول أوروبا الواحدة تلو الأخرى وخسارتها الحرب علي يد الألمان ودول المحور، الذي لم يوقف زحفهم وبالتالي هزيمتهم غير التحالف بين الدول، إضافة لما تتطلبه الحرب من قدرات اقتصادية كبيرة بسبب التطورات التكنولوجية الكبيرة التي طرأت على منظومات الأسلحة المختلفة. وكانت البداية توقيع معاهدة بروكسل بين (بلجيكا، فرنسا، اللوكسمبورغ، هولندا، بريطانيا) في آذار (1948)، على أثرالانقلاب الشيوعي في براغ شباط (1948) ثم تحولت إلى اسم منظمة دفاع الأتحاد الغربي ثم تحول الاتحاد إلى اسم حلف شمال الأطلسي الذي تم التوقيع عليه في نيسان(1949) من قبل

دول الأتحاد الغربي والولايات المتحدة وكندا والدانمارك وإيطاليا والنرويج والبرتغال ثم اليونان وتركيا عام(1952)، كانت غايته تأمين الدفاع المسلح عن الدول الأعضاء في حالة وقوع الاعتداء على أحدها من قبل الاتحاد السوفيتي. وأصبح لتلك المنظمة قيادة سياسية عسكرية تعنى العسكرية منها بتنسيق السياسات العسكرية للدول الأعضاء وكذلك تجهيز وتدريب القوات الموضوعة تحت تصرف الحلف، كما اعتمدت استراتيجية خاصة بالحلف بدايتها كانت استراتيجية الدرع والسيف، وفكرته إن الدرع هو عبارة عن مجموعة من التشكيلات الكبرى المدرعة (كانت بحدود 30 فرقة) بالذات معززة بأسلحة تكتيكية ذرية تعبوية تسندها قوة جوية، مهمتها الدفاع تجاه الاتحاد السوفيتي إذا ما حصل أي احتكاك معه، أما السيف فهو السلاح الذري المؤلف من قيادة الجو الاستراتيجية الأمريكية وقيادة القصف الجوي البريطانية ومهمته الرد بسرعة وعنف بهجوم ذري إذا ما تطلب الموقف**(162)**. كما وقعت عدة معاهدات بين الولايات المتحدة واليابان عام (1952) ومعاهدة الأمن المتبادل مع كوريا الجنوبية عام (1953)، ثم حلف جنوب شرق آسيا عام، (1954)وحلف بغداد عام(1955)، كل ذلك كان يمثل أستراتيجية الاحتواء التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية خلال مرحلة الخمسينيات. **(163)** أما
الأتحاد السوفيتي فقد سار بنفس الأتجاه وإنشأ حلف وارشو الذي ضم كل الدول الاشتراكية التي كانت تحت الهيمنة الفعلية للأتحاد السوفيتي، وكان للحلف أيضا قيادة سياسية عسكرية وقوات مسلحة كبيرة، وكان لها استراتيجية خاصة لمجابهة حلف شمال الأطلسي. وكان يعتمد على قواته التقليدية لمواجهة الغرب حتى نهاية الخمسينيات، ولكن استراتيجيته تطورت فورا بعد امتلاكه للسلاح النوي عام(1949) فتحول إلى الاستراتيجية النووية، التي حققت نوع من التوازن بين الكتلتين.

2 - من بعد امتلاك الاتحاد السوفيتي القنبلة الهايدروجينية قبل أمريكا ظهرت استراتيجية الرد الشامل أو الانتقام الشامل في عام(1954) (التهديد بتصعيد الصراع في أي حرب محلية إلى مستوى الحرب الذرية) كان هدف تلك

الاستراتيجية خلق الخوف والذعر والضغط على الأتحاد السوفيتي للحد من دعم الحركات الثورية في العالم. ثم جاء دور الصواريخ العابرة للقارات والأقمار الصناعية لتحدث تغيرا كبير على استراتيجية الرد الشامل أو غيرها، حيث أصبحت أراضي الحلفين تحت رحمة الصواريخ النووية العابرة للقارات، ولم يعد للقوة الجوية ذلك الدور الكبير الذي كانت عليه خلال المراحل السابقة. ونتيجة سباق التسلح بين الطرفين، أصبح لديهما شبكة ضخمة من الصواريخ محددة الأهداف، عندها جاء التفكير بأستراتيجية الضربة الأولى أو الاستباقية، ولكنها لم تكن ممكنة من الناحية الواقعية لإن الطرف الأخر ستبقى لديه القدرة لتوجيه الضربة الثانية، عندها جرى التحول إلى استرايجية الردع والتي سميت بالرد المرن والردع المتدرج (كل إجراء معاد يواجه برد مناسب عن طريق استخدام قوة كافية لردعه ولكن ليس أكثر من القوة الضرورية للحيلولة دون التصعيد) وبقيت هذه الاستراتيجية حتى عام(1980)، بعدها جاءت مرحلة استراتيجية حرب النجوم التي تعني الصواريخ ضد الصواريخ والتي تطلبت نفقات هائلة وأدخلت الاتحاد السوفيتي إلى مرحلة الاستنزاف، والتي كانت أحد الأسباب الرئيسية لانهياره خلال الفترة ما بين (1990 - 1991). خلال كل تلك الفترة كانت تدور حرب باردة بين الكتلتين. بعدها خرجت أمريكا الدولة العضمى الكبرى في العالم. لتبدأ مرحلة إقامة نظام عالمي أحادي القطبية الذي حاولت إقامته ولكنها لم تفلح لأسباب عديدة، حتى جاء عام(2001) لتبدأ مرحلة استراتيجية جديدة من بعد(11 أيلول) هي استراتيجية الحرب على الإرهاب التي لاتزال قائمة لحد الآن والتي أخذت أبعادا وأشكالا متعددة، منها استراتيجيات الحرب على الإرهاب(من نتائجها احتلال أفغانستان والعراق، وتهديد دول أخرى إما بالحرب أو بخلق الفتن والحروب الأهلية أو الحصار وغيرها تحت مظلة مكافحة الإرهاب) ومنها استراتيجات الإرهاب التي أصبحت شكلا جديدا من أشكال الاستراتيجية المضادة، التي تستخدمها بعض الدول كوسيلة دفاعية في درء العدوان أو بقصد الهيمنة كما يجري حاليا من قبل بعض دول الشرق الأوسط.

في مجال فن العمليات والتكتيك حدثت تطورات عديدة على أثر تجارب الحرب العالمية الثانية والتي كانت تشكل حلولا للمعاضل التي واجهتها القوات سواء المهاجمة أو المدافعة. فالدبابات أصبحت أكثر تدريعا وسرعة وأبعد مدى عمل، وأكثر دقة في إصابة الهدف مع قدرة نارية كبيرة، وسلاح المشاة الذي امتلك أسلحة أتوماتيكية سريعة وخفيفة ومؤثرة وسلاح المدفعية أصبح ذات مدى بعيد مع دقة نارية عالية، وقابلية حركة مواكبة لعمل الدروع. كما تطور دور القوات الخاصة والمحمولة مع تطور السمتيات التي أصبحت تشكل البعد الثالث في المعركة البرية، والتي كان لها دور كبير في المعارك التي جرت في فيتنام وكوريا وأفغانستان والعراق وغيرها سواء في مقاتلة الدروع أو الإسناد أو الصولات الجوية، أما القوة الجوية فقد تطورت تطورا كبيرا من ناحية النوع والتسليح والمدى ودقة الإصابة، وأصبح لها دور مهم وفاعل في عمليات الإسناد والتجريد، رافق ذلك تطورات في منظومات الكشف والمراقبة الجوية والأرضية ووسائل الاتصالات الإلكترونية الحديثة ومنظومات القيادة والسيطرة الإلكترونية، كل تلك التطورات التكنولوجية أثرت وبشكل كبير على فن العمليات والتكتيك، فالجيوش الحديثة أصبحت أغلبها ميكانيكية وهذا ما عزز إمكانية المناورة البعيدة والعميقة، التي تستهدف عمليات الإحاطة والالتفاف البعيدة، وأصبحت المناورة (الحركة + القوة النارية) هي قانون القتال لمرحلة الحرب الحديثة. كما أصبحت عملية خرق الدفاعات المحصنة ممكنة مع الوسائل النارية الكبيرة، وهذا مما أدى إلى تقليل دور عنصر المشاة الذي لم يعد دوره تحقيق الصدمة بقدر ما أصبح دوره مساعدة الدروع وحمايتها خلال مراحل القتال القريب والسيطرة على الأماكن المحتلة. كما أصبح بالإمكان القيام بالعمليات ليلا ونهارا بعد إن تطورت وسائل الرؤيا المحدودة والعمل في كل الظروف والأحوال، كما أصبح دور الحرب الإلكترونية مهما جدا في القتال خصوصا في مجال القيادة والسيطرة، أو الحرب الإلكترونية المضادة، تبعا لكل تلك المتغيرات على التسليح حدثت تغيرات على تنظيم الوحدات والتشكيلات المقاتلة حيث جرى تقليل العنصر البشري وزاد

الاعتماد على النوعية القادرة على استيعاب التكنولوجيا الحديثة، لذا لم يعد التجنيد الإجباري مفيدا للجيوش الحديثة، كما تغيرت أساليب القتال التعبوي للتشكيلات المدرعة والمشاة والصنوف الأخرى وأصبحت المعركة الحديثة هي المعركة المشتركة لكل القوات (جوية - برية) وصنوفها. كل تلك المتغيرات أصبحت ممكنة خلال الحرب التقليدية أما الحرب (الشاملة، نووية كيماوية،جرثومية) فهناك تغيرات على التكتيك في مجالي الوقاية والقتال وأصبح التركيز على عمليات الاستثمار السريع للضربات النووية التكيكية التي يمكن إن تاخذ دور المدفعية تجاه الأماكن المحصنة والمعقدة، ومن أجل حسم المعركة، أصبحت السرعة هي الأساس في أساليب القتال. والشيء المهم الذي طرأ على فن العمليات والتكتيك هو إنهما لم يعودا يمثلان غاية الاستراتيجية العسكرية من خلال الموقعة والمعركة التي تستهدف تدمير الجيش المعادي، بل أصبحا مكملان للاستراتيجية العسكرية التي أخذت تستهدف قوى الدولة ومرتكزاتها الاقتصادية وعموم شعبها، من أجل كسر إرادة الصمود وبالتالي وضع الجيش المعادي بموقف لا يستطيع معه المقاومة، وكما حدث في حربي الخليج الثانية والثالثة مع العراق، عندما حسمت الاستراتيجية العسكرية الموقف الاستراتيجي العام لصالح قوى التحالف وما بقي على فن العمليات سوى استثمار تلك النتائج.

وفي ظروف الحرب الحديثة يمكن اعتبار الحرب الشعبية أو قتال العصابات هي الاستثناء المهم لفن الحرب، ذلك إن الفن المستخدم في هذه الحروب لم يفقد قيمته رغم كل التطورات التكنولوجية التي طرأت على وسائل القتال، ولعل المثال الفيتنامي والأفغاني مع السوفيت ومع أمريكا حاليا والعراق خير دليل على ذلك.

وحتى نحقق الربط الدقيق بين التطورات التاريخية لفن الحرب لابد وان نقف على ما يعنيه مصطلح فن الحرب، من وجهة نظر عدد من الباحثين والمفكرين وكما يلي:

1 - هناك باحثون ومفكرون يطلقون تسمية فن الحرب على كل ما له علاقة بالحرب في مختلف نشاطاتها (تخطيطا وتنفيذا وإدارة) معتبرين إن مصطلح الفن يغطي كل جوانب الحرب، وإن هذا الفن له مبادئه الخاصة التي تستنبط من كل حالة وقد لا تتكرر في حالات أخرى، لذلك أصبحت تلك المبادىء بمثابة الدليل الذي يسترشد به وحكمها ليس كحكم القوانين العلمية، أما الرأي الذي ينظر إلى الحرب كعلم فهو ينظر اليها ليست مجرد ظاهرة عرضية عابرة، بل هي ظاهرة وأحداث لابد وإن تخضع للقياس العلمي ولكن ليس كقوانين المادة التي هي بالأصل متكررة و ثابتة، فالحرب مثل التاريخ ومثل علم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد، لابد وإن تخضع للدراسة العلمية، التي تشمل دراسة كل ظاهرة ومعرفة مدى تأثيرها على الحاضر والمستقبل، ومن ثم معالجتها بالرغم من كونها قد لا تتكرر، ولكون الحرب لم تعد تعني الاشتباك بين طرفين من أجل إن يدمر أحدهما الأخر بالاعتماد على قدرات وعبقرية القادة التي يعبر عنها سابقا بالفن الحربي، بل أصبحت بمفهومها الحديث تعني الاقتصاد بكل فروعه وتعني علم الاجتماع وتعني علم النفس وتعني الفيزياء والكيمياء والرياضيات وتعني التكنولوجيا بأغلب تفراعاتها وهي جميعها علوم لها قواعدها العلمية، ولكنها تصبح لها قواعدها الخاصة عندما تستخدم مع الحرب، لذلك يمكن القول إن الحرب الحديثة هي فن وعلم بنفس الوقت، ولكون مصطلح فن الحرب أصبح مصطلحا شائعا وله مدلولاته ومفاهيمه لذا سنقتصر على هذه التسمية خلال هذا المبحث مع ملاحظة ما يعنيه كعلم وفن.

2 - قدم(كلاوزفيتز) تعريفا لفن الحرب بعد إن تطرق إلى القتال ومتطلباته من أسلحة وتجهيزات وكيف إن القتال أوجب وجود نوع معين من الأسلحة والتجهيزات، كما إن هذه الأسلحة والمعدات قامت بدرورها بتعديل القتال وتطويره ثم توصل إلى إن هناك عمل متبادل بين الاثنين وخلال عرضه وتحليله لهذه الأراء تطرق إلى تعريف فن الحرب فيقول (ففن الحرب هو إذن فن معرفة استخدام وسائل معينة في القتال بالمعنى الدقيق ونحن لا نستطيع

إن نجد له تسمية أفضل من تسمية فن إدارة الحرب. والحقيقة إن فن الحرب هو من ناحية أخرى فن يشتمل عل كل النشاطات التي تسببها الحرب، ومنها عملية إنشاء القوات المسلحة، أي العملية التي تتضمن التجنيد والتسليح والتجهيز والتدريب)**(164)**. ثم يقوم ببيان المقصود بإدارة الحرب فيقول (فإدارة الحرب إذن هي ترتيب القتال وإدارته. ولو كان القتال يشتمل على عمل واحد لوجدنا إن أي تقسيم إضافي لا معنى له، إلا إن القتال يتضمن عملا أو عدة أعمال متميزة عن بعضها البعض وتشكل مجموعا واحدا وتدعى اشتباكات. وكما أبرزنا في الفصل الأول من الكتاب الأول فإنها تشكل وحدات جديدة وهذا ما ولد هذا النشاط المختلف، الذي يشتمل على ترتيب وإدارة هذه الاشتباكات المتميزة والتنسيق فيما بينها لغرض الحرب. وقد سمي النشاط الأول بالتكتيك كما سمي النشاط الآخر بالاستراتيجية) **(165)** ويبدو من هذا التحديد لمفهوم فن الحرب أو فن إدارة الحرب إن(كلاوزفيتز) ركز على كل ما يتعلق بالقتال وإدارته فقط، أما ما يسبق القتال من تهيئة وتحضير فإنه يستبعدها من هذا المفهوم وقد حدد ذلك بقوله (فمن حقنا إن نستبعد من الفن العسكري بالمعنى الضيق لإدارة الحرب نفسها كل نشاط أولي، كما نحن ملزمون أيضا كي ما تلعب النظرية دورها الأساسي إن نميز كل ما هو مختلف عنها. فلماذ ندخل في صلب إدارة الحرب قائمة طويلة بمختلف خدمات التموين والإدارة المرتبطة ارتباطا ثابتا متبادلا مع استخدام القطعات، بينما هي في الواقع من طبيعة مختلفة كل الاختلاف) مع تقديرنا لهذا الرأي فنحن نعتقد إن فن الحرب يعني القتال وما يسبق القتال من تهيئة وتحضيرات لإنها أساس نجاح القتال، أما المتطلبات الإدارية فهي الأخرى لابد وإن تدخل ضمن متطلبات فن الحرب حتى إن بعض الجيوش اعتبرت الشؤون الإدارية أحد مبادىء الحرب كالفرنسيين. **(166)**

3 - أما(إندريه بوفر) فقد توصل إلى مفهوم فن الحرب أو الفن العسكري على حد تعبيره عند محاولته لإعطاء تعريف للاستراتيجية فيقول (الاستراتيجية هي فن استخدام القوة للوصول إلى أهداف السياسة، ويحمل هذا التعريف في

طياته عيبا هو إنه يتعلق بالفن العسكري عامة، لذا يفضل تقسيم هذا الفن إلى استراتيجية وتكتيك مع إضافة قسم جديد ظهر في الآونة الأخيرة وهو الشؤون الأدارية "اللوجيستيكية")**(167)**، وبهذه المحاولة قام بإعطاء تعريف لفن الحرب كما اعتبر إن هذا الفن يشمل ثلاثة فروع رئيسية هي الاستراتيجية والتكتيك والشؤون الإدارية.

4 - أما الجنرال(ستروكوف) فقد أعطى مفهوما دقيقا وواضحا لفن الحرب وفروعه الرئيسية ويذكر في هذا المجال (يتألف فن الحرب من ثلاثة فروع هي، الاستراتيجية، فن العمليات، التكتيك. وهو يهتم بدراسة أساليب وأشكال خوض الحرب والصراع المسلح بشكل عام "الاستراتيجية " وأيضا خوض الأعمال الحربية أو القتالية " فن العمليات والتكتيك " كما يضم أيضا النظرية المتعلقة بذلك أي القوانين الموضوعية للاستراتيجية، وفن العمليات والتكتيك وكذلك النشاط العملي الخلاق للقوات المسلحة بإنواعها المختلفة والموجه للحصول على النصر في الحرب)**(168)**

ثم يمضي في القول (إن نظرية فن الحرب هي أسلوب من المعارف عن القوانين الموضوعية لأساليب وأشكال خوض الأعمال الحربية والحرب بالكامل، وهي أيضا الخبرة المعممة للقوات المسلحة. ويكشف هذا الفن طابع خوض المعركة والعملية والصراع المسلح بالكامل وفي الوقت نفسه يعتبر هذا الفن أساس النشاط العملي الخلاق للقوات المسلحة)**(169)**.

من كل ما مر يمكن إن نخلص إلى نتيجة واحدة وهي إن فن الحرب ما هو إلا الدراسات النظرية التي تهتم بأساليب القتال وخوض الحرب في كافة الجوانب والمجالات (استراتيجية - عملياتية - تكتيكية) وإن هذه الدراسات تعتمد في الأساس على العقيدة العسكرية كونها المرشد والموجه لها، وعلى التحليل التاريخي العميق لسير الأعمال الحربية واستلهام الأسس والدروس منها من أجل بناء النظرية الحديثة لاستخدام القوات المسلحة وإدارة الصراع المسلح. وإن التقسيم المناسب لفن الحرب هو الاستراتيجية، فن العمليات، التكتيك.

وإضافة لذلك يكون معنيا بتعبئة وتنظيم الجيوش وكذلك الأسلحة ومعدات القتال.

القسم الثاني الاستراتيجية العسكرية (السوق)

الاستراتيجية كمصطلح معروف ومتداول عالميا يقابله عندنا في العلم العسكري مصطلح (السوق)، بناءا على ما اتفقت عليه الجيوش العربية ضمن إطار المصطلحات العسكرية الموحدة.

الأستراتيجية كمفهوم جرت ممارستها وتداولها عبر مختلف العصور التاريخية ضمن مجال فن الحرب بدءا بالصين القديمة وبلاد الرافدين ومصر القديمة والفرس واليونان والإغريق وغيرهم، ولكنها كمصطلح له مدلولات واضحة فإنه استخدم من قبل اليونان، فكلمة استراتيجية مشتقة أصلا من الكلمة اليونانية (strategos) وكانت تعني قيادة القوات، وهناك رأي آخر يقول إنها مصطلح مشتق من لقب (strategos) الذي كان يحمله الرؤساء التنفيذيون الأغريق في مجلس الشيوخ، وكان هؤلاء ينتخبون من بين قادة الفرسان المخولين سلطات عسكرية وسياسية واسعة. والاستراتيجية كلمة مركبة من معنيين(Stratos) تعني قوات (ago) تعني قيادة**(170)**، ولهذا السبب ارتبط هذا المصطلح فعلا بأسماء كبار القادة العسكريين البارعين في مجال فن الحرب، لذلك يمكن القول بإن الاستراتيجية كمفهوم ومصطلح هي نتاج عسكري والسبب يكمن في إن الجيش كان يمثل محور وجود الأمم والدول واستخدام الجيش في المعارك كان يمثل حدا فاصلا بين النصر الكلي أو الهزيمة الكلية للدولة، وكان مقياس قوة الأمم والدول هو جيشها أو قواتها المسلحة ولا زال، وكان الفن الحربي مرتبط كليا بأسماء القادة البارزين الذين تمكنوا من تحقيق انتصارات حاسمة على أعدائهم في معارك فاصلة، وكانت الاستراتيجية مرتبطة بالتكتيك، لإن النجاح التكتيكي في (المعركة أو الموقعة) هو الذي يحقق الهدف الاستراتيجي الذي كان يتمثل بتدمير قوات العدو أو هزيمته، لذلك اعتبرت الاستراتيجية عندما ظهرت كمفهوم ومصطلح باعتبارها فن القائد أو فن قيادة القوات وهذا

يتطابق فعلا مع الواقع.

وبمرور الزمن وما حدث من تطورات ومن تراكم للخبرات على كافة الأصعدة السياسية، الأقتصادية، الأجتماعية، العسكرية تطور أيضا مصطلح الأستراتيجية (السوق) وأصبح مصطلح واسع المعنى متعدد الوجوه رغم ارتباطه بفن الحرب وقيادة القوات، حتى أصبح يعني نمطا من التفكير العالي المستوى الذي غالبا ما يكون موجها ومعبرا عن غايات سياسية في حالات معينة ولغايات اقتصادية في أحيان أخرى أو لتعبئة موارد الأمة الشاملة عندما تكون الغاية واسعة وشاملة لكل عنصر من عناصر قوة الأمة. وبسبب طبيعة هذا المصطلح الواسع الذي لا يزال يحمل ضمن طياته تاريخه العسكري، وكوني أبحث في مجال فن الحرب الذي تشكل الاستراتيجية العسكرية الموضوع الأول فيه وركنه الأساسي فإني سأحاول التركيز عليه ضمن هذا القسم.

عرفت الأستراتيجية العسكرية من قبل العديد من القادة والباحثين والمفكرين وفي كافة إنحاء العالم وما يلي المهم منها مراعيا تطورها التاريخي:

عرف (كلاوزفيتز) الأستراتيجية العسكرية بإنها (استخدام الأشتباك وسيلة للوصول إلى هدف الحرب، فهي لا تهتم إلا بالأشتباك، ولكن نظريتها تدخل في تقديراتها عامل النشاط الخاص، أي نشاط القوات المسلحة نفسها، والعلاقات الرئيسية القائمة بينها، لإن هذه العلاقات هي التي تحدد الأشتباك) ثم يمضي في القول (فالأستراتيجية هي استخدام الأشتباك كوسيلة للوصول إلى غايات الحرب، وعليها إذن إن تحدد، للعمل الحربي بمجموعه هدفا يتلاءم مع غرض الحرب، إذن ينبغي على الأستراتيجية إن تضع خطة الحرب، وإن تحدد، طبقا للهدف المحدد (هدف الحرب)، سلسلة من الأعمال الملائمة التي تقود إلى تحقيقه)**(171)**. لقد نظر (كلاوزفيتز) إلى الأستراتيجية من خلال ما يحققه الأشتباك أي إن الأشتباك هو الوسيلة للوصول إلى هدف الحرب، ولكنه لم يقف عند هذا الحد، بل وضع للأستراتيجية العسكرية مهام محددة، وهي التخطيط للحرب الذي يضم سلسلة من الأعمال التي تقود إلى تحقيق هدف الحرب، ولما

كان التخطيط يجري وقت السلم لذا لابد من بناء الخطة على افتراضات مسبقة قد تتحقق وقد لا تتحقق دائما، لذا لابد على الأستراتيجية إن تواكب العمل في الميدان حتى تقدر على إجراء التعديلات الضرورية في حينها، ولما كان القائد يتحمل الدور الكبير في تطبيق الأستراتيجية لذا فإن القدرات الشخصية للقائد وعبقريته تكمن في قدرته على المواءمة بين الوسائل والهدف، والتي لا تظهر إلا من خلال النتائج التي سيكون قادرا على تحقيقها، وهذا أمر مهم جدا ضمن المنظور العسكري الحديث، لإن كلام (كلاوزفيتز) لا يخرج عما يجري تطبيقه حاليا ضمن دراسات تقادير الموقف الأستراتيجية، إذا اسثنينا العلاقة بين الأشتباك والأستراتيجية والتي يبدو إنها كانت هي المعول عليها خلال تلك الفترة من الزمن، وهذه لا تشكل نقيصة على تصوره ونظرته للأستراتيجية العسكرية، بقدر ما يمكن اعتبارها قفزة مهمة في مجال الفهم للأستراتيجية العسكرية. هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام حول ما ذكره(كلاوزفيتز)، فهو في تعريفه لفن الحرب ذكر (بإن أفضل تسمية له هو فن إدارة الحرب، وإن إدارة الحرب هي ترتيب القتال وإدارته.... إلخ ثم يقول فمن حقنا إن نستبعد من الفن العسكري بالمعنى الضيق لإدراة الحرب كل نشاط أولي، كمانحن ملزمون أيضا كي ما تلعب النظرية دورها الأساسي إن نميز كل ما هو مختلف عنها) **(172)**. وفي كل تلك التعاريف لم يتطرق إلى التخطيط للحرب الذي يسبق الحرب. ولكنه في مجال تعريفه للاستراتيجية تطرق إلى إن الاستراتيجية عليها وضع خطة الحرب وإن تحدد هدف الحرب وهي سلسلة أعمال معنية بالتخطيط المسبق للحرب وهي جميعها تجري وقت السلم، وهي كما ذكرت تعتبر قفزة مهمة في مجال فهم الاستراتيجية العسكرية ولكنها كما يبدو تتعارض مع ما ذكره آنفا في مجال فن الحرب الذي تعتبر الاستراتيجية العسكرية المكون الأول له.

تطرق (جوميني) إلى الاستراتيجية ضمن مناقشته الحرب واعتبر القتال المركز الأساس الحاسم في نظريته الأستراتيجية يقول (إن الغرض من الحرب هو احتلال كل أو بعض أراضي العدو، ومثل هذا الأحتلال يتم بالسيادة الناجحة

على منطقة العمليات، هذه السيادة ممكنة مستطاعة فقط، إذا ما وضع تخطيط الحملة بعناية قبل إن تبدأ العمليات العدائية ثم يقول، ويكون واجب الأستراتيجية هو إن تمكن من إدراك كل هذه الخطط الأولية) **(173)**. وهذا يدلل على إنه أعطى للأستراتيجية مهام محددة وواضحة، وهذا ما مكنه بالتالي من تحديد موقع الأستراتيجية ضمن فن الحرب من خلال المهام الموكلة لها والتي وردت في كتابه الدراسة الموجزة، وهي (تحديد مسرح الحرب ومختلف الخطط التي يجعلها في هذا المسرح ممكنة. تعين المناطق الحاسمة تبعا لتلك الخطط وتحديد أصلح الاتجاهات. تعين الغرض هجوميا أو دفاعيا. اختيار خطوط العمليات. اختيار أفضل الخطوط الأستراتيجية بالنسبة لعملية محددة. وكذلك المناورات المختلفة التي تتضمن هذه الخطوط في مختلف خطط العمليات الممكنة، وغيرها) **(174)**، مما يعطي الدليل إلى نظرته العميقة والدقيقة لموقع الأستراتيجية العسكرية ومهامها، وهو في هذا المجال يتشابه مع ما توصل إليه(كلاوزفيتز) عرف (فون مولكته) الأستراتيجية (إن الأستراتيجية تقوم من خلال قيادتها للجيوش وتركيز القوات في ميدان المعركة، بتامين فرصة الضرب للتكتيك، والضرب بنجاح، ولكن الأستراتيجية في المقابل، تتقبل أيضا نتائج كل اشتباك (تكتيك) **(175)**. وفي اعتقادنا إن هناك سوء فهم للمعنى من خلال الترجمة للنص الذي يبدو غير واضح ولكن ووفق تصورنا فإن (فون مولتكة) يقصد إن الأستراتيجية هي التي تقوم بقيادة الجيوش (وضع الخطط الاستراتيجية) وهي بذلك توفر الفرص للتكتيك لتنفيذ مهامه (متطلبات المعركة) التي تخدم الغرض الأستراتيجي، وعليها إن تتقبل نتائج كل اشتباك أو معركة. وأعتقد إنه بموجب هذا المفهوم قام بتحديد موقع الأستراتيجية العسكرية ودورها وعلاقتها بالتكتيك.

أما (ليدل هارت) - عرف الأستراتيجية (هي فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة) **(176)** ويقول (إنها إجراء الملائمة العملية للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد إلى الهدف المطلوب) **(177)**، وفي مكان آخر وتحت عنوان الأستراتيجية العليا يقول (إذا كان التكتيك هو

تطبيق الأستراتيجية على مستوى أدنى، فإن الأستراتيجية نفسها هي تطبيق الاستراتيجية العليا على مستوى أدنى، وما الاستراتيجية العليا سوى السياسة التي تقود سير الحرب. ويستخدم تعبير الأستراتيجية العليا لشرح فكرة السياسة خلال التنفيذ،وإيضاح دورها الحقيقي، وهو توجيه وتنسيق كل إمكانيات البلاد أو أعضاء الحلف بغية الحصول على الهدف السياسي للحرب) **(178)** وبموجب هذا المفهوم يكون (ليدل هارت) قد أعطى للأستراتيجية العسكرية دورها الحقيقي ضمن فن الحرب.

وعرفها (إندريه بوفر) - (هي فن استخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة) **(179)**.

وعرفت الأستراتيجية العسكرية ضمن دليل ضباط أركان القوات المسلحة الأمريكية لعام (1959)بإنها (فن وعلم استخدام القوات المسلحة للدولة لغرض تحقيق أهداف السياسة العامة عن طريق استخدام القوة أو التهديد باستخدامها**(180)**.

أما (سكولوفسكي) فعرف الأستراتيجية العسكرية بإنها (مجموعة من المعارف النظرية التي تعالج قوانين الحرب كصراع مسلح دفاعا عن مصالح طبقية محددة، وتدرس الأستراتيجية العسكرية الحروب ووجهات نظر العدو المحتمل وأوضاع الحرب المقبلة، وطبيعتها وطرائق الأعداد لها، وتسيير دفتها وفروع القوات المسلحة، وأسس استخدامها الأستراتيجي، بالإضافة إلى أسس الحرب المادية والتقنية، وتظل في الوقت نفسه مجال النشاط العملي للقيادة السياسية والعسكرية العليا في القيادة العامة ومقرها، والمتعلق بفن إعداد البلاد للحرب، وتصريف الصراعات المسلحة في ظل أوضاع تاريخية محددة) **(181)**. والحقيقة إن هذا التعريف أعطى للاستراتيجية العسكرية معناها ومحتواها وفي رأيي يعد أوسع وأوضح تعريف للاستراتيجية العسكرية.

وجاء في محاضرات كلية الحرب العليا المصرية إن الاستراتيجية العسكرية

تعرف بكونها (أعلى مجال في فن الحرب، وتدرس طبيعة وتخطيط وإدارة الصراع المسلح، وهي أسلوب علمي نظري وعملي يبحث في مسائل إعداد القوات المسلحة للدولة واستخدامها في الحرب معتمدا على أسس السياسة العسكرية، كما إنها تشمل نشاط القيادة العسكرية العليا بهدف تحقيق المهام الاستراتيجية للصراع المسلح، لهزيمة العدو)**(182)**.

وعرف ل. ر دأود سليمان الاستراتيجية العسكرية على إنها (فن إعداد وتوزيع القوات المسلحة واستخدامها أو التهديد بأستخدامها ضمن إطار الأستراتيجية العامة لتحقيق أهداف السياسة) **(183)**.

أما أ. د عبد القادر محمد فهمي فعرف الأستراتيجية العسكرية بالقول (إن الأستراتيجية العسكرية، تعني أولا وقبل كل شيء الأستخدام الفعلي للقوات المسلحة وبمختلف صنوفها القتالية عند التلاحم مع قوات العدو ميدانيا، وعلى هذا فهي تهتم بعملية التحضير والإعداد العام لكيفية استخدام القوات المسلحة في حرب تخوضها الدولة ضد أعدائها). ثم يقول (وعليه تنشغل الأستراتيجية بالجهد العسكري المستخدم في الميدان، وهي بذلك تعبر عن فن استخدام الوسائط العسكرية والتنسيق بين مختلف أفرع القوات المسلحة من خلال تكامل البرامج التخطيطية لإدارة الحرب، ومثل هذا التوصيف يقربنا من تعريف كلاوزفيتز للاستراتيجية العسكرية) **(184)**. وأخيرا يتوصل إلى المعنى النهائي لها بقوله (وعليه فإن الاستراتيجية العسكرية تركز على استخدام العنف المنظم أو التهديد بأستخدامه لتحقيق أهداف السياسة، وبذلك تكون مهمتها وبمعنى آخر، تحقيق الغرض السياسي من وراء الحرب، أي فرض الإرادة السياسية بواسطة الاستخدام المباشر للقوة العسكرية) **(185)**.

من خلال دراسة تعاريف الاستراتيجية المشار اليها آنفا وكذلك التي لم يجري التطرق لها كونها متقاربة بالمعنى أو المفهوم يمكن التوصل إلى الاستنتاجات التالية:

إن أغلب التعاريف أعتبرت الاستراتيجية العسكرية فنا وهناك من أعتبرها فنا وعلما، فهي فن لإنها مرتبطة بقدرة وقابلية القائد أو القيادة التي تمارس هذا النشاط، فالقائد أو القيادة ذات القابليات المتميزة (التي تجمع بين الإبداع والعبقرية) هي غير القيادة البسيطة التي لا تمتلك الحدود الدنيا من تلك القدرات. وهي علم لإنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتطورات العلمية، من نظريات حربية وتكنولوجية، التي كانت حصيلة البحث والدراسة والتطوير على مر التاريخ، فهناك باحثون ودارسون حللوا المعارك وأدوار القيادات ووضعوا النظريات لفن الحرب بكل جوانبه، وهناك باحثون ومفكرون اخترعوا وطوروا وسائل القتال والتكنولوجيات المختلفة التي تخدم الحرب، وهكذا نجد إن العلم كان حاضرا وبشكل دائم مع فن الحرب عبر كافة المراحل التاريخية.

وإضافة لذلك، فإن علينا إن نضع في إعتبارنا إن حلول ومشاكل الاستراتيجية العسكرية لابد وإن تجري من خلال جانبين، جانب نظري وجانب عملي.

الجانب النظري يشمل كل ما له علاقة بالعلم العسكري (علم الحرب) الذي يبحث في الحرب كمفهوم وتاريخ الحروب والصراعات التي لها علاقة بتاريخ الدولة ومحيطها الإقليمي ومدى تأثير تلك الصراعات عليها، ومدى تأثير العوامل المادية والفنية والمعنوية والسياسية على الصراع المحتمل وكذلك القوانين المميزة للصراع المسلح وطابع الحرب المقبلة والموقف السياسي والاستراتيجي الراهن والإمكانات الفعلية المتاحة وعلى ضوءها تصاغ النظريات العسكرية الملائمة. أما الجانب العملي فهو يتعلق بطريقة أو فن إعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب، وكيفية خوض الحرب، ولابد من الإشارة إلى إنه وبالرغم من إن الاستراتيجية العسكرية تأخذ في حساباتها وخططها جميع العوامل والاستنتاجات النظرية إلا إن تطبيقها والأخذ بها يتوقف على قدرات القيادات العسكرية وعلى علاقتها بالمسؤولين عن سياسة الدولة، حيث كثيرا ما يؤدي تدخلهم وعدم معرفتهم إلى خلق تأثيرات مضادة لتلك النظريات، وهذا ما يضع القادة العسكريون في مواقف صعبة جدا ما بين الولاء لتلك

القيادة، كما تنص عليه القوانين، وما بين التنفيذ الذي يمكن إن يقود إلى كوارث على مستوى الاستراتيجية العسكرية. لذلك يصبح التنسيق بين القيادتين على أسس الفهم والمعرفة بالحرب كعلم وفن أمر ضروري لنجاح القيادة.

إن الأسس العلمية لنظريات الاستراتيجية العسكرية تجعل منها جزءا من العلم العسكري كما إن الحلول العملية للمشاكل الاستراتيجية هي مجال من مجالات فن الحرب، لذلك تحتل الاستراتيجية العسكرية مكان الصدارة في كل من العلم العسكري وفن الحرب بآن واحد فهي التي تحدد مهام الصراع المسلح ووسائطه الحربية لفن العمليات، ويقوم فن العمليات بتحديد دور ومهام التكتيك ووسائط قتاله، الذي يهتم بنظريات المعركة وتطبيقاته معا.

في الواقع إن الاستراتيجية العسكرية هي امتداد للاستراتيجية الشاملة أو الاستراتيجية العليا، والاستراتيجية الشاملة هي المعبرة عن السياسة العليا خلال التنفيذ بما له علاقة بالحرب يقول ليدل هارت في هذا المجال (ويستخدم تعبير الاستراتيجية العليا لشرح فكرة السياسة خلال التنفيذ وإيضاح إن دورها الحقيقي هو توجيه وتنسيق كل إمكانات البلاد أو أعضاء الحلف بغية الحصول على هذا الهدف السياسي للحرب) **(186)** لذلك تصبح الاستراتيجية العليا معنية بكل ما له علاقة بمفهوم (إعداد الدولة للحرب المحتملة) والتي تشمل (الإعداد الاقتصادي، الإعداد السياسي، الإعداد الاجتماعي، الإعداد النفسي والمعنوي، إعداد القوات المسلحة ومسارح العمليات) وهي بموجب هذا المفهوم الشمولي لا يقتصر دورها على مرحلة الحرب بل تنظر إلى ما وراء الحرب. والاستراتيجية الشاملة أو العليا تطبق إما بشكل مباشر وهي استخدام القوة (الحرب) أو بشكل غير مباشر، التي تشمل الحرب النفسية كالدعاية والإشاعة بغية تدمير معنويات العدو، وكذلك الضغوط الاقتصادية والسياسية، والفتن الداخلية والإرهاب (الذي أصبح من أحد أهم الوسائل في الحرب الغير مباشرة في المرحلة الراهنة).

إن القيادة العليا للدولة هي المسؤولة عن وضع الاستراتيجية الشاملة للدولة فيما له علاقة بالحرب من خلال التخطيط لإعداد الدولة للحرب بموجب خطة يطلق عليها (خطة إعداد الدولة للحرب) والتي تحوي على مهام وواجبات كل فرع من فروع تلك الاستراتيجية في الحرب المقبلة.

يتضح لنا إن الاستراتيجية العسكرية هي جزء من منظومة كبيرة ومعقدة معنية أساسا بموضوع الحرب واستخدام القوة العسكرية في الحرب، وهي المكون الأول لفن الحرب، و تحتل مركز الصدارة ضمن مستويات فن الحرب، وهي من مهمة القيادة العامة للقوات المسلحة، تخطيطا وتنفيذا، وهي المعبرة الفعلية عن السياسة العسكرية عند التنفيذ الفعلي لتلك السياسة، فالسياسة هي النهج ودليل العمل الذي يسترشد به، والاستراتيجية العسكرية هي التطبيق الفعلي للسياسة في الميدان، أو التطبيق الفعلي للقوة العسكرية، لذلك لابد إن تكون معنية بدراسة طبيعة الصراع المسلح أولا، ثم التخطيط الاستراتيجي (الخطة العامة لاستخدام القوات المسلحة)، وإعداد القوات المسلحة وفق ما تتطلبه الخطة العامة، وإدارتها خلال كافة مراحل الصراع المسلح، وهي لابد وإن تعتمد الجانب الفني والعلمي في فهم وإدارة الصراع، لذلك يصبح التعريف الملائم للاستراتيجية العسكرية هو: الاستراتيجية العسكرية هي فن وعلم تطوير واستخدام القوات المسلحة، لتحقيق الأهداف السياسية/ العسكرية للدولة، سواءً باستخدام القوات المسلحة أو التهديد باستخدامها.

عناصر الاستراتيجية العسكرية

هناك وجهات نظر عديدة حول عناصر الاستراتيجية العسكرية كما اختلفت التسميات فقسم يسميها إطار وقسم يسميها عوامل أو أسس ويمكن عرض البعض منها:

تضمنت محاضرات أكاديمية ناصر العليا (كلية الحرب)عناصر دراسة الاستراتيجية العسكرية: **(187)**

1 - طبيعة الحرب المقبلة.

2 - دراسة المبادىء الرئيسية للأستراتيجية العسكرية.

3 - تحديد الأهداف والمهمات للأستراتيجية العسكرية.

4 - إعداد القوات المسلحة.

5 - التحشد والإنفتاح الأستراتيجي.

6 - إعداد خطط استخدام القوات المسلحة تنظيم القيادة والسيطرة للعمليات اثناء الحرب.

7 - إعداد الدولة للحرب.

8 - الإسناد الإداري للصراع المسلح.

9 - منظومة القيادة والسيطرة للقوات المسلحة.

10 - دراسة العدو التقليدي.

11 - الدفاع المدني.

أما كراسة أسس استخدام القوة البريطانية فقد أوردت ما يلي: **(188)**

1- يمكن تحديد إطار الأستراتيجية العسكرية بما يلي:

آ- طبيعة الحرب المقبلة وفن إدارة الصراع المسلح.

ب- تحديد الأهداف والمهام الأستراتيجية للقوات المسلحة.

ج- بناء القوات المسلحة.

د- تحديد واجبات كل قوة.

ه- فكرة عمليات القوات المسلحة وخططها.

و- إعداد الدولة للحرب.

ز- تنظيم القيادة والسيطرة للعمليات أثناء الحرب.

ح- إمكانية العدو وأسلوبه في الحرب.

2- هناك عدد من العوامل التي تؤثر وتتأثر بها الأستراتيجية وهي:

آ- العقيدة العسكرية.

ب- مبادىء الحرب.

ج- بناء القوات المسلحة.

د- المعنويات.

ه- الضبط.

و- التدريب.

هذا وتؤكد الدراسة إن كل عامل من العوامل الآنفة الذكر يشكل لبنة أساسية في بنية القوات المسلحة ومرتكزا يؤثر ويتأثر بصيغة أو بأخرى بالأستراتيجية العسكرية، غير إن ذلك لا يعني عدم علاقتها بمكونات فن الحرب الأخرى وهي العمليات والتكتيك، فكل عنصر منها مرتبط بهما ضمن المستوى الذي يعالجه ويسخرها لأغراضه لتحقيق الغاية التي يصبوا إليها، على سبيل المثال لا الحصر تلعب القيادة دورا أساسيا في جميع مستويات فن الحرب ولكن هناك متطلبات مختلفة لكل مستوى وينطبق الشيء ذاته على العناصر الأخرى.

مبادىء الأستراتيجية العسكرية

عند دراسة الأستراتيجية العسكرية يتضح لنا إن ثمة علاقة تبادلية بين مبادىء الحرب ومبادىء الأستراتيجية، ومبادىء الحرب كما هو معروف كانت ولا تزال موضوع نقاش ضمن مجالين رئيسيين هما التعريف والأهمية، فهناك من اعتبر المبادىء بمثابة دليل عمل، وهناك من اعتبرها مقاييس يمكن القياس بموجبها لنتائج العمل العسكري، وهناك من اعتبرها مرتكزات وضرورات وقواعد ثابتة. وهكذا اختلفت الآراء ووجهات النظر، التي انبثقت من خلال

الظروف الموضوعية التي انطلق منها أو تأثر بها كل مفكر أو قائد، أما الأهمية فإنها متأتية من إن لكل دولة وجهات نظر خاصة بها في اعتماد مبادىء معينة وفقا لظروفها وحاجتها وتجربتها ولنواياها المستقبلية، وهذا هو سبب الأختلاف في اعتماد المبادىء بين دولة وأخرى، فبريطانيا اعتمدت عشرة مبادىء وأمريكا خمسة عشر وفرنسا أربعة والصين أحد عشر وروسيا تسعة وهكذا، ومن الطبيعي إن تقوم الدول بتغييرأو تعديل تلك المبادىء حسب تطور الصراعات والحروب والنظريات والعلوم العسكرية والسياسية والاقتصادية والعلم العسكري والخبرات المكتسبة منها، لذلك يمكن القول بعدم وجود مبادىء ثابتة تصلح لكل حالة بل هي متغيرة تبعا للظروف الموضوعية لكل بلد وقيادة، ولكن الشيء المهم إن تلك المبادىء مهما تغيرت وتعددت فهي مثل الوصفات الطبية التي تعطي نتائج جيدة فيما لو تمكن الطبيب من تشخيص المرض والعكس صحيح، فالقيادة الجيدة تجد أمامها العديد من الوصفات وعليها إن تختارأفضلها للحالة التي تراها مناسبة لها، وفي هذا المجال يكون للقدرات الشخصية والخبرة والدراية والحكمة الدور الكبير في نجاح أو فشل المبادىء، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد قادة الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى كانوا متمسكين بمبادىء الحرب النابلوينية وكانو متأثرين بها، ولكنهم لم يدركوا إن زمن(نابليون) ليس زمن القرن العشرين الذي شهد ثورة كبيرة في تقنيات الأسلحة، لذا وجدت تلك القيادات نفسها في تناقض ما بين مبادىء القرن التاسع عشر التي كانت تؤكد على الحشد في ميدان المعركة وبين تسلحها بأحدث مخرجات التقنية الحديثة للقرن العشرين. وهكذا تحول الفن الحربي إلى مذابح متبادلة بين الطرفين عندما أصبحت الحشود البشرية لقمة سائغة للنيران الكثيفة، بعد إن افتقدت تلك الحشود القدرة على المناورة، وهذا الحدث لا يمكن اعتباره فشل مبدأ من مبادىء الحرب، بل فشل القيادة التي لم تدرك المتغييرات التي حصلت في ميدان التقنية الحديثة. ونذكر على سبيل المثال الحرب العربية الإسرائيلية (حرب حزيران 1967) التي افتقد فيها العرب لأهم مبدأ من مبادىء الحرب وهو

وحدة القيادة، إضافة إلى عدم مراعاة العديد من المبادىء الأخرى مثل المباغتة والأمن، وكانت النتيجة كارثة على كل الأمة العربية. وعلى العكس طبقت إسرائيل أغلب وأهم مبادىء الحرب مثل المباغتة والتعرض ووحدة القيادة والمرونة والتحشد، أما خلال حرب (1973) فقد طبق الجيش المصري أغلب مبادىء الحرب، منها التعرض والمباغتة والمخادعة والمرونة ووحدة القيادة وكانت النتيجة نجاح الجيش المصري في عبور القناة وإعادتها لمصر بمعركة مثالية في التخطيط والتنفيذ.

أما الحرب العراقية الإيرانية فقد شهدت تطبيقات عديدة لمبادىء الحرب من الجانبين العراقي والإيراني وإهمال للبعض منها، فمثلا القيادة الإيرانية كانت تركز على التعرض المستمر دون النظر إلى عامل الأمن والحماية خصوصا من الجو مما جعل أغلب عملياتها مكشوفة ما جعلها تفشل في أغلب تلك العمليات، كما لم تراع الاقتصاد في الجهد وكانت تبالغ في زج الحشود البشرية دون النظر إلى مبدأ الاقتصاد والأمن وإلى حجم الخسائر التي كانت تقع فيها مما جعلها تخسر الكثير من قوتها وعلى مدى أكثر من ست سنوات ما أفقدها قدرة التأثير، إضافة إلى التدني الكبير في القدرات القتالية والمعنويات التي هي أحد مبادىء الحرب أيضا، أما القيادة العراقية فقد نجحت في بداية الحرب في(22/9/ 1980) في تحقيق بعض الأهداف عندما طبقت مبدأ التعرض والمباغتة رغم إهمالها لبعض المبادىء الأخرى، ولكنها أهملت مبدأ التعرض من بداية عام (1981) وتحولت إلى الدفاع على جبهات واسعة ولم تراعي مبدأ توخي الهدف عندما قبلت بأحداث تغيير على المهمة الرئيسية للفيلق الثالث من الأحواز إلى المحمرة، كما أهملت مبدأ المرونة في الكثير من العمليات ما أفقد القيادات الميدانية الكثير من الفرص الملائمة والتي كان يمكن إن تحدث تغيرات مهمة ضمن مسارح العمليات، ولكنها تداركت ذلك خلال عام (1988) عندما طبقت أغلب مبادىء الحرب كالتعرض والمباغتة والمخادعة والمرونة والاقتصاد في الجهد خلال عمليات التحرير، وكانت النتائج نجاح باهر للعمليات العسكرية التي أجبرت إيران بالتالي على قبول وقف إطلاق النار

وإنهاء الحرب، ولكنها عادت مرة أخرى إلى إهمال العديد من المبادىء خلال حرب الخليج الثانية، منها الاقتصاد في الجهد حيث كانت تميل إلى الكثرة دون النظر إلى النوعية، ما جعلها عبئا على القيادة خلال مراحل الحرب، كما أهملت عامل المرونة من خلال الإصرار على الدفاع عن الكويت في مواضع غير ملائمة لمثل هذا النوع من الدفاع، كما أهملت مبدأ الأمن والحماية للقوات التي كانت مكشوفة للطيران المعادي وركزت على الحماية السلبية التي لم تكن ذات جدوى تجاه أسلحة متطورة جدا، إضافة لإهمالها حماية الجبهة الداخلية على حساب الجهد الرئيسي في الكويت والتي هي جزء من مبدأ الأمن، وكانت النتيجة خسارة المعركة التي كانت بالأساس معركة غير متكافئة بين الطرفين، وما حدث في تلك الحرب تكرر في حرب الخليج الثالثة مع بعض الاختلافات القليلة. هناك ملاحظة مهمة ينبغي الوقوف عندها وهي إن المبادىء ليست على مستوى واحد من القيمة والأهمية فلكل مبدأ قيمته وتأثيره في الوقت والمكان الملائمين فمبدأ التعرض نجده يغطي بقيمته على بعض المبادىء في حالة إهمالها، على سبيل المثال نجد إن التعرض يغطي على مبدأ الاقتصاد في الجهد عندما تكون نتائج التعرض ناجحة، فمثلا نجد إن نابليون لم يكن يركز على مبدأ الاقتصاد لإن لديه إمكانات بشرية كبيرة ولم تكن تهمه الخسائر بقدر ربح المعركة. لذلك كان يركز على مبادىء توخي الهدف والتعرض والمباغتة، ومن هذه المبادىء كان التعرض يحتل المرتبة الأولى في تفكيره والذي كان سبب نجاحاته المتكررة، وكذلك نجد إن القيادة الألمانية كانت ناجحة جدا خلال مراحل الحرب العالمية الثانية عندما طبقت العديد من مبادىء الحرب المهمة كتوخي الهدف والتعرض والمباغتة والأمن والمعنويات رغم إهمالها للبعض منها والتي كان تأثيرها ثانويا على مجريات الحرب، ولكنهم بدأوا يتحولون إلى الفشل عندما غيروا بمهمتهم الرئيسية وهاجموا الاتحاد السوفيتي دون مراعاة مبدأ الاقتصاد في الجهد والأمن والحماية ثم التحول مجبرين على الدفاع الذي كلفهم الكثير فيما بعد. وكنتيجة يمكن القول إن المبادىء ماهي إلا بمثابة الدليل الذي يسترشد به وهي ليست كالقوانين

الفيزيائية أو الكيماوية أوالنظريات الاقتصادية أو العلوم الطبيعية أو كقوانين العقوبات من لا يطبقها يحاسب، فهناك قادة طبقوا المبادىء ولكنهم فشلوا، وهناك قادة طبقوا البعض وأهملوا البعض ونجحوا، إن النجاح في الحرب أو الفشل هو حصيلة جملة أمور قد تكون الصدفة (اللامتوقع) أو الحظ جزءا منها في بعض الأحيان وقد تكون العبقرية أو الشجاعة أو الجهل أو الجبن أو غيرها هي جزءا منها، لذلك يمكن القول إن المبادىء هي عبارة عن دليل يسترشد به.

في مجال الاستراتيجية العسكرية كانت هناك العديد من المبادىء التي أشتقت أصلا من مبادىء الحرب حتى يصعب التفريق بينها في بعض الأحيان وهذا أمر طبيعي فالاستراتيجية هي جزء من فن الحرب وما تتأثر به الحرب عموما ينعكس على الاستراتيجية والعمليات التكتيك.

كان كلاوزفيتز قد نادى باتباع ثلاثة مبادىء رئيسية هي:

1 - تجميع القوى (التحشد).
2 - عمل القوي ضد القوي (التعرض والتحشد والمباغتة).
3 - الحل الحاسم عن طريق المعركة في منطقة الجهد الرئيسي وبأسلوب المعركة الدفاعية/التعرضية، (المناورة والمرونة).

أما(ليدل هارت) فنادى بضرورة تطبيق ثمانية مبادىء هي:**(189)**

1 - مطابقة الهدف مع الإمكانيات.
2 - احتفظوا دائما بالهدف، مع مطابقة مخططكم على الظرف واعرفوا إن هناك أكثر من طريق للوصول إلى الهدف، ولكن خذوا حذركم أثناء الطريق لإن كل هدف وسيط يؤثر على الهدف الأصلي. وكمثال وحسب قناعيتي (في بداية الحرب العراقية الإيرانية كان هدف الفرقة المدرعة الثالثة الاندفاع من خلال الفرقة الخامسة التي كانت على مشارف الأهواز لقطع طريق أهواز- ديزفول،

ولكن قائد الفرقة الثالثة أوهم القيادة بإنه بالإمكان احتلال المحمرة التي كان قريبا منها، واستجابت القيادة لمقترحه وكان هذا سببا مباشرا لتوقف الهجوم ودخـول الفرقة الثالثة بمعركة مدن دامت أكثر من شهر وكانت أحد أسباب التغيير في مسار الحرب).

3 - اختاروا الخط الأقل توقعا، وحاولوا إن تضعوا إنفسكم دائما بمكان العدو، وفكروا كما لو كنتم في صفوفه لتقدروا الأشياء الي لا يتوقعها.

4 - استثمروا خط المقاومة الأضعف، ما دام قادرا على إيصالكم لهدف يؤدي احتلاله إلى الوصول إلى الهدف العام (ينطبق هذا المبدأ في التكتيك على استخدام قواتكم الاحتياطية، كما ينطبق في الاستراتيجية على استثمار كل نجاح تكتيكي).

5 - خذوا خط عمليات يؤدي إلى أهداف متناوبة، فتضعوا عدوكم بذلك في حيرة تامة، مما يؤمن لكم الوصول إلى الهدف الأقل حماية، ثم يمكنكم احتلال الهدف الثاني بعد سقوط الأول.

6 - راعوا المرونة سواءً في المخطط أو التشكيلة بحيث يتلائمان مع الظروف، ويجب إن يتوقع مخططكم المرحلة التالية ويستعد لها في حالات النجاح أو الفشل أو النجاح الجزئي الذي يقع غالبا في الحرب.

7 - لا تلقوا بكل ثقل إمكاناتكم في عمل إذا كان العدو محترسا، لإنه يكون حينئذ مستعدا لصد هذه الصدمة أو تحاشيها، فإنه لا يمكن تحقيق أية ضربة بشكل فعال إذا لم تشل مقاومة العدو أو قدرته على تحاشي هذه الضربة.

8 - لا تجددوا الهجوم على نفس الخط أو بنفس الشكل بعد الفشل في المرة الأولى، وتقوية الإمكانات المهاجمة لا تبرر تجديد مثل هذا الهجوم، لإن العدو محتمل إن يكون قد حصل على قوى جديدة خلال هذه الفترة.

وكخلاصة لكل تلك المبادىء إن الهجوم لا ينبغي إن ينجز مالم يتم تفتيت قوات العدو، ولا يمكن إن تصبح الضربة حاسمة إلا إذا جرى استثمار الفرصة الجديدة قبل إن يسترد العدو وعيه.

أما (ماوتسي تونغ) فقد حدد المبادىء الخمسة التالية وهي تعبر عن استراتيجية الحرب الثورية أو حرب العصابات. **(190)**

1 - الانسحاب أمام تقدم العدو نحو المركز.
2 - تعقيب العدو المنسحب.
3 - استراتيجية الواحد ضد خمسة وتكتيك خمسة ضد واحد.
4 - الاستفادة من موارد العدو لإدامة قواتنا.
5 - التلاحم بين الجيش والشعب.

أما الموسوعة العسكرية العربية**(191)** فتذكر تسعة مبادىء هي:

1 - قوة التحشد.
2 - الحصول على المبادأة.
3 - تحقيق المفاجأة.
4 - الاقتصاد في القوى.
5 - المحافظة على حرية العمل.
6 - خفة الحركة.
7 - بساطة المخطط الاستراتيجي.
8 - تحقيق التعاون والتنسيق بين جميع الأطراف.
9 - توحيد القيادة.

ومن الأمور المهمة التي خرجت بها القوات المسلحة السوفيتية بعد خبرة وتجارب الحرب العالمية الثانية على مستوى الاستراتيجية العسكرية والتي تعتبر بمثابة مبادىء للاستراتيجية هي:

1 - المبادأة الاستراتيجية التي ينبغي الحصول عليها في الدور الأول للحرب

والحصول عليها يعتبر من أهم شروط النجاح لخوض الصراع المسلح، لإن الحصول على المبادأة الأستراتيجية يسمح بنشر القوات المسلحة واستخدامها بشكل مخطط خلال الحرب،كما يسمح بالتأثير الفعال على الموقف السياسي والعسكري وبالحصول على إنتصارات سريعة. ولعل المثال الألماني خلال تلك الحرب أفضل دليل على ذلك.

2 - الاحتياطات الاستراتيجية: من المهم خلال الحرب وجود احتياطات استراتيجية بشكل دائم، وكان وجود وتطوير تلك الأحتياطات الأستراتيجية وحشدها على الأتجاهات الرئيسة من العوامل الحاسمة التي ساعدت على أخذ المبادأة الأستراتيجية من الألمان.

3 - الهجوم الاستراتيجي: يعتبر الهجوم الأستراتيجي بعد الدفاع الأستراتيجي الناجح هو العامل الرئيسي لحسم الحرب وكما حدث ذلك في المرحلة الثانية من الحرب بين الألمان والاتحاد السوفيتي، خصوصا في معركة(كورسك)التي وقعت خلال الفترة من (5 -23 تموز 1943) والتي إنهت آخر محاولة للألمان بالأستمرار بالهجوم على الأتحاد السوفيتي، والتي غيرت مسار الحرب لصالح الأتحاد السوفيتي، إن الجمع بين المبادىء الثلاثة (المبادأة والأحتياطات الأستراتيجية والهجوم الأستراتيجيي) تمثل أهم ركائز الأستراتيجية العسكرية خلال الصراع المسلح حيث يكمل أحدهما الآخر. ولعل خير مثال على ذلك ما قامت به القوات المسلحة العراقية خلال الحرب مع إيران في عام (1988) عندما تحولت من الدفاع الأستراتيجي على عموم جبهات القتال إلى الهجوم الأستراتيجي الذي بدأ بالفاو ثم الشلامجة وحقول مجنون وشرق العمارة والقاطع الأوسط بسلسة من العمليات المتعاقبة، والتي لم يكن بالإمكان تنفيذها بدون توفر الأحتياطات الأستراتيجية التي تم توفيرها خلال مرحلة استغرقت حوالي العام ومن خلالها تم أخذ المبادأة والأحتفاظ بها إلى نهاية الحرب.

4 - مركزية القيادة الأستراتيجية، أو ما يطلق عليه وحدة القيادة والذي يعتبر من أهم عوامل نجاح القوات المسلحة خلال مراحل الصراع المسلح، لإن

الحاجة تتطلب وبشكل دائم إلى رد الفعل السريع والحاسم في اتخاذ القرارات المهمة والتي لا تتوفر إلا لمن لديهم الخبرة والتجربة والجرأة، ومن الخطأ الفادح توزيع مسؤولية اتخاذ القرارات بمستوى الأستراتيجية العسكرية بين عدة جهات.

من خلال عرض المفاهيم السابق ذكرها نجد إن هناك تقارب في المفهوم بين الكثير من تلك المبادىء رغم اختلاف الصياغة في التعبير، وقد نجدها مكررة ضمن مبادىء الحرب ومبادىء فن الحرب (الأستراتيجية وفن العمليات والتكتيك)، فمثلا نجد مبدأ التحشد والأقتصاد بالجهد والمباغتة ووحدة القيادة ضمن مبادىء الحرب ونجدها ضمن مبادىء الأستراتيجية، نذكرمنها مبدأ الاقتصاد بالجهد والتحشد يقول (ليدل هارت) في مجال عرضه لمبادىء الأستراتيجية (طابقوا الهدف مع الإمكانات)، وعن مبدأ توخي الهدف كمبدأ من مبادىء الحرب نجده يقول ضمن مبادىء الأستراتيجية (عدم إضاعة الهدف ومتابعة الجهد) وهي عبارات مشابهة في المعنى لمبدأ توخي الهدف، ومبدأ توخي الهدف مثلا، مطلوب ضمن مبادىء الحرب ومبادىء الأستراتيجية وفن العمليات والتكتيك وكذلك الأقتصاد في الجهد والتعرض والحماية وغيرها وهكذا. والسبب كما بينا هو التداخل بين كل أقسام فن الحرب وبين الحرب كمفهوم ومبادئها التي تغطي كل جوانب فن الحرب بكل أقسامه.

أشكال أو نماذج تطبيق الأستراتيجية العسكرية

كما سبق وبينا فإن هناك استراتيجية عليا أو شاملة وهذه الأستراتيجية تقع في قمة الأستراتيجيات، وتخضع مباشرة للسلطة السياسية ومهمتها التعريف بإدارة الحرب ووضع الغايات لكل فرع من فروعها، مع التنسيق فيما بينها. ويستخدم تعبير الأستراتيجية الشاملة لشرح فكرة السياسة خلال التنفيذ وإيضاح دورها الفعال في توجيه وتنسيق جميع إمكانات الدولة لتحقيق الأهداف السياسية. لذلك تصبح الأستراتيجية العسكرية هي جزء من الأستراتيجية الشاملة وهي معنية بالحرب بشكل عام وهي عبارة عن الجانب

التنفيذي لأستخدام القوة العسكرية في الصراع. وكما عبر (ليدل هارت) عنها بقوله (إن التكتيك هو التطبيق العملي للأستراتيجية العسكرية في مستوياتها الدنيا، وإن الأستراتيجية العسكرية هي التطبيق العملي للأستراتيجية العامة في مستوى أدنى)**(192)**

والأستراتيجية الشاملة تطبق بأحد شكلين أما: الاستراتيجية المباشرة وهي الأستخدام المباشر للقوة العسكرية، من أجل تحقيق أهداف السياسية، وعندها تكون الأستراتيجية العسكرية مكلفة بوضع الخطط لأعداد واستخدام القوات المسلحة بموجب الصيغ والنظريات العسكرية المعتمدة. أو الأستراتيجية غير المباشرة وهي تبحث عن الحسم عن طريق استخدام وسائل مختلفة (اقتصادية، نفسية، دعاية، الإشاعة، ضغط دولي، تفتيت داخلي - حرب عصابات... إلخ) وفي جميع هذه الحالات يكون للأستراتيجية العسكرية حضور ودور مهم من خلال التهيؤ لأستخدام القوة العسكرية أو التهديد بالاستخدام إذا دعت الضرورة وفشلت كل تلك الوسائل، وجميع هذه العومل يمكن إن تؤدي إلى إنهاك العدو واستنزافه وبالتالي الإخلال في ميزان القوى والتي يمكن إن تجبره على الرضوخ للأمر الواقع.

مراحل بناء الاستراتيجية العسكرية

إن ما يجري عرضه أدناه يمثل خلاصة لتجربة عملية في مجال وضع أسس ومرتكزات الأستراتيجية العسكرية، وهي مستقاة من دراسة خاصة (تحت عنوان العقيدة العسكرية ومرتكزات السوق العسكري للقوات المسلحة العراقية "السابقة") ومن خلال تجربة التخطيط للحرب، حيث يمكن من خلالها معرفة المراحل العملية لكيفية إعداد الأستراتيجية العسكرية. كنموذج عملي. **(193)**

تعتمد الأستراتيجية العسكرية أساسا على الدور المرسوم لها ضمن الأستراتيجية الشاملة التي تنطلق من المشروع السياسي للدولة الذي يولد من النظرية السياسية، والذي تحدد بموجبه الأهداف السياسية / العسكرية للدولة،

ومن أجل تحقيق تلك الأهداف يتم وضع استراتيجية عامة (سوق عام أو شامل) تمثل الإطار العام لخطة تنفيذ تلك الأهداف حسب الأولويات التي توصلت اليها بناءا على تقدير الموقف الشامل لأعداد الدولة للحرب والذي يكون من مسؤولية القيادة السياسية / العسكرية (مجلس الدفاع الأعلى) أو ما يوازيه في كل بلد. تتولى تلك القيادة وضع أسس أو مرتكزات الاستراتيجية العسكرية (السوق) والذي سيكون بمثابة الأساس الذي تبنى عليه الخطط الأستراتيجية العسكرية للمرحلة المقبلة.

العوامل المؤثرة على بناء الاستراتيجية العسكرية

1 - الأهداف السياسية / العسكرية للدولة، للمرحلة الراهنة والمقبلة.
2 - الوضع الجيوسياسي للدولة (أهميته، تأثيره، الأهداف الحيوية).
3 - جغرافية الدولة ومناخها.
4 - السياسة العسكرية للدولة للمرحلة الراهنة والمقبلة.
5 - العقيدة العسكرية للدولة وقواتها المسلحة.
6 - التهديدات الداخلية والخارجية القائمة والمحتملة (شكل وطبيعة التهديد من حيث المكان والزمان ودرجات الخطورة لتلك التهديدات).
7 - طبيعة الصراع المحتمل وشدته من ناحية كونه تقليديا أو نوويا أو كيماويا أو أحيائيا أو شاملا.
8 - وضع القوات المسلحة الحالية (الحجم، النوع، التسليح، التجهيز، القدرة القتالية، المنظومات الأدارية).
9 - منظومة القيادة والسيطرة الأستراتيجية للقوات المسلحة.
10 - مستوى التطور العلمي والتقني للقوات المسلحة العاملة.
11 - الإمكانات المادية والبشرية (الموراد المتيسرة) للقوات المسلحة.
12 - الفترة الزمنية المتاحة لإعداد الدولة للحرب بضمنها القوات المسلحة.

مرتكزات الأستراتيجية العسكرية

بعد إجراء دراسة دقيقة وتحليل لكافة العوامل المبينة آنفا يمكن الخروج بما يسمى بمرتكزات الاستراتيجية العسكرية وهذه المرتكزات تشتمل على الأمور التالية:

1 - هدف الأستراتيجية العسكرية.
2 - مبادىء الحرب المعتمدة.
3 - النظرية العسكرية المعتمدة. مثال نظرية الحرب الخاطفة، نظرية الحرب الشاملة، نظرية الحرب الوقائية، نظرية حرب العصابات، نظرية الحرب الثورية أو الشعبية، نظرية الردع، نظرية الدفاع التعرضي... إلخ.
4 - طبيعة وشكل المعركة المحتملة (الخطوط العامة للخطة الأستراتيجية أو ما تسمى بالخطة العامة لاستخدام القوات المسلحة).
5 - الشكل العام للقوات المسلحة أو سمات القوات المسلحة بفروعها الثلاثة أو الأربعة (قوة برية، قوة جوية، قوة بحرية، قوة دفاع جوي) ومهامها الأساسية، مثال: (قوات برية تتمتع بقابلية حركة عالية وقوة نارية كبيرة مع القدرة على العمل في جميع إنواع الأراضي والظروف المناخية، وكذلك مسارح العمليات المحتملة وما ينبغي إن تكون عليها لتلائم الخطة السوقية).

بعد إكمال دراسة مرتكزات الاستراتيجية العسكرية تصدر القيادة العليا(مجلس الدفاع الأعلى) توجيهات إلى القيادة العامة للقوات المسلحة تسمى توجيهات التخطيط. تحوي هذه التوجيهات على:

1 - المهمة العامة، ومهمة القوات المسلحة.
2 - الظروف المحيطة بالمهمة.
3 - الافتراضات المسبقة.
4 - العوامل المؤثرة على المهمة.

5 - العدو أو الأعداء المحتملين.

6 - طبيعة الحرب المحتملة.

تقوم القيادة العامة للقوات المسلحة بإعداد تقدير الموقف استنادا للتوجيه، ولكل عدو محتمل مع الأخذ بعين الاعتبار الأسبقية ودرجة الخطورة لكل عدو، بعد إكمال تقدير الموقف تعد مذكرة تسمى (مذكرة بالاختيارات الأساسية لحالة الصراع المسلح مع........) تحوي المذكرة على: المهمة - الافتراضات االأولية المسبقة - الموقف: يشمل على الموقف العام ثم موقف الطرفين - العوامل الحاكمة - ثم الأختيارات الأساسية وتشمل على(المسالك التي تم التوصل اليها بنتيجة تقدير الموقف مع الحجم المقدر لكل اختيار وفوائد ومحاذير كل منها - أسبقية الأختيارات بعد مجابهتها بموجب العوامل الحاكمة - ثم بيان إمكانية تنفيذ كل اختيار بالإمكانات المتيسرة - ثم شروط تنفيذ المهمة). ترفع هذه المذكرة إلى القيادة العليا(مجلس الدفاع الأعلى) بتوقيع وزير الدفاع. تقوم القيادة العليا بعقد اجتماع لمناقشة المذكرة وتصدر توجيهات تتضمن الموافقة على الخيار الملائم مع التوضيح بإمكانية تأمين متطلباته إن كانت خارج الإمكانات الموجودة، مع تحديد الفترة الزمنية لإكمال التخطيط والأستعداد، كما تتضمن توجيهات بشإن ما ينبغي عمله في ظروف الطوارىء والمقصود بها مواجهة أي حالة طارئة تحدث خلال فترة الأستعداد. تعاد بعد ذلك إلى القيادة العامة. تقوم هيئة ركن القيادة العامة للقوات المسلحة بإعداد خطة بموجب الأختيار المعتمد تسمى: مسودة المشروع الأولي للعمليات، تجري مناقشتها ومن بعد أقرارها تتحول إلى المشروع الفعلي للعمليات يسمى المشروع الأولي للعمليات الرقم....... يرفع المشروع إما بتوقيع وزير الدفاع أو رئيس هيئة الأركان المشتركة إلى القائد العام للقوات المسلحة لغرض التصديق عليه. يحتوي المشروع على العناوين الرئيسة التالية:

1 - المهمة.

2 - الموقف العام، وفيه يتم عرض موجز للموقف العام بين الطرفين، وتجوز الإشارة إلى تقدير الموقف الذي يحتوي تلك التفاصيل.

3 - الافتراضات الأولية المسبقة.

4 - قوات الطرفين: العدو وقواتنا.

5 - التكوين العام للعمليات، يحتوي على فكرة المناورة المشتركة ثم فكرة العمليات لكل فرع من فروع القوات المسلحة.

6 - التوزيع العام للواجبات والقوات، وتتضمن توزيع القوات على الواجبات الرئيسية لكل فرع من فروع القوات المسلحة.

7 - تنظيم القيادات، وتتضمن على طريقة وشكل التخطيط ثم شكل القيادة المشتركة ومكانها وشكل كل قيادة ومكانها لفروع القوات المسلحة.

8 - الإسناد الإداري.

9 - المستزمات، والمقصود بها مستلزمات تنفيذ الخطة وتشمل على:

المسلتزمات العامة

آ- والتي تخص إعداد المسرح السياسي وبما يخدم العملية المحتملة والإعلامي بما له علاقة بالأمن والمباغتة ومقدار التأثير المطلوب على العدو.

ب- تهيئة مستلزمات إعداد مسرح العمليات من معدات ووسائل مع الوقت المطلوب لإكمالها.

ج- استكمال عناصر التسليح والتجهيز المطلوبة والممكن توفيرها ضمن المدة المحددة بضمنها الفترة المطلوبة للتدريب على الأسلحة والمعدات.

د- تدقيق الخزين الاستراتيجي من الوقود والحاجات الأساسية للشعب يما يضمن منع حصول اختناقات قبل وأثناء العمليات.

ه- الاستمرار بتدقيق المعلومات ومن مختلف المصادر وصولا إلى أقرب صورة واقعية عن وضع العدو وإمكانياته وطبيعة مسرح عملياته وشكل انفتاحه

الاستراتيجي.

و- إعادة النظر بخطة التدريب والتسليح والتجهيز بما يضمن وصول القطعات المنفذة للعمليات إلى مستوى الكفاءة القتالية المطلوبة لها.

ز- الموافقة على تحديد يوم (ي) بعد إكمال مرحلة الدراسات الخاصة والتخطيط المفصل.

ح- إقرار شكل وأسلوب القيادة والسيطرة على مستوى الدولة والمحافظات.

مستلزمات الخاصة بالقوات المسلحة

وتتضمن مستلزمات عمل كل فرع من فروع القوات المسلحة.

بعد مصادقة القائد العام للقوات المسلحة على المشروع الأولي يعاد إلى القيادة العامة للقوات المسلحة، تقوم هيئات الركن في القيادة العامة للقوات المسلحة بإعداد خطة العمليات وقد تسمى بالخطة العامة الرقم..... أو لحالة الصراع مع...... والتي تحوي تفاصيل التنفيذ بشكل متكامل استنادا إلى المشروع الأولي للعمليات المصادق عليه. تحوي الخطة على الأمور الرئيسية التالية:

1 - المهمة.
2 - الموقف ويشمل: عام ثم موقف كل طرف بشكل مفصل.
3 - الافتراضات المسبقة.
4 - فكرة المناورة (التكوين والفكرة العامة للعمليات) وتشمل الفكرة العامة ثم تنظيم وتجحفل القوات - للقوات البرية حسب مناطق العمل المحددة بالخطة ثم القوات الجوية والقوات البحرية. وباقي القوات إن وجدت).
5 - أساليب العمل للقوات البرية والجوية والبحرية - حسب المناطق والصفحات للعمليات ثم مهام الصنوف المقاتلة.
6 - وصايا التنسيق.

7 - القيادة والمخابرة.

8 - الإسناد الإداري.

بعد مصادقة القيادة العليا على الخطة العامة، تصبح تلك الخطة جاهزة للتنفيذ، عندها تقوم القيادة العامة للقوات المسلحة بإعداد دراسات وخطط فرعية تعتبر مكملة للخطة العامة، وتصدر التوجيهات لكل فروع وأقسام القيادة كل حسب اختصاصه لتنفيذ ما هو مطلوب منه بموجب تلك الخطة، مع إعداد خطة متابعة خاصة تحوي على مراحل العمل وتوقيتات الإنجاز، تجري المتابعة بموجبها من قبل القيادة العامة، وتقوم القيادة العامة بنفس الوقت بإحاطة القيادة العليا بمراحل العمل مع الإشارة إلى المعوقات إن وجدت والمقترحات التي تراها ضرورية لتجاوزها مع أي طلبات إضافية قد تدعو الحاجة إليها.

تحوي الدراسات والخطط الفرعية التكميلية التي تتبع الخطة العامة والتي يجب إكمالها على:

1 - حسابات نسبة الخسائر للطرفين.

2 - خطة الإنفتاح الأستراتيجي.

3 - تفاصيل العملية لكل فرع من فروع القوات المسلحة.

4 - الخطة البديلة.

5 - خطة الطوارىء.

6 - خطة التحشد، ومعها خطة التنقل للتحشد وخطة ستر التحشد.

7 - خطة المخادعة الأستراتيجية.

تقوم القيادة العامة بإجراء فحوصات بين فترة وأخرى لمعرفة المستويات التي وصلت إليها فروع وأقسام القوات المسلحة في تنفيذ الخطة، وتأخذ تلك الفحوصات أشكال مختلفة منها تفتيشات وفحوص القوات المسلحة التي

تنفذها المفتشية العامة ومنها التمارين بقطعات وبدون قطعات، ومنها لعب الحرب التي تمثل أعلى مراحل تلك الفحوص وعلى ضوءها يقرر مدى إمكانية وقدرة القوات على تنفيذ المهام المطلوبة منها بموجب الخطة العامة.

خلال مراحل إعداد الخطط والتي قد تستغرق عدة سنوات يمكن إن تحدث مواقف سياسية للدولة توجب تدخل القوات المسلحة، في مثل هذه الحالة، لايجوز اتخاذ قرار سياسي قبل معرفة الوضع والمستوى الذي وصلت إليه القوات المسلحة، لذلك تدعوا الضرورة إلى إجراء مشاورات بين القيادة السياسية والعسكرية للتوصل إلى شكل العمل الممكن من قبل القوات المسلحة وبموجبه يتم إعداد خطة طوارىء لمواجهة تلك الحالة، وتتولى القيادة السياسية التعامل مع الموقف على ضوء الوضع العسكري وخطة الطوارىء، دون إن تكشف وضعها وواقعها.

في حال سارت الأمور على وضعها الطبيعي ولم تحدث تطورات أو ظروف طارئة تكون الخطة العامة قد أصبحت جاهزة للتنفيذ، وفي هذه الحالة فإن قرار التنفيذ يكون بيد القيادة السياسية لتختار الظرف والوقت المناسبين، وفي حالة عدم وجود ضرورة، فإن الخطة تبقى تحت درجة عالية من السرية والكتمان مع ملاحظة إجراء التعديلات والتطويرات والفحوص عليها بين فترة وأخرى حسب تطورات المواقف السياسية والتطورات العسكرية في مجالات التكنولوجيات الحديثة ونظريات الحرب.

في حالة وجود أكثر من عدو محتمل فلابد من وضع أسبقيات من ناحية أيهما العدو الرئيسي المحتمل وأيهما الأخطر، وفي مثل هذه الحالة تعد خطة لكل حالة، ولكون مثل هذه الخطط تكلف الكثير من الجهد البشري والاقتصادي، لذلك تعمد القيادة العامة إلى اقتراح عدد من الافتراضات المسبقة لمواجهة العدوان، تعرضها على القيادة العليا التي تتبناها أو تعدلها وعندها يجري العمل بموجبها من قبل القيادة العامة، وأمر طبيعي إن تكون خطة مواجهة العدو الأكبر والأخطر كافية لمواجهة باقي الحالات، في حالة وجود افتراض مسبق

بعدم الدخول في صراع مسلح مع أكثر من عدو واحد أو في حالة عدم مواجهة عدو آخر مع عدو رئيسي وهكذا تبنى الافتراضات المسبقة لتضع القيادة العامة للقوات المسلحة أمام حالة وضوح فيما ينبغي عمله.

الفصل الثالث فن العمليات والتكتيك (التعبية)

القسم الاول فن العمليات

خلال عرضنا لمفهوم فن الحرب وتطوره التاريخي تطرقنا إلى الأستراتيجية و فن العمليات والتكتيك بأعتبارها أقسام مترابطة لفن الحرب وفي كثير من الأحيان يصعب الفصل بينها بفواصل واضحة، لذا يجد الباحث والدارس نوع من التداخل خلال عرض وتحليل تلك المفاهيم وتطورها التاريخي. فالأستراتيجية تعتمد على مبادىء الحرب مثل توخي الهدف والاقتصاد بالجهد والمبادءة وحرية العمل. كذلك نجد إن هذه المبادئ تنعكس بشكل او بآخر على فن العمليات وعلى التكتيك، والاستراتيجية كما سبق وبيّنا كانت مترابطة مع التكتيك، وكان التكتيك يحقق هدف او غرض الأستراتيجية، ثم جاء فن العمليات ليأخذ الموقع المتوسط بينهما بعد توسع الحروب سواء كان ذلك من حيث الكم البشري المستخدم في القتال (حجم الجيوش المشاركة) او من حيث أتساع مساحة النطاق الجغرافي الذي تدور عليه المعارك، أو من حيث المدى الزمني. إن التداخل المقصود به هو ليس بمفهوم كل قسم من أقسام فن الحرب الثلاثة(الأستراتيجية وفن العمليات والتكتيك) ولكن من خلال التطبيق العملي لها خلال الحروب. ففي بعض الأحيان نجد إن التكتيك يكون الغرض منه في حالة معينة تحقيق أحد أهداف الأستراتيجة، منظورا إليه من خلال قيمة الهدف وليس حجم الهدف في ظروف معينة.وفي هذا الصدد يقول (ليدل هارت) (ويمكن الفصل بين الأستراتيجية والتكتيك نظريا أثناء الحديث، بينما يتعذر ذلك في الأمثلة العملية، نظرا لتشابكهما وتأثر كل منها بالآخر). **(194)** ونذكر على سبيل المثال القيام بإنزال مظلي/قوات خاصة بمستوى فوج او لواء مظلي/ قوات خاصة للسيطرة على هدف تكتيكي، ولكن تأثير هذا الهدف يحقق غاية أستراتيجية من خلال قيمة الهدف وليس بحجم القوة التي نفذت تلك العملية. ومن الأمثلة التاريخية التي توضح هذا الترابط عملية نسف

جسر (تراجينو) في إيطاليا في (10 شباط 1941) الذي نفذ من قبل (38) مظليا منسوبين إلى الفرقة المحمولة جوا البريطانية والذي آخر تقدم القوات الألمانية وعاون قوات الحلفاء لمرحلة معينة. وعملية (أرنهيم) في أيلول(1944) عندما قامت القوات الخاصة البريطانية بالإنزال للسيطرة على جسر (أرنهيم) لتأسيس موطىء قدم للجيش الثاني البريطاني. كما هبطت الوحدات المحمولة جوا التابعة للفرقة (101) الأمريكية لتستولي على الجسورالمقامة على إنهار (الماس والوال والراين) في (نيجميغين وغريف) من أجل تسريع تقدم قوات الحلفاء للسيطرة على (أرنهيم) في هولندا. **(195)** وعملية الإستيلاء على محطة الرادار الألمانية التي تعتبر من أهم العمليات في تاريخ المظليين البريطانيين، حيث كلفت سرية مظلية بريطانية بالإستيلاء على المحطة الألمانية لدراسة وتدمير وإعطاب بعض الأجزاء منها. وكانت هذه المحطة تمثل عقبة في سبيل عمل القوات الجوية للحلفاء التي كانت مكلفة بتدمير البنى التحتية الأساسية للصناعة الألمانية، فهي ترصدهم وتقوم المقاتلات الألمانية بأعتراضهم. كلفت بالمهمة سرية من الكتيبة الثانية من القوات المظلية، وكان قوام السرية (119) مظلي زائدا مجموعة من المهندسين والفنين بمعداتهم الخفيفة. في(28 شباط 1943) تم إسقاط القوة في منطقة آمنة قرب محطة الرادار وتم التعامل بسرعة مع قوة الحماية، كما قام المهندسون بتفكيك الأجزاء المطلوبة مع تدمير الأجزاء المحددة والحصول على الرسوم الوصفية للرادار، وبعد إكمال العملية انسحبت القوة إلى الشاطىء الفرنسي لحين وصول سفن الإنزال التي التقتطهم وأعادتهم. وهناك عمليات أخرى صغيرة نفذتها القوات المظلية مثل الإنزال على محطة الرادار المصرية من قبل الإسرائيليين والحصول على أجزاء منها خلال حرب الأستنزاف، وعملية النسر الذهبي التي نفذت لإنقاذ الزعيم الإيطالي (موسوليني)، كما نفذت العديد من العمليات خلال حرب الخليج الثانية عام(1991) منها أعمال جمع المعلومات وقطع الطرق وإنقاذ الطياريين وإضاءة الأهداف بالليزر لمساعدة القاصفات والصوايخ في الدلالة على الأهداف وغيرها**(196)**.

كما سبق وبينا خلال عرض فن الحرب إن فن العمليات كمفهوم لم يكن قديما قدم الأستراتيجية والتكتيك اللتان كانتا مترابطتين الواحدة مع الأخرى، فالمعركة الواحدة كانت تحقق غاية وأهدف الأستراتيجية ثم تلتها الموقعة التي هي عبارة عن عدد من المعارك. وهنا نود إن نشير إلى إن الفكر الأستراتيجي في اوروبا والذي بدأ ميكافيلي (1469-1527) بطرحه لم يوفق في أحداث تقدما مهما خلال المائتي سنة التالية إلا في مجال تنظيم الجيوش وتكوين نظريات تكتيكية جديدة على يد كل من (غوستاف أدولف) و (مارلبورو الإنجليزي) (1650-1722) و (تورين الفرنسي) (1611-1675)، و (فردريك الكبير البروسي) (1712-1786). وكانت المعركة تمثل الوسيلة الرئيسية التي ينظر إلى الحرب من خلالها وفي هذا الصدد، يقول (كلاوزفيتز) (وبما إن المعركة روح الحرب، وبما إن المعركة الرئيسية هي قتال الجيوش الرئيسية فإن علينا إن نعتبر المعركة مركز ثقل الحرب) **(197)**. أما (جوميني) فرغم إنه اعتبر المعركة هي النهاية التي أعدت لأجلها الجيوش إلا إنه حاول إيجاد رابط او حد فاصل بين الأستراتيجية والتكتيك بقوله (تقود الأستراتيجية الجيش إلى النقطة الحاسمة من منطقة العمليات، وتعد وتحضر لنجاح المعركة وتحدد نتائجها مسبقا، غير إن بلوغ النصر لا يكون إلا بالتكتيك المتحالف مع الشجاعة والتوفيق) وفي هذا المكان تطرق إلى موضوع منطقة العمليات، ومنطقة العمليات هي ذلك الجزء من ساحة الحرب التي تجري فيه المناورة والمعركة او أحداها إذا حققت الهدف. ثم يوضح أكثر معتبرا إن المشكلة المركزية هي الاختيار الصحيح لخط العمليات،وخط العمليات يقصد به (جوميني) هو محور المناورة او الفسحة التي تناور ضمنها القطعات والتي يجب إن تنتخب بدقة من ناحيتي عدم تدخل العدو عليها خلال مرحلة المناورة، والاستيعاب والذي له علاقة بالوقت والمسافة اللازمين للوصول إلى منطقة الموقعة او المعركة، وقد يستخدم القائد أكثر من خط مناورة، لذلك أعتبر (جوميني) إن أهم غرض للقائد هو السيطرة على منطقة العمليات التي يشتبك فيها، ومثل هذه السيطرة مستحيلة ما لم تدمر قوات العدو، ثم يؤكد

على إن الغرض من الحرب هو احتلال كل او بعض أراضي العدو، ومثل هذا الاحتلال يتم بالسيادة الناجحة على منطقة العمليات، هذه السيادة التي تكون ممكنة مستطاعة فقط إذا ما وضع تخطيط الحملة بعناية قبل إن تبدأ العمليات.... وتكون الحرب قد تحقق غرضها عندما تكون خطوط العمل قد قدرت من قبل، ثم يخلص في الأخير، إلى إن واجب الأستراتيجية هو إن تمكن من إدراك كل هذه الخطط الاولية. **(198)** إذا حللنا هذا التصور نجد إن (جوميني) توصل إلى تحديد ثلاثة مفاهيم مترابطة هي، الأستراتيجية التي عليها وضع الخطط الاولية بأختيار منطقة العمليات وهي المنطقة التي ستدور عليها الموقعة أو المعركة، ثم خط العمليات ويعني به محور المناورة والتي قد تكون على محور أو خط واحد أو أكثر والذي تتحرك عليه قوة الهجوم بأتجاه الهدف /الأهداف المحددة، ثم مرحلة الموقعة أو المعركة وهي الحلقة الأخيرة في هذه السلسلة والتي يعبر عنها بالتكتيك. من ذلك نجد إنه أعطى أهمية خاصة لمنطقة العمليات والمناورة ضمن تلك المنطقة من خلال اختيار خط أو محور العمليات. كما إنه حاول إيجاد حد فاصل بين الأستراتيجية والتكيتيك وهو العملية التي تتضمن المناورة على محور واحد او أكثر ضمن منطقة العمليات، وهو مفهوم قريب من المفهوم الذي أصبح يعرف فيما بعد (بفن العمليات). ومع كل ذلك فإن المفاهيم التي أشرنا إليها مهدت الطريق لتكوين الجيوش النظامية كما ساهمت بتطوير الأستراتيجية بشكل غير مباشر وهيئت الظروف الملائمة لظهور فن العمليات في المراحل اللاحقة.

ومع نهاية القرن الثامن عشر أخذت المعارك تمتد لفترات طويلة مثل حرب السبع سنوات (1755-1763) حيث استخدمت فيها جيوش كبيرة، كما امتدت المعارك لتشمل أراضي واسعة. لذلك لم يعد التكتيك قادرا على الإحاطة بكل مسائل إعداد وخوض المعركة والموقعة والعملية في آن واحد، ولم يعد بالأمكان تدمير جيش بالكامل بمعركة او موقعة واحدة، بل أصبح الأمر يحتاج إلى خوض سلسلة من المعارك والمواقع المترابطة فيما بينها بالفكرة الموحدة والتي تجري في آن واحد او في أوقات متفاوتة. لذلك حاول بعض القادة

إيجاد مفهوم جديد يقع بين الأستراتيجية والتكتيك يكون معنيا بأستخدام الفيالق والجيوش في سلسلة من المعارك المنفصلة لتحقيق هدف أستراتيجي واحد. ويبدوا إن أول من استوعب هذا التطور هو (نابليون)، الذي كان أول من أستخدم الجيوش الكبيرة المكتفية ذاتيا من كافة النواحي والتي كانت تظم تشكيلات ميدانية هي الفرق وهي التي أعطت لجيشه المرونة المقرونة بالسرعة، والتي كانت بمثابة الأساس لفن العمليات فيما بعد. كان (نابليون) يستخدم في معاركه مرحلتين تبدأ الاولى بمناورة أستراتيجية قبل المعركة، وكان يسميها التكتيك الكبير او العمليات والمناورات الواسعة، وكان يحرك خلالها جيوشه من نقاط مختلفة إلى المكان الذي حدده للمعركة، وكانت هذه المناورات تأخذ إما شكل التطويق او الالتفاف حول أجنحة العدو ومؤخراته كما حدث في معركة (اولم) (1805) أو قطع خطوط مواصلاته كما حدث في معركة(ينا او جينا) (1806)، وأخيرا عندما يصبح العدو في وضع غير ملائم تدخل مرحلة المعركة الحقيقية، التي كانت تستهدف تدمير جيش العدو.**(199)** والحقيقة إن هذا الفن، كان العرب المسلمون قد طبقوه قبل نابليون بأكثر من ألف عام خلال معاركهم (ليس كمفهوم او مصطلح كما يعرف اليوم ولكن كتطبيق عملي)، عندما قسم الجيش الإسلامي في عهد الخليفتين الراشدين الاول والثاني، إلى فرق وكل فرقة مؤلفة من مختلف الأسلحة وذات اكتفاء ذاتي وتنفذ عمليات أستراتيجية تحت قيادة مستقلة، وبين تلك الفرق اتصال دائم بوسائل مختلفة بحيث يمكن تجميعها على نقاط حاسمة عند الضرورة لتصبح تحت قيادة موحدة كما حدث في معركة اليرموك والقادسية. ولكن عندما ننظر إلى الموضوع كمفهوم عملي له مبادىء واضحة نجد إن(نابليون) كان اول من وضع أسس فن العمليات في العصر الحديث، رغم عدم تداوله كمصطلح ولكنه كان عبارة عن تطبيق حقيقي لهذا المفهوم. الذي تطور خلال القرن التاسع عشر ليصبح مصطلحا له أسسه وقواعده مع نهاية الحرب العالمية الاولى بعد إن توسعت الجيوش وأخذت تشترك بمعارك كبيرة وعديدة تحت تسمية العملية والتي كانت تتطلب تخطيطا وإدارة من قبل القادة الميدانيين

تكاد تكون مستقلة عن المركز في أكثر الأحيان. ويبدوا إن الجيش السوفيتي كان أول من أعطى لهذا المفهوم أهميته ووضع له أسسه وقواعده، وهكذا تطور مع مرور الزمن ليصبح فنا معترفا به من قبل أغلب جيوش العالم ومنهم الجيش الأمريكي الذي أطلق عليه تسمية العمليات وأصبح يمثل القسم الثاني من فن الحرب وجزء من عقيدته القتالية عام(1982)، كما اعتمد الألمان مصطلح العمليات أيضا ثم حلف الناتو. أما السوفيت فكانوا سباقين لأعتماد هذا المصطلح بشكل رسمي من بعد الحرب العالمية الاولى. إذ اعتبر السوفيت الفن العملياتي بمثابة حلقة الربط بين الأستراتيجية والتكتيك وإن هذا الفن معني بتهيئة وإدارة عمليات تشكيلات كبيرة مثل الفيلق والجيش الميداني الذي يضم ما بين (2-7 فرق) مشاة ودروع مع العناصر الساندة، ويقول السوفيت إن الفرقة تقاتل في المعركة بينما (الفيالق - الجيوش) تدير العمليات**(200)**.

في ضوء ما تقدم نجد إن فن العمليات يعتبر القسم الثاني من فن الحرب وهو معني بالإعداد للعمليات العسكرية وطرق خوضها وإدارتها، بمستوى قيادات الجيوش والفيالق البرية وما يعادلها من القوات الجوية والبحرية من أجل تحقيق الأهداف الأستراتيجية. وعلى هذا الأساس فإن الأستراتيجية تحدد هدف/ أهداف العمليات وطرق إدارتها لتحقيق أهداف الأستراتيجية، أما فن العمليات فعليه تحديد المهام للتكتيك وطرق إدارة المعارك لتحقيق أهداف العمليلت وبالتالي الأستراتيجية. أما وجهة نظرنا فإنها تذهب إلى إن ما ينجزه التكتيك يمثل حلقة الربط النهائية لما يمكن تسميته دورة فن الحرب، وإن التغذية العكسية أي ما ينجزه كل مستوى يؤثر على المستوى الأعلى والأدنى سلبا او إيجابا، لذلك نجد إن هذه الأقسام، وكما بينا، مترابطة فيما بينها ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. وعلى هذه العلاقة تتوقف طريقة إدارة الحرب بالكامل. وسوف نوضح ذلك في، المبحث الثاني من الفصل الرابع.

أما العملية فتتعرف على إنها شكل من أشكال إدارة الصراع المسلح الذي يتحدد

جوهره في تدمير او صد ضربة مجموعات تجحفلات العدو، أوأحتلال أو مسك مناطق معينة من الأرض المهمة التي يحتلها العدو وضمن نطاق عمليات القوات البرية فإنها تقسم إلى عمليات بنطاق جيوش، جبهة، أو فيلق/ جيش كما في الجيش السوفيتي والروسي لاحقا، وجيش وفيلق كما في الجيش الأمريكي وحلف الناتو، وجيش كما في القوات المسلحة المصرية، وفيلق كما في القوات المسلحة العراقية سابقا. أي إن المستوى العملياتي (فيلق، جيش) عندما يكلف بمهمة خلال الحرب، فإن طريقة العمل او التنفيذ هي ما يطلق عليه بالعملية، لإن مستوى القوة المنفذة هو مستوى عملياتي.

أما بالنسبة لعمليات الجيش او الفيلق فإنها تقسم إلى عمليات تعرضية وعمليات دفاعية وتعطى الأهمية لأحداهما على الأخرى تبعا للأهداف الأستراتيجية المحددة.

وإذا أردنا تفصيل المواضيع التي يتضمنها فن العمليات، فإننا يمكن إن نحددها على النحو التالي:

1 - أعداد وصياغة النظرية التعرضية والدفاعية للعمليات استنادا إلى مرتكزات الأستراتيجية العسكرية.

2 - تحديد الترتيبات الضرورية لرفع درجة تهيؤ القطعات(التحول من الحجم السلمي إلى الحجم الحربي) إن التحول من الحجم السلمي إلى الحجم الحربي يخضع بالأساس إلى خطة العمليات التي حددت الحجم المطلوب للعمليات المقر تنفيذها. ومن الطبيعي إنه لا يمكن الاحتفاظ بكل ذلك الحجم في وقت السلم لما يترتب عليه من تكاليف كبيرة. لذا توضع خطة لرفع الحجم السلمي إلى الحجم الحربي، وغالبا ما توضع درجات لرفع درجات التحول تبعا لعوامل الزمن المحدد لتنفيذ الخطة والموقف العام ومستوى الاستعداد القتالي لتلك القوات والقدرة على إحباط ضربات العدو التمهيدية المباغتة..

3 - إعداد الخطط الخاصة بالعمليات التعرضية التي تستهدف تدمير دفاعات

العدو باختيار شكل المناورة التي تتناسب مع القدرات القتالية والتي تتناسب مع مبادىء الحرب المعتمدة ومرتكزات الأستراتيجية العسكرية.

4 - تنظيم وإدارة الدفاع الفعال اتجاه هجوم العدو.

5 - تهيئة الطرق والمعابر لعمليات العبور المدبر للموانع المائية.

6 - إعـداد الترتيبـات اللازمـة للأسـتطلاع لتـدمير وسـائل وأسـلحة التـدمير الشامل.

7 - إعداد الخطط والترتيبات العملية اللازمة لتهيئة مسارح العمليات لغرض انفتاح القطعات في المرحلة التمهيدية للحرب. في حالة التعرض أو الدفاع.

8 - بالنسبة للعدو فإن فن العمليات يهتم بالأمور التالية:

آ- نوايا العدو الرئيسي والمحتمل، ودرجة الأحتمالية لما يمكن إن يقوم به من عمليات عدائية.

ب- القـوات المسـلحة للعدوالرئيسـي والمحتمـل، (الحجـم، النـوع، التسـليح، التجهيز، التجحفلات). القدرة القتالية للقوات المسلحة المعادية.

ج- تحديد نقاط القوة والضعف لقواته المسلحة.

ه- وجهات نظره وعقيدته القتالية في تنفيذ العمليات التعرضية والدفاعية، ضمن منطقة العمليات.

ولا يقتصر فن العمليات على الموضوعات التي تقدمنا بذكرها، إنما ينطوي على جملة خصائص ينبغي التاكيد عليها ومنها:

1 - من الضروري التفكير بمستوى أعلى عند وضع الخطط، إذ لا ينبغي حصر التفكـير بالمسـتوى العمليـاتي التـي تـدور ضـمنه الخطـة، بـل ينبغـي التفكـير بمستوى أعلى لإعطاء الخطط بعدا ومجالا اوسع للتفكير والتقدير لما يحتمل إن تكون عليه الأمور.

2 - استخدام المعارك لأغراض العمليات (لا تتحقق أهداف العمليات بمعركة واحدة وإنما بعدد من المعارك التكتيكية).

3 - استخدام فن الحرب وليس مهارة القتال. إن فن الحرب يقوم على مبادىء راسخة لا تتغير، فالمبادءة، وتركيز الجهود "التحشد "، والمباغتة، والاقتصاد والتعرض، والمرونة، وغيرها، من مبادىء الحرب نجدها حاضرة عند التطبيق العملي لفن الحرب عبر مختلف مراحل التاريخ، ولكن التغيير يكمن في القدرة والتفاوت على تطبيقها بين شخص وآخر تبعا للقدرات الشخصية لكل شخص التي تستند إلى: الذكاء، الإبداع، الخيال، الخبرات.

4 - النجاح في إدارة العمليات تكمن في التفوق على العدو في اللحظات الحاسمة ضمن مسرح العمليات. إن فن العمليات من وجهة نظرنا، يعتمد بالأساس على المناورة والتي هي القدرة على تحقيق التفوق بالجمع بين عاملي (الحركة + القوة) في الوقت والمكان المناسبين.

5 - المناورة بالوحدات والتشكيلات قبل وخلال المعارك وبعدها يمكن إن تكسب القائد احتمالات أكبر على الانتصار. ولتوضيح إمكانية فن العمليات بإجراء المناورة بالوحدات والتشكيلات، قبل وأثناء وخلال المعارك، نجد إن السبب يكمن في إن هذا المستوى يمتلك المرونة في استخدام القوة التي لم تشتبك فعليا بالمعركة وذلك بتحويل او تغيير مهمتها إلى مهمة أخرى يمكن إن تعطي فرص نجاح أكبر، أما التي اشتبكت فعلا فمن خلال إيقاف الجهد الفاشل في قاطع، وتعزيز النجاحات التي تحقق في قواطع أخرى وهكذا. أما بعد العملية فالموضوع يصبح له علاقة بمرحلة استثمار الفوز والتي تحتاج إلى مرونه عالية في المناورة والتي قد تكون جديدة كليا. هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام تبرز في مستوى فن العمليات والتي تعطيه هذه المرونة وهي: إن القيادة العملياتية بعد قيامها بإعداد فكرة العملية وإقرارها، تقوم بوضع عدد من الاحتمالات او المسالك التي يمكن إن تحدث قبل تطبيق الخطة المقررة اوخلالها اوبعدها من وجهة نظر العدو، وتقوم بمناقشة إمكانية تنفيذ تلك الاحتمالات او المسالك تبعا للمهمة والإمكانات، وتثبت ما يتلاءم معهما، ثم

تضع خطة لكل احتمال او مسلك بضمنها طريقة وأسلوب المناورة وتحتفظ بها ولا تعممها للمستوى الأدنى، فإذا ما حدث أي تغيير فالخطط البديلة تكون جاهزة لمواجهة ذلك التغيير، وفي هذا المجال يكمن السر في مرونة فن العمليات وقدرته على التجاوب مع المتغيرات، وهذا بخلاف التكتيك الذي يفتقد لتلك المرونة بعد اشتراكه بالمعركة.

وكما لفن العمليات موضوعاته وخصائص يختص بها، فإن له أيضا عدد من المبادىء التي ينبغي الاسترشاد بها وهي في الحقيقة جزء من مبادىء الحرب ولكن أهميتها على مستوى فن العمليات تبرز بشكل أكبر واوضح وهي:

1 - المبادءة: تعني إن يكون تنفيذ العمليات بشكل حاسم وفعال من أجل الحصول على المبادءة والاحتفاظ بها إلى إن يتم تدمير العدو. إن الحصول على المبادءة يعني الحصول على حرية العمل التي هي أساس فن العمليات وهذا غير ممكن بدون التعرض، أما الدفاع فينبغي إن يكون فعالا حتى تحين الفرصة لانتزاع المبادءة والتحول للتعرض. إن المبادءة وحرية العمل تتطلب فاعلية عالية من قبل القيادات العملياتية التي تعتمد على الإبداع الذاتي والمرونة في مواجهة كافة الاحتمالات واستغلال الفرص التي قد تتاح خلال العملية.

2 - التعرض: لايمكن الحصول على المبادءة بدون التعرض، الذي يجب إن يستمر حتى يفقد العدو القدرة على القتال، التي تؤدي إلى حرمانه من فرص المناورة وبالتالي يسهل تدميره او وضعه في موقف لا يستطيع معه مواصلة القتال.

3 - قابلية الحركة والسرعة العالية في تنفيذ العمليات القتالية، المبدئين الاول والثاني يتطلبان قابيلة حركة عالية وسرعة في العمل، هذان العاملان يؤديان غالبا إلى خلق فعل الصدمة لدى العدو التي يمكن ان تؤدي إلى شل قدراته وتفقده بالتالي حرية العمل.

4 - تركيز الجهود وتأمين التفوق بالقوة والوسائل في الوقت والمكان الحاسمين. إن هذا المبدأ يكمن في الاختيار الصحيح لاتجاه الضربة الرئيسية لعملية الهجوم، او في تركيز الجهود الأساسية في الدفاع تجاه الهجمات الرئيسية المحتملة للعدو او تركيز الجهود للدفاع عن الأهداف المهمة، إن هذا التركيز لا يمكن إن يحقق نتائجه المطلوبة ما لم ينجز في الوقت المناسب الذي يتم اختياره وفق حسابات وتقديرات دقيقة. عندها يمكن تحقيق ليس الحشد فقط، بل تأمين التفوق في الوقت والمكان وهذا أمر ضروري جدا لنجاح العملية، كما إن تأثيره يحقق مبدأ آخر وهو الاقتصاد في الجهود.

5 - إدامة الأستعداد القتالي للقطعات. الغاية من هذا المبدأ هو تأمين رد الفعل السريع وتجنب (المباغتة) التي تعتبر أحد عناصر اللامتوقع في الحرب والتي قد تؤدي إلى نتائج غير متوقعة وغير محسوبة.

6 - التنسيق: يقصد بالتنسيق مراجعة وتدقيق الخطط قبل التنفيذ، ويجري التنسيق خلال مؤتمر (يسمى مؤتمر التنسيق) يعقده المقر العملياتي للمستويات القيادية التالية التي ستقوم بالتنفيذ، حيث تعرض فكرة العملية ثم يقوم كل قائد تعبوي بعرض خطته وتجري المناقشات بين المنفذين من أجل أحكام النهايات السائبة في الخطط بين تلك القطعات، وحتى يعرف كل قائد ما يجري حوله. (يسمى في بعض الجيوش تنظيم التعاون)

7 - العمل في إن واحد حتى العمق الكامل لانفتاح العدو.

في هذا المجال يمكن إن نوضح: إن فكرة العمليات لقائد الفيلق /الجيش التي تهيء نتيجة تقدير الموقف، تشتمل على المناورة والمعركة.. المناورة هي التي تهيء القوة بحيث تضع العدو في موقف لا يساعده على إدامة حرية العمل.. كما تحقق تلك المناورة للمعركة المقبلة تفوقا حاسما في منطقة المعركة الرئيسية سواء للخرق او الإحاطة او التطويق في العمليات التعرضية اوالتفوق للدفاع عن المناطق الحيوية خلال العمليات الدفاعية، ولعل ما ذكرناه آنفا عن أسلوب نابليون في تنفيذ العملية، تمثل التطبيق العملي لهذه الفكرة حيث كان يقسم العملية إلى مرحلتين تبدأ الاولى بمناورة أستراتيجية يسميها التكتيك

الكبير (وهو ما يمكن تسميته بفن العمليات) وهي عبارة عن مناورات واسعة يحرك فيها الجيش من مناطق مختلفة إلى منطقة المعركة التي حددها مسبقا وهذه المناورة كانت تحقق غرضين رئيسين الاول جعل العدو يفقد حرية العمل والثاني تحقيق التفوق الحاسم في المكان المناسب قبل المعركة، أما المرحلة الثانية فهي المعركة التي حقق فيها تدمير العدو **(201)**.

إن التفوق المطلوب في الظروف الراهنة، وضم منظور الحرب الحديثة والأسلحة المتطورة، ينبغي إن يتفوق بدرجة عالية جدا عما كان في السابق، ليس في القوة البشرية، فقط بل في أسلحة الإسناد أيضا، وحتى لو كان حجم الجيش او الفيلق أقل على المستوى الأستراتيجي إلا إنه يجب إن يؤمن التفوق في المنطقة الحاسمة من منطقة العمليات والتي تؤمن عن طريق المناورة المحسوبة بدقة والتي لا تنتهي إلا بالوصول إلى العمق الكامل لانفتاح العدو وبخلافه لا تعتبر المناورة والمعركة قد حققت غرضها.

بعد العرض الذي تقدمنا به ثمة تساؤل يطرح نفسه: كيف يمكن لنا إن نفهم فن العمليات.

سبق وبينا خلال المبحث الاول ما تعنيه الحرب كمفهوم والغاية منها او هدفها والتي إما إن تكون بقصد فرض الإرادة على العدو، وفرض الإرادة لا يمكن إن يحصل إلا بتدمير قواته او أستسلامها او وضعها في موقف لا تستطيع معه مواصلة الحرب أو بأحتلال كل أو جزء من أراضيه، ومثل هذه النتائج لا يمكن إن تتحقق مالم يكن هناك تخطيط مسبق لأستخدام القوات المسلحة من أجل تحقيق تلك الأهداف، هذا التخطيط هو ما تعني به الأستراتيجية العسكرية، فالأستراتيجية العسكرية هي المسؤولة عن وضع الخطة العامة لأستخدام القوات المسلحة لتحقيق أهداف السياسة، وكما بينا في موضوع الأستراتيجية.

أما المستوى التالي المعني بتنفيذ الخطط الأستراتيجية فهو المستوى

العملياتي. فالأستراتيجية تحدد المهام للعمليات، والعمليات تحقق أهدافها من خلال ما يسمى بالعملية التي تستخدم فيها التشكيلات الكبيرة (جيش/ فيلق)، والمقصود بالعملية هي عبارة عن مجموعة من حركات وأستخدام للقوة، (يقصد بها القوة النارية)، يؤدي التناوب بين هذين العنصرين (الحركة+القوة) ما يطلق عليه بمصطلح المناورة، لذلك تصبح المناورة هي ميدان فن العمليات، وهي العنصر الفعال للقتال ووسيلة لتحشيد القوات في المناطق الحرجة مستفيدة من عنصر المباغتة. أما التكتيك فسيكون معني بفعل التدمير للعدو بفعل عاملي (النار والصدمة). والمناورة التي تستهدف تدمير العدو يمكن إن تأخذ الأشكال الرئيسية التالية: الهجوم الجبهوي والاختراق والتطويق والإحاطة الفردية أي من أحد الأجنحة او المزدوجة أي من الجناحين. ورغم وجود مفاهيم خاصة لأشكال المناورة لدى الغرب والشرق فإن الفهم الصحيح للمناورة في معناها الواقعي هو الاستخدام البارع والحاذق للقوة. وهو ما يعبر عنه بالفن المقرون بالعلم، أي البراعة في الاستخدام. وحتى تفهم المناورة بشكل واضح فمن الضروري ربطها بمفهوم: المبادءة ومفهوم حرية العمل.

إن مفهوم المبادءة يعني القدرة على اتخاذ القرار بمباشرة العمل العسكري ضد العدو قبل إن يقدم عليه. أما حرية العمل فهي تلك الدرجة التي يمنحها القرار المناسب في أختيار المكان والزمان المناسبين للعملية. هذين العاملين يتجسدان في إطار فن العمليات الذي تتوفر له المرونة في التطبيق العملي. وخير مثال على ذلك العمليات التي كانت تدار من قبل الفيلق الخامس عشر للجيش الثالث الأمريكي في اب (1944)، فمنطقة الجيش الثالث كانت تمتد من (أفرانسية وفوغيرية ولافال ولومان إلى النشون) وكانت خالية من أي مقاومة ألمانية، وهكذا تمكن الفيلق الخامس عشر من التحرك جنوبا وشرقا وشمالا بالقرب من فتحة (كاليه) في 13أب، وفي خلال أربعة أيام كان الفيلق(15) قد إندفع مسافة(75) ميلا من (سانت هلين) إلى (لومان)، وكان هذا التحرك قد طوق الجيش الألماني في غرب نهر السين، وتمت إدامة حرية العمل لتجنب الاشتباك الحاسم حتى الاندفاع نحو (كالية) وأشتركت فرق من فيالق أخرى

في قتال عنيف وذلك لتضييق الخناق على الألمان. إن المناورة العملياتية تركت الفيلق (15) حرا في الحركة بالسرعة الضرورية التي تمكنه من تهديد الجناح الأيسر للجيش الألماني وساعد على نقل الفرق بين الفيالق على إدامة حرية العمل والزخم المطلوب للمناورة العملياتية.**(202)**

كما يمكن أعتبار العلاقة الفعالة بين أشكال المناورة وآثارها على حرية العمل في المستوى العملياتي هو الحروب النابليونية التقليدية، فيما كانت القوات الفرنسية تتركز في ميدان المعركة كان القسم الخاص من القوات القائمة بالهجوم الاولي يدير سلسلة من الهجمات الجبهوية في سبيل إحكام الطوق على العدو، وكانت الهجمات تدار بشكل يتصف بالصلابة والقوة مما يجبر العدو على أستخدام ما لديه من احتياط، إن التطويق او الهجوم من الجناح كان يستخدم لغرض سحب قوات العدو من المواقع القتالية للجبهه المهددة.

إن الدرس النابليوني يبرز في إنه كان يخلق وضعا ضعيفا في الجزء الأكثر خطورة في خطوط العدو، وعندها يستغل هذا الضعف بالهجوم الذي يستهدف خرق دفاعات العدو، وفي مثل هذا الموقف يتم القضاء تماما على حرية العمل لدى العدو، وبذلك يسبب الاستخدام الفعال للمناورة القضاء تماما على حرية العمل لدى العدو وعندها تفقد قوات العدو تماسكها ويسود فيها الاضطراب ويتحقق النصر ليس من خلال التدمير بل من خلال فقدان حرية العمل التي شلت تفكير قيادة العدو. ومن الأمثلة الجديرة بالاهتمام معركة (الغزالة) التي وقعت خلال الفترة من (5-13/6/1942) في شمال إفريقيا في(ليبيا)بالتحديد بين قوات المحور وقوات الحلفاء. فخلال يومي (5 و 6/6/1942) شنت القوات البريطانية هجوم كبير على قوات المحور في منطقة (الكولدرن) في (ليبيا) لتدمير قوات المحور وسط (خط الغزالة)، ولكن الهجوم فشل، عندها بدأت قوات المحور بقيادة الجنرال (رومل) بالهجوم المضاد بالفرقة(21 بانزر والفرقة 15 بانزر)،وتمكن من تدمير قيادة الفرقة(7 المدرعة والفرقة 15 مشاة الهندية) وأسر حوالي (4000) جندي، وأصبحت القوات البريطانية في حالة فوضى

وتخبط خلال ليلتي (5و6/6/42)، وكانت هذه المعركة بمثابة نقطة تحول في العمليات العسكرية التي تلتها حتى إنهيار خط (الغزالة) بأكمله. ثم دارت معركة أخرى عندما حاولت قوات المحور السيطرة على دفاعات (بير الحكيم) التي تعتبر من أقوى الدفاعات في خط (الغزالة) لأحتوائه على (1200) منعة كونكريتية، وبدأ الهجوم من يوم (7-11/6/42) شنت الفرقة(90 مشاة آلي خفيف)هجومها من الجنوب وتقدمت قوات الاقتحام مسافة كبيرة داخل دفاعات (بير الحكيم)بعد إن تكبدت خسائر كبيرة، ومع ذلك أستمرت قوات المحور بالهجوم ونجحت في اختراق دفاعات(بير الحكيم) يوم(11/6)مما اضطر البريطانيين إلى الإنسحاب وأحتلت الفرقة (90) بير الحكيم. وفي يوم (12 /6) شنت قوات المحور هجومها على (جسر الفرسان) ضمن خط الغزالة وكان القصد من الهجوم جر الأحتياطات البريطانية للمعركة، حاول رومل الالتفاف على جناح القوات البريطانية من الجنوب ولكنه فشل بسبب المقاومة الشديدة مما أضطره للإنسحاب، ولكنه نشر مدفعية الميدان ومدافع ضد الدبابات لمواجهة الهجوم المقابل البريطاني، وتمكن فعلا من جر الدروع البريطانية إلى مدى مدفعيته ما ألحق بها خسائر فادحة قبل إن يدفع بأحتياطاته من الدروع للقضاء على التشكيلات البريطانية حيث جرت مذبحة للدروع البريطانية وتحطم ما بقي منها، وإنتهت المعركة بتدمير الجزء الأكبر من القوات المدرعة البريطانية وبذلك سقط (جسر الفرسان) الذي يمثل الأرض الحيوية في خط الغزالة، ما أضطر القوات البريطانية الإنسحاب إلى طبرق ولكن رومل استمر بمطاردتهم حتى طبرق وهي في حالة تشتت(**203**).

والمثال الآخر ما حدث خلال الحرب العراقية الإيرانية وبشكل خاص في المعركة الثالثة من معارك التحرير التي نفذتها القوات المسلحة العراقية التي سميت (بمعركة توكلنا على الله الثالثة) والتي كانت تستهدف تحرير الأراضي العراقية في منطقة شرق ميسان بتاريخ (12-14تموز 1988).(**204**) والتي كانت مثالا لمعركة تعرضية متميزة بمستوى فيلق.

إن مناورتي التطويق والأختراق الجيدتين يستهدفان قطع خطوط مواصلات العدو بين قواته وقاعدته، ومناورة الهجوم الجبهوي تستهدف فتح الثغرات من خلال تركيز النار التي تؤدي إلى التدمير النفسي لإرادة العدو وإضعاف قدرته على المقاومة، وعندما تجتمع المناورة بأشكالها الثلاثة (الهجوم الجبهوي والتطويق والاختراق) فإنها تؤدي إلى خلق ضغوط نفسية مع إثارة الخوف والرعب من احتمال التطويق والعزل ثم التدمير، وهذه العوامل بقدر ما تؤثر على القوات فإن تأثيرها على عقلية القائد تكون مضاعفة خصوصا إذا أضفنا إليها ضبابية المعركة، لذلك يصبح القائد عاجزا عن اتخاذ القرار المناسب وعندها يخسر المعركة.وكما حدث في حرب الخليج الثانية عندما هاجمت قوات التحالف القوات العراقية في الكويت بعد قصف جوي شمل عموم الجبهة والعمق العراقي وعلى مدى (39) يوما وفي ليلة (24 شباط1991) شنت قوات التحالف هجومها البري الواسع الذي جمع بين مناورة الإحاطة البعيدة التي نفذها الفيلق الأمريكي (18: الفرقتان المحمولتان جوا (101و82) والفرقة المدرعة الخفيفة (24) من الغرب حيث وصلت إلى نهر الفرات ومن ثم احتلال قاعدة (على بن أبي طالب) الجوية في الناصرية ومنطقة اور الأثرية حتى تل اللحم. ومناورة إحاطة متوسطة المدى مؤلفة من الفيلق السابع المؤلف من (فرق أمريكية وبريطانية والفرقة الفرنسية 24المدرعة)،كان هدف هذه المناورة الأحتياطات العراقية وهي قوات الفيلق الرابع العراقي، ثم الإندفاع شمالا لمهاجمة قوات الحرس الجمهوري التي كانت تدافع على شكل قوس كبير عن جنوب وجنوب غرب البصرة مع مناورة جبهوية تجاه المواضع العراقية المدافعة عن الكويت تستهدف ساحل الخليج بأتجاه مباشر نحو المدن الرئيسية، نفذه الفيلق العربي. إن تلك العملية بكل جوانبها حققت المبادءة وحرية العمل التامة لقوات التحالف وتمكنت من شل القيادة العراقية وكان الموقف العراقي كما وصفه رئيس أركان الجيش العراقي في ذلك الحين بقوله (كإننا وسط دوامة بحرية هائلة أخذتنا عميقا حتى لامست أقدامنا قاع البحر، إلا إن الحظ الحسن أدركنا أخيرا حين وجدنا إنفسنا نصف غرقى، متشبثين

بقطع خشبية طافية)(205).

إن المناورة بمستوى الفيلق او الجيش هي حصيلة جهود متعاقبة لتلك القيادات التي ينبغي إن تتحلى بالقدرة العالية على التوقع وعلى المرونة والقدرة على رد الفعل السريع والاستغلال الجيد للفرص والظروف المصاحبة لتلك العمليات، ومشروع المناورة هو المعضلة الخاصة بالقائد وهي معضلة كبيرة قياسا لما يحتمل إن يواجهه آمروا الوحدات التكتيكية، لذلك يصبح الفيلق والفرق المستقلة هما التشكيلات الرئيسية في المناورة العملياتية، إن الفيلق بأعتباره تشكيلا ذا تنظيم مرن يجسد الدرجة من الكفاية في العمل المستقل والتي يتطلبها مسرح العمليات، أما الفرقة واللواء والفوج فتصبح أدوات المناورة العملياتية.

وحتى نغطي تفاصيل موضوع فن العمليات فلا بد لنا من التطرق إلى إنواع او أشكال تلك العمليت والتي يمكن إن تكون، إما عمليات تعرضية اوعمليات دفاعية وكما يلي:

العمليات التعرضية

إن عمليات القوات البرية تقسم إلى عمليات تعرضية وعمليات دفاعية وهذين الشكلين من العمليات يرتبطان مع الأهداف التي يتم تحديدها من قبل القيادة الأستراتيجية. أما أهمية وموقع هذين الشكلين ضمن تلك العمليات، فإن العمليات التعرضية تعتبر هي الشكل الرئيسي لفن العمليات، وهي وسيلة الأستراتيجية العسكرية لتحقق الحسم والنصر في الحرب، وتعتبر عمليات جحفل جيش/ فيلق الجزء المهم من العملية. ضمن العمليات التعرضية قد تأخذ تلك العمليات شكل الهجوم او المعارك التصادفية أو المطاردة ولو رجعنا إلى تاريخ الحروب لوجدنا إن العمليات التعرضية هي التي حسمت تلك الحروب، عبر كل مراحل التاريخ، وإن الدفاع رغم ما يقال عنه بإنه الشكل الأقوى في الحرب لكنه لا يحسم الحرب، لذلك يلجأ إلى الدفاع كحالة أضطرار

تحت ظروف معينة، كمحدودية الإمكانات وعدم تناسب القوى، او عدم الأستعداد والتهيؤ، أو كحالة وقتية لحين تهيئة الظروف الملائمة ومن ثم التحول إلى التعرض، ولعل الأمثلة التاريخية الحديثة هي خير دليل على ذلك، فالحرب العالمية الاولى والتي استمرت زهاء أربع سنوات والتي غلبت عليها صفة الدفاع المستكن لم تحسم إلا بالتعرض الكبير للحلفاء على ألمانيا في 26 (ت2 1918) قرب (أميان) والذي انتهى بقبول ألمانيا الهدنة بشروط الحلفاء في نوفمبر (1918)، والحرب العالمية الثانية التي بدأتها ألمانيا بسلسلة من العمليات التعرضية على عموم أوروبا وروسيا، ولم تخسر الحرب إلا بعد تحولها للدفاع وتحول الحلفاء للهجوم الذي انتهى بأحتلال ألمانيا، والحرب الكورية التي لم تحسم إلا بالتعرض الكبير على ميناء(إنشون) وإجبار قوات كوريا الشمالية على الإنسحاب شمال خط عرض (50)والذي لا يزال يمثل الخط الفاصل بين الكوريتين، وكذلك الحرب الهندية الباكستانية التي انتهت بإنتصار الهند، والهجوم الإسرائيلي على الجيوش العربية عام (1967) والذي أدى إلى تدميرها وأحتلال سيناء والضفة الغربية والجولان، وحرب أكتوبر (1973) حسمت أيضا بالتعرض المصري واحتلال خط بارليف بعد حرب استنزاف دامت أكثر من خمس سنوات، والحرب العراقية الإيرنية والتي امتدت على مدى ثمان سنوات كانت صفة أغلب معاركها معارك دفاعية وحرب استنزاف للطرفين ولم تحسم الحرب إلا بالعمليات التعرضية المتتالية التي شنت على مدى أربعة أشهر (من شهر نيسان ولغاية شهر أب1988) والتي حسمت الحرب وأجبرت إيران على قبول وقف إطلاق النار. ثم حرب الخليج الثانية عام (1991) التي انتهت بآخراج القوات العراقية من الكويت، وحرب الخليج الثالثة التي انتهت بأحتلال العراق. وغيرها من أمثلة عديدة لا مجال لعرضها.

تطور مفهوم العمليات التعرضية خلال الحرب العالمية الاولى والثانية بسبب التطور الكبير على الخبرات المكتسبة من تلك الحروب ومن خلال التطور الكبير على وسائل القتال خصوصا الدروع والقوة الجوية والسمتيات التي أصبحت تشكل الثقل البارز في كل الحروب اللاحقة مع صنوفها الساندة من

تحـت ظروف معينـة، كمحـدودية الإمكـانات وعـدم تناسـب القوى، او عـدم الأسـتعداد والتـهيؤ، أو كحالـة وقتيـة لحـين تهيئة الظروف الملائمة ومن ثم التحول إلى التعرض، ولعل الأمثلة التاريخية الحديثة هي خير دليل على ذلك، فالحرب العالمية الاولى والتي استمرت زهاء أربع سنوات والتي غلبت عليها صفة الدفاع المستكن لم تحسم إلا بالتعرض الكبير للحلفاء على ألمانيا في 26 (ت2 1918) قرب (أميان) والذي انتهى بقبول ألمانيا الهدنة بشروط الحلفاء في نوفمبـر (1918)، والحــرب العالميــة الثانيـة التـي بـدأتها ألمـانيا بسـلسلة من العمليات التعرضية على عموم أوروبا وروسيا، ولم تخسر الحرب إلا بعد تحولها للدفاع وتحول الحلفاء للهجوم الذي انتهى بأحتلال ألمانيا، والحرب الكورية التـي لـم تحسـم إلا بـالتعرض الكبير على ميناء(إنشون) وإجبار قوات كوريا الشمالية على الإنسحاب شمال خـط عـرض (50)والذي لا يزال يمثل الخط الفاصل بين الكوريتين، وكذلك الحرب الهندية الباكستانية التي انتهت بإنتصار الهند، والهجوم الإسرائيلي على الجيوش العربية عام (1967) والذي أدى إلى تـدميرها وأحتـلال سـيناء والضـفة الغربيـة والجولان، وحـرب أكتوبر (1973) حسمت أيضا بالتعرض المصري واحتلال خط بارليف بعد حرب استنزاف دامت أكثر من خمس سنوات، والحرب العراقية الإيرنية والتي امتدت على مدى ثمان سنوات كانت صفة أغلب معاركها معارك دفاعية وحرب استنزاف للطرفين ولم تحسـم الحـرب إلا بالعمليات التعرضية المتتالية التي شنت على مدى أربعة أشهر (من شهر نيسان ولغاية شهر أب1988) والتي حسمت الحرب وأجبرت إيران على قبول وقف إطلاق النار. ثم حرب الخليج الثانية عام (1991) التي انتهت بآخراج القوات العراقية من الكويت، وحرب الخليج الثالثة التي انتهت بأحتلال العراق. وغيرها من أمثلة عديدة لا مجال لعرضها.

تطور مفهوم العمليات التعرضية خلال الحرب العالمية الاولى والثانية بسبب التطور الكبير على الخبرات المكتسبة من تلك الحروب ومن خلال التطور الكبير على وسائل القتال خصوصا الدروع والقوة الجويـة والسمتيات التي أصبحت تشكل الثقل البارز في كل الحروب اللاحقة مع صنوفها الساندة من

مدفعية وصواريخ وهندسة وغيرها، وبسبب ما امتلكته تلك الأسلحة من قدرات (مديات عمل وقوة نارية وسرعة) وتطور منظومات الأتصالات التي زادت من قدرة القيادة والسيطرة على القوات وزيادة قدرتها على المناورة السريعة بالقوات والنيران من مكان إلى آخر ومن محور إلى آخر، كل تلك العوامل أعطت للعمليات ميزات جديدة لم تكن متوفرة سابقا ولعل أهمها هي القدرة على تنفيذ العمليات العميقة والتي تسعى إلى الاختراق السريع للدفاعات الأمامية والتقدم بسرعة إلى الأعماق العملياتية او الأستراتيجية لشل او تدمير احتياطات العدو وقطع طرق إمداداته ومراكز القيادة والسيطرة، و إحداث ارتباك وشلل لدى قياداته ومن ثم انهياره. إن جوهر هذه العمليات يتلخص بما يلي:

1 - حشد قوة الهجوم على اتجاه الضربة الرئيسية

إن عملية حشد قوة الهجوم يعتمد على على عدة عوامل حسب وجهة نظرنا هي (طبيعة المهمة وعمقها، حجم القوات المتيسرة وكفائتها القتالية ومدى عملها اليومي. ترتيبات العدو الدفاعية بضمنها منظومات الموانع وحجم قوته ضمن تلك الدفاعات وعمقها، وسائل النيران المتيسرة، حجم وأماكن الاحتياطات، طرق الإدامة، مراكز القيادة والسيطرة، المناطق الإدارية) يكون الحساب على أساس ما يتطلبه كل عامل من تلك العوامل من قوة، وحتى لا تكون هناك مبالغات بالحسابات فإن القيادة المرنة والذكية قادرة على إجراء المناورة بالحجم قبل وخلال التنفيذ وبعده بالأعتماد على عاملي المخادعة والمباغتة في اختيار مكان ووقت الهجوم اللذان يوفران الكثير من الجهود على القيادة واللذان يشكلان مضاعفات قوة في حينها. إن حسابات التفوق المطلوبة للهجوم قد تشكل ما نسبته(6/1) في ظروف الحرب الحديثة وقد تصل أحيانا (إلى 8/1)، كل ذلك يتوقف على الحسابات الدقيقة للعوامل التي مر ذكرها والتي يمكن اعتبارها من أسس فن العملية او العمليات. إن السبب في

زيادة حجم التفوق هو كون العملية لا يمكن حسمها الا بالوصول إلى العمق العمليـاتي وهـذا يتطلـب موجـات متعاقبـة مـن القـوات لتحطيـم المقـاومات المتعاقبة للعدو.

2- أختيـار قطـاع خرق علـى أضيق ما يكون من القطاعات الضعيفة او الغير متوقعة.

يجب تأمين التفوق على قطاع الخرق بما يضمن خرق دفاعات العدو والنفوذ إلى عمق دفاعاته بسرعة عالية، وفي حالة كون دفاعات العدو عميقة فإن نسبة التفوق تزداد تبعا لذلك وكما بينا آنفا، والسبب يكمن في إنه يجب إن يكون هناك تناسب بين حجم القوة الهاجمة والعمق العملياتي. إن الأختيار الدقيق لقطاع الخرق مع التفوق الكبير على العدو في ذلك القطاع يحقق السرعة في تطبيـق المنـاورة والتـي تـؤدي حـتما إلى شل العدو وإنهياره. كما حدث في الهجوم الألماني على فرنسا وعلى الأتحاد السوفيتي خلال الحرب العالميـة الثانية وكما حدث في الهجوم الإسرائيلي المضاد عام(1973) على المواضع المصرية من خلال ثغرة (الدفرسوار) وفي معارك تاريخية عديدة.

3- إسكات او شل او تدمير دفاعات العدو بواسطة نيران المدفعية والصواريخ والقوة الجوية مع التجريد للمناطق الإدارية والاحتياطات ومراكز الاتصالات ومقرات القيادة قبل العملية وخلالها.

إن عملية الإسكات او الشل او التدمير تجري من خلال تأمين حشد ناري عنيف علـى قطـاع الخـرق، تتناسـب مع طبيعـة وشـكل المنظومة الدفاعية ودرجة مقاومة العدو المتوقعة والأمكانيات المتيسرة. وفي كل الأحوال يجب إن يوفر الحشد الناري الظروف الملائمة لقوات الهجوم من الاندفاع بسرعة وقوة إلى عمق الموضع الدفاعي، وكما حدث ذلك في العديد من الحروب، مثل الهجوم الألماني خلال الحرب العالمية الثانية، والهجوم السوفيتي المقابل على الألمان خلال الحرب العالمية الثانية والذي شكل أساس مفهوم(العمليات العميقة في

العقيدة العسكرية السوفيتية) والتي تطورت فيما بعد الحرب العالمية الثانية في مواجهة قوات حلف الأطلسي في اوروبا، ثم تم تبنيها أيضا من قبل القوات المسلحة الروسية بعد إنهيار الأتحاد السوفيتي مع بعض التطويرات. يعني مفهوم العملية العميقة الروسية (الأقتحام المتزن لدفاعات العدو، بجميع وسائل النيران، وفي كل أرجاء المسرح، واختراق النطاق التكتيكي للعدو، بأستخدام القوات المدرعة والميكانيكية، وسرعة استغلال النجاح التكتيكي وجرأته في إحراز نجاح عملياتي وأستراتيجي بهدف تطويق العدو وتدميره بصورة كاملة) **(206)** بتلخص جوهر العملية العميقة في ما يلي:

1 - وجوب إسكات دفاعات العدو بواسطة نيران المدفعية والصواريخ والقوات الجوية ضمن كل مواقع العدو ضمن منطقة العمليات او المسرح.
2 - إعادة تشكيل القوات المخصصة للهجوم المؤلفة من القوات المدرعة والميكانيكية بإنساق عميقة خلال وقت قصير (يقصد بإعادة التشكيل إن يكون حجم الإنساق مناسبا للوصول إلى عمق دفاعات العدو).
3 - تشكيل قوة هجوم النسق الاول وذلك بتجميع القوة الضاربة له في اتجاه واحد ضد أضعف نقاط العدو. بقصد خلق التفوق الحاسم على ذلك القطاع.
4 - الأستغلال الجريء لنجاح قوات النسق الاول، بدفع قوات النسق الثاني، مجموعة المناورة التي تواصل تقدمها من الأتجاهات الضعيفة حتى عمق مواضع العدو.

من ذلك نجد إن العملية العميقة تعتمد على تركيز الجهد على الأتجاه الحاسم مع قوة الصدمة والسرعة في الإندفاع إلى عمق المواضع المعادية. ومن هذا المفهوم برزت فكرة (مجموعات المناورة التعبويةالتي تتألف من تجميع قتالي من الأسلحة المشتركة والمساندة والتي تمتاز بدرجة عالية من قابلية الحركة والقدرة العالية على المناورة، يتمركز هذا التجميع خلف قوات النسق الاول ليكون جاهزا للاندفاع من خلال الثغرات التي تنجح قطعات النسق الاول في

أحداثها بالدفاعات المعادية، وتكون مهمتها هي في عمق العدو ومؤخراته بهدف الاستيلاء على أهداف حيوية في العمق قد تصل أحيانا إلى (300) كم مع تجنبه الدخول في أعمال قتالية رئيسية حتى الوصول إلى الهدف المحدد) **(207)**.

4- السرعة في تنفيذ العمليات مع الجرأة في استغلال النجاحات التي تحققها قوات النسق الأول او الصفحة الأولى، والتي يمكن إن تتيح فرص مثالية لقوات الصفحات اللاحقة من الإندفاع تجاه الأماكن الضعيفة، والتي سوف تؤدي إلى زعزعة موقف العدو ووضعه تحت تأثير الصدمة والشلل الفكري والمعنوي، وعندها تتوفر الفرص لتكيف المناورة بصيغ وطرق أخرى تزيد من فرص السرعة وحسم الموقف وصولا إلى العمق العملياتي لقوات العدو. وفي بعض الأحيان قد تؤدي إلى الأعماق الأستراتيجية إذا ما أحسنت إدارتها. إن خير مثال لما تم ذكره هو عمليات القوات المسلحة العراقية خلال معارك الفاو والشلامجة ومجنون والعمارة في عام(1988)، والتي أمكن خلالها من تحقيق نسب تفوق على قطاع الاختراق بنسبة تزيد على(8/1) بالقوات، وبالمدفعية بنسبة ما بين (100- 300 مدفع /1كم 2)، والتي أدت إلى حسم تلك المعارك بوقت قياسي مع تدمير العدو وشله على المستوى العملياتي والأستراتيجي. وكمثال من تلك المعارك، معركة تحرير الشلامجة التي حدثت في قاطع البصرة بتاريخ 25 أيار 1988**(208)**. ومعارك حرب الخليج الثانية والثالثة والتي كانت مثالا جيدا لتطبيق أسس ومبادىء فن العمليات رغم تفاوت القدرات بين االطرفين.

إن المستوى الذي يمكن إن يدير مثل تلك العمليات هوجحفل الجيش او الفيلق او مجموعة المناورة التعبوية التي استحدثت من قبل الروس حسب عقيدتهم القتالية الجديدة المشارإليها آنفا. إن فكرة العملية العميقة يمكن اعتبارها النموذج المثالي في تطبيق العملية بكل تفاصيلها. وكنموذج عملي قريب من هذا المفهوم ما جرى تطبيقه خلال معارك القوات المسلحة العراقية خلال

معارك التحريرالتي نفذت من قبل الفيالق العراقية، ومنها(معركة توكلنا على الله الرابعة) التي حدثت بتاريخ 22-24 تموز 1988 والتي تجسد فيها مفهوم العملية النموذجية بكل مبادئها وتفاصيلها والتي نفذت من قبل قيادة الفيلق الثالث(**209**).

العمليات الدفاعية

يمكن إن يتخذ الجيش او الفيلق وضعا دفاعيا في بداية الحرب لصد الهجوم المباغت للعدو، او لستر التحشد، او للدفاع عن حدود وساحل الوطن المهددة او، للدفاع عن الأماكن التي يكون الهجوم فيها غير ملائم. أما خلال الحرب فقد يتخذ الدفاع في إطار العملية الهجومية للقوات المسلحة لصد الهجمات المقابلة المعادية، او للهجوم المقابل، اوفي حالة عدم قدرة الجيش او الفيلق من خوض معركة ملاقاة، أو بعد مرحلة استثمار الفوز في عمق دفاعات العدو، وفي حالة تكبد القوات خسائر لا تمكنها من الأستمرار بالهجوم. وقد يتخذ الجيش / الفيلق الدفاع أثناء العمليات الهجومية وهو في تماس مع العدو وفي ظروف صعبة، حيث يتحول من الهجوم إلى الدفاع وقسم من قطعاته مشتبكة مع العدو في عمق دفاعاته تحت التأثير المباشر للمدفعية والطيران مع تكبده خسائر بالأرواح والمعدات، وهي من أصعب وأعقد الحالات التي تواجه تلك القوات. والدفاع كما بينا اعتبر من قبل البعض كونه يمثل الشكل الأقوى للحرب ولكنه لا يحسم الحرب. والعملية الدفاعية للجيش او الفيلق، فيما لو أتخذت فإنها، لابد وإن تستند على عوامل عديدة أهمها:

1- معلومات دقيقة عن العدوتشمل على (هدف العملية المحتمل، الحجم، النوع، التسليح، الكفاءة القتالية، اتجاهات الجهد الرئيسي، الاحتياطات). وهنا ينبغي إن يضع قادة الفيالق في اعتبارهم إن العدو يحاول إن يسبقهم كمدافعين من خلال التحشد في المكان والوقت المناسبين له، وشن الهجوم قبل إن يتمكن المدافع من حشد قوته وإكمال ترتيباته الدفاعية من أجل ضمان التفوق الكبير على المدافع. والمدافع من جانبه يسعى أيضا إلى كسب الوقت لإكمال تحشده

وأستحضاراته التي تقلل من فرص نجاح المهاجم كلما مر عليها وقت أطول. إنها لعبة مزدوجة الجوانب كل طرف يلعبها بطريقته الخاصة، وإذا ما نجح المدافع في تأخير العدو فإنه يكسب الوقت لصالحه على حساب عدوه، وهذا أحد أهم أسباب تقليل التفوق المعادي الذي قد يكون في البداية عاليا جدا ولكنه يقل مع مرور الوقت.

2- الدراسة الدقيقة لعامل الأرض وأختيار الموضع الدفاعي الذي يتيح أفضل استخدام للأرض.

3- يجب إن يكون الدفاع مهيئا لصد الهجمات المعادية وقابلا للصمود تجاه الضربات الجوية والقصف المدفعي والدروع التي تشكل العنصر الرئيسي في الحرب الحديثة. وكمثل على ذلك ما تعرضت له المواضع الدفاعية للقوات المسلحة العراقية في منطقة الكويت خلال حرب الخليج الثانية من قصف جوي ومدفعي دام (39) يوما، ومع ذلك استمرت الدفاعات بالصمود حتى المرحلة الأخيرة رغم تفاوت القدرات بين الطرفين، والسبب هو في التهيئة المسبقة للدفاعات والتي صممت. لمواجهة أقوى وأقسى الضربات.علما لم يتجاوز حجم الخسائر العراقية في ذلك القصف (16%) من الحجم الكلي للقوات المدافعة.

4- يجب إن يكون الدفاع رصينا وفعالا. يقصد بالدفاع الرصين والفعال القدرة على صد وتدمير كافة هجمات العدو المتعاقبة من خلال الاستخدام الأمثل لمصادر النيران المختلفة (مدفعية، طيران، أسلحة رمي مباشر) ومنظومات الموانع المختلفة مع القدرة على الصمود والإصرار على تحطيم موجات العدو من خلال زيادة المقاومة التي يؤمنها العمق في الموضع والقدرة على المناورة بالقطعات والأسلحة، وحسب تطور الموقف وخطورة الهجمات المعادية بحيث تتوفر للقيادة القدرة والإمكانية من الحشد السريع للقوات تجاه الهجمات المعادية، ومن ثم التحول إلى الهجوم المقابل بعد صد واستنزاف العدو. إن ميزة الدفاع الفعال هي في قدرته على تكبيد قوات العدو خسائر كبيرة تؤدي

إلى استنزافه وتفقده القدرة على إدامة زخم الهجوم الذي يعتبر السبب الرئيسي في نجاح هجومه، وعندما يصل إلى هذه المرحلة فإنه يفقد بالمقابل المبادءة وحرية العمل التي كانت متاحة له والتي تتحول إلى المدافع عندما يقوم بالهجوم المقابل.وهنا اود إن أشير إلى إن تجربة الحرب العراقية الإيرانية أثبتت صحة هذا العامل خلال أغلب المعارك الدفاعية التي خاضتها القوات المسلحة العراقية تجاه الهجمات الإيرانية التي كانت تمتاز بالحشد الكبير للقوات مع التركيز بالنيران والهجمات المتعاقبة بما كان يسمى بالحشود البشرية التي كانت تفشل في الوصول إلى العمق العملياتي للمواضع الدفاعية. كانت الهجمات الإيرانية تتمكن من تحقيق خروقات للخطوط الاولى ولكنها تقف عاجزة أمام الخطوط المتعاقبة (العمق) بعد إن تكون قد استنزفت معظم قواتها أمام الموضع وخلال اقتحام الخطوط الاولى، ومن بعد إيقاف وصد الهجوم يتم التحول إلى الهجوم المقابل الذي ينتهي بإفشال الهجوم بشكل نهائي، وهذا ما حدث في معارك شرق البصرة وشرق ميسان والقاطع الاوسط وغيرها خلال السنين من(1982) وحتى اوائل عام (1988). إن مشكلة القوات الإيرانية تكمن بإنها لم تكن قادرة على استيعاب مفهوم العملية وطريقة وأسلوب إدارة العملية الهجومية بفاعلية كما تنص عليها مبادىء وأسس فن العمليات المعروف والتي سبقت الإشارة إليها. وكمثال على العمليات الدفاعية التي خاضتها القوات المسلحة العراقية هي معركة شرق البصرة الاولى التي كانت تعتبر من أكبر وأكثر التحديات التي واجهت العراق خلال تلك الحرب. حدثت المعركة خلال الفترة من (13-30 تموز 1982)، ففي عام (1982)، ومن بعد انسحاب القوات العراقية من عموم الأراضي الإيرانية، قررت القيادة الإيرانية شن هجوم واسع ضمن المنطقة الجنوبية من العراق بقصد احتلال البصرة ومن ثم السيطرة على جنوب العراق. ومن أجل ذلك حشدت القوات الإيرانية بحدود (250) ألف مقاتل أمام قاطع الفيلق الثالث الذي كان يدافع عن قاطع شرق البصرة من الشلامجة جنوبا وحتى حقول مجنون شمالا، واعتبارا من تاريخ (30أيار 1982)، كانت القوات العراقية في سباق مع الزمن من أجل

إكمال حشد القوات وإكمال الترتيبات الدفاعية التي لم تكن مهيئة بصور جيدة لإن انسحابها كان بقرار سريع وفي ظروف صعبة جدا. كان من المتوقع إن تشن القوات الإيرانية هجومها مع بداية شهر حزيران او منتصفه على أكثر تقدير، ولكن الشيء الغريب إن قرار الهجوم الإيراني تأخر حتى يوم(13 تموز 1982) ما أعطى للقوات العراقية فرصة مناسبة جدا لإكمال حشد القوات وإكمال الترتيبات الدفاعية وأجراء الممارسات وغيرها.

في يوم(13 تموز) شنت القوات الإيرانية هجوما كبيرا وقويا حيث اندفعت حشود كبيرة من المشاة المسند بالقصف المدفعي، وتمكنت من خرق مواضع الفرقتين الثالثة والتاسعة المدرعتين اللتين كانتا تدافعان في وسط موضع الفيلق الثالث الذي كانت تدافع عنه(6 فرق) مع احتياط مدرع من فرقة زائد واحتياطات تعبوية على كافة المستويات. تمكنت القوات الإيرانية من احتلال كافة مواضع الفرقة التاسعة المدرعة ووصلت حتى مقر الفرقة في (كتيبان)، أما الفرقة الثالثة فلم تتمكن من الوصول إلى عمق دفاعاتها وتوقفت عند الخط الدفاعي الثاني أمام بحيرة الأسماك. ومع بداية فجر يوم(14 تموز) شن الفيلق هجوم مقابل بالقوات المدرعة تمكن خلاله من استعادة أغلب المواضع وتكبيد القوات الإيرانية خسائر كبيرة. عاودت القوات الإيرانية الهجوم مرة أخرى على قاطع الفرقة الآلية الخامسة، وكانت النتيجة ليست بأفضل من السابقة، ثم تلتها بهجوم ثالث ولم تحقق سوى نجاحات محدودة. وفي يوم(24 تموز) شنت الهجوم الرابع على قاطع الفرقة/ في11 الشلامجة الذي يشكل الجناح الأيمن للفيلق، ولكن الهجوم فشل فشلا ذريعا حيث تم تدمير أغلب القوات المهاجمة والتي لم تستيطع الحصول على أي جزء من الموضع الدفاعي، والسبب في ذلك هو التهيئة الجيدة للمواضع الدفاعية التي كانت مبنية على حسابات دقيقة جدا مع تحصينات جيدة إضافة إلى منظومة موانع قوية وعميقة كبدت الإيرانيين خسائر كبيرة قبل وصولهم الموضع الدفاعي، مع قوة نارية كبيرة ومتفوقة على القوات المهاجمة، ومع الهجوم الخامس على قاطع الفرقة الثامنة انتهى الهجوم الإيراني الكبير والذي تكبدت فيه القوات الإيرانية

خسائر كبيرة جدا. الشيء المهم، في كافة مراحل الهجوم الإيراني كان هناك رد فعل قوي من خلال الهجمات المقابلة التي كبدتهم خسائر كبيرة ومنعتهم من التوغل إلى عمق الموضع الدفاعي وبالتالي تحقيق الهدف الأستراتيجي. كانت تلك المعركة السبب في تجاوز الخطر الذي كان يهدد المنطقة الجنوبية من العراق بشكل خاص والعراق بشكل عام(**210**).

5- ينبغي إجادة تنفيذ المخادعة مع التفكير وبشكل دائم بمفاجئة العدو بإجراءات وردود فعل غير متوقعة. تعتبر المخادعة من أهم عوامل نجاح الدفاع كما هو شإنها في العمليات التعرضية، وتأخذ المخادعة الدفاعية أشكال وصيغ عديدة منها ماله علاقة بالترتيبات الدفاعية وأماكن الجهد الرئيسي والاحتياطات وغيرها وردود الفعل الوهمية. أما المفاجئة، فهي الأخرى لها تأثير كبير على إجراءات ورد فعل العدو، حيث يمكن إن تغير قناعات قياداته وتشوشها وتحرفها عن أهدافها، او قد تجبرها على اتخاذ قرارات في غير صالحها. إن المخادعة والمفاجئة تعتمد بشكل كبير على قدرة القيادات وما تتمتع به من معلومات عن العدو ومن خبرات و قدرة على التخيل والإبداع، وهي في كل الأحوال من مضاعفات القوة التي تخلق تأثيرات إضافية لما هو متوفر.

6- الاحتياط

يعتبر الاحتياط من أهم العوامل التي تساعد على نجاح العملية الدفاعية للفيلق او الجيش. والدفاع مهما كان رصينا فإنه معرض للاختراق من قبل قوات العدو إلا إن الشيء المهم الذي ينبغي تذكره من قبل القادة إن الدفاع الرصين الذي يتوفر فيه العمق والمستند على منظومات موانع جيدة وإسناد ناري كفوء لابد وإن يؤدي إلى إنهاك العدو واستنزافه، ولابد إن يصل العدو إلى مرحلة الضعف خصوصا إذا لم يستطيع الوصول إلى العمق العملياتي للمواضع الدفاعية، وعندها تصبح الظروف مواتية جدا للقائد المدافع من تغير الوضع وأخذ المبادءة من المهاجم وذلك بالتحول إلى الهجوم المقابل الذي ينفذ

باحتياطاته المهيئة والمحسوب دورها، بدقة. لذلك يصبح الاحتياط وكما سبقت الإشارة هو العامل الحاسم في تقرير مصير المعركة. ونجد هنا من المناسب إن نشير إلى الدور الكبير الذي كان يعطيه نابليون للاحتياط، إذ اعتبره الواسطة الكبيرة التي تقرر مصير الموقعة ولتجنب المفاجأة المحتملة. كان نابليون يزج بكل موقعة كل القوات حتى آخر احتياط لديه عندما يكون واثقا من النصر من أجل حسم الموقعة بشكل نهائي. ومن الدروس التاريخية المهمة التي لعب فيها الاحتياط الدور الحاسم هي معركة(كورسك) التي وقعت بين القوات المسلحة السوفيتية والقوات المسلحة الألمانية في صيف عام(1943) التي غيرت مسار الحرب لصالح الاتحاد السوفيتي وقضت على آخر محاولة ألمانية للهجوم الأستراتيجي على الجبهة السوفيتية. كان الألمان قد اختارو المنطقة المركزية من الجبهة هدفا لهجومهم وقرروا توجيه الضربة الرئيسية بأتجاه مدينة (كورسك) التي كانت محصورة بين نتوئين كبيرين واحد من شمال (كورسك) يدعى(راس جسرأريول)، وآخر من الجنوب يدعى(رأس جسر خاركوف)، أي إن الألمان كانوا يحيطون بالقوات السوفيتية المدافعة في منطقة(كورسك) من الشمال والجنوب**(211)**.

وكانت خطة الألمان توجيه ضربتين مركزيتين باتجاه (كورسك):الاولى من منطقة (أريول) في الشمال وتقوم بها مجموعة الجيوش (المركزية) والثانية من منطقة (خاركوف) في الجنوب وتقوم بها مجموعة الجيوش (جنوب)، وكان الهدف تطويق القوات السوفيتية المدافعة في منطقة (كورسك) وأطلق على الخطة اسم (سيتادل). كانت القوات السوفيتية المدافعة تتالف من الجبهة المركزية في الشمال من نتوء (كورسك)،وجبهة (فارونيج) في الجنوب من نتوء (كورسك)، وكان قوامهما عشرة جيوش ميدانية وجيشان مدرعان وأربعة فيالق مدرعة مستقلة و فيلقان مشاة مستقلان و فيلق خيالة وجيشان جويان. كما حشدت القيادة السوفيتية إضافة لذلك احتياطات أستراتيجية كبيرة بالقرب من نتوء (كورسك) تألفت من أربعة جيوش ميدانية وجيش مدرع واحد وستة فيالق مستقلة. وشكلت هذه الأحتياطات جبهة جديدة سميت

الجبهة السهلية، وأعطيت عناية كبيرة للأعداد الهندسي ووصل عمق الدفاعات ما بين (250- 300) كم. كما تم حشد أعداد كبيرة من المدفعية والدبابات وصلت مابين (40-60) مدفع ومن (15-20) دبابة في 1/كم، كما أعطيت أهمية خاصة للدفاع ضد الدبابات على مستوى الفرق والفيالق وذلك بإضافة عنصر جديد هو السدود المتحركة والمؤلفة من عناصر صنف الهندسة وصنف المشاة اللذان يتمتعان بقابليةعلى الزرع السريع للألغام على اتجاهات تقدم العدو، إذ بلغ متوسط الكثافة للألغام على الاتجاهات الرئيسة حوالي(1500) لغم ضد الأشخاص و(1700) لغم ضد الدبابات في 1/كم2، وهي كثافة غير مسبوقة في المعارك السابقة. إنطلق الهجوم منذ (5 تموز) على عموم الجبهة واستمرت العمليات الدفاعية من(5-23) تموز حيث تمكنت القوات الألمانية من أختراق الدفاعات السوفيتية في عدة أماكن اما جبهات الهجوم فقد تراوحت من(100-140) كم والعمق تراوح بين (8-35) كم في عدة أماكن وفي(9 تموز) توقف الهجوم الأستراتيجي الألماني ثم بدا الهجوم المعاكس السوفيتي بعمليتين أستراتيجيتن بأستخدام الاحتياطات هما: عملية(أريول) التي استمرت من(12تموز-18آب) وعملية (بلفورد- خاركوف) التي استمرت من (23-3أب). بدأ الهجوم بتمهيد مدفعي كثيف استمر من (2.5-3) ساعة وتألف من سد زاحف حتى عمق(700-900) متر. استمر الهجوم على جبهة (خاركوف) حوالي أسبوعين، وعلى جبهة(فارونيج) والجبهة السهلية من (3-23آب). كانت نتائج العمليات العسكرية والسياسية لموقعة (كورسك) كبيرة جدا تكبد الألمان خلالها خسائر كبيرة فقد دمرت (30) فرقة منها (7) فرق مدرعة من أصل (50) فرقة مشاة و (20) فرقة مدرعة. كما تكبدت الفرق الغير مدمرة خسائر فادحة، وخسرالألمان حسب الإحصائات الألمانية أكثر من نصف مليون رجل خلال فترة العمليات التي دامت بحدود (50) يوما، وإنهت هذه الموقعة آخر محاولة ألمانية للهجوم الاستراتيجي، وأخذت القيادة السوفيتية المبادءة وحرية العمل التي مكنتها لاحقا من طرد الألمان نهائيا من أراضيها. من ذلك تظهر لنا أهمية الدفاع الرصين الذي أشرنا اليه وكذلك أهمية الاحتياطات التي حسمت المعركة

من خلال الهجوم المعاكس بعد إن تمكنت الدفاعات من استنزاف قوة الألمان، وهكذا حصل هذا التحول الكبير في مجرى الحرب **(212)**من المعرك المهمة التي ظهر فيها دور الأحتياط هي معركة (الخفاجية الأولى) التي وقعت خلال الحرب العراقية الأيرانية في الفترة (5- 7) كانون ثاني 1981 وعندما كانت القوات العراقية لاتزال داخل الأراضي الأيرانية. (2)

ففي يوم 5 كانون ثاني 1981 قامت القوات الأيرانية المؤلفة من الفرقة المدرعة (16) ومعها قوات من المتطوعين، بمهاجمة مواضع الفرقة المدرعة التاسعة العراقية التي كانت تدافع عن قاطع الحويزة، وتمكنت خلال ذلك اليوم من اكتساح مواضع اللواء المدرع (43) الذي كان يدافع شرق نهر الكرخة العمية، وتمكنت من عبور نهر الكرخة في محاولة للإندفاع على محور (عويسة - الجفير) لتدمير قوات الفرقة المدرعة التاسعة والوصول الى عمق الموضع الدفاعي. قرر قائد الفيلق الثالث الذي كان يدافع عن المنطقة الجنوبية (العمارة والبصرة) بأستخدام أحتياط الفيلق المؤلف من اللواء المدرع العاشر الي كان يتحشد في منطقة النشوة والتي تبعد عن مواضع الفرقة التاسعة بحدود (300)كم.

تمكن اللواء المدرع العاشر من التنقل من النشوة الى منطقة (ام الغفاري) فور صدور الامر وتكامل وصول اللواء صباح يوم 6 كانون ثاني 1981 وبالساعة 830 من نفس اليوم قرر امر اللواء بعد ان توفرت لديه معلومات عن قوة العدو وجبهته من شن هجوم مقابل على قوات العدو المواجة في الضفة الشرقية وتمكن خلا بضع ساعات من تدمير تلك القوات والوصول الى نهر (الكرخة)العمية وفي البوم التالي تمكن اللواء من عبور نهر(الكرخة العمية) وقام بتدمير ما تبقى من قوات العدو. ومن ثم أستعادة مواضع اللواء المدرع (43) أسفرت المعركة عن تدمير واعطاب (120) دبابة و (65) ناقلة أشخاص مدرعة تركت في ارض المعركة، عدا ما تم تدميره واعطابه في العمق وكما تم أسر اعداد كبيرة من الأسرى.

ان معركة الخفاجية كانت مثالا لمعركة الدروع، تمكن خلالها لواء مدرع من تدمير فرقة مدرعة.

القسم الثاني التكتيك (التعبية)

التكتيك (التعبية) هو القسم الثالث من فن الحرب، والتكتيك (tactics) تعني فن وضع الخطط كمعنى لغوي وهي تعني التعبية ضمن المصطلحات العسكرية العربية الموحدة.

والتكتيك العسكري (باليوناني (taktike) تعني فن تنظيم الجيش) ويراد بالتكتيك العسكري الكيفية التي يتم بها إستخدام الأسلحة و الوحدات العسكرية جميعها في مواجهة وهزيمة العدو في المعركة. **(213)**

كان التكتيك ولا يزال في صراع مستمر بين عاملين رئيسيين هما(الحركة والقوة)، فهناك من جمع بين الحركة والقوة وهناك من إعتمد على عنصر القوة متوخيا تحقيق الصدمة بالكتلة القوية على الطرف الآخر في محاولة لتدميره. وبين هذين العاملين تطور فن التكتيك ونظرياته العلمية. وحتى نقف على تطور هذا الفن لابد من إستعراض لأهم التطورات التاريخية في محاولة للربط بين الماضي والحاضر وتقريب الفهم لهذا الموضوع الحيوي.

يعتبر التكتيك أساس فن الحرب وهو قديم قدم الحرب ذاتها، وقد تطور مع مرور الزمن ومع تطور تقنيات الأسلحة والمعدات العسكرية. وهو في بدايته لم يكن أكثر من فن الاشتباك أو فن المعركة التي كانت تحدث بين مجموعات صغيرة من البشر، ثم تطورت إلى مستوى المجموعات الكبيرة والجيوش في المراحل اللاحقة. ولعل التاريخ القديم للمعارك التي حدثت قبل الميلاد يعطينا الدليل على ذلك، ففي الصين القديمة وبلاد الرافدين ومصر القديمة كانت هناك جيوش تظم تشكيلات مختلفة من مشاة وعربات وخيالة، وكان هناك حملة الرماح والنبال. وكان لتلك التشكيلات إنظمة وأساليب قتال خاصة تميزت بها مثل حركات الالتفاف والإحاطة والهجمات التضليلية وغيرها، مكنتها من

تحقيق العديد من الإنتصارات بالجمع بين الحركة والقوة. ونذكر على سبيل المثال (السومريين) في بلاد الرافدين، اللذين كانوا أول من إستخدم العربات الحربية، وكانت تعتبر من أهم أدوات الحرب الرئيسية لديهم. كما عرفوا أساليب التعاون بين المشاة وراكبي العربات وهو أسلوب يشابه تعاون المشاة مع الدبابات في عصرنا الراهن. وكان أول إستخدام واسع لها في المعركة التي وقعت بين (أمارتي أوما ولكش) في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وكانوا قد سبقوا المصريين القدماء بأكثر من (1200)عام. ولكن المصريين تطوروا فيما بعد خصوصا بعد غزو(الهكسوس) لهم وتمكنهم من طردهم في عام(1580) ق.م بعد حكم دام(250) عام وكانت لهم مساهمات مهمة في مجال فن الحرب والتكتيك بالذات والتي برزت في معركة (مجدو) (1468) ق.م ومعركة (كركميش) ضد (الميتانيين) ومعركة(قادش) (1290) ق.م ضد(الحيثيين)، وكان اعتمادهم على العربات الحربية التي شكلت بشكل مجموعات مؤلفة من خمسين عربة، تندفع لخلق حالة الصدمة على العدو ومن ثم الهجوم عليه بالمشاة. أما الأشوريين اللذين ظهروا بحدود الألف الثالث ق.م وإستمر وجودهم وتأثيرهم حتى عام(612) ق.م فقد أعتبروا من أهم رواد فن الحرب ومن أعظم الشعوب المحاربة في التاريخ. لقد كانوا بارعين براعة فائقة في فنون القتال إضافة لتفوقهم في المجالات الأخرى. ففي مجال التكتيك مثلا، إعتمد الأشوريين على الفرسان اللذين إستخدموا من قبلهم لاول مرة في تشكيلات قتالية منظمة. كان أسلوب قتالهم يجمع بين استخدام العربات الحربية التي توضع في وسط تشكيل المعركة والخيالة على الأجنحة، وعندما تبدأ المعركة تنطلق العربات الحربية لمهاجمة صفوف الأعداء وبعثرتهم وإشاعة الفوضى بينهم ثم يعقبهم المشاة المزود بالحراب اللذين يشكلون قوة الصدمة الرئيسة، ثم يلي ذلك قيام الخيالة بمهاجمة أجنحة العدو، ويستمر الضغط عليه لدفعه إلى منطقة غير صالحة للمناورة حيث تتم إبادته، كما قاتلوا في مختلف إنواع الأراضي من جبال وسهول ومستنقعات وعمليات عبور النهر، وكما يبدوا فإن هذا الفن التكيكي سبق العالم القديم في الكثير من

الجوانب(**214**).

أما التكتيك في زمن (أثينا) و (أسبارطة) فقد اعتمدو في قتالهم على المشاة الثقيل (الهوبليت) والمشاة الخفيف، أما تشكيل المعركة الذي يقاتلون به فكان يدعى (الفلانكس) والذي اعتمد من القرن السادس ق.م وهو عبارة عن كتلة بشرية كبيرة تظم حوالي (16384) رجل وكان هذا التشكيل يمثل عنصر الصدمة الذي يعتمد تأثيره على الضربة الاولى، ولقد حقق هذا التشكيل النجاح خلال معركة ماراثون (490) ق.م مع الفرس ولكنه فشل فيما بعد خلال معركة (لوكترا) (371) ق.م على يد القائد الطيبي (أيبو مينونداس) الذي فاجأ الجيش الأسبارطي بتركيز قوته على الاتجاه الحاسم بدلا من التوزيع المتساوي الذي كان سائدا في ذلك الوقت وكان هذا الأسلوب يمثل نقطة تحول بارزة في تاريخ الفن التكتيكي. أما التكتيك عند (المقدونيين) فإنهم اعتمدو أيضا على تشكيل (الفلانكس)، لكنهم أدركوا نقاط ضعفه فاوجدوا المشاة الخفيف الذي كان يستخدم بمثابة نقاط ارتكاز على جانبي التشكيل، كما اعتمدوا على الخيالة التي كانت متفوقة على غيرها من الجيوش. ومن أبرز ميزات جيشهم هو تعاون المشاة مع الخيالة حيث يعهد إلى المشاة بالتثبيت بينما تقوم الخيالة بتوجيه الضربات الحاسمة على العدو. هذه الميزة هي التي جمعت بين القوة والصدمة والتي كانت سبب نجاح (الإسكندر) الذي تطور التكتيك في زمانه تطورا كبيرا، كانت الخيالة تمثل قوة الضربة والمناورة في التشكيل القتالي وكانت تستخدم على الأجنحة والمؤخرات وكان هذا الأسلوب هو سر نجاحه في معركة أربيلا (331) ق.م ضد الفرس، إضافة إلى ظهور فكرة تكوين الاحتياط، كما امتاز أسلوبه بالتوزيع اللامتساوي على طول الجبهة ما أعطاه ميزة التفوق تجاه النقاط الحاسمة. أما (الرومان) فكان التكتيك عندهم يعتمد على عنصر الصدمة بأستخدام (تشكيلات الفلانكس) التي كانت قوتها تنبع من الكتلة الكبيرة القوية من المشاة والمؤلف من خطين تضغط بقوتها على الطرف الآخر في محاولة لسحقه وتدميره. لكن هذه النظرية لم تصمد أمام هجوم (هانيبال) في معركة (كانيا او كاني) في إيطاليا (216ق.م)، والذي اعتمد فيها

على عاملي الحركة والقوة (المناورة)، وهذا ما دعاهم إلى تطوير ذلك التشكيل إلى الليجيون (الذي يمثل المشاة القوية) المؤلف من خطين زائد خط ثالث احتياط. ثم قسموا كل خط إلى عدد من الوحدات الصغيرة والتي سميت (أيشلونات)، ما وفر العمق لها وكان ذلك سبب انتصارهم على تشكيل (الفلانكس) (الذي امتاز بالجمود) في معركة بدنا (168ق.م) وهنا برز دور عامل الحركة والمرونة واستخدام الاحتياط. ثم تخلى الرومان عن تشكيلة (الليجيون) التي سحقت في معركة (أدريانوبل) في تركيا (378م) من قبل الفرسان التي استخدمت لتقوم بدور الصدمة الهجومية.

كان تكتيك المشاة معتمدا على سلاحي الرمح والسيف لذك عجز عن مواجهة صدمة الفرسان، وهذا ما جعلهم يستخدمون القوس والنبل كسلاح مضاد للفرسان، ثم جرى تطوير على سلاح الفرسان لمواجهة تشكيلات المشاة خلال القرن السادس على يد الأمبراطور (جوستنيان) عندما قسم الفرسان إلى قسمين، فرسان خفيفة سلاحهم القوس الذي كانت تستخدمه من الحركة، والفرسان الثقيلة وسلاحها السيوف والرماح ومهمتها إنزال الصدمة بالمشاة.

كان الفرس في ذلك الحين قد طوروا التكتيك من خلال استخدام الفيلة التي يتبعها المشاة والتي كانت تجمع بين الحركة والصدمة وهي محاولة متطورة في ذلك العصر، وهي تشابه إلى حدما عمل الدبابة مع المشاة ولكن هذا الأسلوب لم يحقق الا نجاحات محدودة في بدايته بسبب المفاجأة، وكان ذلك واضحا خلال معركة القادسية (637م).

التطور المهم الذي طرأ على التكتيك يتمثل بما جاء به العرب المسلمون اللذين امتازوا بالجمع بين الحركة العالية والصدمة (المناورة). كانت الخيالة تشكل أهم صنوف القوة في الجيش الإسلامي فقد وفرت للجيوش الإسلامية المقاتلة أمكانية المناورة السريعة والحاسمة مع وجود عنصر المشاة الذي كان يعمل بتوافق وتنسيق دقيق مع الخيالة. كان التكتيك الإسلامي يمتاز بقدرته على الموائمة بين حركة المشاة التي كانت تشكل عنصر الصد لهجمات لعدو

وإضعافه مما يوفر الفرصة للخيالة لتوجيه الضربة الحاسمة عليه، وهي كما يبدوا عملية مناوبة بين الصنفين بطريقة تعاون منظمة ومنسقة. وكان فنهم الحربي متفوقا على الفرس والروم بشكل كبير، وكان هو سبب إنتصارهم عليهم رغم تفوقهم في مجال التسليح والتجهيز. وهنا يبرز دور عامل(الصدمة والحركة) بكونه أساس العمل التعبوي منذ ذلك التاريخ وإلى وقتنا الحاضر(**215**).

خلال القرون الوسطى تدنى فن التكتيك في اوروبا خصوصا الفرسان في عهد الإقطاع اللذين تحولوا إلى كتلة من الحديد على ظهور خيولهم وكان الدور البارز لهم هودور المبارزات الفردية التي لم تظيف شيئا مهما على فن التكتيك.

خلال الحروب الصليبية كان للمسلمين دور مهم في تطوير التكتيك، خصوصا على يد صلاح الدين الأيوبي، حيث ابتدع تكتيك فصل المشاة عن الفرسان في جيش العدو وضرب الطرفين منفصلين بعد إن يفقدا القدرة على التجمع ثانية، مع اعتماده على المناورة بشكل كبير (حركة + الصدمة) مقابل تشكيلات العدو التي كانت لاتزال تعتمد على الكتلة والحركة البطيئة.

التطور المهم الآخر على التكتيك كان بسبب دخول البارود الذي زاد من قدرة التأثير (الصدمة) من خلال استخدام المدافع والأسلحة النارية للمشاة رغم البطء في تطورها. ولكن التطورالآخر المهم الذي طرأ عليها كان على يد (غوستاف أدولف) (1594-1632) الذي أعطى أهمية خاصة للمدفعية وأسلحة المشاة وإجراء تعديلات على تشكيلات المشاة ثم جاء (فردريك الكبير) الذي طور أساليب (غوستاف أدولف) بشكل كبير ووضع أسس جديدة للتعبية أهما تشكيلات المعركة (المربع الأجوف) وكذلك تعبية الخط المائل إضافة إلى تغييرات أخرى عديدة.

كما برز خلال تلك الفترة تكتيك المناوشات الذي مارسته قبائل الهنود الحمر في أمريكا، وكذلك لدى القبائل العربية في شمال إفريقيا وفي أفغانستان

والذي عجزت أمامه الأساليب التكتيكية للجيوش البريطانية التي كانت تقاتل بتشكيلات الخطوط مقابل الوحدات الصغيرة التي كانت تتقن فن قتال الكمائن والغارات والقتال في الغابات والمناطق الجبلية، وكانت تعتمد تكتيك الحركة الفائقة كأساس لذلك التكتيك والذي شكل قواعد حروب العصابات او الحرب الثورية او الشعبية لاحقا.

حتى القرن السابع عشر كانت تشكيلات المشاة هي عبارة عن سرايا مستقلة بعضها عن البعض تعمل تحت إمرة قادتها المباشرين. ولكن الحاجة والضرورة اوجبت بجمعها تحت تشكيلات أكبر هي الألوية، وهذه الألوية كانت تخضع لأمرة ضابط كبير هو (الكولونيل جنرال) أما الخيالة فقد بقيت تقاوم الانضمام إلى تشكيلات كبيرة ولكنها رضخت للأمر الواقع أخيرا. ومن الطبيعي إن يكون مستوى تنفيذ تلك السرايا وحتى الألوية هو المستوى التكتيكي لإن المعركة كانت تحسم من خلال عمليات القتال أو الاشتباك المباشر مع العدو. وكان القادة العسكريون هم اللذين يديرون المعارك بشكل مباشر.

التكتيك كان وإلى عهد قريب (القرن الثامن عشر) مرتبطا ارتباطا وثيقا بالأستراتيجية العسكرية عندما لم يكن فن العمليات قد ظهر كمصطلح وكانت المعركة أو الإشتباك هو الوسيلة التي تحقق هدف الأستراتيجية العسكرية، يقول(ميكافيلي) في هذا الصدد (إذا كسب القائد معركة فإن هذا يلغي كل الأخطاء السابقة **(216)**. ويقول (والمعركة هي النهاية التي لأجلها أعدت الجيوش ولهذا فمن الضروري العناية بأعداد جنود هذه الجيوش)**(217)** ثم يقول (إن الغرض الأساسي لكل العناية التي تبذل من أجل الضبط والربط والنظام الجيدين هو أعداد جيش صالح ليشتبك بالعدو في حالة حسنة لإن القصد التام يكون عادة نهاية الحرب)**(218)**.

وبقيت هذه الأفكار هي المسيطرة حتى عهد (فردريك) الذي يعتبر رائد فن الحرب حتى القرن الثامن عشر. كان يعتبر المعركة هي العنصر الأساسي في كسب الحرب إذ يقول (كسبك للمعركة معناه إن تضطر عدوك ليسلم لك موقعه)

كما كان يعتقد إن احتلال مواقع العدو يمكن إن يحقق هدف الحرب. وكتب في عام (1768) إذ يقول (إن حصولك على جملة أرباح قليلة يمكنك من جمع ثروة) وأضاف في عام(1770) (إن كل المناورات التي يقوم بها القائد في الحرب تعود بالنفع على المواقع التي يحتلها كقواعد له، يعمل منها بأقل خسارة على المواقع التي يهاجمها) **(219)**. كان يريد الحصول على مواقع العدو لينطلق منها لمهاجمة مواقع أخرى لذلك يريد الحصول عليها غير مدمرة كليا. ومن ذلك يظهر إن حروب فردريك كانت تمثل في الحقيقة صورة حرب المواقع، وهي حرب مناورات معقدة وهي حصيلة جملة من الإنتصارات الصغيرة أي تراكم من الكسب القليل في كل مرة. بعبارة اوضح كان يؤمن (بالتراكم التكتيكي) الذي يمكن إن يحقق الهدف الأستراتيجي للحرب لاحقا، وهي شكل من أشكال الحرب البطيئة في جملتها. وعندما نقارن مستويات تلك الحروب ضمن إطار مفهوم فن الحرب نجدها عبارة عن سلسلة من المعارك التكتيكية تنفذ بواسطة جيوش كبيرة وهذا يعني وبشكل واضح الأرتباط الوثيق بين التكتيك والأستراتيجية.

من نتائج معارك القرن الثامن عشر إنها أوجدت تنظيمات جديدة للجيش ففي عام (1760) أدخل الماريشال الفرنسي (دي بروجلي والدوق دي شوازل) وحدة جديدة كبيرة في تنظيم الجيش هي (الوحدة التي أطلق عليها أصطلاح (الفرقة) وقد تطورت هذه الفرقة تدريجيا حتى أضحت تعرف بإنها الوحدة الدائمة الثابتة التي يقودها ضابط كبير والتي تتوافر لها القوة للاشتباك بالعدو بنجاح حتى تصل وحدة أخرى) **(220)**. وكانت هذه الفرقة هي الركيزة الأساسية للمستوى التكتيكي الذي لا يزال معمولا به لحد الآن. ولم تحظى هذه الفرقة بأهمية في عهد(فردريك)، ولكن حروب الثورة الفرنسية هي أول حرب أعطت للفرق أهميتها القتالية، وكان(نابليون) وقادته هم النشىءالجديد الذي اقتطف ثمارها.

التطور الآخر المهم هو الذي أدخله(نابليون) على فن الحرب في مجاله

الأستراتيجي والتكتيكي خلال حروبه من عام (1792-1815) حيث غير تكتيكات المعركة القائمة في ذلك الزمن، من خلال استخدامه تشكيلات مكتفية وخفيفة وقادرة على المناورة مع القدرة على التأقلم مع أي أرض والتعايش عليها بنفس الوقت، كما برع في إستخدام المدفعية وكان يركز على المناورة بشكل كبير(الجمع بين الحركة والقوة "الصدمة") مقابل جيوش لاتزال تعتمد المركزية والبطيء في الحركة وإتخاذ القرارات. كانت أستراتيجية(نابليون)، كما سبقت الإشارة، تعتمد على حشد القوات على الأتجاه الحاسم المنتخب وعلى تركيز كل القوى المتيسرة لتحقيق النصر في المعركة. أما تكتيك هذه القوات فكان يعتمد على نفس المبدأ وهو حشد القوى المتفوقة على النقطة المنتخبة التي تشكل هدف الضربة الرئيسة. كان(نابليون) يؤمن بمبدأ الحشد سواء على المستوى الأستراتيجي أو التكتيكي في هذا الصدد يقول (عندما تنوي الدخول في موقعة من الضروري حشد كل قوانا دون إهمال أصغر الوحدات، وكثيرا ما تقرر كتيبة واحدة مصير الموقعة)**(221)**. ولقد امتاز تكتيكه على الحركة والسرعة في العمل، كان يركز على المبادءة وحرية العمل، كما كان يعطي أهمية خاصة للمعلومات عن العدو التي سهلت عليه معرفة نقاط ضعفه ومكنته بالتالي من حشد القوة تجاه النقاط الحاسمة من أجل تحقيق تفوق حاسم على تلك النقاط. كما امتاز تكتيكه على المناورات الجريئة والعميقة مع التركيز على الأحتياطات، وكان نجاح الموقعة يعتمد بشكل أساسي على التعاون بين المشاة والخيالة والمدفعية.

وكانت المعركة تمتاز بالسرعة في المناورة بين الكتائب على أرض المعركة وتحويلها من مكان إلى آخر حسب تطور الموقف، ومن الطبيعي إن مثل هذه الأساليب لا يمكن تنفيذها بدون تدريب راقي جدا. كان تكتيك الأرتال المبعثر ونظام المربعات هي التشكلية المستخدمة ضد الخيالة وكان المشاة ينتظم بتشكيل الكتائب وهي الوحدة التكتيكية التي يشكل منها نظام الكتائب أوالكتائب المنتشرة، أما الخيالة فكانت تنتظم بالخطوط المنتشرة او بالأرتال. وكان هناك نوعان من الخيالة، الخفيفة التي توضع بالنظام المبعثر والخيالة

العادية التي توضع بشكل مجمع ضمن الترتيب القتالي على أحد الجوانب، أما المدفعية فكانت تتمركز في الأماكن المناسبة في الأمام وفي الثغرات بين وحدات الخط الاول وفي النقاط الهامة لتمكينها من رمي النار المركزة على العدو. كان تشكيل المعركة التكتيكي، يتألف من النسق الاول الذي يضم كتائب منتشرة حسب الأسلوب القتالي الخطي والنظام المبعثر. وكانت المدفعية بينها في الثغرات، أما النسق الثاني فكان يظم القوات الضاربة من الكتائب التي تكون بنظام الأرتال لتكون جاهزة للتدخل عندما تحين الفرصة، تبدأ المعركة برمي المدفعية مع اندفاع قوات النسق الاول المنتشرة بالنسق والتي تستخدم كل أسلحتها مع المدفعية، وعندما تحدث تغرات أو إرتباك لدى العدو يتم زج أرتال النسق الثاني التي تديم الضغط على العدو بشكل مستمر مع تغذيتها بأستمرار من قطعات النسق الثاني بقوات جديدة، إضافة لوجود الأحتياطات التي تكون جاهزة للتدخل من أجل حسم المعركة بشكل نهائي، أما الخيالة فكانت تحمي الأجنحة والمؤخرة، وتنطلق في اللحظة المناسبة حتى يتم القضاء على العدو الذي لا يستطيع مقاومة هذا الشكل من الضغط المستمر عليه، كانت المدفعية تمتاز بالمناورة الكبيرة على أرض المعركة، إضافة لوجود احتياط من المدفعية الذي كان أحد اسباب النصر في الموقعة. وكان (نابليلون) يعطي للمدفعية أهمية كبيرة جدا. إن هذا التنظيم والترتيب القتالي التكتيكي الذي يمكن تشبيهه بالمطرقة والسندان، حيث كانت قوات العدو توضع بينهما وهو مثال نموذجي للمعركة التكيكية التي لم تكن مألوفة لدى جيوش أوروبا في ذلك الوقت، ما أدى إلى فشلها في مقاومة هذا التكتيك البارع الذي بقي ساريا في أوروبا لفترة طويلة أمتدت أكثر من قرن مع بعض التحويرات بسبب التطور التكنولوجي للأسلحة. **(222)**

مع دخول القرن العشرين حدث تطور مهم على التكتيك عندما تطورت المدفعية، ودخلت المدافع الرشاشة والأسلحة الخفيفة ومعها تطورت إنظمة الدفاع والتحصينات مما جعل هجمات المشاة تمر بمراحل صعبة جدا بسبب ما يكتنفها من خسائر كبيرة. وكانت معارك الحرب العالمية الاولى خير دليل على

ذلك، حيث فقد التكتيك الكثير من مقوماته في مجالات الحركة والمناورة، وتحولت الحرب إلى حرب دفاعية (حرب خنادق) اكتسب فيها الدفاع أهمية استثنائية في مجال التحكيمات ومنظومات الموانع المختلفة، وكان الدفاع يأخذ شكل الدفاع المستكن في أغلب الأحيان مما حولها إلى حرب استنزاف طويلة ومدمرة. كما ظهر البطيء الشديد في استيعاب دور الدبابة والطائرة مما حرم الفن الحربي والتكتيك بالذات من فرص التطور الجديدة.

أما التكتيك خلال الحرب العاليمة الثانية فقد شهد عدة تطورات منها فشل نظرية الخط الدفاعي الثابت مثل خط ماجينو وغيره وظهور نظرية الحرب الخاطفة، والتي جاءت تتويجا لتكتيك(بليتزكريغ الذي هو عبارة عن اختراق جبهة العدو من نقاط محددة، يسبقة قصف مدفعي وجوي ثم يشق رتل الدروع طريقه إلى عمق الدفاع ليبدأ عمليات المناورة خلف الخطوط الدفاعية، ليضع خطوط الدفاع بين فكي كماشة) **(223)** وأصبح هذا التكتيك الذي يجمع بين الحركة والقوة (المناورة) من أهم عوامل حسم المعارك التكتيكية والعملياتية والأستراتيجية. وكرد فعل على تلك النظرية، ظهرت أهمية النقاط الحصينة القوية التي تقبل العزل والقتال، التي شكلت معاضل جدية أمام الاندفاعات الألمانية العميقة، و كانت السبب في تعزيز نظرية الدفاع العميق الفعال (الديناميكي) **(224)** وهو المزج بين الدفاع والهجوم (صد الهجوم وإيقافه ثم التحول إلى الهجوم المقابل) كما حدث في جبهة شمال إفريقيا والجهبه السوفيتية والتي كانت السبب المباشر في صد الألمان خلال الدفاع المركز عن النقاط الدفاعية الحصينة في (سيفاستبول، موسكو، ستالين كراد، لينين كراد،كورسك) وكذلك جبهة أوروبا الغربية. كما برز الدور الكبير والمهم للدفاع التكتيكي العميق والذي أعتمد لمواجهة تكتيك الخرق الألماني،(الدفاع بعدة خطوط).

شكلت الدروع والطيران أبرز تطور على فن الحرب في مجاليه العملياتي والتكتيك، وأصبحت نظرية الحرب الخاطفة تمثل النموذج المثالي للمعارك. كما

برزت نظرية أخرى تؤمن بسيطرة الجو هي نظرية(دوهية) (1869- 1930) الذي (كان يؤمن بإنه لا يمكن إيجاد دفاع مضاد للطائرات، ولذا فإن السيطرة الجوية مهمة ويجب توجيه القوة الجوية نحو الأهداف المدنية لا العسكرية، وتكتفي القوات البرية بتبني دور دفاعي صرف) **(225)**. أثارت نظرية(دوهية) الكثير من الجدل حول مدى فاعليتها، لإن القوة الجوية مهما كان تأثيرها قويا فإن السيطرة على الأرض لا تنجز بدون القوات البرية. ومع ذلك سادت نظرية بريطانية رسمية أخرى خلال الحرب العالمية الثانية حول الطيران أعتبرت إن دوره الرئيسي هو ضرب المنشئات الاقتصادية ومصادر القوة لدى العدو ناهيك عن الخسائر التي تلحق بالمدنين، أي ضرب النقاط الداخلية (القصف الأستراتيجي) اوما سمي بخطة الأسناد. وتطبيقا لهذه الخطة، ألقي على ألمانيا سنة (1940) خمسة ألاف طن ثم ثلاثة وعشرين ألف طن عام (1941) ثم سبعة وثلاثين الف طن عام (1942) ثم ألقت بريطانيا وحدها على ألمانيا عام (1943) مائة وخمس وثلاثين الف طن إضافة للطيران الأمريكي الذي رفع الرقم إلى مائة وثمانين ألف. إما في اوائل سنة(1944) فقد أصبح معدل القصف اليومي خمسة آلاف طن، وكمثال: مدينة دردسن الألمانية أبيدت عن بكرة أبيها. والخطة كانت وكما يبدو تستهدف معاقبة شعب بكامله. **(226)** ومن بعد الحرب العالمية الثانية وحتى المراحل الراهنة، لا يزال هناك من يؤمن بهذه النظرية بعد إن أضيف لها سلاح الصواريخ، فالأمريكان والحلفاء اعتمدوها خلال حروبهم الأخيرة، منها، حرب فيتنام (1960-1975) وحرب الخليج الثانية والثالثة على العراق عامي (1991و2003) وأفغانستان عام (2001) وكما حدث في الحرب على صربيا عام (1998) وعلى لبنان من قبل الإسرائيليين عام (2006). ومع كل ذلك فإن هذه النظرية لم تثبت نجاحها الكامل في الكثير من التجارب رغم الدمار الكبير الذي الحقته القوة الجوية بالبنى الأقتصادية. كما استخدم الطيران التكتيكي أثناء عمليات اختراق الدفاعات التكتيكية، ثم تطور ليشمل العمق العملياتي مع تطور العمليات ليصبح متلازما مع عمليات الهجوم. كما برز الدور الكبير للأسلحة المضادة للدبابات والتي اعتبرت من أهم

أسلحة المشاة في مواجهة الهجوم المدرع، والتي بنيت عليها النظرية الألمانية في الدفاع على عكس النظرية البريطانية التي كانت تؤمن بالمواجهة المباشرة بين الدروع (دبابة ضد دبابة) والتي بقيت سائدة حتى اوآخر عام (1942) عندما تحول التكتيك إلى نظرية التعاون بين مختلف الصنوف. **(227)**

لقد رسمت تلك التطورات التكتيكة مسار التكتيك للمراحل اللاحقة والتي لاتزال فاعلة ومطبقة إلى وقتنا الراهن. وكما لاحظنا فإن العاملين الرئيسيين اللذان تحكما بالتكتيك عبر كل المراحل التاريخية هما(الحركة والقوة "الصدمة") وهذان العاملان لم يتغيرا كمفهوم ولكنه تغير بالأسلوب الذي كان متأثرا بالتطورات التقنية للأسلحة والمعدات. وهذا ما يبرهن على ثبات هذين العاملين وما يحكمهما هو القدرة على تطبيقها من قبل القيادات في الميدان.

وحتى تكون الصورة متكاملة عن التكتيك بعد إن استعرضنا التطورات التاريخية التي مر بها،لابد من التوقف عند التطورات التي مر بها التكتيك كمفهوم.

كان التكتيك وحتى القرن الثامن عشر هو عبارة عن ممارسات عملية تخضع لتجارب التاريخ أستتنتج منها أسس وتعاليم كدليل يسترشد به من قبل القادة والأمرين. كانت هناك بعض المحاولات التي تظهر بين الفينة والأخرى لوضع مفاهيم واضحة ومحددة له، ولكن الدراسة التي وضعها (الكونت دو جيبير 1750-1696-) تعتبر أول دراسة فعلية لفن التكتيك ففي عام(1772) نشر كتاب بعنوان (دراسة عامة في فن القتال " التكتيك ". تضمن الكتاب موضوعان مهمان: أولهما المطالبة بجيش من المواطنين، وثانيهما الدعوة إلى حرب الحركة. وهذان الأمران يقعان في تقدير (جيبير) ضمن نطاق فن القتال، وكانت كلمة (تكتيك) تعني في ذلك الوقت فن المناورة بالجنود، بينما كان هناك مصطلح آخر يطلق عليه(التكتيكات الكبرى) يوازي ما نسميه الآن بالأستراتيجية،وما يجيء في نطاق التكتيكات الاولية ما نسميه الآن بالتكتيك. وقد إعترض (جيبير) على هذا المعنى على أساس إنه ضيق الأيضاح

والتفسير، وكان الإصطلاح " تكتيك" يعني في تقديره كل العلم العسكري، وكان يراه في جزئين: أولهما إعداد وتدريب الجيوش وثانيهما فن القائد الذي كان يسميه الناس آن ذاك " بالتكتيك " وما نطلق عليه الان التكتيك والأستراتيجية. وقال في هذا الصدد (لقد أضحى التكتيك علم كل عصر وكل مكان وكل سلاح وفي أيجاز، إنه نتيجة كل شيء حسن فكرت فيه العصور العسكرية وكل ما أستطاع العصرالذي نعيش فيه إن يضيفه إلى هذا)**(228)**.

أما (جوميني) (1779-1869) فلقد عرف التكتيك بإنه (المناورة التي يقوم بها جيش في ميدان المعركة، وإنه هو التشكيلات المختلفة التي تقاد بها القوات للهجوم، كما عرف جزء العلم العسكري الخاص بالتحركات والتموين بإنه الحال العامة للجيوش المتحركة، والتفاصيل المادية للسير والتشكيلات والأقامة المؤقتة للمعسكرات)**(229)**.

تناول (كلاوزفيتز) مصطلح التكتيك ضمن تعريفه لفن الحرب بقوله (إن القتال يتكون من عمل وعدة أعمال يتميز بعضها عن بعض، وتكون مجموعا واحدا، يدعى أشتباكات، كما تكون هذه الأعمال وحدات جديدة، وهذا ما ولد النشاط المختلف الذي يقوم على ترتيب هذه الاشتباكات المتميزة وأدارتها، والتنسيق بينها بقصد الحرب. سمي النشاط الأول بالتكتيك كما سمي النشاط الآخر بالأستراتيجية. وبحسب تصنيفنا: يعتبر التكتيك إذن نظرية استخدام القوات المسلحة في الأشتباك، أما الأستراتيجية، فهي نظرية أستخدام الأشتباكات في خدمة الحرب)**(230)** والحقيقة إنه بموجب هذا المفهوم أعطى للتكتيك مفهوما واضحا جدا وفصل بينه وبين الأستراتيجية رغم إن أحدهما يكمل الآخر، ويبدو إن هذا المفهوم هو المعول عليه لحد الآن كمصطلح عسكري له دلالته الواضحة ضمن مفهوم فن الحرب.

عرف(ليدل هارت) الأستراتيجية والتكتيك بدلالة واحدة بقوله (الأستراتيجية هي فن توزيع وأستخدام مختلف الوساط العسكرية لتحقيق هدف السياسة، وإن الأستراتيجية لا تعتمد على حركات الجيوش فحسب ولكنها تعتمد على

نتائج هذه الحركات، وعندما يؤدي أستخدام واسطة الحرب إلى معركة حقيقية فإن الأستعدادات التي تتخذ لأعداد مثل هذا العمل وتنفبذه، تشكل ما يسمى (التكتيك) ويمكن الفصل ببن الأسترتيجية والتكتيك نظريا أثناء الحديث بينما يتعذر ذلك في الأمثلة العملية نظرا لتشابكهما وتأثير كل منهما على الآخر)**(231)**.

أما إندريه بوفر فقد عرف التكتيك بقوله (التكتيك هو فن أستخدام السلاح في المعركة بطريقة تجعله يمارس أكبر تأثير)**(232)**.

أما السوفيت فقد أدخلوه بدورهم ضمن مفهومهم لفن الحرب إذ أعتبروا التكتيك هو الفرع الأخير من فروع فن الحرب، وهو يشمل أساليب وأشكال أعداد وخوض المعركة ومختلف إنواع النشاط القتالي للتشكيلات والقطعات والوحدات. أما أهم واجبات التكتيك فهي: تحديد فكرة العملية، تنظيم التعاون في المعركة والمحافظة عليه باستمرار**(233)**.

من كل ما تقدم نخلص إلى ان فن الحرب وكما سبق عرضنا له، ينقسم إلى ثلاث أقسام أو فروع (الأستراتيجية (السوق) وفن العمليات والتكتيك (التعبية) وهذه الأقسام أصبحت مترابطة بمرور الزمن الواحدة بالأخرى حتى تكاد إن تنعدم الحدود فيما بينها. فالأستراتيجية، هي فن وعلم أستخدام القوة أوالتهديد بها لتحقيق الهدف / الأهداف السياسية، وهي السياسة في التنفيذ وبعبارة أوضح هي، الخطة التي تنفذ السياسة العسكرية. وفن العمليات هو فن وعلم أستخدام التشكيلات الكبيرة في الحرب لتحقيق هدف / أهداف الأستراتيجية العسكرية. والتكتيك (التعبية)هي الفرع الثالث اوالقسم الثالث في هذا الفن وهو معني بالقدرة على التحكم بمفاصل المعركة الفعلية أو الإشتباك الفعلي خلال الحرب بين التشكيلات الميدانية والتي يتم التخطيط لها وتنفيذها لتحقيق الأهداف العسكرية.

التكتيك، كما في الأستراتيجة وفن العمليات، فهو علم وفن. الفن التكتيكي

يبحث ويدرس مسائل تحضير العمليات وإدارتها وهي العمليات التي تدار بواسطة التشكيلات التكتيكية (فوج، لواء، فرقة). والفن التكتيكي تحكمه ضوابطا ومبادىء رئيسية وهذه المبادىء جاءت من خلال الخبرات المكتسبة من الحروب وهناك قول مأثور كنا نسمعه دائما خلال مراحل دراساتنا وعملنا هو إن (التعبية كتبت بالدم) وهذه المبادىء تعتبر بمثابة دليل يسترشد به من قبل القادة والأمرين وليست قوانين لازمة للتطبيق.

أما وصف التكتيك بالعلم فهو متأتي من كونه يجسدالفهم الدقيق للجوانب العسكرية المتعلقة بالقدرات المادية وتقنيات الأسلحة والمعدات العسكرية لكافة الأطراف المتصارعة، كما يشتمل على كافة النظريات العلمية التي تحكم عمل كافة الأسلحة والمعدات والقدرات القتالية في ميدان المعركة، إضافة إلى الدراسات المتعلقة بتأثيرات الأرض والمناخ والعوامل الطبيعية المختلفة.

والتكتيك هو الخيار الذي تقرره الأستراتيجية للتعامل مع العدو على الأرض وهو لذلك يتناول السلاح والتشكيلات والأرض وعمليات الأشتباك وأساليب القتال من أجل القضاء على الخصم.

التكتيك كجزء من فن العمليات له نظامه وأسسه الخاصة المبنية على الخبرات المكتسبة وعلى النظريات العلمية التي تتطور بمرور الزمن مع التطورات العلمية والتكنولوجية، لذا فإن العلم كان ولا يزال هو العامل المؤثر في الفن التكتيكي كما هو مؤثر على فن العمليات وعلى فن الحرب عموما، وكما بينا في بداية الموضوع. والتكيك كان ولا يزال يتعامل مع ثلاثة عناصر أساسية: الأول هو السلاح الذي تحكمه القدرات التصميمية (الفنية) أو ما تسمى بالقدرات النظرية، والقدرات العملية، وهي قدرة المستخدمين للسلاح ومستوى كفائتهم، الثاني هو التشكيلات القتالية، التي تتناسب مع الدور المطلوب لها في المعركة والتي تتناسب مع التسليح المتوفر، العنصر الثالث هو الأرض والمعني بها هو (طريقة استخدام الأرض بما يتلائم مع القدرة القتالية للتشكيلات التعبوية).

حاول العديد من المفكرين والباحثين ومنذ عدة قرون، اعتماد الرياضيات في عمليات حسابات القدرات القتالية في مسعى القصد منه التقليل من التقديرات الشخصية للقادة وهيئات الركن التي تعتمد غالبا على الخبرة والتجربة، والتي كثيرا ما تختلف بين شخص وآخر، وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهرت دراسات وطرق جديدة لحسابات القدرات القتالية والتي تطورت مع تطور الحاسوب الذي كان له الأثر الكبير في وضع أسس هذا العلم الحديث.

من هذه الطرق طريقة(ديبوي) التي وضعت من أجل تقويم المعارك التاريخية بغية التوصل إلى أسباب نجاح وفشل الأطراف المتحاربة، ومن ثم عكس تلك النتائج على عمليات بناء القوات المسلحة وأستخدامها في المعركة، وفي كل تلك الدراسات كان المستوى التكتيكي هو الأساس الذي تبنى عليه حسابات القدرات القتالية للمستوى العملياتي والأستراتيجي، كما أصبحت تلك الطريقة أساس لحسابات القدرات القتالية للعديد من الحالات التي تسبق المعركة أو خلالها وبعد إنتهائها في مجال الجانب التحليلي.

تعتمد طريقة(ديبوي) على حساب القدرة التدميرية للأسلحة والمعدات كقياس أساسي لنتيجة المعركة مع حساب عوامل التشغيل والعوامل الطبيعية على هذه القدرات سلبا وأيجابا، ومن ثم تحديد مدى فاعلية وتأثير الأسلحة والمعدات على سير المعارك. أما مراحل تلك العملية بشكل موجز فكما يلي:

تحديد حجم القوة القتالية لوحدة أو تشكيل وتشمل (أجمالي القوة البشرية والأسلحة والمعدات، ثم القيام بتقسيم الأسلحة والمعدات إلى مجموعة ثابتة ومجموعة متحركة).

إجراء حسابات القدرة التدميرية النظرية لكل سلاح بأستخدام(معامل التأثير النظري) الذي يتضمن قياس عدد من العناصر. ويتم أستخراجه بموجب المعادلة التالية:

معامل التأثير النظري = معدل النيران xالمدى المؤثر xعدد الأهداف xنسبة

التدمير x الأعتمادية x الدقة x عددالأسلحة للنوع الواحد.

حساب القدرة التدميرية العملية = معامل التأثير النظري لكل سلاح.

معامل الإنتشار

(معامل الإنتشار هو عدد الأفراد او المعدات المنتشرة على مساحة 1 كم2).

يجري قياس القدرة التدميرية للأسلحة والمعدات في حالة الثبات، ثم في حالة الحركة بعد إضافة العوامل الأضافية التي تشمل (عامل خفة الحركة ومدى العمل)

إجمالي القدرة التدميرية لأسلحة التشكيل = معامل التأثير العملي في حالة الثبات x معامل الحركة x نصف قطر التأثير + معامل التعرض x معدل النيران x معامل السيطرة x معامل الأمداد x معامل الجنزير (السرفة) x عدد الأسلحة للنوع الواحد.

تجري إضافة تأثير العوامل الطبيعية وعوامل التشغيل على كل نوع من هذه الأسلحة لنحصل على التقيم النوعي للقدرة القتالية للتشكيلات المختلفة وذلك بتطبيق المعادلة التالية التقيم النوعي للقدرة القتالية = القدرة التدميرية x معامل العوامل الطبيعية x معامل عوامل التشغيل). وقد أعطى ديبوي معاملات لعوامل التشغيل شملت (الأرض، الطقس، معاملات تأثيرات التفوق الجوي، معاملات أشكال القتال).

كما وضعت أساليب رياضية أخرى يجري بموجبها أجراء حسابات أخرى تكميلية للقدرات منها:

- اسلوب تسجيل القدرة النيرانية.
- أسلوب حساب الثقل الناري للوحدة والتشكيل (وتتضمن حسابات قوة

النيران وتأثيرها وهي من أهم أساليب حسابات التوازن العسكري للأطراف المتخاصمة).
- أسلوب القطعة المعيارية (بأستخدام قطعة السلاح الأكثر شيوعا وأعتبارها الأساس الذي تقاس عليه قدرة الأداء للوحدة والتشكيل بأستخدام أسلوب دولفي).
- أسلوب الأوزان الرئيسية لعناصر الكفاءة القتالية يشمل:(تقيم عناصر القوة البشرية والتسليح والقدرة على تنفيذ المهام، ولكل عنصر من هذه العناصر أسلوب رياضي خاص يحسب بموجبه).
- أسلوب التقييم الرقمي. يعتمد هذا الأسلوب على قياس مستوى الكفاءة القتالية الخمسة (الأستعداد القتالي، الحالة الفنية، الحالة الإدارية، التنظيم والإدارة، الكفاءة) وهناك عدة مراحل يتم بموجبها أجراء الحسابات التفصيلية وصولا إلى قيم التقيم الرقمي لكل وحدة وتشكيل.**(234)**.

يساعد هذا الأسلوب في أجراء المقارنات بين قوات الدولتين المحتمل حدوث حرب بينهما من أجل التوصل إلى تقيم للموقف العام للتوازن العسكري على المستوى الأستراتيجي الذي ينعكس على ميزانية الدفاع سلباً أو إيجابا. أما على المستوى التكتيكي فيجري التقيم ضمن إطار المهمة المنوي تنفيذها لمعرفة مدى قدرة تلك القوة على تنفيذ المهام المطلوبة منها. ولكل حالة من حالات التقويم الكمي اوالنوعي توجد معالجات خاصة تعتمد أيضا على الحسابات الرياضية، يمكن على ضوءها معالجة حالات الخلل التعبوي قبل الأشتراك بالمعركة وحتى خلالها إن تيسر الوقت.

إن حسابات القدرة القتالية اوالكفاءة القتالية أصبحت ضرورية جدا في ظروف الحرب الحديثة، فالأساليب السابقة التي كانت تعتمد في تقادير الموقف على حساب وحدات مقابل وحدات لم تعد ملائمة إطلاقا، لإن قدرات الوحدات تتباين من نواحي عديدة أبرزها نسب التكامل للأفراد والأسلحة والمعدات والحالة الفنية للأسلحة والمعدات، ومستوى التدريب، وكفاءة القادة

والأمرين، والحالة المعنوية، وطبيعة الأرض والظروف المناخية، التي تقاتل فيها الوحدات،لذلك ينبغي أعطاء هذا الموضوع عناية خاصة من أجل دراسته وتطبيقه عمليا في كافة صفحات القتال. كما إن أعتماد هذه الأساليب بساعد على أعتماد تنظيمات ملائمة للوحدات والتشكيلات مع أختيار منظومات الأسلحة التي تتلائم مع العقيدة العسكرية ومع احتمالات الصراع المسلح. كما إنها تؤدي إلى تعزيزمبدأ النوعية المتفوقة على الكمية أو الحجم الكبير الذي غالبا ما يكون غير اقتصادي وغير ملائم.

من الأمور المهمة التي دخلت على التكتيك في الجانب العلمي إضافة لحساب القدرات القتالية هو موضوع أسلوب حساب الجبهات والأعماق للوحدات والتشكيلات القتالية في صفحة الدفاع والذي يعتمد ايضا بأحد جوانبه على حسابات القدرات القتالية. إن هذا الأسلوب يتضمن تفاصيل حساب تلك الجبهات والأعماق التكتيكية أستنادا إلى عدد من العوامل لعل أبرزها خواص وقدرات الأسلحة والأشخاص مستخدمي تلك الأسلحة وعلى طبيعة الأرض ونوع الواجب، وعلى قدرات العدو وطبيعة مهمته وقدراته القتالية وأسلوب قتاله التكتيكي. ومن أجل تقريب الصورة لهذا النوذج القتالي التكتيكي الذي طبق خلال الحرب العراقية الإيرانية من قبل بعض التشكيلات، وصدرت بموجبه كراسة رسمية بموجب كتاب مديرية التطوير القتالي الرقم(ش1419/2/ في 29/3/1983. تحت أسم دليل الجبهات والاعماق نذكر خلاصة لهذه الكراسة(**235**).

إن هذا الأسلوب يساعد على اتخاذ مواضع دفاعية متوازنة من ناحية الجبهات التي ينبغي اتخاذها عند الدفاع وكذلك العمق اللذان يتناسبان مع طبيعة المعركة المتوقعة، وهو بذلك يجنب الأمرين والقادة من مشاكل التقدير العام الذي غالبا ما يؤدي إلى الفشل في تحقيق المهام إضافة إلى الخسائر الكبيرة التي يحتمل إن تحدث نتيجة سوء التقدير، وكما حصل في الحرب العراقية الإيرانية والذي راح بنتيجته الكثير من الضحايا بسبب تكليف الوحدات

والتشكيلات بمهام لا تتناسب مع وضعها من ناحية الكفاءة القتالية والواجب الذي تكلف به سواء كان ذلك خلال العمليات التعرضية أوالدفاعية والذي كان يعتمد غالبا على التقدير العام وليس على أساس الحسابات العلمية المشار إليها.

من كل ما مر نجد إن الجانب العلمي أخذ موقعا متميزا في مجال التكتيك كما هو عليه في مجالي فن العمليات والأستراتيجية، لكن الأمر المهم الذي ينبغي معرفته والتوقف عنده إن لعوامل الطبيعية البشرية دور كبير في هذا الفن رغم وجود المبادىء والأسس والقواعد والنظريات العلمية، كل تلك العوامل لا يمكن أعتبارها قواعد وأسس ثابتة يحتكم إليها ويقرر بموجبها نتيجة المعركة، لإن هناك عوامل خارجة عن إرادة الإنسان والعلم، وهي الشك وعدم اليقين والصدفة التي يسميها البعض (الحظ) وغير المتوقع، (وهي جميعها تأتي في عامل المجهول) هذه العوامل لايمكن وضع مقاييس ثابته لها كونها متغيرة تبعا للظروف وللقدرات الشخصية وتأثيرها يمتد إلى القرارات ونتائج المعارك، تأثير هذه العوامل يبرز في المجال التكتيكي (التعبوي) أكثر مما يبرز في المستوى الأعلى، كفن العمليات والأستراتيجية، والسبب يكمن إن المستوى التعبوي يتعامل بشكل مباشر مع كل تلك العوامل في نفس الوقت، يقول(ليدل هارت) حول هذا الموضوع (والحسابات الأستراتيجية أبسط وأصدق من حسابات التكتيك، لإن العامل الأساسي المجهول في الحرب هو إرادة الإنسان، وتظهر هذه الإرادة على حقيقتها أمام الحواجز والمقاومات، ومعضمها تقع على المستوى التكتيكي. وليس أمام الأستراتيجية مقاومات تتغلب عليها سوى مقاومات الطبيعة، ويهدف مخططها إلى الأقلال من أمكانيات المقاومة باستخدام عاملي الحركة والمفاجاة) **(236)**.

ضمن تعاريف الحرب والأستراتيجية نقرأ عنها إنها صراع أرادات بين الطرفين المتصارعين كل طرف يحاول فرض أرادته على الآخر، والصراع في مفهومه العام هو تناقض بين فكرتين أوأكثر تحمل كل منهما مكونات وخصائص لا تلتقي بها مع مكونات غيرها. ولكننا عندما نريد إن نفهم المعنى الحقيقي

لصراع الأرادات، قد لا نجد التفسير الواضح لكيفية حدوث هذا الصراع، هل هو صراع العقول أم صراع النفوس أم هو حصيلة عوامل (الأيمان، الشجاعة، العزيمة، الإصرار، الثقة بالنفس) والتي تشكل بمجموعها الإرادة القوية على تحقيق النصر ؟ قد يكون هذا الصراع على المستوى الأستراتيجي أكثر وضوحا لإنه مرتبط برغبة وإرادة على تحقيق هدف واضح ومحدد جرى التخطيط لتحقيقه بناء على حسابات وتقديرات لعوامل واضحة ومعلومة في أكثر الأحيان، وعلى مقدار الدقة في التخطيط تتكون الثقة في النجاح التي تنعكس أيجابيا على إرادة الإنسان في التغلب على الطرف الآخر، وهي جميعها لا تزال حسابات نظرية لا يزال يكتنفها المجهول في بعض الجوانب. وهنا يبرز دور القيادات التي تستطيع سد الثغرة بين الواقع والمجهول من الإرادة القوية والعزيمة على تحقيق النصر، في مثل هذه المواقف يكون للبعد المعنوي تأثير كبير على نتائج الصراع إضافة إلى العوامل الفنية التي تجري خلال الحرب. أما في الجانب التكتيكي فالأمر يختلف كليا، والسبب يكمن في كون صراع الأرادات يأخذ بعداأوشكلا آخر أكثر واقعية مما هو عليه في المستوى الأستراتيجي أوالعملياتي، لقد وجدت بعد الدراسة والتحليل وبالأستعانة بخبراتنا السابقة في الحروب التي شاركت فيها ضمن كافة المستويات تكتيكية وعملياتية وأستراتيجة، إن المعنى الحقيقي لصراع الارادات يتجلى في اوضح صوره على المستوى (التكتيكي)، وهذا تأكيد لما ذكره (ليدل هارت) آنفا، فآمر الفصيل والسرية والفوج والتشكيل هو الذي يدير معركته بشكل مباشر وهو الذي يتحمل كل صعوبات المعركة من قصف جوي ومدفعي وألغام وأخيرا الاشتباك المباشر مع العدو بالنيران المباشرة للأسلحة المتوسطة والخفيفة وغير المباشرة، وفوق كل ذلك يتعرض إلى الصعوبات التي تفرضها ظروف العوامل الطبيعية (مناخية وجغرافية) هذه كلها عوامل يتعامل معها المستوى التكتيكي بشكل مباشر، إن الآمر / القائد التعبوي بعد انطلاقه من خط الشروع لا يبقى معه سوى ما يمتلكه من قدرات ذاتية (قوته المادية والمعنوية وأرادته على تحقيق النصر) وهنا تبرز الصورة الحقيقية لصراع الأرادات، فكل طرف

يحاول هزيمة عدوه بما يمتلكه من قوة مادية ومن خبرة ومن ذكاء وخداع، ومن إرادة قوية في ظل ظروف (الشك والصدفة وعدم اليقين)، بين كل تلك العوامل المتعارضة يبقى الدور الشخصي للقائد أوالآمر الأثر الكبيرأوالرئيسي في النجاح أو الفشل، إن الآمر وهو في خضم هذه المواقف ترتسم في مخيلته صورة الشرف المهني والوطني أولا والغاية التي يقاتل من أجلها وهي العوامل الأساسية التي تمنحه العزيمة والإصرار على تحقيق الهدف ثم ياتي الدور الفني الشخصي في استخدام وحدته في المعركة الذي هو عبارة عن عملية موائمة بين العلم والخبرات والقدرات الشخصية للأمر / القائد، المتأتية من خلال الصفات الشخصية من ذكاء وعبقرية وشجاعة وهذا ما يمكن إن نطلق عليه الجانب الفني من التكتيك. أما الجانب العلمي للتكتيك فيشمل على الفهم الدقيق للنظريات التعبوية، وخواص وأستخدامات الأسلحة والمعدات التي تحت أمرته، بموجب القواعد والأسس التي صممت لها. وكخلاصة إن المعركة التعبوية هي الأداة التي تحقق هدف العمليات والسوق، وهي التي يمتزج بها الفن التعبوي مع العلم والتي تحتاج إلى عقل سليم وإرادة قوية متوازنة تستطيع استخدام العلم والفن في بودقة واحدة من أجل تحقيق الهدف المحدد. وفي هذا المجال يقول كلاوزفيتز (إن العقل القوي ليس هو العقل القادر فقط على إنتاج الانفعالات القوية، بل هو العقل الذي يستطيع الإبقاء على التوازن في غمرة الانفعالات القوية) **(237)**.

إن التفسير الواقعي لصراع الإرادات على المستوى التكتيكي أو موضوع الإرداة يصبح في مثل هذه الظروف خصوصا عند الاشتباك مع العدو هو صراع من أجل البقاء قبل كل شيء، فالآمر والجندي يريد إن يبقى حيا، وحتى يبقى حيا لابد له من قتل عدوه أوتدميره أوأجباره على الانسحاب، وفي الطرف الآخر يكون العدو على نفس الصورة، كل طرف يريد إن يقضي على الطرف الآخر، لذلك تتحرك عند الإنسان غريزة المحافظة على الحياة التي تتحول إلى إرادة وعزيمة حقيقية بالأستغلال الأمثل لكل عوامل الفن التكتيكي والمادي المتوفرة تحت تصرفه مع العناصر الذاتية التي يمتلكها، إنها في الحقيقة تمازج

بين الرغبة الطبيعية في البقاء وبين العناصر المهنية والمعنوية.

الفصل الرابع العقيدة العسكرية وعلاقتها بدورة الحرب

القسم الاول في مفهوم العقيدة العسكرية

العقيدة العسكرية مصطلح مألوف و متداول من قبل أغلب العسكريين (قادة وهيئات ركن)، ولكن هذا المصطلح كثيرا ما يكتنفه بعض الغموض في المعنى والمفهوم. فهناك من يعتبر العقيدة العسكرية بمثابة الدليل والمرشد لكل ما يتعلق بعمل العسكريين وما يمارسونه من تدريب واستخدام للأسلحة والمعدات في السلم وفنون قتالية في الحرب. وهناك من يعتقد إنها ترجمة حقيقية لنظرية النظام السياسي في المجال العسكري. وبين هذين الرأيين تتباين وجهات النظر والمفاهيم المختلفة. ولعل السبب في ذلك يكمن في قلة ومحدودية من يتداول هذاالمصطلح من العسكريين وأقتصاره على هيئات الركن العليا في أكثر الأحيان والتي قد تمارسه ولكن لا تتعمق في فهم تفاصيله، إضافة إلى قلة المصادر التي تبحث في هذا المجال.

إن مصطلح العقيدة العسكرية يعتبر من المصطلحات حديثة النشأة ألا إنه من حيث الجوهر والمعنى والدلالات هو قديم قدم الصراعات المسلحة بين الشعوب والأمم، لإن الصراعات لم تنشب ألأ إذا توفر وجود الدافع أو الغاية أو المصلحة والذي قد يأخذ أشكالا مختلفة منها العقائدي ومنها الأقتصادي ومنها الرغبة في التوسع والهيمنة وغيرها. ومن الطبيعي إن يكون لكل صراع فسلفته وعقيدته التي يقاتل من أجلها، وعقيدة عسكرية يقاتل بموجبها. إن العقيدة العسكرية في مفهومها الحديث أصبح لها مفاهيمها ونظرياتها الخاصة التي تنسجم مع فكر وأهداف كل دولة فيما له علاقة بأمنها الوطني وتطلعاتها المستقبلية وتاريخها وقدراتها وتطورها العلمي والفني. والشيء المهم الذي ينبغي التوقف عنده إن كافة الدول الكبرى والمتقدمة تمتلك عقائد عسكرية

خاصة بها، أما الدول الأخرى فالقليل منها لها عقائد عسكرية، وما ينبغي التذكير به إن أغلب الدول العربية لا تزال لم تتبلور لديها عقائد عسكرية ذات إطار عربي واضح ومميز فيما عدا بعض الحالات المحدودة لدى بعض الدول، رغم تعـرض أمنـها الوطنـي والقومـي إلـى تـهديدات مستمرة داخليـة وخارجيـة وتعرضها إلى عدة حروب، ورغم توفر الكثير من التجارب والخبرات وتوفر الإمكانات المادية والعمق الفكري والتاريخي، على عكس أسرائيل التي وضعت عقيـدة عسـكرية وقتاليـة تنسجم مع واقعها وظروفها وتضـمن لـها تحقيق أهدافها ومخططاتها في المنطقة مع الاستمرار بتطويرها تبعا للتطورات العلمية والتقنيـة للأسـلحة والمعـدات والنظريـات العسـكرية وطبيعـة التـهديدات والتحديات التي واجهتها والمحتمل مواجهتها في المستقبل.

إذا نظرنا إلى العقيدة كمفهوم لغوي نجد إنها عرفت في معاجم اللغة على إنها (ما عقد عليه القلب والضمير ويدين به الإنسان)**(238)** وهذا التعريف ينطبق علـى مختلـف العقائـد وفـي مقـدمتها الـدينية، ولفـظ العقيـدة (Doctrine) هي (لفظة لاتينية الأصل وتعني النظرية العلمية والفلسفية، وقد ورد في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية إن العقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده) **(239)** وإذا نظرنا إلى العقيدة كمفهوم عسكري نجد إن مصدرها هو مصطلح انكليزي (military doctrine) معناه مبدأ او مذهب، يقابله في العربية (العقيدة العسكرية)، وقد يطلق عليها البعض المذهب العسكري. وكلمة مذهب هـي المرادف لكلمة عقيدة في قواميس اللغة. وهناك من أطلق عليها النهج العسكري. **(240)** وسواء كانت عقيدة أو مذهب أونهج فإنها في الحقيقة لابد وإن تكون متأتية من مصدراو منبع رئيسي، له القدرة على رسم مسار هذه العقيدة. هذا المصدر أما إن يكون عقيدة دينية أو سياسية لحزب أو لنظام سياسي لـدولة معينة. وكما هو معروف فلكل نظام سياسي عقيـدة ونظرية سياسية توضع من قبل القادة السياسيين وتختلف بأختلاف ظروف كل دولة، فـي بعـض الـدول المتعـددة الأحزاب يكـون الدسـتور هو المرجع في صياغة أوتبني عقيدة عسكرية، وفي الدول التي يحكمها الحزب الواحد فتكون نظرية

الحزب وأيدولوجيته هي الموجه والمرشد للعقيدة العسكرية، كما في الاتحاد السوفيتي سابقا عندما كانت النظرية الماركسية اللينينة هي أساس العقيدة العسكرية، وفي الصين وكوريا الشمالية حاليا، وكذلك في العراق عندما كان حزب البعث يقود العراق، وكما هو الحال في سوريا في الوقت الراهن.

وبالعودة إلى تعريف العقيدة العسكرية نجد ثمة تعاريف عدة أعطيت لها فالبعض عرفها بدلالة السياسة العسكرية المرسومة التي تعبر عن وجهات النظر الرسمية للدولة في أمور الصراع المسلح، ويشمل كل ما يتعلق بطبيعة الحرب وغايتها " من وجهة نظرها " وطرق إدارتها، والأسس الجوهرية لأعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب. **(241)**ومنها أيضا، العقيدة العسكرية: هي جملة الأراء ووجهات النظر التي يتبناها مجتمع من المجتمعات عن الحرب وعلاقتها بها وعن المهمات الحربية لهذه الطبقة وعن الحكومة، وعن الجيش كواسطة لخوض الحرب، وطرق وسبل النصر في الحرب.

وهناك من أعتبرها منظومة من وجهات النظر التي تعتنقها الدولة لمرحلة زمنية معينة حول أهداف الحرب القادمة المتوقعة وطبيعتها وإعداد البلاد والقوات المسلحة لها حول طرق خوضها. كما عرفت العقيدة كونها مفهوم يتعلق بالدولة وهي توضع من قبل رجال السياسة**(242)**

العقيدة العسكرية: هي مجموعة وجهات النظر التي تتبناها الدولة والمتعلقة بطابع الحرب وبأساليب وأشكال خوضها وبإعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب ضد العدوان، وتتضمن العقيدة العسكرية مبادىء موجهة تتعلق بالسياسة وبالمسائل العسكرية التكتيكية. **(243)**

وهي مجمل وجهات النظر المطبقة في الدولة حول طبيعة الحرب الحديثة وأساليب أجرائها وتحضير القوات المسلحة والدولة لخوض الحرب المقبلة. وتكون العقائد العسكرية موجهة إلى المستقبل وتعني به من منطلق الماضي والحاضر ومن منطلق التاريخ والجغرافيا**(244)**

العقيدة العسكرية: هي مجموعة المبادىء والمفاهيم المتخذة كدليلا وتعاليم لبناء واستخدام القوات المسلحة، والهدف من العقيدة العسكرية، دعم الأستراتيجية الوطنية. **(245)**

أورد د. عبد القادر محمد فهمي في مجال مناقشته لموضوع الأستراتيجية العسكرية والعقيدة العسكرية عدة تعاريف وخلص في النهاية إلى إن العقيدة العسكرية، برؤية القيادة السياسية، تبحث بما ينبغي إن تكون عليه القوات المسلحة في مجال بنائها العقائدي وجاهزيتها القتالية، وعلى هذا فهي تهتم بالقوات المسلحة من حيث تنظيمها وأستخدامها وإمكاناتها ونوع تسليحها ومستوى تدريبها بهدف تأمين كفاءتها القتالية في أي حرب تخوضها تحقيقا للغرض السياسي الذي تحمله الدولة وصناع القرار فيها وفي ضوء الأيديولوجية التي يعتنقونها. **(246)**

من كل ما مر إنفا نجد إن العقيدة العسكرية هي المرشد والموجه لفن الحرب بكافة جوانبه (الأستراتيجية والعملياتية والتكتيكية) وهي تعتمد على الفكر والنظرية السياسية للدولة (المستقاة من الدستورأونظرية الحزب الحاكم) وعلى العلم العسكري وعلى التحليل التاريخي العميق لسير الأعمال الحربية الذي تستلهم منه الدروس، من أجل بناء النظرية الحديثة الملائمة لأستخدام القوات المسلحة وإدارة الصراع المسلح بما يضمن تحقيق الأهداف السياسية للدولة.

وفي ضوء التعاريف التي تقدمنا بها للعقيدة، فإن العقيدة العسكرية تعني من وجهة نظرنا: هي مجموعة وجهات نظر تتبناها أي دولة للتعبير عن فكرها وأهدافها السياسية ووجهة نظرها في كل ما له علاقة بالحرب التي يحتمل إن تخوضها، وهي معبرة عن النظرة المسقبلية لما ينبغي إن يكون عليه أمنها الوطني، وهي تحدد بشكل واضح كل ما يتعلق بأعداد الدولة للحرب، وترسم الصورة العامة لما ينبغي إن تكون عليه الأستراتيجية العسكرية خصوصا في مجالات بناء القوات المسلحة واستخدامها. كما تحدد المبادىء العامة للعقيدة

القتالية في جانبيها العملياتي والتكتيكي. إنها التعبير العملي للفكر والأهداف السياسية للدولة في المجال العسكري. إن التعريف الذي تقدمنا به والذي يعبر عن وجهة نظرنا بالعقيدة العسكرية، ينطوي على بعدين ربما أفتقرت التعاريف السابقة الإشارة إليهما هما بعد شامل، له علاقة مباشرة بالأستراتيجية العسكرية حيث ترسم لها مسارها العام، وبعد مهني (علمي وفني) له علاقة برسم مسار العقيدة القتالية في المجالين (العملياتي والتكتيكي)، وهكذ نجد إن هناك تكاملا بين البعدين حيث يكمل أحدهما الآخر في إطار العقيدة العسكرية.

إن ما يفترض ملاحظته، ونحن نعالج العقيدة العسكرية، إنها تنطوي على جملة مكونات منها:

1 - مكونات ذات طابع سياسي هي مجموع القيم والمبادىء المعبرة عن النظرية السياسية للدولة ونظرتها للحرب كمفهوم وفلسفة (مإذا تعني الحرب بالنسبة لها ولماذا تحارب) كيف تستجيب للتهديد، الأعداء الرئيسين والمحتملين، المهام المحتملة للحرب، النظرة إلى التحالف وأهميته بالنسبة للدولة وأمنها الوطني، كيفية أعداد الدولة للحرب بضمنها القوات المسلحة والتي يتحدد بموجبها شكل ونوع وطبيعة القوات المسلحة وأساليب عملها وأستخدامها ضمن المستوى الأستراتيجي وبما يحقق الأهداف السياسية للدولة وهي جميعها تقع في مجال العقيدة الشاملة.

2 - مكونات ذات طابع فني / تقني: تتمثل في إمكانية الدولة على تصنيع الوسائل الحربية المتطورة وقدراتها العلمية في الأستجابة إلى التطوير والتحديث للأسلحة والمعدات، وحل مشاكل التفوق المادي بالتفوق التقني على العدو المحتمل أو تحييد تفوقه.

3 - مكونات ذات طابع عسكري: وهي مجموع المبادىء التي لها علاقة مباشرة بتحديد أتجاهات بناء القوات المسلحة (من ناحية الحجم، النوع، التسليح، التدريب، الاستخدام)، الخطوط العامة للمذهب القتالي والعقيدة القتالية،

لفروع القوات المسلحة، أساليب القيادة والسيطرة وصنع القرارات، أسس التدريب والأستعداد القتالي وهي جميعها تقع في مجال فن العمليات والتكتيك.

وهنا لابد من الإشارة إلى إن ثمة عوامل يمكن إن تؤثر على بناء العقيدة العسكرية ومن أبرزها:

1 - الأيديولوجية التي يتبناها النظام السياسي (المستندة على الدستورأونظرية الحزب الحاكم)، وأهداف ومهام السياسة والأستراتيجية الشاملة للدولة الحالية والمستقبلية.

2 - مصادر التهديد الداخلي والخارجي للدولة، وكذلك التغييرات التي تجري على النظام العالمي. إذ تعتبر مصادر التهديد الداخلي والخارجي من أهم العوامل المؤثرة على العقيدة العسكرية،حيث يؤثر حجم ونوع التهديد وتأثيره ودرجة خطورته على الأمن الوطني وعلى الأهداف السياسية للنظام، وعلى شكل وطبيعة الصراع المسلح المحتمل وتأثيره على أعداد الدولة للحرب، وعلى نوع وحجم القوات المسلحة ومستوى جاهزيتها وأستعدادها القتالي، وأستخدامها في الحرب.

أما التغيرات على النظام العالمي فتأثيرها يأتي من خلال مدى قرب وبعد العقيدة العسكرية من عقائد تلك الإنظمة وعلى سبيل المثال: تغيير العقيدة العسكرية السوفيتية إلى عقيدة روسيا الاتحادية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وتأثير هذا التفكك على عقيدة الولايات المتحدة الأمريكية وعلى حلف الناتو وعلى البنية الهيكلية للنظام الدولي، وما أعقب تلك المتغيرات من تأثيرات على الساحة الدولية، منها ما حدث خلال حرب الخليج الثانية والثالثة والحرب على أفغانستان والعراق وغيرها.

1 - طبيعة الصراح المحتمل أو الحرب المتوقع خوضها من قبل الدولة، من حيث النوع، شاملة محدودة، تقليدية نووية، طويلة، قصيرة، حرب عصابات، مكافحة تمرد.. الخ.

2 - الموقع الجيوبولتيكي للدولة، وما يفرضه الموقع من أعباء وتسهيلات على السياسة الداخلية وأبعاد حركتها الخارجية بشكل خاص، كذلك تأثيره على الجوانب الأقتصادية والعسكرية للدولة.

3 - الدروس المستفادة من التاريخ، يعتبر التاريخ العسكري المصدر الرئيس للعقيدة العسكرية سواء كان التاريخ العسكري للدولة أو التاريخ العسكري العالمي كونه يمثل خلاصة تجارب الدول والجيوش في الحروب والفنون القتالية.

4 - التطور العلمي والتقني. يعتبر التطور العلمي والتقني في البلاد والعالم ذا أهمية بالغة على العقيدة العسكرية من خلال أدخال منظومات أسحلة ومعدات جديدة والتي تستوجب أجراء تعديلات على العقيدة العسكرية كما جرى في العالم بعد أختراع البارود والمدافع والطائرات والدبابات والصورايخ وحاملات الطائرات والسلاح النووي وغيرها وكيف تاثرت العقائد العسكرية بها.

نخلص مما تقدم، إن العقيدة العسكرية لها أهمية ومكانة خاصة بالنسبة للدولة وقواتها المسلحة، إذ بدونها فإن القوات المسلحة تصبح في حالة ضياع وتخبط بين أراء ومفاهيم عديدة، ومن الخطأ بمكان أعتماد عقائد عسكرية جاهزة لدول معينة حتى ولو كانت دولة حليفة، لإن لكل دولة خصوصيتها وأهدافها وتطلعاتها، وإن العقيدة العسكرية يجب إن تنبع من واقع الدولة تاريخا وموقعا وفكرا ونظاما ونظرية سياسية، فالعقيدة العسكرية هي الدليل الأساسي لكل ماله علاقة بأعداد الدولة للحرب ولعملية بناء وتطوير وتجهيز وتدريب القوات المسلحة للمرحلة الراهنة والمقبلة.وهي الدليل الأساسي والمرشد لاستخدام القوات المسلحة أستراتيجيا وعملياتيا وتكتيكيا. وقيادتها وأدارتها في الحرب. وهي الأساس الذي بموجبة يتم توحيد مفاهيم عمل وأستخدام القوات المسلحة سلما وحربا.

ومن وجهة نظرنا ثمة ملاحظة منهجية ينبغي إن تؤخذ بنظر الأعتبار، وهي ان العقيدة العسكرية تتميز عن مفهوم آخر يتداخل معها ويمكن ان يفسر بدلالتها وهو العقيدة القتالية.

سبق وإن تطرقنا إلى إن العقيدة العسكرية الشاملة وهي عبارة عن مجموعة وجهات النظر التي تتبناها الدولة والمعبرة عن النظرية السياسية لها ونظرتها للحرب والمهام المحتملة للحرب، وما يتعلق بأعداد الدولة للحرب والقوات المسلحة وهي جميعها تقع في مجال الأستراتيجية العسكرية.

أما العقيدة القتالية فهي القسم التنفيذي للعقيدة العسكرية الشاملة، وهي عبارة عن مجموعة الأفكار والنظريات والمبادىء والقواعد التي تخص العلم العسكري وفن الحرب المتعلقة بأعداد القوات المسلحة والتي تشمل مجالات:التنظيم والتجهيز والتسليح والتدريب والاستخدام في الحرب لتحقيق الأهداف العسكرية وبالتالي تحقيق أهداف الأمة. وهي بذلك تتضمن جملة مواضيع رئيسية:

1 - أتجاهات بناء القوات المسلحة مع تحديد الأفضلية لأفرع القوات المسلحة (برية، جوية، بحرية) الأفضلية توضع أستنادا إلى الدور والأهمية في الحرب المحتملة.
2 - نوع وشكل العمل العسكري المنوي تنفيذه، نظرية العمل (دفاع، تعرض، دفاع فعال، حرب وقائية، حرب شعبية ألخ).
3 - الخواص العامة للأسلحة والمعدات الملائمة لطبيعة العمل العسكري المنوي تنفيذه.
4 - الشكل العام لمنظومة القيادة والسيطرة.
5 - الشكل العام لمنظومة أعداد وتدريب المقاتلين.
6 - مستوى الكفاءة القتالية المطلوب الوصول إليها.

بعد توضيح ما تعنيه العقيدة بمفاهيمها ومكوناتها ومضامينها لابد من معرفة طبيعة العلاقة بينها وبين فن الحرب بمكوناته الثلاثة الأستراتيجية، وفن العمليات، والتكتيك.

كما سبق وبينا في المبحث الثاني، إن فن الحرب هو الدراسات النظرية والعملية التي تهتم بأساليب القتال وخوض الحرب في كافة الجوانب والمجالات (أستراتيجيا وعملياتيا وتكتيكيا). وإن هذه الدراسات تعتمد بالأساس على العقيدة العسكرية كونها المرشد والموجه له، وعلى التحليل التاريخي العميق لسير الأعمال الحربية وأستلهام الأسس والدروس منها، من أجل بناء النظرية الحديثة لأستخدام القوات المسلحة وإدارة الصراع المسلح.

ففي مجال الأستراتيجية العسكرية (السوق العسكري)، نجد إن العقيدة العسكرية تكون حاضرة على الدوام عند وضع الخطط الأستراتيجية، سواء في مجال بناء القوات المسلحة أو أستخدامها. والسياق الطبيعي للتخطيط السوقي يبدا من التوجيه الاولي الذي تعده القيادة السياسية / العسكرية (مجلس الدفاع الأعلى أو ما يوازيه) الذي يستند في توجيهاته على أهداف الأستراتيجية الشاملة، وعلى النظرية العسكرية (العقيدة العسكرية الشاملة). ويصدر إلى القيادة العامة للقوات المسلحة، ثم يأتي دور القيادة العامة للقوات المسلحة التي تضع الخطة العامة للقوات المسلحة والتي هي الخطة الأستراتيجية التي تتحدد بموجبها عملية بناء واستخدام القوات المسلحة لتحقيق الأهداف السياسية. وفي هذا المكان يكون للعقيدة العسكرية الشاملة الدور الرئيسي في رسم هذه الخطة، وبموجب هذه الخطة تصدر التوجيهات إلى قيادات فروع القوات المسلحة التي يطلب منها وضع خطط فروعها وفق المهام المحددة لها في الخطة السوقية العامة، ثم تصدر التوجيهات إلى قيادات الجيوش أو الفيالق، وهو المستوى العملياتي لفن الحرب ثم تليها الأوامر إلى قيادات الفرق وما يعادلها وهو المستوى التعبوي لفن العمليات. ضمن هذه الألية لفن الحرب يكون دور العقيدة حاضرا سوقيا وعملياتيا

وتكتيكيا، وكما سبق وإن بينا ذلك إنفا. من كل ذلك نخلص إلى إن العلاقة بين العقيدة وبين فن الحرب هي علاقة وثيقة ولا يمكن إن تنفصل خلال كافة المراحل التي تسبق الصراع المسلح المحتمل او بالتزامن معه وبعده. وحتى تكون العقيدة العسكرية مرنه ومتطورة يتحتم عليها إن تتابع التطورات التي تحدث على النظريات العسكرية سواء على المستوى السوقي أوالعملياتي أوالتكتيكي، وكذلك التطورات العلمية والتقنية وتجارب الحروب المحلية والعالمية وتجري التحديثات عليها، وعلى كافة المستويات، لذلك يمكن القول إن العقيدة العسكرية هي بمثابة كائن حي يتفاعل مع كل الأحداث ويتطور تبعا لها وبخلاف ذلك لابد وإن تصاب المنظومة العسكرية بنكسات كبيرة كما حدث في العديد من الدول. ولعل أبرز مثال على هذه التطورات ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي سابقا وروسيا حاليا وإسرائيل، إذ نجد إن هذه الدول تطور عقائدها بأستمرار تبعا للتطورات التي تحدث لها في ضوء تجاربها والتجارب العالمية والتطورات التقتية.

لو أخذنا الولايات المتحدة الأمريكية أولا، سنجد إنها بنت عقيدتها العسكرية منذ عام (1947) على الأستعداد لحرب ضد قوى كبرى (الأتحاد السوفيتي). وكانت العقيدة العسكرية مبينية على أساس التفوق العسكري بشكل لا تضاهيه أي قوة في العالم، وكانت الحرب الباردة ميدان تلك العقيدة لما يقرب من (60) عاما، وكان الفكر العسكري الأمريكي منشغلا بالحرب النووية وأستراتجياتها المختلفة. كما اعتمدت العقيدة الأمريكية على مبدا التهديد بأستخدام القوة أوأستخدامها فعلا بإنواع مختلفة من الأستراتيجيات، ففي عهد (ترومان) تبنت أستراتيجية الأحتواء وفي عهد (أيزنهاور) أستراتيجية الإنتقام الشامل وفي عهد (كندي) أستراتيجية الأستجابة المرنة، وفي عهد (جونسن) أستراتيجية التدمير المؤكد، وفي عهد (نكسن) أستراتيجية الحرب بالوكالة، وفي عهد (كارتر) أستراتيجية التدخل المباشر والإنتشار السريع، وفي عهد (ريغان) تبنت أستراتيجية حرب النجوم والدرع الفضائي، وفي عهد (بوش الأب) أستراتيجية تكيف الدول الكبرى والأقليمية مع النظام الدولي الجديد،

وفي عهد (كلينتون) أستراتيجة الأحتواء المزدوج لبعض الإنظمة التي تهدد مصالحها، وفي عهد(بوش الأبن) أستراتيجية الضربة الوقائية أو الأستباقية ومحاربة الإرهاب. وخلال تلك الفترة حدثت تطورات كبيرة على منظومات الأسلحة والتقنيات في مجال الفضاء وغيرها، وكما يبدوا إن تلك العقيدة تمكنت من إدامة التفوق كل تلك العقود وأدت بالتالي إلى تفكك الأتحاد السوفيتي وخروجه من لعبة الحرب الباردة وسباق التسلح لأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى ولأسباب أخرى أيديولوجية وسياسية. ومن بعد إنهيار الأتحاد السوفيتي تبنت الولايات المتحدة أستراتيجية تضمن لها أستمرار هيمنتها على العالم بأعتبارها قوة كبرى لا تضاهيها أي قوة أخرى. ولكن التحول الكبير ظهر بعد أحداث أيلول (2001)، حيث ظهرت تهديدات جديدة لا يمكن توقعها وكذلك تغيير في بيئة العلاقات الدولية، حيث ظهرإن هناك دول أخرى وتنظيمات يمكن إن تمثل تهديدا للأمن العالمي والأمريكي مثل تنظيم القاعدة. كما إن هناك مخاطر أخرى متوقعة من قبل الصين أوكوريا الشمالية، أوأمكانية إندلاع حرب نووية بين الهند وباكستان، إضافة إلى التوترات المتكررة في منطقة الخليج والبلقان والصراع العربي الإسرائيلي. هذا إضافة إلى ظهور تحديات اوربية وصينية وهندية لمواجهة هيمنة أمريكا على الفضاء، وكذلك في مجال تكنولوجيا المعلومات. هذه كلها عوامل أثرت وبشكل كبير على العقيدة العسكرية التي لابد وإن تستجيب لتلك التحولات.

كان لتكنولجيا المعلومات ووسائل الاتصال السريعة وسيطرتها على أغلب نظم المعلومات والأتصالات والأقمار الصناعية المصممة للأغراض العسكرية أوالأقتصادية، التي سمحت لها بالتجسس والتنصت على أعدائها داخل وخارج الولايات المتحدة، وكذلك التطورات الكبيرة في الأسلحة والمعدات، كلها وفرت لها السرعة في الأستجابة العسكرية، حيث لم يعد يشغلها التركيز على العدد الكبير من القوات كما في السابق بل أصبح نوع القوات هو المهم، لذا جرى تقليص كبير على حجم القوات إذ وصل إلى الثلث وكان المؤمل الأستمرار بالتخفيض لولا حدوث هجمات(11أيلول) التي فرضت تحولات جديدة على

العقيدة التي أعتمدت على الأستخدام المفرط للقوة من خلال ما سمي(بعقيدة الصدمة والرعب (shock and awe) **(247)** التي طبقت على العراق وعلى أفغانستان أيضا،وكان من المؤمل قدرتها على حسم الحرب بأقصر وقت ولكنها على العكس من ذلك ولدت ردود فعل كبيرة، ولم تحقق هذه العقيدة الأهداف المقررة، بل العكس تحولت مع مرور الزمن إلى قتال مدن وعصابات، وهذه كلها تحتاج إلى قوات برية بحجم مناسب ولم يعد هناك تأثير كبير للتكنولوجيا في مثل هذه الحروب. لكن المعضلة الأخرى التي برزت هي ضعف الرغبة في التطوع من قبل الشباب. مما فرض قيودا جديدة على حجم القوات وكذلك عدم القدرة على إنهاء الحرب والتحول مع مرور الوقت إلى حرب أستنزاف، والتي كانت أحد أهم أسباب الكارثة الاقتصادية التي ضربت أمريكا والعالم منذ عام (2008) ولحد الان. هذا الواقع جعل بعض المفكرين الأستراتيجين يقدمون درسات جديدة منهم الجنرال(بترايوس) و (ديفيد كيلكولان) الخبير ومستشار الحكومة الأمريكية والكندية في مكافحة التمرد لسد الثغرة في عقيدة الصدمة والترويع بعقيدة جديدة هي عقيدة(مكافحة التمرد. (COIN)(2). هذا من جانب ومن جانب آخر أعتمدت أمريكا في عقيدتها المطورة أسس جديدة على مستوى العالم تتلخص:

- إعادة الإنتشار في العالم وإعادة توزيع قواتها والتعويض عن العدد الكبير بالقدرة على التحرك السريع والتدخل في أوقات الأزمات المفاجئة أستنادا إلى عاملي التهديد والتكنولوجيا.
- الأستمرار بالتطوير التكنولوجي والعمل من أجل المحافظة على التفوق النوعي في منظومات المعلومات والأسلحة والمعدات. بضمنها الأسلحة النووية.
- بناء تحالفات تكتيكية مع دول لم يكن في فكر المخططين الأمريكان عقد تحالف معهم قبل (11) أيلول منها دول شيوعية سابقة ودول تحكمها نظم دكتاتورية. كل ذلك من أجل الأستعانة بقوات هذه الدول عند الحاجة وتوفير

شرعية لها عند القيام بعمل عسكري والحصول على تسهيلات عسكرية مع المشاركة بالمعلومات الأستخبارية والتكلفة المادية.

أما روسيا فلقد مرت عقيدتها العسكرية بمرحلتين رئيستين هما مرحلة الاتحاد السوفيتي التي إنتهت بتفككه عام (1991) ومرحلة روسيا الأتحادية.

خلال الفترة السوفيتية كانت النظرة إلى العقيدة العسكرية متأتية من كونها في تبعية مباشرة للنظام السياسي والاقتصادي للمجتمع، وإن أي تبدل في الأراء والنظريات العسكرية يحصل بنتيجة التبدلات في القاعدة (أي البناء التحتي) وفي عملية الإنتاج. فالعلم العسكري يتصف بالطبيعة الطبقية. **(248)**

وتعتبر المادية التاريخية والمادية الديالكتيكية الأساس النظري لمعرفة قوانين الصراع المسلح ولأستخدام هذه القوانين، فالعلم العسكري السوفيتي مرتبط دون إنقطاع بالنظرية الماركسية - اللينينية حول الحرب والجيش (التي تعتبر جزء من المادية التاريخية) وهي تعتبر أساسا متينا للعلم العسكري السوفي ولكنها لا تستبدل نفسها بهذا العلم الذي يدرس قوانين الحرب كصراع مسلح أي قوانين خوض الحرب بالقوات المسلحة. من هذا المفهوم كان الصراع الذي صورته الماركسية - اللينينية هو صراع طبقي بين قوى مستغلة هي القوى الرأسمالية وقوى مستغلة هي القوى الفقيرة والضعيفة وهي الأكثرية في العالم، وبين القوتين هناك صراع وسوح مجابهة، وإن حتمية هذا الصراع ستقود إلى إنتصار القوى الأشتراكية. وكانت الدول الرأسمالية وفق هذا المنظور، تشكل العدو الحقيقي للدول الأشتراكية (الماركسية وعلى رأسها الأتحاد السوفيتي)، ووفق نفس التفكير نظرت الدول الرأسمالية إلى الدول الماركسية كعدو رئيسي. وهكذا دخلت الكتلتين بصراع مستمر عرف بالحرب الباردة طيلة أكثر من (60 عاما)، شهدت تطورات كبيرة وعديدة على الفكر والعقائد العسكرية و سباق تسلح وأعتماد استراتيجيات مختلفة تبعا لتطور الأوضاع السياسية والأقتصادية والتكنولوجية، حتى انتهت بإنهيار وتفكك الأتحاد السوفيتي مع حلول عام (1991). وكان الإنهيار يمثل كارثة ونكسة

كبيرة على كافة الأصعدة سياسية أقتصادية عسكرية، جعلت من روسيا كيان ضعيف مع أستشراء الفساد ونهب الثروات، خلال تلك الفترة نشطت خلية عمل من مفكرين وخبراء في الأوساط المحافظة لوضع خطة إنقإذ تطورت لاحقا إلى ما يعرف بـ(عقيدة سيرجيوس) نسبة إلى قديس يعتبره الروس حاميا لهم في الأزمات(**249**). تعتمد هذه العقيدة على أستعادة موقع روسيا ودورها في العالم وذلك أستنادا إلى المشاعر القومية والدينية الأورثودكسية التي شكلت المنطلق الأيولوجي لفريق الشباب الحاكم اليوم في موسكو ومنهم (فلاديمير بوتين وميدفيديف) وغيرهم. وفي إطار العمل لوضع خطة الإنقإذ وفق هذه العقيدة برزت ثلاث تيارات، تيار الأحرار وهم اللذين يؤيدون إن تقاوم روسيا عقلية القوى الكبرى، وتيار المتشددين اللذين يؤيدون فكرة عودة روسيا كدولة عظمى منافسة للولايات المتحدة الأمريكية، وتيار البراجماتيين وفي مقدمتهم(بوتين وميدفيديف) وهذ التيار يؤمن بالواقعية، وهي إن روسيا ليس لها القدرة على منافسة أمريكا بعد الذي حصل لها وإن عليها إن تنجز الأصلاحات بشكل سلس وإن تستفاد من الوضع الدولي وتتاقلم معه وإن تبحث لها عن طريقها الخاص وحتى تقدر إن تفلت من المضاعفات السلبية لعملية التحول.

ولقد تغلب هذا التيار على التياريين الآخرين، عندها قدم(بوتين) ما أسماه ب (الأفكار الروسية) التي تهتم بأعلاء القيم الوطنية والأفتخار بالقومية الروسية وتاريخها وقدراتها الجيوسياسية الضخمة وإنجازاتها والتطلع لتحويل روسيا إلى بلد متقدم حضاريا، وإن النجاح في تحقيق هذا الهدف سيعيد روسيا إلى بلد متقدم حضاريا، ويعيدها إلى مكانتها كدولة عضمى ويضمن أمنها القومي ومصلحتها القومية على الساحة الدولية. وحتى تثبت العقيدة واقعيتها أستخدمت القيادة الروسية أستراتيجات عديدة في مجال الصناعة العسكرية والتركيز على الأسلحة المتطورة كالصواريخ البالستيكية النووية ومقاومتها فكرة الدرع الصاروخي على أراضي(بولندا وتشيكا)، ونقل أغلب القواعد الصاروخية إلى العمق الروسي ليكون خارج مدى الكشف الراداري والضربات

المباشــرة مــع الأســتمرار بتطويرهــا، والبقــاء علــى الــرادع النــووي كخيــار أســتراتيجي، كمــا حــاولت أثبــات وجودهــا وقوتــها وتــأثيرها علــى مــا يســمى بــالمحيط المباشــر لروســيا والــذي يمتــد من(جورجيــا وأوكرانيــا) وحتــى بحــر البلطيق مرورا(بتشيكيا وبولندا) وهذا ما جعلها تقاوم فكرة الدرع الصارخي في(بولنــدا وتشــيكيا) ومحاولــة منع(أوكرانيــا وجورجيــا) مــن الإنظمــام إلــى حلف(الناتو)، ثم قيامها بالهجوم على (جورجيا) وفرض هيمنتها على(اوسيتيا الشمالية وأبخازيا). ومن بعد الحرب على(جورجيا) ظهرت الكثير من المشاكل على أداء المنظومة العسكرية وتكشفت حقائق مهمة أبزها إن الميدان الحقيقي للصراع لم يكن أرض(جورجيا)وحدها بل هو أكبر من ذلك بكثير وهوبالتحديد ميــدان المصــالح الخاصــة بروســيا الاتحاديــة فــي مواجهــة مصــالح الولايــات المتحدة الأمريكية، وهذا الميدان لايشمل العالم بأسره بل يشمل الفضاء أيضا، ممــا جعــل(بوتين) يجــري تعــديل علــى العقيــدة التي كــان قــد صــاغها فــي عــام (2000). **(250)**

وفــي شــباط (2010) أعلــن ســكرتير مجلــس الأمــن القومــي الروســي(نيقولاي باروشيف) إن عقيدة روسية جديدة تم تبنيها من حيث المبدأ في أجتماعات عقدها مسؤولون في الدوائر الحكومية المختصة، ومن المنتظر الآن أعتماد هذه الوثيقة من قبل الرئيس الروسي رسميا بأصدار مرسوم رئاسي خــاص، وأوضح إن العقيدة الجديدة تأخذ بعين الأعتبار التغيرات الجذرية التي حدثت في العالم والتحديات القائمة والمحتملة، وذكر إن مسودة العقيدة تنص على إن روسيا يمكنها أستخدام الأسلحة النووية الموجودة لديها في حال نشوء تهديد خطير لوجود الدولة الروسية، وأضاف إن العقيدة العسكرية الروسية الجديدة تعتمد على الثالوث الأستراتيجي النووي وتطويره لردع أي عدوان محتمل، كما قامت بتقليص قواتها المسلحة بشكل كبير بسبب الصعوبات الأقتصادية وعدم القدرة على إدامة الحجم الكبير للقوات المسلحة التي كانت مبنية على الكم وليس النوع، وكان وزير الدفاع الروسي قد أعلن في خريف (2008) تصفية أكثر من(1500) وحدة عسكرية وحصل الجيش الروسي على تنظيم هيكلي

جديد يظم ما يزيد على (80) لواء. كما توصلت القيادة إلى ضرورة التخلص من (2000) طائرة و(15000) دبابة وجعل تعداد الجيش الروسي مليون شخص في عام (2016)، وإن ينظم (7000000) شخص من جنود الأحتياط وقت الحرب، كما تقررتسريح (20000) ضابط معضمهم برتبة مقدم وعقيد قبل عام(2012). **(251)**

اما العقيدة العسكرية الإسرائيلية فقد بنيت على مضامين وأساطير دينية جعلت من القوة هدفا ووسيلة لبلوغ غايتها. وعلى الدوام كانت العقيدة العسكرية الإسرائيلية تعتمد على جملة مبادىء: القوة فوق الحق. القتال أفضل وسائل تحقيق الأهداف.. القوة المسلحة تحقق التوسع والردع. العمل العسكري توأم مبدأ القوة فوق الحق في كل ماله علاقة بمطالبها وما تطمح إلى تحقيقه. والتي أشرنا إليها ضمن الفصل الاول**(252)**.

كانت سلسلة الحروب العدوانية التي شنتها على العرب منذ عام (1948 و 1956 و 1967 ثم 1973) وأحتلال الأراضي االعربية وأخيرا وليس آخرا أعلان الدولة اليهودية على أرض فلسطين، دون النظر إلى القوانين والقرارات والمواثيق الدولية. وكذلك الحرب الوقائية، ونقل المعركة إلى أرض الخصم والتفوق الأستراتيجي، والردع والأستعمار الأستيطاني، والأعتماد على الحليف القوي المتمثل بأمريكا، مع التأيد والدعم الغربي عموما الذي منحها ضمانة أمنية كبيرة وقوة ردع أستراتيجية تقليدية ونووية. كل تلك المبادىء شكلت أسس ومرتكزات أستراتيجيتها الأمنية المرتكزة على مبدأ التفوق في القدرات العسكرية للفترة من عام (1948) وحتى الآن. وعلى ضوءها ركزت جهودها لبناء جيش يمتاز بقابيلة الحركة العالية والقوة النارية الكبيرة المسند بقوة جوية متفوقة تشكل ذراعها الطويلة التي تصل إلى جميع الأهداف في المنطقة، مع دعم بالتكنولوجيا العالية الكفاءة ومراكز قيادة وسيطرة وأتصالات فعالة مع منظومة أستخبارات كفوءة. إضافة إلى أمتلاك السلاح النووي لتأمين قدرة عالية على الردع الفعال. مع بداية الثمانينات ظهرت بؤر

تهديد جديدة تمثلت بمحاولة بعض دول المنطقة الحصول على أسلحة نووية وكيمياوية والذي قد يؤدي إلى أيجاد آلية ردع متبادل، كما تنامت تهديدات المقاومة الفلسطينية وتهديدات ما سمي بالأرهاب الذي أخذ ينتشر في كل ارجاء العالم من بعد أحداث 11أيلول (2001) يضاف إليها دخول الصواريخ المتوسطة والبعيدة والتي يمكن إن تصيب كل الأهداف الإسرائيلية، التي أصبحت تمثل سلاح التهديد المباشر لأمن أسرائيل خصوصا بعد حرب لبنان عام (2006) يضاف إليها التجارب الدولية في الحرب ضد الأرهاب والتجربة الأمريكية في العراق وأفغانستان كل تلك العوامل أوجبت على العقيدة الإسرائيلية أجراء دراسة وتقيم لكل تلك العناصر وخلصت إلى، النتائج الرئيسة التالية:

السعي بكل الوسائل للمحافظة على التفوق العسكري على مجموع الدول العربية خاصة في مجال الأسلحة التقليدية، أيجاد الأكتفاء الذاتي في هذا المجال وربط كل تلك العناصر مع الدروس المستفادة للمراجعة الدورية للعقيدة العسكرية والعوامل المؤثرة عليها (العامل البشري، العامل الجغرافي، العامل الاقتصادي، البيئة الأستراتيجية، التهديدات)، كما تسعى إلى أضعاف قدرات الدول العربية في مجال التسليح والعمل على حرمانها من أمتلاك الأسلحة الغير تقليدية بكل الطرق لضمان تفوقها في التسليح وضمان عامل الردع الأحادي الجانب. إن الشيء المهم الذي طرأ على العقيدة العسكرية الإسرائيلية هو طبيعة التهديد المعادي الذي أصبح يستهدف جبهتها الداخلية بأستخدام الصواريخ بكثافة عالية جدا وعدم قدرتها على الحسم السريع للمعارك بعد التحول إلى الحروب الغير نظامية والتي تبغي أطالة مدة الحرب وأستنزافها من قبل العدو. هذه المتغيرات تستوجب أتباع أساليب جديدة في بناء القوات والتدريب والتسليح والقدرة على إدارة معركة مركبة من صور صغيرة إذ تشارك قوات ووحدات قتالية مختصة ومتعددة في نفس الوقت على عدة جبهات لمقاتلة جيش نظامي وقوات شبه نظامية وعصابات في آن واحد.

في ضوء ما تقدم نجد إن العقيدة العسكرية، سواء كانت لدى الغرب أوالشرق، ما هي ألا تعبير عن الأفكار ووجهات النظر والقواعد المتعلقة بمسائل التقدير السياسي للحرب المقبلة، ونظرة الدولة للحرب، وتحديد طبيعة الحرب المحتملة، وأعداد البلاد للحرب من النواحي الأقتصادية والمعنوية، والمتعلقة بمسائل بناء القوات المسلحة وتحضيرها وأساليب خوض الحرب التي تتبناها الدولة. وعلى ضوء هذه العقيدة يضع منظروا الأستراتيجية العسكرية القواعد الأساسية لها، أي إن الأستراتيجية العسكرية هي وليدة العقيدة العسكرية، وان لكل عقيدة عسكرية وجهان مترابطان عسكري وتقني، ومن الطبيعي إن تحمل العقائد العسكرية سواء منها السابقةاواللاحقة في طياتها أختلافات في الأيديولوجية والمبادىء المتاتية أساسا من طبيعة النظام السياسي وتطلعاته وأهدافه وغيرها من عوامل عديدة سبقت الإشارة إليها، كما تحمل طابع الحرب المقبلة ومسائل بناء القوات المسلحة، وتحسين تجهيزاتها التكنولوجية بالأظافة إلى أساليب التطوير اللاحق لفن الحرب وطرق خوض الحرب، كما ترتبط العقائد العسكرية أرتباطا وثيقا بالنظام السياسي للدولة وبالأعباء الملقاة على عاتقها في قطاع السياسة الخارجية والداخلية، وبالحالة الاقتصادية والسياسية والثقافية للبلاد، وتحدد المبادىء الأساسية للعقيدة العسكرية من قبل القيادة السياسية للدولة ولذلك فإن العقيدة العسكرية هي سمة من سمات الدولة وهي تعبير عن وجهة نظرها في خوض الصراع المسلح.

القسم الثاني في معنى ومفهوم دورة الحرب

بعد إن عالجنا موضوع العقيدة العسكرية وعلاقتها بفن الحرب، يكون من الضروري إن نطرح تصورللجانب التطبيقي للعقيدة العسكرية وعلاقتها بفن الحرب.

كنا قد أوضحنا ما تعنيه العقيدة العسكرية كمفهوم وعلاقتها بفن الحرب خلال مراحل التخطيط والتنفيذ والتي يجب إن تكون حاضرة في إذهان القادة وهيئات الركن، وإن عليها إن تقوم الأداء لعموم المنظومة العسكرية المعنية

بتطبيق فن الحرب، بضوء الأسس والمعايير المعتمدة حتى تقدر على أجراء التعديل أو التغيير في الوقت المناسب كما لاحظنا ذلك بالنسبة للولايات المتحدة وروسيا وأسرائيل.

إن الموضوع المهم الذي ينبغي أخذه بنظر الأعتبار هو الجانب التطبيقي لفن الحرب والمقصود به العمل خلال الحرب، كيف تتفاعل مكونات فن الحرب في الميدان وكيف يؤثركل واحد على الآخر، وأين هو دور العقيدة في هذا الميدان. هذا الموضوع لم يعطى الأهمية التي يستحقها خلال العديد من الدراسات والبحوث، وكثيرا ما كان يسبب الأخفاقات رغم صحة النظريات العسكرية وأسس العقيدة العسكرية. هذا الموضوع أقصد به دورة الحرب.

قبل البدء بتعريف دورة الحرب لابد من معرفة موضوعين مهمين لهما علاقة بدورة الحرب هما: مبادىء الحرب وقوانين الحرب.

مبادىء الحرب، كما سبق وتطرقنا لها، هي عبارة عن قواعد مستندة إلى سوابق تاريخية ناجحة مماثلة ومتكررة في أكثر من مكان وزمان، وهي تعطي الأفضلية لذلك العمل في الوقت والمكان المناسبين. والمبادىء متغيرة مع تغير الزمن والظروف الموضوعية للصراع والتطورات التكنولوجية للأسلحة ومعدات القتال. ومبادىء الحرب هي بمثابة الدليل الذي يسترشد به خلال كافة مراحل الصراع المسلح وهي بمثابة المقاييس العامة التي تقاس بضوءها نتائج العمل العسكري في مجال قرب ذلك العمل أو بعده عن تلك المبادىء وما تحقق من نتائج. والمبادىء تنتج عن القوانين الموضوعية للحرب، التي تحدد أتجاه ومسار الحرب.

أما قوانين الحرب، فليس المقصود بها القوانين الدولية المتعارف عليها ولكنها القوانين الموضوعية التي تتحكم في الحرب، خلال كافة مراحلها، والقوانين تنطبق بصورة متساوية على أطراف النزاع. لذلك يمكن القول إن المبادىء ترشدنا إلى كيفية القتال، أما القوانين فتتحكم في قابليتنا على القتال من

عدمه. وفي هذا المجال يكمن الفرق بينهما.

قبل التطرق إلى قوانين الحرب، ثمة ضرورة تدعو إلى أثارة جملة تساؤلات لها علاقة بالتاريخ العسكري وسنسعى للأجابة عليها وهي:

1 - هل توجد حرب بدون حركة ؟ وهل نجحت حرب بدون حركة ؟ إن دراسة تاريخ الحروب لا يعيننا على تلمس حروب إندلعت من دون حركة، كل الحروب الناجحة وغير الناجحة أعتمدت على الحركة في بدايتها وخلالها، وعندما توقفت الحركة تحولت الحرب إلى الثبات وإلى الأستنزاف وإلى الحرب الطويلة.

2 - هل توجد حرب بدون أستخدام القوة ؟ القوة هي الصدمة المتاتية أما من الكتلة (بشرية أو دروع) أو النار أو كليهما. بدون الكتلة أو النار لايمكن إن تكون هناك حرب حقيقية.

3 - هل توجد حرب حسمت بدون حصول التعرض ؟ لو راجعنا أغلب الحروب لوجدنا إن التعرض هو الذي حسم الحروب. قد يكون الدفاع هو الشكل الأقوى للحرب كما قال كلاوزفيتز ولكنه قال أيضا (إن أروع لحظات الدفاع، هي لحظة الإنتقال السريع والقوي إلى الهجوم، والطرف الذي لا يفكر في هذه اللحظة منذ البداية، ولا يدخلها منذ البدء في مفهوم دفاعه، لا يستطيع إن يفهم تفوق الدفاع) **(253)**. كما نجد إن الدفاع لدى أغلب العقائد العسكرية في دول العالم هو خيار وقتي قد تضطر عليه الدولة أوالقوات المسلحة تحت ظروف خاصة ولكن ينبغي التحول إلى التعرض حال تحسن الظروف.

مما مر يمكن إن نستنتج إن هناك عوامل مهمة يشابه تأثيرها، وإلى حد كبير تأثير وحكم القوانين، هي ما يمكن إن يطلق عليها القوانين الأيجابية للحرب**(254)**

1- القوانين الأيجابية:

أ- قانون الحركة

إن الغاية النهائية للحرب هي فرض الإرادة على العدو، وفرض الإرادة يأخذ صيغ وأشكال مختلفة: تدمير، أحتلال كل أو جزء من أرض العدو، أجباره على الإنسحاب والقبول بالشروط المفروضة عليه.. ألخ. وفي كل الأحوال لا يمكن تحقيق تلك الغاية بدون الحركة، أي حركة القوات المسلحة لتحقيق أحد أهداف الحرب، عليه يجب إن تتصف الحرب الناجحة بالحركة وإن الفشل في ذلك يؤدي إلى الركود ثم الفشل في تحقيق هدف الحرب، إن الكثير من الحروب بدات بالحركة ولكنها فشلت في أدامتها لتحقيق الأهداف النهائية فتحولت إلى الدفاع، ثم إلى مرحلة الاستنزاف والحرب الطويلة. ولعل ما جرى في الحرب العالمية الاولى من قبل فرنسا خير مثال على ذلك، وكان النموذج الألماني لتطبيق قانون الحركة خلال الحرب العالمية الثانية هو مثال لأهمية هذا القانون وصحته، وما جرى في الحرب العراقية الإيرانية هو الدليل الآخر، فالحرب بدأت بحركة الجيش العراقي الذي تمكن خلال فترة قصيرة من السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي الإيرانية، ثم تحول إلى الدفاع بعد التوقف عن الحركة لأسباب عديدة، عندها تحولت الحرب إلى حرب أستنزاف دامت حوالي سبع سنوات ولم يفلح العراق بتغير الموقف ألا بعد أستئنافه للحركة خلال معارك التحرير في عام(1988)، والتي إنتهت بقبول إيران لوقف إطلاق النار. الحركة تبدأ وبشكل دائم بقرار أستراتيجي لذلك يمكن القول إنها وسيلة وقانون الأستراتيجية العسكرية في الحرب.

ب- قانون القوة

الحرب هي صدام مسلح عنيف بين القوات المسلحة للأطراف المتحاربة. وهذا الصدام لابد وإن يؤدي إلى تدمير أحد الطرفين أو أسره أو أستسلامه أو تحييده. إن الحاجة الملحة للحركة توجب أمتلاك الفسحة اللازمة من الأرض لتلك الحركة من قبل الطرفين، كل طرف يحاول أمتلاك تلك الفسحة حتى يقدر على تنقيذ الحركة لقواته، عندما يتحرك الطرفإن من أجل هذه الغاية لابد

وإن يحصل التصادم. إذن هناك حركة وهناك قوة(يقصد بالقوة هي القوة النارية)، التناوب بين الحركة والقوة يؤدي إلى أكمال الدورة التي يمكن إن يطلق عليها بالعملية العسكرية أوالمناورة. لذلك فإن العملية هي مجموعة مناورات بين الحركة والقوة وبالتناوب حتى يحصل أحد الطرفين على فسحة أكبر يمكن إن تؤدي به إلى الأهداف النهائية للحرب، وقانون القوة هو قانون عملياتي لإنه يتحكم بالعملية والمناورة.

ج- قانون التعرض

الحرب بحد ذاتها هي عمل تعرضي، ويجب إن تكون كذلك. والتعرض هو مبدأ من مبادىء الحرب وهو قانون أيضا، لإن الحروب لا تحسم بدون التعرض. يقصد بالتعرض هو فعل الصدمة التي تعتبر الوسيلة الرئيسية لتدمير العدو إذا لم يتم تدميره بالقوة النارية. لذلك تصبح(القوة +الصدمة) هي قانون المعركة وهي قانون الفن التكتيكي. الذي بدونه لا يحقق فن العمليات ولا الأستراتيجية أهدفهما.يقول الماريشال(فردناند فوش) الذي يعتبر أب المدرسة العسكرية الفرنسية (إن الهجوم واجب في جميع الأحوال، والتشكيل التعرضي هو وحده يؤدي إلى نتائج، أما المعركة الدفاعية فإنها لا تؤدي مطلقا إلى تدمير قوات العدو، ولا تتيح أبدا للقوات إن تستولي على الأراضي، التي يرابط فيها العدو، وعلى ذلك فهي عاجزة عن احداث النصر) **(255)** في ضوء ما تقدم نجد إن هناك علاقة متبادلة بين هذه القوانين، فالأستراتيجية معنية بقرار وقانون الحركة وفن العمليات معني بالعملية (المناورة "حركة+ قوة") والتكتيك معني بقانون التعرض الذي يتحقق من خلال المعركة التي هي عبارة عن (الصدمة + القوة "لنار").

إذا توقف قانون الحركة تتحول الحرب إلى السكون والجمود، وقد تتحول إلى الأستنزاف وإلى الحرب الطويلة، لذلك كانت أغلب النظريات منذ القدم ولحد الوقت الحاضر تؤكد على الحسم السريع للحرب. وكما قال(صون تسو) قبل أكثر من خمس وعشرين قرنا (لاتوجد دولة أستفادت من حرب طويلة).

عندما تفشل الأستراتيجية في تطبيق قانون الحركة لأسباب عديدة، فإن ما نسميه بدورة الحرب تصبح غير متكاملة، وهذه الحالة يمكن إن تؤدي إلى نتائج سلبية عديدة. لذلك على إدارة الحرب إن تحاول تحريك هذه الدورة مجددا بأي وسيلة ممكنة وعدم الإنتظار على أمل إن تتحسن الظروف أو يتغير الموقف، لإن مثل هذا القرار السلبي يمكن إن يؤدي إلى خسارة الحرب، ومن تلك الوسائل هي اللجوء إلى فن العمليات لتنفيذ عمليةاوأكثر يمكن إن تؤدي إلى أحداث خلل في موقف العدو تمكن اوتعطي المجال أوالفرصة للأستراتيجية من أستئناف دورها في الحركة. وقد تلجا القيادة إلى المستوى التكتيكي إذا لم يساعد موقف العمليات، وذلك من خلال تنفيذ سلسلة من المعارك التكتيكية في محاولة لخلق تراكم تكتيكي يمكن إن يؤدي إلى خلق مواقف تتيح لفن العمليات من أستناف دوره، وهكذا تصبح دورة الحرب متكاملة. وإذا فشلت كل تلك المحاولات فإن على الأستراتيجية العليا إن تفتش عن الحل بوسائل أخرى غير العمل العسكري. إن أخطر القرارت هي الجمود على موقف واحد وإنتظار الظروف.

ولكي نفسر فكرة دورة الحرب على نحو أكثر وضوحا سنحاول بأيجاز عرض لنموذج دورة الحرب التي طبقت خلال الحرب العراقية الإيرانية من قبل الطرفين كما هو معروف شنت القوات المسلحة العراقية تعرضها الوقائي الواسع يوم (22/9/1980) كرد على التجاوزات والهجمات الإيرانية التي أستمرت طيلة أكثر من ثلاثة أشهر. بعد السيطرة على مساحات واسعة وأهداف محدودة داخل الأراضي الإيرانية، توقفت القوات العراقية في أماكنها التي وصلت إليها ولم تقدر على أستئناف التعرض للسيطرة على الأهداف الأستراتيجية المخطط لها لأسباب عديدة. وأصبح الشكل العام للعمليات العسكرية هو الدفاع على جبهة واسعة (يمكن وصفه بالدفاع المبعثر على عموم مسارح العمليات). لقد كان وضع القوات العراقية خلال الحرب العراقية الإيرانية من بداية عام(1981) وحتى نيسان (1988) يمثل النموذج الحقيقي

لتعثر دورة الحرب، فالأستراتيجية العراقية فشلت من بداية عام (1981) في تفعيل دورة الحرب المشار إليها، بسبب توقف الحركة والتحول إلى الثبات والجمود ضمن المواقع التي وصلتها في بداية التعرض. بينما تحولت القوات الإيرانية إلى الحركة وتمكنت من أخذ المبادءة وحرية العمل التي أتاحت لها شن الهجمات المستمرة على القوات العراقية طيلة أكثر من ست سنوات، والسبب كان في قصور الفكر الأستراتيجيى العسكري العراقي لإدارة الحرب وعدم تصور طبيعة هذه الدورة وأهميتها. وعندما إنسحبت إلى الحدود العراقية في منتصف عام (1982) أصبحت أمام الأمر الواقع فأتخذت الدفاع كخيار أستراتيجي للدفاع عن الحدود العراقية. كان هدف الدفاع في المراحل الاولية صد هجمات الإيرانيين القوية التي كانت تريد احتلال البصرة كهدف رئيسي، ولقد نجحت القوات المسلحة العراقية بعد سلسلة من المعارك الدفاعية من تطوير منظومة الدفاع الموضعي بالأعتماد على فكرة الدفاع العميق، مما أدى إلى أفشال القوات الإيرانية من تحقيق أهدافها الأستراتيجية مع تكبدها خسائر كبيرة أدت إلى أستنزافها بشكل تدريجي وأضعاف قدرتها على إدامة الحركة والتعرض رغم العديد من المحاولات التي بذلتها، كما إنها فشلت بنفس الوقت في أكمال دورة الحرب. فالأستراتيجية العسكرية الإيرانية كانت فاعلة وبشكل دائم، ولكن مشكلتها كانت على مستوى فن العمليات الذي لم يقدر على أكمال العمليات، وكثيرا ما كان يضع التكتيك في مأزق من جراء سوء التقديراوعدم التهيئة للعملية العميقة أوعدم القدرة على أدارتها والتي كانت ضرورية لنجاح ذلك المستوى، ولهذا تكبدت القوات الإيرانية خسائر كبيرة خلال تلك المعارك.

خلال الفترة ما بين عام(1986) وحتى نهاية عام(1977) حاولت القوات العراقية الخروج من المازق وتفعيل دورة الحرب بعد إن تم أستيعاب دروس المرحلة الماضية. وكانت الضرورة تقضي بتحريك دورة الحرب بوسيلة أوبأخرى والخروج من مأزق الدفاع المستكن بأعتماد فكرة الدفاع التعرضي. ولعدم القدرة على تنفيذ عمليات كبيرة، لذا جرى القرار على قيام قيادات

الفيالق بتنفيذ معارك تكتيكية كل في قاطعه في محاولة لخلق تراكم تكتيكي يمكن إن يؤدي إلى تحريك الدورة مرة أخرى مما قد يتيح المجال للعمليات من تنفيذ عملية أوأكثر على أمل أستئناف الحركة الأستراتيجية وتحويل الدفاع إلى دفاع تعرضي حقيقي، ولكن تلك المعارك لم تحقق سوى نتائج محدود وبقي الوضع على ماهو عليه. أما القوات المسلحة الإيرانية فقد أستانفت أستراتيجيتها بالتعرض الواسع على شرق البصرة وعلى المنطقة الشمالية، ولكنها فشلت مرة أخرى في تحقيق أهدافها الأستراتيجية رغم حصولها على بعض المكاسب على مستوى العمليات والتكتيك لنفس الأسباب التي مر ذكرها، إضافة إلى الإنهاك الذي أصاب قواتها وخسارتها لنسبة كبيرة من المتطوعين وأعتمادها على المكلفين بالخدمة اللذين لم يكونوا يحملوا نفس دوافع المقاتلين السابقين. ومرة أخرى تتوقف دورة الحرب وكان مأزقها أسترتيجي هذه المرة. فالقوات الإيرانية حاولت الحصول على أكثر من هدف أستراتيجي في وقت واحد ولكنها لم تفلح في ذلك، وما حصلت عليه عبارة عن أجزاء من تلك الأهداف، فهي تحتل جزء من الفاو وجزء من قاطع الشلامجة شرق البصرة وقسم من حقول مجنون وقسم من قاطع السليمانية، وأجزاء أخرى في قاطع العمارة والقاطع الاوسط. بعبارة اوضح لم يتمكنوا من تركيز الجهود بأتجاه مركز الثقل للقوات المسلحة العراقية. أما القوات العراقية فكانت بموقف الدفاع في عموم القواطع كما بينا وتحول الدفاع العراقي إلى أستنزاف حقيقي للقوات الإيرانية بسبب تطور منظومات الدفاع والخبرات المكتسبة من الحرب، إضافة للخسائر الكبيرة التي تكبدها الاقتصاد الإيراني من قبل القوة الجوية العراقية، كما هيئت القوات العراقية خلال نهاية عام (1987) إحتياطات قوية كانت مهيئا لتنفيذ عملية تعرضية واسعة لأستعادة قاطع الفاو، ولكن الإيرانيين شنوا تعرض واسع في قاطع السليمانية ووصلت قواتهم على مقربة من سدي (دربندخان ودوكان) أهم هدفين أستراتيجين في المنطقة.

هذا الموقف الخطير جعل القيادة العراقية تفكر بتحويل ذلك الأحتياط لتلك المنطقة لأيقاف الهجوم الإيراني، كما يجري في كل مرة. ولكن القرار العراقي

جاء هذه المرة بخلاف ما كان متعارف عليه خلال السنين الماضية، حيث كان القرار يقضي:بشن تعرض مباغت واسع على قاطع الفاو لتحريره بأستخدام المناورة (الحركة +القوة النارية الكبيرة) مع تحقيق صدمة قوية بالقوات المدرعة المتفوقة المسندة بكتلة نارية كثيفة جدا مع الأسناد الجوي القريب لقوات الهجوم والتجريد لكافة الأهداف المؤثرة على قاطع العمليات، إضافة إلى الأسناد البحري من خور عبد الله مستغلين تشتت القوات الإيرانية على عموم قواطع العمليات وتحويل القسم الأكبر من جهدها إلى المنطقة الشمالية، ولكون عملية المناورة بقواتهم من الشمال إلى الجنوب ولمسافة تزيد على(600) كم تأخذ وقتا طويلا يكفي لحسم معركة الفاو، وإن الفاو كانت تمثل مركز الثقل الأستراتيجي في تلك الفترة، إضافة لعامل المفاجئة الذي يشكل أحد مضاعفات القوة في حالة تحققه. وجاءت النتائج كما مخطط لها وعلى درجة عالية من الكمال حيث حسمت المعركة خلال فترة لم تتجاوز (35) ساعة (وكانت مثال جيد لتطبيق دورة الحرب بمستوياتها الأستراتيجية والعملياتية والتكتيك وقوانينها:الحركة والقوة والتعرض). ولم تتوقف دورة الحرب بعد ذلك، فتحولت القوات إلى قاطع الشلامجة وحررته، ثم قاطع حقول مجنون، ثم قاطع العمارة، والقاطع الاوسط، ثم الشمالي، مستغلين فعل الصدمة والشل الفكري الذي أصاب القيادة الإيرانية من خلال التمسك بالمبادءة وحرية العمل التي فقدتها القيادة الإيرانية. وهكذا تم تحرير كامل الأراضي العراقية خلال فترة أربعة أشهر ما بين شهر نيسان وبداية شهر أب 1988. وبنتيجة تلك العمليات أضطرت إيران لقبول وقف إطلاق النار وإنهاء الحرب التي دامت ثمان سنوات. راجع الملحق الرقم (11) عملية تحرير الفاو من كل ذلك نجد إن تطبيق دورة الحرب بقوانينها مع الأخذ بالمبادءة وحرية العمل، هي السبب وراء هذه النتائج، وكان أهمالها أوتجاوزها أوعدم الألمام بها سببا في أطالة أمد الحرب وتكبد الطرفين خسائر كبيرة في الإنفس والأقتصاد والمعدات القتالية، إضافة إلى الأثار الأخرى العديدة على البلاد. إن النموذج العراقي كفيل بإن يكون نموذجا مثاليا لتدريس فكرة دورة الحرب والقبول بقوانين الحرب المشار

إليها (الحركة والقوة والتعرض، كقوانين أيجابية)، إضافة إلى مبادىء الحرب التي كانت بمثابة الدليل الذي يسترشد به وأهمها المبادءة وحرية العمل التي سبقت الإشارة إليها ضمن موضوع فن العمليات. علما إن تاريخ الحروب حافل بنماذج أخرى عديدة ولكني أخترت هذا النموذج لكوني كنت معاصرا له و شاهدا على ما حصل، إضافة لكونه نموذج مثالي لفن الحرب في المجال التطبيقي وهو إضافة لذلك يمثل تجربة وطنية خطط لها بعقول عراقية ونفذت بسواعد أبناء العراق. ومن نماذج الحروب التي توضح دورة الحرب هي معركة كورسك التي سبقت الإشارة إليها وفيها بقيت القوات الروسية تتلقى الصدمات من قبل الألمان من عام(1941 - 1943) وكانت بموقف الدفاع، ولكنها عندما أتخذت قرار الهجوم فإنها طبقت كافة القوانين الأيجابية:الحركة والقوة والتعرض، وتمكنت من أكمال دورة الحرب بعد توقف دام حوالي عامين وأخذت المبادءة وحرية العمل حتى نهاية الحرب. وكذلك نموذج حرب أكتوبر(1973)عندما شنت القوات المسلحة المصرية تعرضها لأستعادة قناة السويس بعد موقف دفاعي مع حرب استنزاف دامت حوالي خمس سنوات، فإنها طبقت أيضا تلك القوانين وأكملت دور ة الحرب بين الأستراتيجية والعمليات والتكتيك، وجاءت النتائج متميزة لولا حدوث (ثغرة الدفرسوار) التي نفذها الإسرائيليون الذين كانت حركتهم أيضا تقع ضمن مفهوم دورة الحرب فقرار الثغرة هو قرار أستراتيجي تحركت الدورة بموجبه وأكتملت فيما بعد بالضغط على القوات المصرية حتى حصل وقف إطلاق النار ومفاوضات الكيلو 101. والتاريخ حافل بأمثلة عديدة.

2- القوانين السلبية

وحتى نستكمل موضوع قوانين الحرب الأيجابية السابق ذكرها، نجد في المقابل وجود قوانين سلبية، يمكن إن تؤثر على القوانين الأيجابية أما بزيادة تأثيرها أوالتقليل من تأثيرها وهي:

أ- قانون الحماية

الحماية مطلوبة في كافة العمليات التعرضية والدفاعية. ففي التعرض لابد من حماية القوات المهاجمة خلال كافة مراحل الهجوم من القوات المعادية، سواء منها البرية أوالجوية أوالبحرية، لإن أي خلل في تلك الحماية يمكن إن يعرض القوات إلى الفشل. وكثيرا ما تم أجهاض العمليات الهجومية بردود فعل معادية مسبقة مما أدى إلى أيقاف الهجوم أو فشله، كما ينبغي حماية الأحتياطات ومراكز التموين والأمداد وطرق المواصلات، أما خلال العمليات الدفاعية فإن دور الحماية لا يقل عما مطلوب في العمليات التعرضية فحماية القطعات المدافعة وأحتياطتها وخطوط مواصلاتها كلها أمور لازمة وواجبة وبخلافه لابد وإن يتعرض المدافع لمخاطر كبيرة. قد يكون الأمن بأعتباره أحد مبادىء الحرب جزء من قانون الحماية، والأمن يقصد به أمن المعلومات وأمن القوات خلال الحرب، خلاصته الأحتراس الذي يمنع العدو من مباغتتنا وقد نبه (نابليون) أحد قواده قائلا (إذا كنت أبدو دائما مستعدا للرد على كل شيء، فذلك لإنني كنت قد أطلت التفكير والتأمل، وتوقعت ما يمكن إن يحدث قبل الشروع في أي عمل من الأعمال) وأضاف (فولر) بقوله (كانت عمليات نابليون الهجومية مستندة إلى مبدأ الأمن، قد عرف هذا المبدأ وحدده على الشكل التالي: يشتمل كل فن الحرب على دفاع مصمم بصورة معقولة يسوده الأحتراس، والحذر الكاملان وعلى هجوم جريء وسريع) **(256)**.

ب- قانون الأحتكاك

يتضمن العمل العسكري في الحرب الحركة في وسط مقاوم، وهي تشبه من يسبح ضد التيار ففي كل حركة من جسمه هناك مقاومة ضده. عليه إن يتغلب عليها حتى يعبر وتزداد هذه المقاومة في الظروف الجوية السيئة أو إذا ضعفت الإرادة أو عند الخطر، أو الصدفة في حدوث تغيرات غير متوقعة. يقول(كلاوزفيتز) (إن مفهوم الأحتكاك هو المفهوم الوحيد الذي يستطيع تمييز الحرب الحقيقية عن الحرب التي نقرؤها في الكتب، والألة الحربية أو الجيش بجميع أجزائه شيء سهل جدا، فهو بالتالي سهل الإدارة، ولكن يجب إن نتذكر

إن جميع هذه الأجزاء مؤلفة من قطع (أفراد)، ولكل فرد أحتكاكه الخاص بكل أشكاله، ثم يمضي بالقول: إن هذا الأحتكاك المتصاعد الذي لا يمكن تركيزه على بعض النقاط كما نفعل في الميكانيك، موجود إذن في كل مكان وبتماس مع الصدفة، وينجم عن ذلك ظواهر غير متوقعة لإنها تتعلق بالصدفة قبل أي شيء آخر) **(257)** ومن الصدف المحتملة تاتي المقاومة من العديد من العوامل المادية والذهنية والمعنوية للإنسان.

من ذلك نجد إن هذا القانون يقلل من فعل القوانين الأيجابية خلال التطبيق ولكنه لا يلغيها إطلاقا. وان القيادة الجيدة، كما قال (نابليون)، قادرة على التغلب على الأحتكاك بحساباتها المبكرة لكل الأحتمالات ووضع الحلول لمجابهتها. إن تأثير هذا القانون يقع بالدرجة الاولى على مستوى التكتيك أكثر من تأثيره على مستوى العمليات والأستراتيجية والسبب يكمن في إن هذا المستوى يتعامل بشكل مباشر مع كل عوامل الأحتكاك خلال الاشتباك، الشيء الوحيد الذي يقلل من تأثير هذا العامل هو التدريب، فالتدريب يقوي ويعود البدن على تحمل المصاعب التي تتطلب جهودا كبيرة، كما يقوي الإرادة والعزيمة على مجابهة الأخطار وعلى طريقة التعامل معها، والتدريب على مجابهه مختلف إنواع الأحتمالات يقلل من تأثير الصدفة وهكذا.

ج- قانون الغير متوقع

الحرب بطبيعتها أمرا لا يمكن السيطرة عليه و صعب التكهن به، لإنها متعلقة بعوامل عديدة منها الشك وعد اليقين والصدفة وهي كما بينا إنفا تمثل عناصر الأحتكاك والمقاومة التي تواجه الإنسان كرد فعل طبيعي خلال الحرب، كما توجد هناك تحديدات أخرى لها تأثيرات أضافية هي القوة والقدرة الخلاقة التي تتوفر لبعض الأشخاص ولا تتوفر لغيرهم وهذه القوة قد تدفع الشخص إلى القيام بأعمال تبدوا غير منطقية أوغير متوقعة من الأشخاص الآخرين، وكذلك الفرصة التي قد تتاح للبعض وقد تستغل وقد لا تستغل. جميع هذه العوامل وغيرها يمكن إن نطلق عليها الفعل الغير متوقع، وحتى تكون الصورة

قريبة من الإذهان: نأخذ بعض الأمثلة:

1 - هل كان الرومان يتوقعون تقدم هانيبال عبر جبال الألب في فصل الشتاء ومهاجمة روما عام 216 ق م.
2 - هل كان يتوقع مخترع الإنشطار الذري إن اليابان ستضرب بقنبلة ذرية وتكون سببا في إنتهاء الحرب.وأستسلامها.
3 - هل كان أحد يتوقع ما حصل بعد إنهيار البرجين في نيويورك في 11أيلول عام 2001 وأحتلال أفغانستان والعراق.
4 - هل كان أحد يتوقع ما حصل بعد حرب الخليج الثانية عام 1991 على العراق والمنطقة.
5 - هل كان أحد يتوقع ما حصل في العراق بعد أحتلاله عام 2003 من قبل أمريكا.

هذه بعض النمإذج وغيرها الكثير في العالم.

إن غير المتوقع هو العامل الذي لا يمكن وضع مقاييس ثابتة له كونه متغير تبعا للظروف وللقدرات الشخصية ولا يمكن حسابه بالطرق التقليدية المعروفة، لإنه لـوأمكن حسـابه لأصـبح متوقعـا، وغيـر المتـوقع هـو دائمـا فـي فكـر صـانع القرارأوالقائد في الميدان، وغير المتوقع قد يكون أمرا مبيتا وقد يكون أبن اللحظة التي يجدها القائد مناسبة لعمل معين ويمكن إن تنتج من خلال تفكير عقلاني، وقد تنتج من خلال ردود فعل عاطفية غير محسوبة، وقد تكون نوع مـن المغـامرة أوالمقـامرة فـي أحيـان أخـرى. وهـي بالنتيجـة تمثـل الأستغلال الأمثل للفرصة التي تتاح له والتي قد تكون متأتية بفعل (الحظ) كما يسميها البعض. واللامتوقع قد ينجح في بعض الأحيان ويصبح القائد بنتيجته قائدا عبقريـا أوقـد يفشـل ويصـبح القائـد مـن جرائـه قائـدا فاشلا يمكن إن يسبب الهزيمة لجيشة والنكبات لأمته، وبين الحالتين فرق كبير ولكنها في كل الأحول هي من اللامتوقع.

لذلك نجد إن هذا العامل يمكن إن يؤثر أيضا على القوانين الأيجابية، أما بزيادة تأثيرها كما حدث في الكثير من الحروب، او التقليل من تأثيرها المضاد في حالة التطبيق من قبل أحد الأطراف.

إن كافة القوانين السلبية المشار إليها إنفا يمكن إن تؤثر على الفعل الحقيقي للقوانين الأيجابية، لذلك ينبغي على المخططين والقادة تلافي تلك التأثيرات من خلال توفير الحماية في كافة المراحل كما في القانون السلبي الاول والتدريب المستمر على كل الأحتمالات كما في القانون الثاني، والتقليل من تأثير قانون اللامتوقع بحساب أسوا الاحتمالات، وتعويد هيئات الركن والقادة بوضع إنفسهم بمكان العدو والتفكير بما يحتمل إن يقوم به مع أجراء الممارسات المستمرة على ذلك ومن ثم وضع الحلول لكل حالة حتى يتجنبوا المفاجئة وردود الفعل الغير متوقعة، والشيء الآخر المهم هو التعلم والتدريب على (ما بعد تحقيق الهدف).

بعد إن تعرفنا على دور الحرب وعلاقة فن الحرب بهذه الدورة وجدت من المناسب ضمن هذا المبحث إن أتطرق إلى موضوع مهم جدا لم يسلط الضوء عليه بما يكفي ضمن الدراسات والبحوث وغيرها. فدورة الحرب كما لاحظنا معنية بتسيير عجلة الحرب بشكل مستمر وحتى تصل الحرب إلى مرحلة تستوجب فيها الضرورة إنهائها أوأيقافها. ولكن السؤال الذي يطرح هو: كيف يمكن أيقاف تلك الدورة أي أيقاف الحرب أوإنهائها؟. هناك قول مأثور (لاتحمل الحرب بين ثناياها عناصر القرار الكامل والتسوية النهائية، إذن من الضروري عندما تدار الحرب إن يؤخذ السلام الذي ستحققه بعين الأعتبار) **(258)** وفي كتاب للصحفي البارز (جدعون روز) تحت عنوان (كيف تنتهي الحروب) يقول (إن إنهاء الحروب صعب حتى عندما تندلع بطريقة صحيحة، وإن الأخطاء التي ترتكب في بداية الحرب تؤدي إلى تعقيد المهمة لاحقا، بغض النظر عمن يتولى مسؤولية القيادة وقتها) **(259)** ويتابع قوله (إن القادة يركزون عادة على محاولة ألحاق الهزيمة بالعدو، ويواجهون صعوبة في تغيير مسار التعامل مع

الحرب وبناء بيئة سياسية مستقرة فيما بعد). عندما نراجع تاريخ الحروب نجد إن القرارات التي أتخذت بموجبها الحرب كانت أسهل من قرارات وقف أو إنهاء الحرب. وإن هناك الكثيرين من القادة دخلوا الحرب تحت تأثيرات مختلفة منها دوافع أقتصادية بقصد الهيمنة والأستعمار ومنها الأيديولوجية ومنها الوطنية من أجل التحرر من الهيمنة الأستعمارية ومنها النفسية والصحية التي تدفع إلى الحقد والإنتقام وغيرها، ولكن القليل منهم عرف كيف يحقق الأهداف التي دخل الحرب من أجلها و كيف ينهي الحرب بشكل مناسب. إن الدرس المهم الذي خرج به العالم بعد كل تاريخ الحروب هو:

1 - إن القوة العسكرية وحدها لن تنجح أبدا في أخماد النضال من أجل الحرية والأستقلال،

2 - إن مواطنوا القوى الأستعمارية على المدى الطويل أصبحوا غير مستعدين لتأييد الحروب التي تتعارض مع القيم التي يعتزون بها في الداخل، كما حدث في التظاهرات الكبيرة التي أجتاحت أمريكا وبريطانيا والدول الاوربية ضد الحرب على العراق سواء في حرب الخليج الثانية أوالثالثة وغيرها من الحروب.

3 - إن كافة المجتمعات الغربية أصبحت منشغلة بتقدمها العلمي والأقتصادي وأصبحوا يدركون إن الحروب لم تقدم لهم أسهاما مجديا لرفاه مجتمعاتهم فلا حرب فيتنام ولاحرب العراق ولا أفغانستان اللتان إنهكتا الأقتصاد الأمريكي جلبت لهم الرفاه والأمن، لذلك لم يكونوا راغبين في المشاركة في حروب بدون وجود تهديد مباشر لمصالحهم. وهذا هو السبب الذي دفع بالقيادة الأمريكية والبريطانية وعلى نحو مستمرعلى أظهار العراق وأفغانستان والقاعدة كأعداء يهددون أمن أمريكا ومصالحها بعد إنتهاء خطر الأتحاد السوفيتي، ووضعوا الشعب الأمريكي والبريطاني تحت هاجس الأرهاب طيلة السنين التي سبقت الحرب والأحتلال، ولا تزال تمارس نفس الأساليب من أجل أبقاء الشعوب تحت هاجس الخوف الدائم.

4 - أصبح خوض الحرب بدون تأييد شعبي بمثابة إنتحار سياسي للزعماء كما حصل لفرنسا في حربها ضد الجزائر ولأمريكا في حربها ضد فيتنام، وللأتحاد السوفيتي في أفغانستان وحتى في إيران خلال حربها مع العراق وكما حدث لأسرائيل في لبنان عام(2006). إن هذه أمثلة تبين عجز القوى المتورطة في الحروب من تبرير الأستمرار بالحرب رغم التضحيات الكبيرة التي يتكبدها الشعب والتي تقلل وبشكل كبير من التأييد الداخلي الذي يصل أخيرا إلى مستوى المعارضة الشعبية الواسعة النطاق عندها يضطر الزعماء إلى إنهاء النزاع من خلال المفاوضات والإنسحاب في محاولة أخيرة لحفظ ماء الوجه.

5 - أصبحت الأسلحة النووية والكيماوية والجرثومية وسيلة من وسائل تجنب الحروب حتى عندما تصل إلى حافة الهاوية كما حدث في أزمة صواريخ كوبا، لذلك فإن أمتلاك هذه الأسلحة يمكن إن يحقق التوازن بين الدول وتصبح أكثر ميلا لحل مشاكلها بالحوار كما هي الحالة بين باكستان والهند، وبين كوريا الشمالية والجنوبية التي تحتمي بالمظلة النووية الأمريكية، ولكن العكس قد يكون صحيح، فأمتلاك أسرائيل للسلاح النووي لوحدها في الشرق الأوسط لا يمكن إن يعزز السلام بقدر ما يؤدي إلى الغطرسة والتجبر والتهديد بأستخدام ذلك السلاح إذا دعت الضرورة. وكما يمكن إن يحدث في حالة أمتلاك السلاح النووي من قبل إيران وتأثيره على التوازن الأقليمي خصوصا مع الدول العربية التي لا تمتلك ذلك السلاح. لذلك فلا يوجد أمام العرب غير أمتلاك السلاح النووي بأسرع وقت لضمان أمنهم الوطني والقومي.

6 - أصبحت الحرب التقليدية أكثر كلفة وأقل حسما، خصوصا عندما تتحول إلى حرب أستنزاف طويلة، وإن كلفة مواصلتها تتجاوز المنافع المتوقعة، فإن إنهائها لن يحدث ما لم يكن الطرف الآخر مستعدا لإنهائها كما حدث بين العراق وإيران، فالعراق طالب بوقف الحرب منذ عامها الاول ولكن إيران لم تستجب ألا بعد سبع سنين.

7 - نادرا ما يمكن أجراء الحساب العقلاني بين قيمة الأهداف السياسية وتكاليف الحرب، فمثلا لا يمكن مقارنة الأستقلال الوطني والحرية أومساعدة

حليف مهم أو الحفاظ على ميزان القوى مع تكاليف الحرب من الناحية الأقتصادية والخسائر البشرية.

8 - من الصعب جدا حساب تكاليف ومنافع الحرب قبل وقوع الحرب لإن معظم أبعاد الحرب لا يمكن وضع مقاييس محددة لها حتى يمكن القياس بموجبها، وبعد إندلاع الحرب ستدخل عوامل عديدة من مشاعر وطنية ومصالح سياسية وأقتصادية ومنافع خاصة، لذلك من الصعب تحديد كلف ومنافع الحرب حتى بعد إنتهائها بموجب حسابات عقلانية، وقد تكون هذه المعضلة هي أحد اهم مسببات أطالة الحرب.

9 - إن قرار إنهاء الحرب يتوقف على أتفاق الطرفإن كما هي الحالة عند وقوع الحرب. ولكن المشكلة هي في صعوبة تطابق تقويم كل طرف محارب لقدرة الآخر على مواصلة الحرب، ومن ثم تقديراتهما الخاصة لحصيلة الحرب وحسابات المنافع السياسية والأقتصادية وغيرها، وكما حدث خلال الحرب العراقية الإيرانية فالعراق طالب وأقترح أيقاف الحرب عدة مرات كما طالب مجلس الأمن بذلك بموجب قراراته(514 في 12/7/1982) و(522 في 4/10/1982) و(552في 1/6/1984) و(582 في 24/2/1986) و(588 في 8/10/1986) و(598 في 20/7/1987) وهي جميعها قرارات ملزمة للطرفين وافق عليها العراق. ولكن القيادة الإيرانية لم توافق على كل تلك القرارات معتقدة إن طلب العراق ينطلق من موقف الضعف، وإن هناك أهداف مطلوب تحقيقها من قبلهم لم تنجز بعد رغم التكاليف الكبيرة التي تكبدها الطرفإن

10 - في الحروب الحديثة كثيرا ما يجد المنتصرين والخاسرين إنفسهم في المنطقة التي تتجاوز فيها التكاليف أي مكاسب ممكنة، حتى لو كانت أهداف الحرب تجدي نفعا في القتال من أجلها مثلا الحرية والإستقلال أو مساعدة حليف مهم، فإن كلفها ستكون أعظم مما هي متوقعة خاصة إذا طالت الحرب أكثر مما قدر لها، وهكذا نجد إن المنافع بقيت على حالها بينما أزدادت الكلف بشكل كبير وغير متوقع. وعندها يجد الطرفإن إنفسهم بحاجة إلى وقف الأعمال العدائية لتجنب المزيد من الخسائر في الأرواح الممتلكات، وقد يقرروا

العودة إلى الحالة السابقة لما قبل الحرب، أوقد يقبلون بتسويات من أجل المحافظة على ماء الوجه في بعض الأحيان.

11 - هناك نظرية ميزان القوة التقليدي التي تقضي (بإنهاء الحرب دون القضاء على العدو)**(260)** والسبب في ذلك إن القضاء على اللاعبين الوطنيين الأساسيين سيؤدي إلى خلل في ميزان القوة التقليدي ضمن المنطقة، وسيحرم المنطقة من الأستفادة منهم في مراحل لاحقة قد تدعوا الحاجة لوجودهم. ولكن الأمور تسير في بعض الأحيان بأتجاهات أخرى معاكسة، كما حدث في معاهدة فرساي (1918) التي صممت للقضاء كليا على ألمانيا وحطمت بذلك ميزان القوة الاوربي بعد الحرب العالمية الاولى، وعندها تهيء المسرح لحرب جديدة هي الحرب العالمية الثانية. ونذكر على سبيل المثال: إن الحرب العراقية الإيرانية إنتهت بقرار وقف إطلاق النار الرقم (598) وإن إنتهائها كان دون القضاء على أحد الطرفين، لذلك لم يحدث خلل كبير في ميزان القوة التقليدي في المنطقة رغم خسارة إيران للحرب، لكن إيران لم تنتهي كقوة في المنطقة، ولكن ما حدث في حرب الخليج الثانية والثالثة من قبل أمريكا إنها دمرت العراق وقواته المسلحة كليا ومن ثم أحتلاله، وبذلك حققت غرض إيران في تدمير العراق الذي كانت تهدف اليه طيلة مدة حرب الثمان سنوات. وبذلك تحطم ميزان القوة التقليدي في المنطقة بتحطيم العراق، ودخلت المنطقة كلها في حالة من عدم التوازن والأستقرار. كما إن وضع العراق الحالي لا يساعده حتى على المدى المتوسط إن يصبح لاعبا مهما في المنطقة حتى يعيد لها توازنها. ومثل هذه الحالة ستدخل المنطقة بحالة من النزاعات المستمرة وعدم الأستقرار وإلى مدى لا يمكن توقعه.

بضوء ما تم عرضه لابد من التطرق إلى إن مشكلة إنهاء الحرب وقرار الحرب، كما تظهر لنا دراسة التاريخ، غالبا ما يكون أبسط وأسهل بكثير من قرار إنهائها بوقف القتال بين المتحاربين. وكثيرا ما وجد القادة إنفسهم في مأزق بعد أعلان الحرب ورغبتهم في أيقافها خصوصا في حالة التوازن أو شبه التوازن بين الطرفين المتحاربين. لقد تناول بعض الباحثين موضوع إنهاء الحرب حيث

وضعوها ضمن خمسة مجاميع هي:**(261)**

1 - الدراسات النموذجية لإنهاء الحرب والسلام: المقصود بها الدراسات النظرية السياسية والفلسفية، الدين، واللاعنف وهكذا. هذه الأدبيات التي كتبت عن السلام تمتاز بنبرتها العاطفية والطوبائية وغالبا ما تكون رصينة من الناحية التجريبية، لذلك لم تعطى أهمية أوقيمة، ولكنها قد تكون مفيدة في بعض الإعمال النظرية مستقبلا كحافز لتلك الدرسات. 2.النظريات الأقتصادية عن إنهاء الحرب وحفظ السلام: تشكل الدراسات الأقتصادية جزءا مهما من المدخل الواسع لدراسات إنهاء الحرب، ولقد ظهرت هذه الدراسات من بعد الحرب العالمية الأولى بسبب الأعتقاد السائد بإن قرارات (فرساي) كانت مشؤومة على أوروبا. تتناول هذه الدراسات مشكلة الحصار الأقتصادي وتأثيره على قرارات إنهاء الحرب وحساب قوة الحرب النسبية للدول إلى أقصى حد ممكن، إضافة إلى تحليل قضايا العمل في فترة ما بعد الحرب والتجارة الحرة والدولية عموما والتعويضات والمشاكل المالية، ومن أحدث هذه التفسيرات فكرة الحوافز الأقتصادية الأيجابية للحث على تنفيذ وقف إطلاق النار في مسعى لإنهاء الحرب، كما جرى ذلك من قبل أمريكا عندما قدمت مساعدات أقتصادية لأسرائيل ومصر حتى ينهوا الحرب بينهما ويوقعوا معاهدة سلام وكما حدث أيضا بين أسرائيل والأردن.

2 - القانون الدولي: يتضمن أشكال الترتيبات المؤدية لإنهاء الحرب وهي الظروف التي تفضي إلى شروط وقف إطلاق النار وترتيبات الهدنة والموقف الدولي للأطراف المتحاربة وشكل أتفاقيات السلام وغيرها، وهي بمجملها دراسات لا تتعدى إطار ما ورد في القانون الدولي وهي في أغلبها عوامل أجرائية لإنهاء الحرب.

3 - تاريخ الدبلوماسية:وهو جزء مكمل لدراسة السياسة الدولية ونظرية العلاقات الدولية، وهي في مجملها دراسات تحليلة لأسباب حروب سابقة وسبل وطرق إنهائها، ويستفاد منها من أجل المقارنة بين حالة راهنة وأخرى

مشابهة وهكذا.

4 - نظرية العلاقات الدولية: وهي تتناول موضوع إنهاء الحرب من خلال دراسات تحليلية لأدوار قادة سياسين وعسكريين معينين ومواقفهم أزاء إنهاء الحرب. ثم البحث في تأثير السياسة الداخلية بما فيها رأي النخبتين السياسية والعسكرية والرأي العام كذلك. ويمكن إن تشمل مسائل كالحالة المعنوية الوطنية وإنهاء الحروب الأهلية والثورات..... ألخ. وأخيرا يمكن دراسة قضية إنهاء الحرب كتفاعل بين دولتين متحاربتين أو أكثر في النظام الدولي وفهم أحداهما للأخرى ومشاكل اتصالاتهما وعلاقات القوة وغيرها. وفي مراحل متقدمة ينبغي توجيه الجهود البحثية إلى دراسة متكاملة واسعة النطاق متعددة المستويات. وسيكون من المفيد أيضا أجراء دراسات جزئية للحالة النفسية للملوك والرؤساء تحت ضغط الهزيمة أوالنصر في الحرب، ودراسات مقارنة لموقف النخبة العسكرية في بلدان مختلفة خلال النصرأوالهزيمة ودراسات تأثير أدراك الدول وسوء أدراكها لموقف أحداهما الأخرى (بالنسبة للقوة العسكرية والمعنوية) والإرادة لمواصلة القتال وتماسكها الداخلي.. الخ وأهمية كل هذه الدراسات في قرار إنهاء الحرب.

ان تلك التحليلات المشار إليها ضرورية جدا من أجل الوصول إلى القرار المناسب الذي يخدم مصلحة الامة على المدى البعيد. ولكن في أغلب الأحوال يتجاهل الكثير من القادة مثل هذه الأمور ويتصرفون من خلال تحليلهم الخاص. وحتى نقترب أكثر من موضوع إنهاء الحرب هناك نموذجان أو مستويين لعملية انهاء الحرب:

1 - النموذج الغير عقلاني: تفترض معظم الدراسات المتعلقة بإنهاء الحرب، ضمناأوصراحة، إن قرار وقف القتال والبدء بالتفاوض قرار عقلاني تتخذه الدول المتورطة في نزاع حسبت فيه الكلفة والمنفعة بشكل جيد. وتتجاهل تلك الفرضيات دور القائد السياسي وتركز على دورصناع القرار في

الدولة(القيادة السياسية). ولكن هناك حالات كان فيها دور القائد السياسي هو المهيمن على تلك القرارات، مثل دور الرئيس(ودرو ويلسون) في مفاوضات السلام التي جرت في(فرساي) بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى، حيث تشير الوقائع إلى إن حظوره إلى باريس كان يشكل كارثة تاريخية من الطراز الاول، لإنه كان شخصا مغرورا وعنيدا وغير ملتزم بالأعراف، وكان رجلا مهووسا ووسواسيا. كما كان يفتقر إلى فريق يساعده في صنع القرار. لذلك جاءت قرارته فردية تحمل في جوانبها كل تناقضاته الشخصية التي إنعكست بالتالي على تلك المعاهدة**(262)**. والنموذج الآخر هو (هتلر) الذي أرتكب أكبر خطيئة في روسيا هي): رفضه التخلي عن جزء من الأرض حتى لا يخسر كل شيء،ومطالبة قواته بمتابعة الهجوم في حين كانت أحتمالات النصر تذوي وتضمحل. وقد أرتكب قائدا قوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الاولى(فوش وهايغ)، كما أرتكب (لودندورف وهندنبورغ) اللذان كانا على رأس القوات الألمانية الخطيئة الكبرى ذاتها، رغم إنهم كانوا جميعا من العسكريين المحترفين. وكان نفور هتلر من السماح بسحب قطعاته من فرنسا في الوقت الملائم هو السبب في تحمل جزء كبير من الهزيمة وكان موقفه هو نفس موقف فوش،مع الفارق الأساسي التالي:هو إن قادة الجيوش المشتبكة في الجبهة في عام (1918) لم يكونوا يطيعون(فوش) ألا عندما يوافقون على أوامره، على حين كان الجنرالات الألمان في عام(1944-1945) يرتعدون خوفا من عصيان أوامره) **(263)**. يقول (مايكل هاندل) في تحليله لشخصية هتلر وسبب خسارة ألمانيا للحرب: لقد علم هتلر وربما قبل أي شخص آخر في العالم إن الحرب خاسرة لكنه مع ذلك، علل نفسه بأمال غير عقلانية تماما، في إن مجرى التاريخ ربما يتغير.. ومنها أمله بإنهيار التحالف الكبيرضده، وأحتمال أختراع السلاح المعجزة وغيرها،هذه الأمال هي التي عززت من تصلبه، وكان من النوع الذي يفضل الإنتحار على القبول بالأستسلام وهذا ما كان **(264)**.

ومثال آخر على النموذج الغير عقلاني هو المرشد الروحي لجمهورية إيران(الخميني) خلال الحرب العراقية الإيرانية، كان هذا الرجل عنيدا ومصرا

على القتال والقضاء على النظام العراقي، رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر على إيران ورغم كل المحاولات التي بذلت معه سواء الخارجية أوالداخلية لأيقاف الحرب التي لم تجدي نفعا ولا توجد نتيجة حاسمة من ورائها، حتى وصلت القوات الإيرانية إلى الإنهيار الكامل، عندها رضخ للأمر الواقع وقبل قرار وقف إطلاق النار الرقم (598) وقال كلمته المشهورة إني أتجرع السم وإنا أوافق على هذا القرار. وهذه الكلمة تعبر بحد ذاتها عن حجم العناد والإصرار والقرار الغير عقلاتي لإنهاء الحرب. والنموذج الآخر الذي عايشناه هو الرئيس (صدام حسين) الذي كان يمكن إن ينقذ القوات المسلحة العراقية والعراق لو قرر الانسحاب من الكويت بوقت مبكرخلال حرب الخليج الثانية(1991)، ولكنه كان مصرا على الحرب رغم علمه بعدم جدوى خوض تلك الحرب، ولكنه كان ينظر إلى الأمور من زاوية أخرى هي الأمل بتكبيد الحلفاء خسائر كبيرة في المعركة البرية والتي يمكن إن تغير الوضع بأتجاه قبول مفاوظات يمكن إن يخرج منها العراق بماء الوجه، وقد تكون هناك عوامل أخرى لم يكشف عنها بعد. كما كان تعلقه بكونه القائد التاريخي الذي لا يمكن إن ينحني للمستعمر حتى ولو أدى ذلك إلى موته هو السبب في ذلك الإصرار الذي كانت نتيجته ما جرى بعد أحتلال العراق عام (2003)، إنه النموذج الآخر الغير عقلاني لإنهاء الحرب.

2 - النموذج العقلاني: يفترض هذا النموذج عدة أمور ينبغي توفرها لدى الطرفين المتحاربين منها: معلومات كافية لأجراء الحسابات الضرورية الخاصة بالكلفة. المنفعة المتعلقة بقرارأوموعد إنهاء الحرب، يقول(كلاوزفيتز) في هذا الصدد (ما زال أعتبار نفقات القوة له تأثير عام على قرار السلام، وما زالت الحاجة تدعوا اليه، وبما إن الحرب ليست عملا عاطفيا أعمى، بل يهيمن عليه هدف سياسي، لذلك تحدد قيمة ذلك الهدف مقدار التضحيات المقرر بذلها من أجل تحقيقه، وسيكون هذا هو واقع الحال ليس فيما يتعلق بمداه فحسب بل ما يتعلق بأمده كذلك، لذلك حالما يبلغ الإنفاق المطلوب مبلغا عظيما بحيث لا يصبح متساويا مع الهدف السياسي في القيمة، فإنه يجب التخلي عن الهدف

وتكون النتيجة السلام) ثم يمضي في القول (لذلك نلاحظ إن في الحروب التي لايستطيع فيها طرف نزع سلاح الطرف الآخر تماما فإن دوافع السلام لدى الطرفين ستمر في حالة نشاط وفتور عند كل طرف وفق أحتمالية النجاح المستقبلي والإنفاق المطلوب. وإذا كانت هذه الدوافع قوية على حد سواء لدى الطرفين فإنها ستلتقي في مركز أختلافاتها السياسية) **(265)**.

يمكن تصور النموذج العقلاني من خلال: إن طرفي النزاع يمكن إن يكونا كلاعبين لهما مركز صنع قرار مماثل. ولابد إن يعرف الطرفين القيم والأهداف وقيمتها الخاصة التي يقاتلان من أجلها، وكذلك القيم والأهداف الدقيقة. كما يفترض إن الطرفين يمتلكان المعلومات الضرورية لتقويم قدرتهما، وعليه يستطيع كل طرف حساب القدرة النسبية الحالية والمستقبلية لأحدهما وتأثيرها في المعركة. ولابد إن يستطيع احد الطرفين أو كلاهما معرفة ومقارنة التكاليف المتوقعة لكافة الإجراءات الأخيرة المتيسرة.

وكما يبدو فإن مثل هذه المطاليب تكاد تكون مستحيلة لصعوبة الحصول على كل هذه المعلومات التفصيلية. كما إن هذا النموذج يتجاوز الكثير من العوامل الإنسانية التي يجري القتال من أجلها كالحرية والأستقلال والشرف وغيرها. والشيء الآخر المهم هو إن قرار وقف القتال وإنهاء الحرب لايمكن اتخاذه عندما يواجه أحد الأطراف عدوا جبارا متغطرسا ويكون مهددا بالدمار والخراب عندها يصبح القتال حتى النهاية أمرا معقولا، كما حصل مع العراق في حرب الخليج الثالثة عندما رفضت أمريكا حتى قبول التفاوض مع العراق، ولم يكن هناك من يرغب بسماع صوت العراق رغم إنه لم يكن يريدالحرب. لذلك يصبح قرار إنهاء الحرب في مثل هذه الحالة بيد طرف واحد هو الطرف القوي. وهو طبعا خارج مفهوم العقلاتية.

من كل ما مر نجد إن موضوع إنهاء الحرب أو وقف القتال يمر بمراحل عديدة وكثيرا ما تكتنفه صعوبات داخلية وخارجية تصعب خلالها أوضمنها عملية أتخاذ القرار، خصوصا في الدول الديموقراطية،حيث تمر مثل هذه القرارات

وتكون النتيجة السلام) ثم يمضي في القول (لذلك نلاحظ إن في الحروب التي لايستطيع فيها طرف نزع سلاح الطرف الآخر تماما فإن دوافع السلام لدى الطرفين ستمر في حالة نشاط وفتور عند كل طرف وفق أحتمالية النجاح المستقبلي والإنفاق المطلوب. وإذا كانت هذه الدوافع قوية على حد سواء لدى الطرفين فإنها ستلتقي في مركز أختلافاتها السياسية) **(265)**.

يمكن تصور النموذج العقلاني من خلال: إن طرفي النزاع يمكن إن يكونا كلاعبين لهما مركز صنع قرار مماثل. ولابد إن يعرف الطرفين القيم والأهداف وقيمتها الخاصة التي يقاتلان من أجلها، وكذلك القيم والأهداف الدقيقة. كما يفترض إن الطرفين يمتلكان المعلومات الضرورية لتقويم قدرتهما، وعليه يستطيع كل طرف حساب القدرة النسبية الحالية والمستقبلية لأحدهما وتأثيرها في المعركة. ولابد إن يستطيع احد الطرفين أو كلاهما معرفة ومقارنة التكاليف المتوقعة لكافة الإجراءات الأخيرة المتيسرة.

وكما يبدو فإن مثل هذه المطاليب تكاد تكون مستحيلة لصعوبة الحصول على كل هذه المعلومات التفصيلية. كما إن هذا النموذج يتجاوز الكثير من العوامل الإنسانية التي يجري القتال من أجلها كالحرية والأستقلال والشرف وغيرها. والشيء الآخر المهم هو إن قرار وقف القتال وإنهاء الحرب لايمكن اتخاذه عندما يواجه أحد الأطراف عدوا جبارا متغطرسا ويكون مهددا بالدمار والخراب عندها يصبح القتال حتى النهاية أمرا معقولا، كما حصل مع العراق في حرب الخليج الثالثة عندما رفضت أمريكا حتى قبول التفاوض مع العراق، ولم يكن هناك من يرغب بسماع صوت العراق رغم إنه لم يكن يريدالحرب. لذلك يصبح قرار إنهاء الحرب في مثل هذه الحالة بيد طرف واحد هو الطرف القوي. وهو طبعا خارج مفهوم العقلاتية.

من كل ما مر نجد إن موضوع إنهاء الحرب أو وقف القتال يمر بمراحل عديدة وكثيرا ما تكتنفه صعوبات داخلية وخارجية تصعب خلالها أوضمنها عملية أتخاذ القرار، خصوصا في الدول الديموقراطية،حيث تمر مثل هذه القرارات

بسلسلة معقدة من المراحل التي تؤثر على عملية صنع القرار بشكل مباشراوغير مباشر، منها المؤسسات الحكومية المدنية والعسكرية، والبرلمانات ومراكز الدراسات ومؤسسات المجتمع المدني المختفة والراي العام أما الدول الأخرى فإن هذا الموضع يصبح أقل تعقيدا لإن القرار يمكن إن تتخذه القيادة أوالقائدالسياسي (الرئيس) وكما حدث في الكثير من الحالات. كما ينبغي معرفة إن مثل هذه القرارات لا توجد لها وصفات جاهزة حتى يمكن الأخذ بها، ولكن الضرورة تقضي بدراسة العديد من التجارب التاريخية والأبحاث للأسترشاد بها عند الضرورة، والشيء المهم الذي ينبغي وضعه نصب العين والفكر إن افضل وسيلة لإنهاء الحرب هو عدم الذهاب إلى الحرب. وإذا ما فرضت فلا يوجد غير القبول بالأمر الواقع والتعامل معه مع السعي بكل الوسائل المتاحة من أجل ايقاف الحرب بأسرع وقت.

الإستنتاجات

1 - كانت الغاية من دراستنا لموضوع الحرب، معرفة ما يعنيه هذا المفهوم من مضامين ومقاصد تطورت مع تطور الحياة الإنسانية، منذ القدم وحتى يومنا هذا، وستبقى خاضعة لمفهوم التطور بالتوافق مع ما نشهده من تقدم في مجالات تقنية يختص بها العلم العسكري على الصعيد النظري والتجريبي. ولعل ما ياتي في مقدمة الأستناجات التي توصلنا اليها في هذه الدراسة هو ذلك الذي يذهب الى ان الحرب تمثل ظاهرة يصعب تجاوزها او الغاءها من الحياة الإنسانية، وذلك بسبب من تعدد المصادر والدوافع التي تقود اليها.

2 - ان الحرب وبكل ما تحمله من مآسي ودمار وأزهاق للأرواح والى غير ذلك من نتائج مؤلمة فإنها تصبح أداة للظلم والعدوان والدمار والهيمنة والسيطرة، ولكن للحرب وجه آخر عندما تصبح ضرورة لابد منها، ربما لتصحيح مسارات خاطئة او بهدف الدفاع عن النفس والذات الإنسانية والكرامة الوطنية ألخ، ومن هذه الضرورات جاء المعنى الترميزي لمفهوم البطولة والوطنية والدفاع عن العقيدة والأرض والوطن وحماية الوجود والقيم من مخاطر خارجية وهنا تكون الحرب بمثابة الوسيلة الوحيدة والضرورة والخيار الأخير لحماية كل هذه المفردات بمعانيها العميقة.

3 - تشن الحروب من قبل الدول القوية على مر التاريخ، وكثيرا ما تكون الدول الصغيرة او الضعيفة خصوصا عندما تمتلك ثروات أقتصادية أهداف مشروعة لتلك القوى التي تحاول السيطرة عليها. في مثل هذه الحالة تصبح الحرب الشعبية او الثورية او حرب العصابات هي الطريقة المثلى لمواجهة تلك القوى، لإن التكنولوجيا الحديثة تفقد قدراتها المتطورة في مثل هذه الحروب، وكما حدث في العديد من التجارب العالمية، لعل اخرها حرب فيتنام والحرب الأفغانية تجاه الأتحاد السوفيتي، وتجاه أمريكا حاليا والمقاومة العراقية لقوات الأحتلال والحرب الأسرائيلية على جنوب لبنان عام (2006) وغيرها. ان

مثل هذه الحروب تتطلب وجود ركنيين أساسين هما: وحدة الصف الوطني وقيادة وطنية مؤمنة مخلصة. إن الحرب الشعبية هي سلاح الضعفاء تجاه الأقوياء.

4 - كما وإن الحرب تمثل الدليل الأكثر سطوعا لفشل السياسة. فأذا كانت السياسة تعني من بين ما تعنيه، القدرة على الأدارة لضبط إنماط من السلوك بغية تجنب الأشتباك أو الصراع أو المواجهة، فإن الحرب تمثل عجز القدرة على القيام بمهام السياسة. إن السياسة في أوقات الحرب ونقصد هنا السياسة العليا، هي غير السياسة في أوقات السلم حيث تكون أدواتها الدبلوماسية والمفاوضة والمساومة وهي على الجملة وسائط او ادوات تكون غايتها تجنب الحرب، لكن عندما تعجز هذه الوسائط او الأدوات من إنجاز أهدافها بطرق سلمية أي عندما تعجز السياسة، يأتي أستخدام القوة بشكله السافر لتحقق ما لم يكن بمقدور أدوات ووسائل اللاعنف المنظم من تحقيقه.

5 - إن اخطر ما في قرار الحرب هو من يذهب للحرب ولا تزال في جعبته ولو بعض وسائل تجنب الحرب. لإن الحرب كما وصفها (صون تزو) قبل أكثر من 25 قرنا هي قضية حياة أو موت بالنسبة للدولة. لذلك ينبغي إن تدرس بعمق وعناية.

6 - من الملاحظات المهمة التي طرات على فن الحرب، هي التطورات التكنولوجية التي كانت تظهر على الأسلحة والمعدات. كانت هذه التطورات تحدث هزة في عالم الأسراتيجية وفن العمليات والتكتيك، وعلى اثرها تظهر نظريات جديدة لأستخدام تلك الأسلحة والمعدات. الشيء المهم الذي حدث من بعد إنتهاء الحرب الباردة بروز نظريات تجاوزت كل أسس وقواعد فن الحرب لحساب التقنية والتطورات في عالم الحاسوب والرقميات والأتصالات والأسلحة الذكية والطائرة الشبح والطائرة بدون طيار..ألخ. وهي جميعها مؤشرات لغياب دور الإنسان خصوصا في مجال فن العمليات والتكتيك. لقد أصبحت تلك الأسلحة تمثل عوامل الحسم في الحرب والمعركة، ولكن ما غاب عن المنظرين إن التطورات التكنلوجية للسلاح هي جزء من سنن فن الحرب

ولا يمكن ان يحل عنصر محل كل العناصر الأخرى. وهكذا نجد ان القيادات العسكرية التي تبنت مثل هذه النظريات وقعت في خطأ كبير حيث حولت الحرب إلى جبهات ثانوية قادرة على أحتلالها وتدميربناها التحتية خلال فترة قصيرة ضمن أطار الحرب الغير متكافئة. كما حدث في أفغانستان والعراق وصربيا وأصبح الأرهاب هو الخطر الذي يواجه أمريكا بدلا من الجيوش النظامية للدول الكبرى. ان القضية الجوهرية التي غابت عن فكر هؤلاء المنظرين هو الكيفية والأسلوب التي يمكن ان تتوائم بها تلك التطورات مع أسس فن وعلم الحرب وليس الطفر عليها. لذا جاء الجواب سريعا من خلال الحروب الشعبية أو المقاومة التي حولت تلك التقنيات الى أسلحة موازية لما موجود لدى المقاومة (دبابة حديثة مقابل قاذفة) وهكذا أصبحت تلك القوة الهائلة أسيرة ميادين معركة غير ملائمة لها وأصبح التكتيك هو المتحكم بالأستراتيجية مرة اخرى وكإننا نعود الى القرون القديمة وكما يحدث في أفغانستان والعراق وكما حدث مع الجيش الأسرائيلي في لبنان عام (2006) ما جعلهم يفكرون جديا بتغيير العقيدة العسكرية لمواجهة هذه التحديات. والمهم في كل ذلك ان التكنولوجيا المتطورة لا يمكن ان تحسم الحروب الشعبية، وان هذا النوع من الحروب هي الوسيلة التي المثالية للرد على تلك التكنولوجيا وعلى عدوان تلك الدول.

7 - من الأمور المهمة التي طرات على الأستراتيجية العسكرية في الظروف الراهنة هو ان الخطط الأستراتيجية التي توضع لم تعد قادرة على التجاوب مع كل متغيرات ميادين المعركة الحديثة بسبب المفاجأت العديدة التي دخلت على ميادين المعركة، لذلك أصبح لزاما على المخططين ان يضعوا في أعتبارهم ليس تحقق الهدف الأستراتيجي فحسب بل النظر الى ما وراء ذلك الهدف من متغيرات ممكن حصولها، وهذا يتطلب بالضرورة توفر أشخاص ذوي قدرات غير تقليدية لتحقيق مثل هذا الهدف. ولعل ما حدث في أفغانستان والعراق ولبنان خير دليل على ذلك.

8 - لقد وجدت بعد الدراسة العميقة لأغلب العمليات العسكرية إن هناك

قوانيين موضوعية تتحكم في الحرب وفي كافة مرحلها. وهذه القوانيين تنطبق بصورة متساوية على أطراف النزاع، لذلك يمكن القول إن المباديء ترشدنا الى كيفية القتال اما القوانين فتتحكم في قابليتنا على القتال من عدمه. والقوانيين هي: ثلاثة إيجابية وهي الحركة والقوة والتعرض. الحركة هي القانون الأول حيث لا توجد حرب بدون حركة والحركة مرتبطة بالأستراتيجية فهي قانون الأستراتيجية وعندما تتوقف الحركة لأي سبب كان فإن الحرب تتحول الى مأزق أستراتيجي قد يؤدي الى الأستنزاف والحرب الطويلة. وقانون القوة هو المكمل لقانون الحركة فالحركة تؤدي حتما الى التصادم، وهنا يبرز دور القوة (أي القوةالنارية) التي تستخدم عند التصادم. التناوب بين الحركة والقوة يؤدي الى اكمال الدورة التي يطلق عليها بالعملية العسكرية او المناورة، لذلك فان العملية هي مجموعة مناورات بين الحركة والقوة وبالتناوب حتى يحصل احد الطرفين على اهدافه المقررة. وقانون القوة هو قانون عملياتي لإنه يتحكم بالعملية والمناورة.

أما قانون التعرض. فالتعرض هو مبدا من مباديء الحرب وهو قانون من قوانينها لإن الحروب لا تحسم بدون تعرض. يقصد بالتعرض هو فعل الصدمة التي تعتبر الوسيلة الرئيسية لتدمير العدو أذا لم يتم تدميره بالقوة النارية. لذلك تصبح (القوة + الصدمة) هي قانون المعركة وهي قانون الفن التكتيكي الذي بدونه لا يحقق فن العمليات ولا الأستراتيجية أهدافها.

في ضوء ذلك نجد إن هناك علاقة متبادلة بين هذه القوانين، فالأستراتيجية معنية بقرار وقانون الحركة وفن العمليات معني بالعملية (المناورة وهي: الحركة +القوة) والتكتيك معني بقانون التعرض الذي يتحقق من خلال المعركة او الأشتباك والذي هو عبارة عن (الصدمة + القوة).

أما القوانيين السلبية فهي تلك القوانيين التي يحتمل إن تؤثر على القوانين الأيجابية أما بزيادة تاثيرها او التقليل من تأثيرها وهي: الحماية والأحتكاك وغير المتوقع.

1 - وفي ضوء معالجتنا لمفهوم دورة الحرب وجدنا إن العلاقة المتبادلة بين القوانين الأيجابية المشار اليها انفا تؤثر سلبا وأيجابا على أدارة الحرب أو ما أطلقنا عليه (دورة الحرب) وهذه الدورة تبدأ بالأستراتيجية ثم العمليات ثم بالتكتيك أو المعركة. وحتى نوضح تأثير القوانين على أقسام فن الحرب إنفا فإننا نجد إن الأستراتجية عندما تفشل في تطبيق قانون الحركة فإن الحرب تتحول الى السكون او الجمود وقد تتحول الى حرب أستنزاف والى حرب طويلة، لذلك تؤكد أكثر النظريات على الحسم السريع للحرب وعدم أطالتها لإنه لا يوجد مستفيد من الحرب الطويلة. وعندها يترتب على أدارة الحرب تدارك هذا الموقف بمحاولة تحريك الدورة من خلال العمليات التي قد يطلب منها تنفيذ عملية أو أكثر يمكن إن تؤدي الى احداث خلل في موقف العدو أو تعطي المجال مرة أخرى للأستراتيجية من أستئناف دورها وكما حدث في العديد من المعارك، أو قد تلجا الى الى المستوى التكتيكي اذا لم يساعد الموقف العملياني وذلك من خلال تنفيذ سلسلة من المعارك التكتيكية التي قد يكون لها تاثير عملياتي أو أستراتيجي أو سسلسلة من المعارك التي قد تخلق تراكم تكتيكي يمكن إن يؤدي الى حلحلة الموقف العملياتي ثم الأستراتيجي. واذا فشلت كل تلك الوسائل فعنئذ يمكن اللجوء الى السياسية العليا التي قد تجد حلا او خيارا مناسبا لتحريك الموقف.

2 - رغم مساويء السلاح النووي ومخاطره على العالم، الا انه لا يزال يشكل عامل توازن وأمن وأستقرار بين الدول التي تمتلكه. ولكون منطقتنا العربية تفتقر الى أمتلاك هذا السلاح فستبقى عرضة للتهديد والأبتزاز سواء من أسرائيل او من أيران بعد أمتلاكها للسلاح النووي. لذلك على الدول العربية ان تبذل كل ما وسعها من اجل أمتلاك هذا السلاح وبأسرع وقت، ليس بقصد استخدامه بل من أجل السلام في المنطقة والمحافظة على امنها واستقرارها. ونذكر في هذا المجال قوله سبحانه وتعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم).

3 - إن قرار الحرب يعتبر من أصعب وأخطر القرارات التي تتخذ من قبل القيادات،ألا إن قرار إنهاءها، وكما يبدوا من كل الأحداث التاريخية كان أصعب وأعقد من قرارات الحرب. فقرار إنهاء الحرب تكتنفه صعوبات داخلية وخارجية تصعب خلالها أو ضمنها عملية أتخاذ القرار، خصوصا في الدول الديموقراطية حيث تمرمثل هذه القرارات بسلسة معقدة من المراحل التي تؤثر على عملية صنع القرار بشكل مباشر او غير مباشر، منها المؤسسات الحكومية المدنية والعسكرية والبرلمانات ومراكز الدراسات ومؤسسات المجتمع المدني والرأي العام، اما الدول الأخرى فإن مثل هذا الموضوع يصبح أقل تعقيدا لإن القرار يمكن إن تتخذه القيادة اوالرئيس وكما حدث في بعض الحالات. كما ينبغي معرفة ان مثل هذه القرارات لا توجد لها وصفات جاهزة حتى يمكن الأخذ بها، ولكن الضرورة تقضي بدراسة العديد من التجارب التاريخية والأبحاث للأسترشاد بها عند الضرورة. والشيء المهم الذي ينبغي وضعه نصب العين والفكر إن أفضل وسيلة لإنهاء الحرب هو عدم الذهاب الى الحرب، واذا ما فرضت فلا يوجد غير القبول بالأمر الواقع والتعامل معه مع السعي بكل الوسائل المتاحة من اجل أيقاف الحرب بأسرع وقت.

الخاتمة

كانت الحرب ولازالت من أهم المواضيع التي شغلت العالم والفكر الإنساني منذ القدم ولحد الآن، في محاولات للتوصل إلى كنهها ودوافها وأسبابها ووسائل وسبل معالجتها والوقاية منها، وكثيرا ما كان ولا يزال يدور في فكر الكثيرين من الباحثين والمفكرين تساؤولات مهمة... هل إن الحرب قضية قدرية كتبت على البشرية ولامجال للتخلص منها، أم هي ضرورة من ضرورات الحياة والبقاء والتطور للإنسان أم هي جزء من تكوين الإنسان وطبيعته التي تميل في الغالب إلى النزاع من أجل الوصول إلى الأفضل وفق رؤيته الخاصة بغض النظر عن النتائج التي تترتب على نوع الفعل وتأثيره على الأخرين.

كانت غايتي من عرض تطور مفهوم وفلسفة الحرب عبر التاريخ إن ألقي الضوء على هذا المفهوم كيف تطور مع مرور الزمن تبعا لتطورات حاجات الإنسان وطموحاته وأهدافه والتطورات التقنية في مجالات التسليح والتجهيز وغيرها من مستلزمات الحروب، في محاولة للتوصل الى تحليل واقعي يجيب على تساؤل مهم وهو ماهي الحرب ولماذا الحرب ؟ بعد البحث والدراسة للعديد من المفاهيم والأراء وجدت:

إن الحرب كمفهوم هي جزء من المفاهيم الإنسانية الأخرى التي فكر بها الإنسان محاولا ان يجد لها تفسير مقبول وان يضع لها أسس ومباديء يفسرها بموجبها ويحتكم اليها عندما تدعوا الضرورة لها. إن الحرب ضرورة لابد منها وعلى مر التاريخ، لإنها جزء من طبيعة الإنسان الذي يحاول ان يحصل على ماهو أفضل لمصلحته التي كثيرا ما يجد لها المبررات المناسبة، فقد تكون أقتصادية او أجتماعية او سياسية أو عقائدية وغيرها، وهذه المبررات كثيرا ما توضع في أطار الحاجة والضرورة الإنسانية وعندها تصبح تلك المبررات ممكنة من قبل المجتمع. فتدمير قوات العدو وأحتلال الأراضي والأستعمار والهيمنة وتدمير البنى التحية للدول وغيرها كلها كانت ولا زالت توضع ضمن

اطار الحاجة الإنسانية رغم إن الحقيقة هي غير ذلك. وهكذا تحولت الحرب إلى أداة تدمير رهيبة لا مجال فيها للجانب الإنساني الذي كانت تشن الحروب بسببه أو تحت مظلته، وأصبحت الحرب أداة للسيطرة والتسلط والأستعمار والهيمنة خصوصا الأقتصادية التي هي أحد أهم أسباب تلك الحروب كما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية وما تلاها من غزو وأحتلال لدول عديدة تحت مبررات الحرية والديموقراطية، إن الحرب كفكرة تنمو وتتطور دائما في عقول صناع القرار والمخططين لها من خلال فلسفة نظامهم السياسي التي تحركها دوافع الطمع والأستغلال والهيمنة والغدر والثأر وغيرها، هذه الفكرة تنموا وتتطور في رحم تلك الدوافع وتتطور مع الزمن تبعا للعناصر المغذية لها خصوصا عندما تتناقض مع أفكار ونظريات أخرى بسبب التناقض القيمي والمفاهيمي لتلك النظريات والدوافع والغايات الوطنية، وهكذا تتحول تلك الفكرة مع مرور الزمن الى صراع لا يمكن حسمه بدون الأستخدام الفعلي للقوة المسلحة وهكذا تقع الحرب التي يتمازج فيها الفعل العسكري مع الغرض السياسي الذي بدأ به والعمل العسكري في حينه ما هو ألا أمتداد وتجسيد للقرار السياسي، وهو تعبير حقيقي لأرادة صناع القرار في أعلى مستوياته مهما كان شكل وطبيعة نظام الحكم بعيدا عن رأي أو رغبة المواطنين اللذين كثيرا ما يجدون إنفسهم أسري رغبات تلك القيادات. لذلك فإن الحرب هي فعل من أفعال السياسة وهي أداة من أدواتها وهو مفهوم قديم قدم الحرب، وهنا تبرز أهمية ودور مصالح المؤسسات السياسية والأقتصادية والعسكرية ومصالح الأفراد التي غالبا ما تحدد أهم الأساسيات والأستراتيجيات والقرارات التي تتحكم بالأفعال قبل وأثناء الحرب والتي كثيرا ما تحور حتى العقائد الدينية لمصالحها الخاصة كما هو الحال لدى أسرائيل التي جعلت من العقيدة الدينية وسيلة ومبررللحرب وكما حصل مع غيرهاسابقا ولاحقا. والحرب كما يبدوا من كل تجارب التاريخ فإنها مرتبطة بأمتلاك القوة ومن يمتلكها يميل إلى أستخدامها لتحقيق أغراضه وأهدافه من خلال الحرب، لذلك أصبحت الحرب أداة القوي في الغالب وأداة للسيطرة والهيمنة ولم تكن أداة لتحقيق

الأمن والسلام والعدالة الأجتماعية ألا في حالات نادرة، ولم نجد إن هناك دولة ضعيفة شنت الحرب على دولة أخرى، والدول الضعيفة غالبا ما نجدها تقع ضحية الدول القوية وكثيرا ما تجد نفسها مضطرة الى الدفاع عن نفسها تجاه العدوان بأشكال وطرق مختلفة ومتى أمتلكت الدولة القوة فإن من الصعب إن تحكم العقل والمنطق وكثيرا ما يتملكها الغرور والغطرسة والرغبة في التوسع والهيمنة خصوصا أذا كانت هناك أطراف ضعيفة مستهدفة يمكن السيطرة عليها وأخضاعها بسهولة، وعندها تجد المبررات المناسبة لها لشن الحرب، وهذا ما تقوم به الدول الكبرى على مر التاريخ. ومع كل ذلك كانت هناك أراء تناهض الحروب وتعتبرها وسيلة تدمير وإن الحرب اذا ما فرضت فينبغي إن لا ينظر الى أهدافها الآنية بل ينبغي إن ينظر الى ما ورائها وهو السلام العادل الذي يلي الحرب والذي يجب إن يكون هو الهدف الرئيسي منها. وإن الطريق إلى ذلك هو بتحرير الإنفس من الحقد والطمع والتعصب والجهل التي تشكل الجراثيم المولدة للحروب على مر التاريخ، وان الإنتصار في الحروب لا ينبغي إن يكون هو الهدف الحقيقي للحروب، بل السلم هو الهدف الحقيقي للحرب الذي ينبغي ينموا ويتطور في عقول صناع القرار والمتحكمين بسياسة الحرب.

من المفاهيم المهمة والتي كان ولا يزال لها حظور بارز في الفكر الإنساني هو ما جاء به الأسلام الذي يتميز عن غيره من العقائد بالوضوح التام، لقد نظر الأسلام الى الحرب كونها حقيقة قدرية لامجال من التخلص منها ما دام هناك صراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر (كتب عليكم القتال وهو كره لكم). إن الدافع الأساسي للحرب في الأسلام هو دافع فكري ثوري روحي دفاعا عن العقيدة ولأعلاء كلمة الحق ودفاعا عن الإنسانية بقصد تخليص الإنسان من السيطرة والأستغلال والظلم والظلالة، ومن أجل أقامة مجتمع تسوده الحرية والعدالة الأجتماعية والحرب في الأسلام لم تكن بقصد الفتوحات والتوسع والهيمنة، بل كانت بقصد نشر الدعوة وهذا هو سر بقائها وديمومتها في كل مكان وصلت وصلت اليه.

وبناءا على ماتم عرضه فإننا نعتقد بإن الرسالة الأسلامية كانت وستبقى تمثل الأمتداد الروحي والفكري لأمتنا، ولا يمكننا الإنفصال عنها بأي شكل من الأشكال وإن مفاهيمنا المعاصرة لابد وإن تبقى أستمرارا لتلك الرسالة بكل ما تحمله من معان وقيم ومفاهيم ومن هذه المفاهيم مفهوم الحرب،، لذلك تصبح الحرب وفق هذه النظرة المبدئية شرطا من شروط تخليص الإنسان من ألأستعباد والهيمنة والظلم، كما وإنها في الوقت نفسه تصبح شكلا من أشكال الجهاد في مسعاها ونتائجها لإنها مرتبطة جوهريا بحماية العقيدة وبالتحرر وبقيم التقدم والخلاص من التجزئة والضعف والتخلف والأستغلال والفساد، والحرب وفق هذا المفهوم إنما هي دفاع عن النفس ودفاع من أجل اعلاء كلمة الحق ضد الأعداء اللذين يقفون في طريق أمتنا والحرب هي حالة الأضطرار المرتبط بظرفه وليس حالة الأختيار المعزول عن ظرفه، وإن هدفها النهائي هو تحقيق السلام العادل الذي يخلص الامة من واقعها المتمثل بالتيه والضياع والظلم وينقلها الى واقع جديد تحقق من خلاله طموحها في التحرر والعدالة الأجتماعية والعيش بكرامة. والحرب وفق هذا الفهم لا تحركها الدوافع الأقتصاية التي كانت من أهم أسباب الحروب ولا زالت، بل الدوافع والأهداف الإنسانية النبيلة التي يتحقق من خلالها السلام العادل والذي لا يمكن إن يتحقق بدون أمتلاك ناصية القوة التي تصون السلام وتقف حائلا دون العدوان والظلم. ومن خلال كل ما مر انفا نخلص إلى التعريف المناسب للحرب وهو (الحرب هي أعلى أشكال الصراع الذي تستخدم فيه القوة المسلحة، والذي تلجأ اليه الأمة في نظالها من أجل أستمرار وجودها والحفاظ على كيانها ضد الأخطار التي تهددها وتحقيقا للسلام العادل).

ان الحرب كمفهوم يوضح لنا ويجيبنا عن السؤال المهم وهو ماهي الحرب و لماذا الحرب وكما بينا إنفا ؟ وحتى يستكمل الموضوع لابد من معرفة الأجابة على السؤال الأخر وهو كيف تكون الحرب او كيف نحارب ؟ وهو ما يعني به فن الحرب. وحتى ندرس فن الحرب لابد من معرفة تاريخه ومراحل تطوره، ومن دراسة هذا التاريخ يمكن التوصل إلى الفهم العميق للفن الحربي المعاصر

ولآفاق تطوره المقبل ولقد أدرك القادة السابقين هذه الأهمية لذلك عملوا على أستخدام خبرة الحروب الماضية في ظروفهم الواقعية، مراعين الأبتعاد عن التقليد الأعمى لتجارب الحروب، لإن لكل حرب ظروفها ووسائطها المختلفة، إن الدراسة الواعية لتاريخ فن الحرب تسمح بمعرفة المباديء والقوانيين الأساسية لتطور نظريات الحرب ولأساليب خوض الحرب في مجالاتها الأستراتيجية والعملياتية والتكتيكية وكذلك تطور القوات المسلحة في مجالات التنظيم والتسليح والتعبئة. لذلك فإن أفضل تعريف مناسب لفن الحرب هو (إن فن الحرب ما هو ألا الدراسات النظرية التي تهتم بأساليب القتال وخوض الحرب في كافة الجوانب والمجالات (أستراتيجية وعملياتية وتكتيكية) وإن هذه الدراسات تعتمد في الأساس على العقيدة العسكرية كونها المرشد والموجه لها، وعلى التحليل التاريخي العميق لسير الأعمال الحربية وأستلهام الأسس والدروس منها من أجل بناء النظرية الحديثة لأستخدام القوات المسلحة وأدارة الصراع المسلح، وإن التقسيم المناسب لفن الحرب هو الأستراتيجية، فن العمليات، التكتيك، وأضافة لذلك فإن فن الحرب يكون معنيا بتعبئة وتنظيم الجيوش وكذلك الأسلحة ومعدات القتال. والأستراتيجية التي تمثل القسم الأول في فن الحرب كانت قد مرت بتطورات عديدة على مر التاريخ بدأت بكونها فن القيادة ثم فن الملوك لإنها كانت مرتبطة بقرار الملك أو القائد وكانت الأستراتيجية مرتبطة بالتكتيك لإن المعركة أو الموقعة تحقق هدف الأستراتيجية، ولم تكن المعركة تتعدى القتال بين جيشين أو أكثر، ولكن مع مرور الزمن وتطور الأسلحة والمعدات ومع تطور الغايات والأهداف والمصالح للدول تطورت الجيوش حجما ونوعا وكذلك المعارك لتصبح أكثر شمولية من ناحية المكان والفترات الزمنية التي تستغرقها وظهر هناك مفهوم الموقعة التي تشمل على عدة معارك، وهكذا أستمر التطور فظهر مفهوم العملية التي تنفذ بتشكيلات كبيرة الفيلق والجيش وأصبح هناك مفهوم جديد هو فن العمليات الذي أصبحت له مبادئه وأسسه وأساليب تنفيذه، وتحول فن العمليات إلى المستوى الثاني يليه التكتيك الذي تطور هو الأخر في جانبين

هما العلمي والفني.

إن الشيء المهم الذي ينبغي معرفته هو إن الأستراتيجية العسكرية أصبحت في ظروفنا الراهنة تمثل منظومة كبيرة ومتكاملة ومعقدة بنفس الوقت، فهي معنية بأستخدام القوة العسكرية في جانبيها الفني والعلمي، وهي المعبرة الفعلية عن السياسة العسكرية عند التنفيذ الفعلي لتلك السياسة، فالسياسة هي النهج ودليل العمل الذي يسترشد به، والأستراتيجية هي التطبيق الفعلي للسياسة في الميدان أو التطبيق الفعلي للقوة العسكرية، لذلك تصبح الأستراتيجية العسكرية عندما تعرف بإنها علم وفن تطوير وأستخدام القوات المسلحة لتحقيق الأهداف السياسية العسكرية للدولة سواء بأستخدام القوات المسلحة الفعلي أو التهديد بأستخدامها. ان الشيء المهم الذي توصلت أليه ضمن مبحث الأستراتيجية هي إني قدمت نموذج عملي لكيفية التخطيط الأستراتيجي هذا النموذج مبني على الخبرة والتجربة العراقية التي شاءت ظروف العمل الوظيفي إن أكون جزءا منها ومتابعا لها في فترة من الفترات المهمة في تاريخ قواتنا المسلحة وهي الحرب العراقية الأيرانية، والتي تعتبر من أحد أهم تجارب الحروب في العالم، حاولت من خلالها الربط بين الجوانب النظرية والعملية في محاولة لتقديم نموذج قريب من الواقع الحقيقي الذي يمكن إن يعاون القيادات وهيئات الركن في عمليات التخطيط الأستراتيجي.

أما فن العمليات فهو معني بالأعداد للعمليات العسكرية وطرق خوضها وأدارتها بمستوى قيادات الجيوش والفيالق البرية وما يعادلها من القوات الجوية والبحرية من أجل تحقيق أهداف الأستراتيجية العسكرية. إن فن العمليات لايزال في تطور مستمر منذ بداية ظهوره من بعد الحرب العالمية الأولى ولحد الآن، لذلك حاولت جاهدا إن أعطي لهذا والموضوع أهمية خاصة في محاولة لتوضيحه ثم المراحل التي يمر بها من خلال المباديء والخصائص وكيفية ممارسته وفهمه خلال العمليات التعرضية والدفاعية، وحتى أقرب الصورة للقاريء والباحث أعتمدت على عدد من نماذج المعارك التي نفذت بمستوى

فيلق فأكثر وركزت على التجربة العراقية خلال الحرب بين العراق وأيران محاولا أبراز أهمية تلك المباديء والأسس في المجال التطبيقي، ان الشيء المهم الذي ينبغي معرفته هو ان مستوى العمليات هو المستوى الذي يبرز فيه ما يعرف بمفهوم المناورة وهي (الحركة + القوة) وكذلك مفهوم العملية العميقة التي تستهدف العمق النهائي لدفاعات العدو عند تنفيذ العملية التعرضية والتي طبقت بأكثر من عملية ناجحة في التاريخ، ومنها العمليات التعرضية العراقية خلال الفترة من نيسان ولغاية أب (1988). والمستوى العملياتي هو المستوى الذي يقدر فيه القائد على أستخدام المرونة العالية قبل وأثناء العملية وما بعدها، وهو مستوى يمتاز بالمرونة العالية أذا ما أحسن فهمه وأسلوب تنفيذه ولعل أمثلة المعارك التي أشرت اليها خلال البحث خير دليل على ذلك. ومع كل ذلك فإن سر النجاح يكمن في عاملين رئيسيين هما المبادأة وحرية العمل اللتان يجب على القائد إن يعمل بكل جهده للحصول عليها والمحافظة عليهما، مع الأخذ بنظر الأعتبار عناصر مضاعفات القوة وهي المباغتة والمخادعة.

أما التكتيك فيعتبر أساس فن الحرب وقديم قدم المعارك والأشتباكات، والتكتيك كفن عملي نجده معني بالمعركة الفعلية أو ألأشتباك الفعلي خلال الحرب بين التشكيلات الميدانية، ولهذا الفن قواعده ومبادئه التي جاءت من خلال الخبرات المكتسبة من الحروب والتي تمثل الدليل الذي يسترشد به من قبل القادة والأمرين، وهو يبحث ويدرس مسائل تحضير المعارك وأدارتها وهي التي تنفذ بواسطة التشكيلات التكتيكية لجميع أفرع القوات المسلحة، والتكتيك من جانب أخر هو علم كونه يشتمل على كافة النظريات العلمية التي تحكم عمل كافة منظومات الأسلحة والمعدات والقدرات القتالية في ميدان المعركة، أضافة إلى تاثيرات العوامل الطبيعية والإنسانية. إن الشيء المهم في هذا الجانب هو إن التكتيك لم يعد مبنيا على الحسابات العامة التي كانت سائدة في السابق بل على أساس حسابات القدرات القتالية المعتمدة على نظريات علمية، وعلى ضوءها يمكن أجراء تقادير الموقف وتخصيص القطعات للواجبات وأدارتها خلال المعركة وفي هذا الجانب تدخل التقنيات الحديثة

للمعدات ومن أهمها منظومات القيادة والسيطرة الألكترونية التي أصبحت من مسلتزمات الحرب الحديثة والتكتيك هو في الجانب التطبيقي هو صراع بين عاملين رئيسيين هما الحركة والصدمة وهذان العاملان يمثلان أساس العمل التكتيكي، فهناك من جمع بين الحركة والصدمة التي تحدث من(خلال الكتلة القوية من مشاة أو دروع أو من النار أو الجمع بينهما)، وهناك من أعتمد على عنصر الصدمة من خلال الكتلة القوية وبين هذين العاملين تطور التكتيك ونظرياته العلمية. إن الشيء المهم الذي ينبغي معرفته ان الجمع بين الحركة والصدمة هما سر النجاح في المعارك التكيكية أو الأشتباك.

وحتى يتحقق الترابط بين مفهوم الحرب وبين فن الحرب بحيث تصبح الصورة متكاملة وجدت إن الضرورة تقضي بتناول موضوع العقيدة العسكرية رغم ما يكتنف هذا الموضوع من صعوبات، بسبب محدودية المراجع وما يكتنف البعض منها من عدم وضوح خصوصا في الجوانب التفصيلية لأسباب خاصة بكل دولة، ولكني حاولت جاهدا إن أعرض هذا الموضوع بطريقة مناسبة متوخيا أعطاءه ما يستحق من عناية وأهمية يمكن إن تفيد الكثير من الباحثين والدراسين. بداية نقول إن العقيدة العسكرية هي مجموعة وجهات النظر التي تتبناها أي دولة للتعبير عن فكرها وأهدافها السياسية ووجهة نظرها في كل ما له علاقة بالحرب التي يحتمل ان تخوضها، وهي معبرة عن النظرة المستقبلية لما ينبغي إن يكون عليها أمنها الوطني، وهي تحدد كل ما له علاقة بأعداد الدولة للحرب، وترسم الصورة العامة لما ينبغي إن تكون عليه الأستراتيجية العسكرية خصوصا في مجالات بناء القوات المسلحة وأستخدامها، كما تحدد المباديء العامة للعقيدة القتالية في جانبيها العملياتي والتكتيكي، وبعبارة دقيقة فإنها التعبير العملي للفكر والأهداف السياسية للدولة في المجال العسكري. والعقيدة العسكرية لها بعدين بعد شامل له علاقة مباشرة بالأستراتيجية العسكرية وبعد مهني (علمي وفني) له علاقة برسم مسار العقيدة القتالية في جانبيها العملياتي والتكتيكي.

وهكذا نجد إن العقيدة العسكرية مرتبطة كليا مع فن الحرب في مجالاته الثلاث فهي التي ترسم المسار العام للأستراتيجية عند وضع الخطط العامة وخطط بناء القوات المسلحة وأستخدامها، وعندما نتحول الى الجانب التنفيذي لتلك الخطط فإننا نجد إن تأثير العقيدة العسكرية يمتد لرسم المسار العام للعقيدة القتالية التي تصبح وسيلة تنفيذ العقيدة العسكرية في مجالات تنظيم وتسليح وتدريب وأستخدام القوات المسلحة. والعقيدة العسكرية تتأثر بعدد من العوامل خلال مراحل بناءها ومن أهمها النظرية السياسية للدولة، ومصادر التهديد الداخلي والخارجي، والموقع الجيوبولتيكي للدولة، ودروس التاريخ، والتطور العلمي والتقني. وللعقيدة العسكرية مكونات ذات طابع سياسي ومكونات ذات طابع فني تقني ومكونات ذات طابع عسكري، جميعها ترسم بالتالي مضامين تلك العقيدة العسكرية للدولة.

وحتى يتوضح الجانب التطبيقي لفن الحرب وكيف تتفاعل كل مكوناته في الميدان وكيف يؤثر الواحد على الأخر، ودور العقيدة العسكرية في كل ذلك، طرحت فكرة دورة الحرب، هذا الموضوع حسب أعتقادي لم يعطى الأهمية التي يستحقها خلال العديد من الدراسات والبحوث، وكثيرا ما كان يسبب الأخفاقات عند التطبيق رغم صحة النظريات وأسس العقيدة العسكرية. وحتى تكون الصورة قريبة من الواقع وجدت إن الضرورة تقضي بالتطرق الى موضوع أخر يعتبر موضوعا جديدا لم يسبق التطرق له أعتبرته مدخلا مهما لتوضيح فكرة دورة الحرب، وهو قوانين الحرب، وقوانين الحرب هي ليست كمباديء الحرب التي تعتبر بمثابة الدليل الذي يسترشد به خلال كافة مراحل الحرب وهي بمثابة المقاييس التي تقاس بموجبها نتائج العمل العسكري. اما القوانيين فهي التي تتحكم بالحرب خلال كافة مراحلها والقوانين تنطبق بصورة متساوية على أطراف النزاع. والقوانين تقسم الى قسمين هما القوانين الأيجابية وهي التي تتحكم بالقدرة على القتال وهي: الحركة والقوة والتعرض، والقوانين السلبية وهي التي يمكن ان تؤثر على القوانين الأيجابية أما بزيادة تأثيرها او التقتليل من تأثيرها وهي: الحماية والأحتكاك وغير المتوقع. وهناك

علاقة متبادلة بين تلك القوانين فالأستراتيجية معنية بقانون الحركة، وفن العمليات، معني بالعملية(المناورة:حركة + قوة)، والتكتيك معني بقانون التعرض الذي يتحقق من خلال المعركة التي هي عبارة عن (الصدمة + قوة النار) ثم أوضحت ما تعنيه تلك القوانين من خلال الربط بينها ضمن دورة الحرب، وحتى تكون الصورة قريبة من الواقع قدمت نماذج لبعض المعارك التاريخية التي برز فيها تاثير تلك القوانين ومنها نموذج الحرب العراقية الأيرانية التي وجدت فيها الكثير من الدروس المهمة التي توضح دورة الحرب بشكلها الواقعي، إن موضوع دورة الحرب يعتبر من المواضيع المهمة جدا والتي ينبغي ان تعطى له أهمية خاصة من قبل القيادات السياسية والعسكرية على حد سواء وكذلك من قبل هيئات الركن العليا، لإن فهم هذا الموضوع مع المواضيع الأخرى التي جرى التطرق لها يقود إلى المعرفة السليمة لأدارة الصراع والحرب والتي قد تدعوا الحاجة والضرورة لها، وبغياب هذا الفهم فان الخسارة ستكون كبيرة على مستوى القوات المسلحة والبلاد عموما كما لاحظنا من خلال العديد من النماذج التاريخية. كما ختمت البحث بموضوع هو أخر لم يأخذ ما يستحقه من عناية، وهو كيف يمكن إن تنتهي الحرب، ولقد وجدت وقد يتفق معي الكثيرين إن قرار الحرب يكون دائما أسهل من قرار إنهاءها، وإن هناك الكثيرين ممن أتخذوا قرار الحرب ولكنهم لم يعرفوا كيف ينهوا الحرب، لذلك غالبا ما كانت تأتي النتائج خلافا لما خطط لها من أهداف، والتاريخ حافل بنماذج من هذا القبيل، إن الشي المهم في قرار إنهاء الحرب:إنه قرار يستوجب عناية بالغة من قبل الدارسين وأصحاب القرار وعليهم ان يعرفوا قبل كل شيء لماذا ذهبوا للحرب حتى يعرفوا كيف ينهوا الحرب، والدرس المهم الذي ثبتت صحته على الدوام هو: أذا أردت إن تنهي الحرب فينبغي إن لاتذهب للحرب، لإن الحرب عندما تقع فإنها تفقد الدولة والمجتمع توازنهما في الكثير من الجوانب الحياتية والإنسانية، أضافة لما يحصل من تدمير للبنى التحتية والأقتصادية والأجتماعية، وكثيرا ما يجد مخططوا ومنفذوا الحروب إن النتائج التي حصلوا عليها كانت أسوا بكثير من السابق.

ثبت المراجع

1. القرآن الكريم

الوثائق الوطنية

1 - دليل الجبهات والأعماق لفوج مشاة. دراسة معتمدة من قبل لقوات المسلحة العراقية. بموجب كتاب مديرية التطوير القتالي العراقية ش2 /1419في 29أذار 1983.
2 - من وثائق مديرية التخطيط في وزارة الدفاع العراقية السرية للغاية. خطط العمليات. 1980.
3 - محمد القادر الداغستاني. العقيدة العسكرية ومرتكزات السوق العراقي. دراسة معتمدة من قبل القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية. 1989.
4 - تحليل معركة توكلنا على الله الثالثة (تحرير الأراضي العراقية شرق العمارة) من وثائق كلية الأركان العراقية.

الكتب العربية والمترجمة

1 - أدورد ميد آيرآيرل وأخرين. رواد الأستراتيجية الحديثة. الكتاب الأول. ترجمة وتقديم محمد عبد الفتاح أبراهيم. مكتبة دار النهضة المصرية. القاهرة.
2 - د آياد خليل زكي. فلسفة الجهاد في الأسلام بين النظرية والتطبيق. دار سراج للدعاية والأعلان والتوزيع. عمان. الطبعة الأولى. 2006.
3 - د أحمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ. الطبعة الثانية. العربي للأعلان والنشر والطباعة.
4 - أكرم ديري والهيثم الأيوبي. نحو أستراتيجية عربية موحدة. داراليقضة بيروت. 1975

5 - ج. بوفر. مدخل الى الأستراتيجية. ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي. الطبعة الثانية. دار الطليعة. بيروت. 1970
6 - ج. فولر. أدارة الحرب. ترجمة أكرم ديري. دار النهضة العربية. بيروت. 1970
7 - ج. فولر.. التكنولوجيا والحرب الحديثة. ترجمة نخبة من العسكريين العرب. الطبعة الأولى. دار القلم. المكتبة الحديثة. بيروت. 1969.
8 - جريس هالسل. النبوءة والسياسة. ترجمة محمد السماك. دار الشروق. القاهرة. 1998
9 - جدعون روز. كيف تنتهي الحرب. ترجمة وتقديم خليل الخليل. تحليل سامي حسن. أكا نيوز. بيروت 2010
10 - جيمس ريزن. حالة حرب التاريخ السري للسي آي أيه وأدارة بوش.. ترجمة سامي الكعكي. دار الكتاب العربي. بيروت. 2006
11 - داود سلمان. نظريات الأستراتيجية العسكرية الحديثة. الطبعة الأولى. المطابع العسكرية. بغداد 1988
12 - د وليد عبد الملك الراوي. المنهج السلمي في نشر الدعوة الأسلامية في صدر الأسلام. دار أمنة للنشر والتوزيع. عمان. 2011
13 - زبغنيو بريجنسكي. رقعة الشطرنج. ترجمة أمل الشرقي. الطبعة الثانية. الأهلية للنشر والتوزيع. عمان. 2007
14 - حازم مشتاق طالب. التاريخ فكرا أستراتيجيا وأدبيا قصصيا. الطبعة الأولى. دار دجلة. عمان. 2010
15 - حارث لطفي الوفي. مباديء الحرب دراسة مقارنة. دائرة التدريب. مديرية التطوير القتالي. سلسلة بحوث عسكرية الرقم (479). بغداد. 1985.
16 - حسان عبد المنان المقدسي. فلسفة الجهاد وأوضاعها المعاصرة.
17 - كارل فون كلاوزفيتز. الوجيز في الحرب. ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. 1974
18 - كارل فون كلاوزفيتز. في الحرب. ترجمة اكرم ديري والهيثم الأيوبي. دار

الكاتب العربي للطباعة والنشر. القاهرة. 1970.

19 - ليدل هارت. الأستراتيجية وتاريخها في العالم. ترجمة الهيثم الأيوبي. الطبعة الأولى. دار الطليعة بيروت. 1967.

20 - ليدل هارت. القادة الألمان يتكلمون. ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي. الطبعة الأولى. مكتبة النهضة. بغداد. 1983.

21 - وليام بولك. لكي نفهم العراق. تقديم د. عبد الحي زلوم. الطبعة الأولى. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. 2006.

22 - مايكل هاندل. الحرب والسوق والأستخبارات. ترجمة فالح عبد القادر. الطبعة الأولى. دائرة التدريب. مديرية التدريب و التطوير القتالي. سلسلة الثقافة العسكرية الرقم(175). بغداد 1995.

23 - موسوعة الحرب العراقية الأيرانية. المجلد الأول. الطبعة الأولى. الدار العربية للموسوعات. بيروت. 1984.

24 - الموسوعة العسكرية العربية. الجزء الأول. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. 1977.

25 - موسوعة الحرب الحديثة. ترجمة سمير عبد الرحيم. الجزء الأول. دار المامون للترجمة والنشر. بغداد. 1990.

26 - موسوعة الحرب الحدديثة. ترجمة سمير عبد الرحيم. الجزء الثاني. دار المأمون للترجمة والنشر. بغداد. 1990.

27 - منير شفيق. فن علم الحرب. الطبعة الأولى. الدارالعربية للعلوم ناشرون. بيروت. 2008.

28 - المدخل للسوق والجغرافية العسكرية. مديرية التدريب العسكري وزارة الدفاع العراقية. بغداد. 1965.

29 - محمد فتحي. قاموس المصطلحات العسكرية. مديرية التدريب العسكري وزارة الدفاع العراقية. بغداد. 1975.

30 - محمود شيت خطاب. الرسول القائد. الطبعة الاولى. دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة. بغداد. 1960.

31 - محمد حسنين هيكل. الأمبراطورية والأغارة على العراق. الطبعة الأولى. دارالشروق. القاهرة. 2003.
32 - نادية حسن صقر. فلسفة الحرب في الأسلام. وزارة الأوقاف المصرية. المجلس الأعلى للشؤون الأسلامية. دراسات في الأسلام. القاهرة. 1990.
33 - ستروكوف. جنرال. آآستروكوف. تاريخ فن الحرب. ترجمة صباح الدين الأتاسي. الجزء الأول. اكاديمية العلوم السوفيتية. أصدار أدارة التدريب في القوات المسلحة السورية.
34 - ستروكوف. جنرال. آآ ستروكوف. تاريخ فن الحرب. ترجمة صباح الدين الأتاسي. الجزء الثاني. أكاديمية العلوم السوفيتية. اصدار أدارة التدريب في القوات المسلحة السورية.
35 - سكولوفسكي. الأستراتيجية العسكرية السوفيتية. ترجمة خيري حمادة. عالم الكتب. بيروت.
36 - سيمون هيرش. ثمن القوة. ترجمة خالد أسماعيل الصفار. بيت الحكمة. المطبعة العربية. بغداد. 2000.
37 - العسكرية الصهيونية. العقيدة والأستراتيجية الحربية الأسرائيلية. الجزء الثاني. مركز الدراسات السياسية والأستراتيجية. مؤسسة الأهرام. القاهرة. 1974.
38 - فرنان شنيدر. تاريخ الفنون العسكرية. ترجمة فريد إنطونيوس. الطبعة الأولى. منشورات عويدات. 1970.
39 - صن هايتشن. خدع الحرب. ترجمة فالح عبد القادر. الطبعة الأولى. دائرة التدريب. مديرية التدريب والتطوير القتالي. سلسلة الثقافة العسكرية الرقم (172). بغداد. 1994
40 - د صالح احمد العلي. تنظيمات الرسول الأدارية. مطبوعات المجمع العلمي العراقي. 1969.
41 - الفريق. رعد الحمداني. قبل ان يغادرنا التاريخ. الطبعة الأولى. الدار العربية للعلوم ناشرون. عمان. 2007.

42 - د رعد بيدر. الصدى السياسي للظواهر التاريخية في العلاقات العراقية الأيرانية. كتاب تحت الطبع.
43 - رالف سوير. المؤلفات التراثية العسكرية السبع للصين القديمة. ترجمة فالح عبد القادر. دائرة التدريب. مديرية التدريب العسكري والتطوير القتالي. سلسلة الثقافة لعسكرية العامة الرقم (178) بغداد. 1995
44 - د عبد العزيز صالح. الشرق الأدنى القديم. مصر والعراق. مكتبة الإنجلو المصرية. مطبعة محمد عبد الكريم حسان. القاهرة. 2004.
45 - د. عبد القادر محمد فهمي. المدخل إلى دراسة الأستراتيجية. دار مجدلاوي. عمان. 2006
46 - فؤاد بطاينة. شيطانية الأسفار وخطأ الغرب التاريخي. الطبعة الأولى. مطابع الدستور التجارية. عمان. 2007.

الصحف والمجلات والدوريات

1 - امجد عبد الله الزهيري. فن العمليات وقيادة الفيلق. المجلة العسكرية العدد (4) لسنة 1986. مديرية التطوير القتالي في وزارة الداع العراقية.
2 - أحمد علو. الأستراتيجية العسكرية واعلامها (كلاوزفيتز). مجلة الجيش. العدد (286) أبريل 2009.
3 - امجد حسن الزهيري. العناصر والمباديء للأستراتيجية العسكرية. محاضرة ألقيت في كلية الدفاع الوطني. جامعة الدفاع الوطني العراقية. بغداد. 2008.
4 - القوانين الأساسية للحرب. كلية الأركان العراقية. سلسلة محاضرات الحرب. حرب (3). 1970.
5 - محمد عبد القادر. الحرب العالمية الثالثة. مقالة. مجلة الحكمة. العدد 29. لسنة 2002.
6 - محمد عوض السرحاني. تطور العقيدة العسكرية الأسرائيلية. مجلة

الحرس الوطني السعودي.
7 - ماجد جورج جبارة. ثوابت ومتغيرات مباديء الحرب. مجلة الحرس الوطني السعودي. العدد 315في 1/8/2008.. 1/3/2007

الشبكة الإلكترونية

1 - أشهر عمليات المظليين. موقع ساحات الطيران العربي.
2 - العمليات العميقة في العقيدة الشرقية. منشورات موسوعة المقاتل. 1/1/2001 http://www.moqatel.com.
3 - أبو فرات. قراءة في كتاب محمد حسنين هيكل (الأمبراطورية والأغارة على العراق). موقع. منتديات الجغرافيون العرب. WWW.ARABGEOGRAPHERS.net.
4 - التكتيك. الموسوعة الحرة. ويكيبيديا. ar.wikipedia.org /wiki GlobalSecurity.org.
5 - العقيدة القتالية. موقع الباسل. www.albaseel.com.
6 - أستمرار البحث عن استراتيجية عسكرية أمريكية جديدة. موقع دراسات. www.iironline.org.
7 - العمليات العميقة في العقيدة الشرقية. منشورات موسوعة المقاتل. 1/1/2001 http://www.moqatel.com.
8 - العقيدة العسكرية والعقيدة القتالية. موقع. المنتدى العربي للدفاع والتسليح defense-arab.com/vb/indexphp 10/4/2009.
9 - العقيدة العسكرية الأسرائيلية تتغير تبعا لمفاهيم الحرب الجديدة. موقع. المنتدي العربي للدفاع والتسليح.
10 - العقيدة العسكرية الجديدة لروسيا. موقع. المنتدى العربي للدفاع والتسليح. 5/6/2010.
11 - أريك لوندورف. ويكيبيديا. 2009.

12 - أسماعيل ابراهيم كاخيا. الأستراتجية العسكرية المعاصرة والمذاهب العسكرية العالمية السائدة. موقع. مجلة الدفاع العربي.
13 - الحرب العالمية الأولى. موقع منتديات ستوب. stop55.com
14 - جورج تنت. في قلب العاصفة. ترجمة وتجميع رياض القيسي. منشور على النت.
15 - دروس من التاريخ العسكري. الحرب الخاطفة والحرب الشاملة. موقع مجلة ساحات الطيران العربي.
16 - حرب الثلاثين عاما. موقع الموسوعة المعرفية الشاملة.
17 - مبادىء الحرب. المبحث الثالث من أصل بحث تحت عنوان مباديءالحرب. الموسوعة الكتاب. 1/1/2001.
18 - محمد وليد الجلاد وهيثم كيلاني. الأستراتيجية. بحث. الموسوعة العربية. www.arab-ency./vb3/index.php.
19 - محمد جمال محفوظ. العقيدة في الفلسفة الأسلامية. موقع الفسطاط. 1/2000 http://www.fustat.com.
20 - مفهوم الأستراتيجية. موقع إنا مسلم. http://www.muslm.net.
21 - معركة نهاوند. ويكيبيديا.
22 - معركة نهاوند. موقع الملاحم والفتن. alfetn.com/vb3/index.php.
23 - عوامل انهاء الحرب منتدى أربد. irbidnt.re7an.net 27/1/2010.
24 - نبيل نايلي. عقيدة مكافحة التمرد. موقع. المنتدى العربي للدفاع والتسليح.
25 - نعومي كلاين. عقيدة الصدمة (صعود رأسمالية الكوراث) من منشورات شركة المطبوعات والتوزيع والنشر. موقع جزيرة نت. www.aljazeera.net.
26 - شريف عبد العزيز. القائد الفتى محمد بن القاسم فاتح بلاد السند. بحث. موقع الملتقى. m76qmm. 2004.
27 - تريتا بارزي. حلف المصالح المشتركة. التعاملات السرية بين أسرائيل وأيران والولايات المتحدة. ترجمة آمنة البغدادي. 2008. موقع

AsiaTimesonline.

المقابلات الشخصية

1 - محمد عبد القادر. خلاصة تحرير معركة تحرير الشلامجة 25/أيار /1988. مقابلة مع قائد الفيلق الثالث. خلال شهر أذار 2011.
2 - محمد عبد القادر. خلاصة معركة توكلنا على الله الرابعة. (شرق البصرة) (22تموز 1988). خلال شهر أذار 2011.

الملاحق

الملحق الرقم (1)

بالفصل الأول - المبحث الثاني

وثيقة المدينة

باشر الرسول (ص) منذ وصوله المدينة بالعمل على جعلها قاعدة صلدة لنشر السلام بين الناس ومن أهم ما قام به (ص) هو وضع نظام خاص لما ينبغي إن تكون عليه الحياة في المدينة، وكبداية لهذا المشروع وضع الرسول (ص) ما سمي بالوثيقة التي أعتبرت بمثابة بيان مسجل للتنظيمات التي يريد إن يتبعها الناس. ونصوص الوثيقة كما أوردها د. صالح أحمد العلي في بحثه المنشور من قبل المجمع العملي العراقي. مكونة من جمل قصيرة بسيطة وغير معقدة التركيب ويكثر فيها التكرار، وتستعمل كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر الرسول (ص) ثم قل أستعمالها فيما بعد حتى أصبحت مبهمة بالنسبة لغير المتعمقين في دراسات تلك الفترة.

تتكون الوثيقة من ثلاثة أقسام متميزة أولها يتعلق بالمسلمين وثانيها يتعلق باليهود وثالثها أحكام عامة تتعلق بأحوال المدينة، وإن ما يعنينا منها هي الأمور المتعلقة بأمر الحرب والسلم والتي تعتبر من أبرز ما أهتمت به الوثيقة وخصصت له عدة نصوص، ولا ريب إن الاهتمام به أمر طبيعي في تلك الظروف التي كان فيها الإسلام مقتصرا على المدينة، وكان محاطا بالخصوم والأعداء الذين يريدون القضاء عليه ويمكن إيجاز أهم تلك النصوص بما يلي:

1- الفقرة (17) (وإن سلم المؤمنين واحد لا يسالم مؤمن دون مؤمن في القتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم).

لقد عبرت هذه الفقرة على إن أحوال الحرب والسلم تتجلى فيها وحدة المدينة

كلها والمساهمين في الوثيقة لا من المؤمنين والمسلمين من أهل قريش ويثرب بل أيضا (من تبعهم فلحق بهم فلا يمكن إن يشترك بعض أهل المدينة في الحرب ويبقى بعضهم في حالة سلم مع العدو).

2- لا تقتصر أحكام الحرب والسلم على المسلمين ومن تبعهم فحسب، بل تمتد إلى اليهود أيضا وقد نصت على ذلك فقرة (16) (إن من تبعنا من يهود فإن له النصروالأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم) أما الباقين فقد نص على وجوب مناصرتهم للمسلمين في صد الهجمات الموجهة إلى المدينة.

3- نصت الوثيقة أيضا (فقرة (37) (إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الأثم) وواضح منها إن على اليهود الوقوف بجانب المسلمين ضد من يحارب المسلمين وإن عليهم مساندتهم وتأييدهم وعدم خيانتهم، ولكن الراجح إنه لم يطلب منهم ان يقاتلوا مع المسلمين، بل إن يقفوا على الحياد والواقع إنه ليس هناك إشارة أو دليل على قتالهم مع المسلمين كما ذكر د صالح أحمد العلي.

وفي الوثيقة مادة صريحة تجيز لليهود عدم الاشتراك في الحروب الدينية الإسلامية فقرة (45) (وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين).

4- وفي الوثيقة مادة تنص على إنه فقرة (43) (لا يخرج منهم أحد ألا بإذن محمد) ويقصد عدم السماح لليهود بإشهار الحرب إلا بإذن الرسول (ص) ولهذا تأثير كبير في عدم السماح لهم بمحالفة قريش كما وردت مادة أخرى منعت بموجبها التجارة مع قريش، فقرة 43(لا تجار قريش ولا من نصرها).

5- الفقرة(42) تضمنت الوثيقة الالتزامات المالية الناجمة عن الحروب التي قد يشترك فيها الفريقان فقد نصت على) إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين (وعلى اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم) الفقرة (37). أي إنه إذا

حدثت حرب وشارك بها اليهود فإنهم يقومون بدفع ما يحتاجونه من نفقات.

6- نصت الوثيقة (إن يثرب حرام حوفها لأهل هذه الصحيفة) فقرة 39 ومعنى هذا إن الحرب والقتال بين القبائل والعشائر داخل المدينة محرم.

من خلال أستعراضنا لهذه النصوص نرى بإن الرسول (ص) قد عمل على تنظيم الأمور في المدينة وبالأخص ما يتعلق بأمر الحرب والسلم وهدف من وراء ذلك إلى إقامة قاعدة قوية متماسكة للإسلام ومحاربة قريش بشكل غير مباشر.

الملحق الرقم (2) بالفصل الثالث - المبحث الأول



أسلوب الموقعة/ المعركة عند نابليون بونابارت

الملحق الرقم (3) بالفصل الثالث - المبحث الأول

معركة توكلنا على الله الثالثة (شرق ميسان) (12-14)تموز 1988

1- عام

بعد سلسلة معارك التحرير التي بدأت بتحرير الفأو في(17 نيسان 1988) ثم تلتـها معركـة تحـرير الشـلامجة فـي (25أيـار 1988) ثـم جزر مجنون فـي (25حزيران1988). جاء دور تحرير الأراضي الوطنية العراقية في قاطع شرق العمارة والتي كان الإيرانيون قد أستولوا عليها منذ شهر تشرين ثاني (1982)

ضمن منطقة الشرهاني والطيب.

تم تكليف قيادة الفيلق الرابع التي كانت تدافع عن منطقة شرق العمارة وقيادة قوات الحرس الجمهوري بتحرير هذه الأراضي من المحتلين وبأسرع ما يمكن، مع العمل على إيقاع أكبر ما يمكن من الخسائر بهم والأستيلاء على أكثر ما يمكن من الأسلحة والمعدات وبأقل ما يمكن من الخسائر.

كانت القيادة العامة للقوات المسلحة بعد إن اكتسبت من خبرات سني الحرب السابقة عدم إضاعة الفرصة أمام القوات العراقية وذلك بإدامة الضغط على العدو بسلسلة من العمليات الكبيرة من أجل تحرير كامل الأراضي العراقية وعدم منح أي فرصة للعدو لالتقاط الإنفاس والتفكير وإبقائه تحت الشلل الفكري وفقدان التوازن.

2- طبيعة منطقة العمليات: الأرض بشكل عام متموجة تكثر فيها الوديان والقطوع وتتحدد فيها الحركة على الطرق العامة والنياسم، وتأخذ بالارتفاع التدريجي كلما تقدمنا شرقا حتى تصل إلى أقصى ارتفاعها (200) م في منطقة الحدود الدولية ثم تبدأ بالانخفاض التدريجي عند دخولها الأراضي الإيرانية لتصبح صالحة لحركة كافة إنواع الآليات حتى منطقة دهلران المحصورة بين نهري دويريج والطيب، كما تضم عددا من الرواقم والعقد الحاكمة التي تكتسب ميزات تكتيكية ضمن المنطقة.

3- الظروف المناخية: الجو حار جاف صيفا وبارد ممطر أحيانا شتاءً، علما بإن أقصى درجة حرارة تبلغ في الصيف خلال شهر تموز وهي ما بين 45-50 درجة مئوية وهي الفترة التي نفذت فيها العملية.

4- قوات الطرفين:

القوات الإيرانية أمام قاطع الفيلق الرابع:

فرقة المشاة 21 (الحمزة) تتألف من لواء واحد زائد لواء مدرع

فرقة المشاة 77 (خراسان) تتألف من أربعة ألوية زائد لواء مدرع

لواء 40 سراب يتألف من أربعة أفواج

عشرة أفواج مدفعية

مجموعة مدفعية 55 زائد 7 بطرية خفيفة زائد رعيل قاذفات كراد 122ملم

الاحتياط - فوج خلف كل لواء

فوج مغأوير لكل فرقة

لواء مشاة ناقص 2فوج زائد فوج أستطلاع زائد كتيبة دبابات

القوات العراقية:

فرقة المشاة 20 وفرقة المشاة 29 تدافعان عن القاطع وكل فرقة مؤلفة من ثلاثة ألوية زائدا فوج مغاوير زائدا كتيبة دبابات

فرقة المشاة الآلية الأولى ناقصا لواءً مدرع

فرقة المشاة الآلية الخامسة (2لواءً آلي +لواء مدرع)

أحتياط الفيلق

لواء مشاة زائدا فوج مغأوير

المدفعية

بمعدل أربعة كتائب لكل فرقة = 20 كتيبة

مدفعية الفيلق تتألف من 3 كتائب متوسطة

المجموع = 23 كتيبة

2 كتيبة صواريخ كراد 122ملم

5- فكرة المناورة للفيلق الرابع

1 - الهجوم بجهد رئيسي متوازن مؤلف من رتلين يستهدفان أحتلال المنطقة المحصورة بين مرصد القائد م.ت (3088) وحتى مخفر حماد م. ت (248)، مع القيام بالأستثمار وأستغلال النجاح الذي يحققه الرتل الثاني بعد الصفحة التى تندفع بأتجاه مفرق الطرق في م.ت (2491) والتطوير بأتجاه العارضة الحدودية حتى منطقة الراقم (207) م.ت (2395) ومنطقة تقاطع الطرق في م.ت (2790)

2 - الهجوم بجهد ثانوي لأحتلال مجموعة الرواقم المقابلة لمخفر حماد.

3 - الإندفاع من العارضة الحدودية بعد أحتلالها بقوة آلية أو مدرعة على المحاور الرئيسية لتدمير العدو ضمن منطقة بيات - موسيان - جم صريم

4 - القيام بعملية صولة جوية بفوج مغاوير لغرض أحتلال الرواقم المهمة على محاور التقدم الرئيسية أو تقاطعات الطرق أو المقرات المعادية عند مساعدة الموقف وعندما تدعوا الحاجة لذلك.

موجز سير العملية

بدأ الهجوم بقصف تمهيدي الساعة 6:45 يوم 12تموز 1988 لمدة 30 دقيقة.

الساعة 7:15 شرعت الفرقتان 20 و29 بتنفيذ أهداف الصفحة الأولى وهي أحتلال العوارض الحدودية التي تحت سيطرة العدو وبالساعة 800 تمكنت الفرقتان من أحتلال معظم أهدافهما.

الساعة 8:30 صدرت الأوامر إلى الفرقة الألية الأولى بالإندفاع من خلال الفرقة (20) والفرقة الآلية الخامسة من خلال الفرقة (29) اللتان أصبحتا قواعد لإنطلاق الفرق المدرعة.

الساعة 10:25 أصدر الإيرانيون أوامر إلى قطعاتهم بالإنسحاب لفشلها بالدفاع وخشية من تطويق قواتهم.

الساعة 10:30 تمكنت الفرقتان الأولى والخامسة من أحتلال أهدافهما، ولأستغلال حالة الإنهيار للعدو جرى تطوير الهجوم بأتجاه موسيان ونهر عنبر لحصر أكبر ما يمكن من قوات العدو.

صدرت الأوامر إلى الفرقة الآلية الخامسة بتسليم أهداف الفرقة إلى الفرقة الآلية الأولى والتطوير بأتجاه دهلران.

الساعة 17:30 يوم 13 تموز إندفعت الفرقة الآلية الخامسة إلى دهلران وطوقت المدينة وسيطرت على كل القوات الموجودة ضمنها ثم باشرت بإخلاء الغنائم من أسلحة ومعدات وأسرى.

الساعة 18:05 يوم 15 تموز 1988 صدرت الأوامر إلى الفرقة الآلية الخامسة لتطوير الاندفاع باتجاه غرب نهر الطيب لحصر العدو المتواجد هناك - نفذت الفرقة الواجب وتمكنت من أحتلال مقر لواء(3) من الفرقة (21)الإيرانية المتواجد هناك وتمكنت من أسر(102) من أفراده والأستيلاء على كامل أسلحته ومعداته. وبذلك إنتهت العملية بأستعادة كامل الأراضي الوطنية وتدمير قوات العدو المدافعة عن المنطقة كليا ولكامل العمق العملياتي الذي تجاوز 50 كم.

راجع المخططات المرفقة مع هذا الملحق

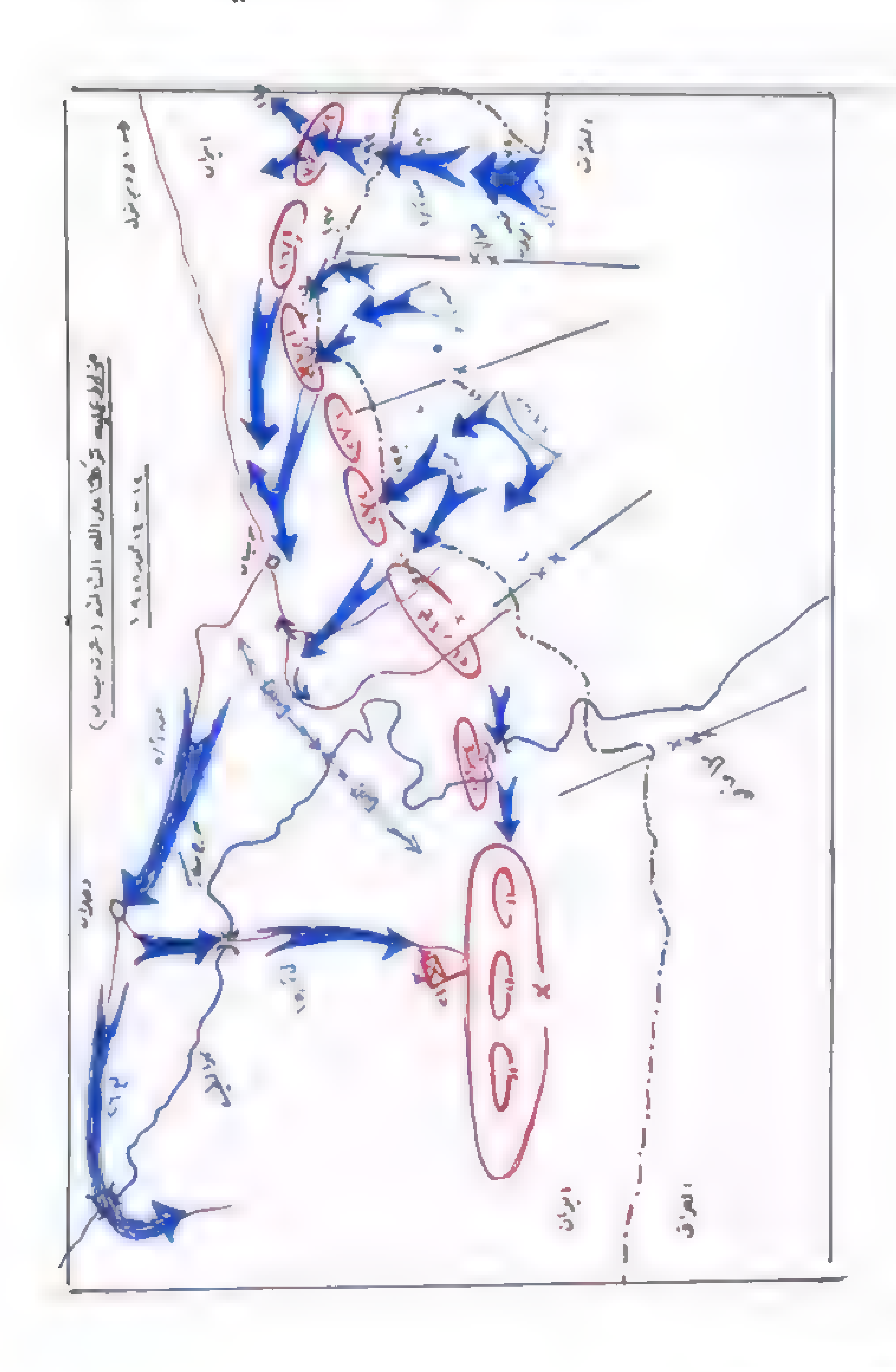
6- أهم ما تميزت به هذه العملية:

آ- السرعة الكبيرة في تنفيذ العملية والتي تحققت من خلال الهجوم بالقطعات المدرعة مع الجرأة في التنفيذ والتي تمثلت بالإندفاعات العميقة والسريعة والتي لم تعط المجال للعدو بالتفكير وأتخاذ القرارات.

ب- المرونة العالية في تغير مهام التشكيلات التعبوية (الفرق) حسب متطلبات الموقف وهي إحدى أهم ميزات فن العمليات الذي سبقت الإشارة إليه في مستوى الفيلق والتي تدلل على المستوى التدريبي العالي والخبرات التي وصلت اليها القطعات العراقية.

ج- أستهدفت العملية العمق العملياتي لقوات العدو المدافعة عن المنطقة، وهي حالة تؤكد أهمية العملية العميقة وقيمتها العملياتية والتي تستهدف العمق الكامل لدفاعات العدو وأحتياطاته في حسم العملية وإنهاكها كليا.

د- تعتبر هذه العملية من العمليات التعرضية النموذجية التي تنفذ بمستوى الفيلق والتي طبقت فيها أغلب أسس فن العمليات التي سبقت الإشارة إليها.



الملحق (4) بالفصل الثالث - المبحث الأول

خلاصة لمعركة تحرير الشلامجة (توكلنا على الله الثانية) (25 أيار 1988)

تعتبر منطقة(الشلامجة - كوت سوادي - بوبيان) الواقعة شرق البصرة من المناطق المهة جدا من الناحية الأستراتيجية، لإنها تشكل محور من أهم المحاور التي يستهدفها العدو الإيراني للتقرب بأتجاه البصرة، والتي حاول مرارا أحتلالها بسلسلة من المعارك منذ عام (1982) والتي إنتهت عام(1987) بأحتلال هذا القاطع الحيوي، بعد معركة أستمرت أكثر من ثلاثة أشهر والذي سمي بعام الحسم من قبل الإيرانيين، أما العراقيون فسموه الحصاد الأكبر لكثرة ما حصل فيه من خسائر من الطرفين، حيث تكبد الأيرانييون بحدود(400000)شخص بين قتيل وجريح. بعد أحتلالهم المنطقة إنشأوا فيها منظومة دفاعية معقدة جدا بشكل مواضع متعاقبة، وأشغلوها بقوة كبيرة مؤلفة من فرقة مدرعة وثلاث فرق حرس خميني ووحدات من ثلاث فرق أخرى بلغ عددها (38) فوجا، تساندهم ثلاث مجموعات من المدفعية قوتها (11) فوج (6) بطرية هاون ثقيل.

قوة العدو التي كانت أمام قاطع الفيلق عند تنفيذ الهجوم فكانت:

فرقة مشاة وحرس خميني عدد (2)

لواء مدرع زائد كتيبة دبابات

كتيبة مدفعية عدد (7)

هاون ثقيل عدد (2) بطرية

أما قوات الفيلق الثالث التي كانت مسؤولة عن القاطع والتي كلفت بمعركة التحرير فكانت مؤلفة من:

الفرقة الثالثة المدرعة + لواء مشاة

الفرقة الألية الخامسة + لواء مدرع

احتياط 2 لواء مشاة

نسبة التفوق بالدروع 6 /1

المدفعية

25 كتيبة مدفعية = (450) فوهة

كتيبة صواريخ كمراد عدد 2= (144) فوهة

بط هاون ثقيل عدد (12) = (72) فوهة

هاون متوسط (750) فوهة

دبابات لواء مدرع ترمي من مواضعها على مواضع العدو بشكل مباشر (2) كتيبة =60 فوهة

كتيبة صواريخ أرض أرض عدد (2)

عدد الفوهات النارية يصبح (1476) عدا صواريخ أرض أرض والقوة الجوية

نسبة التفوق بالمدفعية بحدود 10 /1

جبهة الخرق والعمق للعملية واستثمار الفوز:

جبهة الخرق لقوة الهجوم للصفحة الأولى (8) كم

عمق العملية (10) كم من الشمال إلى الجنوب

مدة القصف التمهيدي (45) دقيقة بمعدل الرمي (3) قنبلة /دقيقة مجموع القنابل التي سقطت على المواضع المعادية خلال مرحلة القصف التمهيدي

(199260) قنبلة كمعدل

نسبة المدافع إلى جبهة الخرق = (184) فوهة لكل (1)كم من جبهة الخرق

بدأت العملية الساعة (08:45) يوم (25) أيار بإندفاع القطعات المؤلفة من فرقة مدرعة زائدا لواء وفرقة مشاة ألية زائدا لواء مدرع وأحتياط مؤلف من لوائي مشاة، حيث نفذت العملية بثلاث صفحات، وإنتهت بأحتلال كافة المواضع المعادية وتحرير الأراضي العراقية بالساعة (16:00) من نفس اليوم أستغرقت العملية (سبع ساعات وخمس عشرة دقيقة).

يلاحظ إن عمق العملية كان محدودا قياسا لمستوى الفيلق، والسبب هو كون المواضع المعادية كانت معقدة جدا سواء من ناحية طبيعة الأرض أو الدفاعات المعادية حيث كانت تتطلب الكثير من الجهد والوقت لتخرقها ومن ثم تجاوز تلك الصعوبات والعقبات، وهذا هو السبب أيضا في التركيز على القوة النارية بهذا الحجم الكبير، الذي أتاح للقطعات السرعة في الخرق والاستثمار، وفي هذا المجال يظهر دور الحركة والقوة (النار) في تحقيق مناورة ناجحة.

أخذت المعلومات من قبل قائد الفيلق الثالث الذي تفذ العملية بشكل مباشر.

الملحق الرقم (5) بالفصل الثالث - المبحث الأول

معركة توكلنا على الله (الرابعة) - تحرير منطقة مخفر زيد والسدة الحدودية (22 - 24 تموز 1988).

بعد سلسلة المعارك التعرضية التي نفذت لتحرير الأراضي العراقية من الأحتلال الإيراني في الفاو والشلامجة وشرق ميسان، صدرت الأوامر إلى قيادة الفيلق الثالث المتواجد شرق البصرة لأستكمال تحرير باقي الأراضي المحتلة ضمن قاطعه، وهي منطقة القواعد التي إنشاها الإيرانيون على السدة الحدودية أمام قاطع فرقة المشاة /30، ومنطقة مخفر زيد والسدة الحدودية بينها وبين مخفر بوبيان أمام قاطع فرقة المشاة الثامنة. وكان الإيرانيون قد

غمروا المنطقة الكائنة بين مواضعهم ومواضع القوات العراقية ليشكلوا بينهما مانع صناعي عرضه ما بين(2-3 كم) يتغذى من خلال قناة تصريف تأخذ مياهها من نهر الكارون. كما قاموا بتقوية دفاعاتهم بإنشاء سواتر ترابية جديدة وفي عمق أراضيهم وأشغلت بقطعات مع أسلحة ساندة كعمق لمواضعهم الأمامية، حاول الإيرانيون إيقاف حالة التردي التي أصابت قواتهم بعد سلسلة المعارك السابقة من خلال تعزيز قواتهم وإعادة ترتيب أوضاع دفاعاتهم لإيقاف زحف القوات العراقيـة، وأكدوا على حماية أهدافهم الأستراتيجية بأفضل ما كان موجودا لديهم من قوات نظامية وغير نظامية، وكان تركيزهم على مدينتي المحمرة والأهواز في القاطع الجنوبي لتأثيراتهما الأستراتيجية على مجرى الصراع.

كان مجمل القوات الإيرانية يتألف من (3) فرقة حرس خميني ووحدات من (3) فرق أخرى، تسندها عشرة أفواج مدفعية وأعداد كبيرة من الهاونات وأسلحة مقاومة الدبابات، كما أحتفظوا بأحتياط قريب مؤلف من (3) فرق تم حشدها شمال المحمرة و(3) فرق أخرى متحررة للتدريب شمال الأهواز. كما إنشأوا (13) برجا للرصد يترأوح أرتفاعها ما بين (25-40) م لتؤمن لهم رصد ساحة المعركـة. أمـا منطقـة كشـك البصـري التـي تمثـل الجنـاح الأيمن لموضعهم فقد أشـغلوها بمـا تبقـى لـديهم مـن قطعات الفرقة المدرعة (92) وعززوهـا بأربعـة أفواج حرس خميني.

قوات الفيلق الثالث:تتالف من(5) فرقة مشاة و(2) فرقة مدرعة زائدا فرقة ألية ناقص التحقت بعد الصفحة الأولى، بأسنادها (28) كتيبة مدفعية أضافة إلى الهندسة زائدا جناح طيران الجيش.

كانت مشكلة قائد الفيلق هي أيجاد منفذ لدخول قوات الهجوم عبر المنطقة المغمورة بالماء بأتجاه منطقة مخفر زيد أولا، للسيطرة على السدة الحدودية، ومن أجل ذلك قام الجهد الهندسي للفيلق بإنشاء طريق بعرض (12) م وبطول (2) كم عبر منطقة الأغمار يربط قاطع الفرقة الثامنة بمنطقة مخفر زيد، وكان

العمل يجري ليلا فقط من خلال فتح السدة الامامية لقطعات الفيلق لعمل الجهد الهندسي وأعادة غلقها قبل الضياء الأول وهكذا يتم يقليص الفجوة إلى أخر يوم.

كانت فكرة العملية تتلخص باندفاع سريع ومباغت من منطقة كشك البصري يستدف الجناح الأيمن لموضع الأيرانين بقوة (فرقتين مدرعة:هما الثالثة والسادسة) ومن ثم تتجه بأتجاه طريق الأهواز - المحمرة، ثم تنحرف جنوبا على محور الطريق إلى نهر العرايض في المنطقة المقابلة لمخفر بوبيان لأحاطة قوات العدو المدافعة في منطقة مخفر زيد، وفي نفس الوقت تقوم فرق المشاة المدافعة على طول الجبهة وهي (الفرق 11و19و8 و30) بالهجوم على مواضع العدو الكائنة أمامها لتحرير الأراضي الوطنية أمام الفرقيتين (الثلاثين والثامنة) وتدمير العدو وأرباكه أمام قواطع الفرق (42و19و11). ومن ثم تطوير العمل إلى عمق دفاعات العدو من أجل السيطرة على معسكر حميد ومقر العمليات البرية شرق الحسينية. راجع المخطط (أ) المرفق بالملحق الرقم (4).

في الساعة(530) يوم (22 تموز 1988) تم الشروع بتنفيذ المهمة بعد أكمال فتح المجازات والممرات في حقول الألغام وربط الطريق عبر منطقة الأغمار وطرد حجابات العدو من منطقة مخفر زيد وأحتلال مواضعها. بعد قصف تمهيدي أستمر مدة نصف ساعة، بعدها اندفعت الفرقة المدرعة الثالثة من منطقة كشك البصري بعد خرق دفاعات الأيرانيين، وبعد حوالي ساعة ونصف وصلت الفرقة الثالثة طريق الأهواز - المحمرة شرق كشك البصري، وبعد قليل أحتلت الفرقة (11) الأهداف المحددة لها على نهر العرايض وسيطرت على راس الجسر من الضفة القريبة ثم أكملت الفرقة (19) أحتلال الضفة البعيدة، ثم تلتها الفرقة الثامنة التي تمكنت من تحرير منطقة مخفر زيد ثم الفرقة (20) التي احتلت القواعد على السدة الحدودية، كما تمكنت الفرقة الثالثة المدرعة من أكمال واجباتها بالساعة 815 وشكلت قاعدة أمينة لإنطلاق الفرقة المدرعة

السادسة التي أجتازت المعابر للإندفاع جنوبا، وبالساعة 1035 وصلت الفرقة إلى منطقة مفرق الحسينية، ثم تمكنت الفرقة الثالثة من أدامة التماس مع قطعات الفرقة الثامنة في منطقة مخفر زيد وبذلك أكملت الأحاطة لمواضع العدو كما أمنت باقي الفرق التماس فيما بينها. وتمكنت القوات من السيطرة على أعداد كبيرة من الأسرى والمعدات.

وحتى يستكمل الفيلق مناورته التي تهدف الوصول إلى عمق الموضع الدفاعي وتدمير قواته تدميرا كاملا، إندفعت الفرقة المدرعة الثالثة يوم(23) تموز إلى معسكر حميد الذي يحتوي على أحتياطات الأيرانيين ومراكز تدريب قواته تعقبها الفرقة الألية الأولى التي أحتلت مقر العمليات البرية قرب مفرق الحسينية، ومن بعد أحتلاله فقدت السيطرة على القوات الإيرانية في المنطقة الجنوبية وإنهارت مقاومتهم، أما الفرقة المدرعة السادسة فقد تمكنت من تطويق المحمرة. راجع المخطط (ب) بالملحق الرقم (4) وبسبب صدور موافقة إيران على قراروقف إطلاق النار الرقم (598) أضطرت القيادة العراقية إلى إصدار الأمر إلى قطعات الفيلق الثالث بالإنسحاب إلى الحدود الدولية أستجابة لنداء مجلس الأمن الدولي.

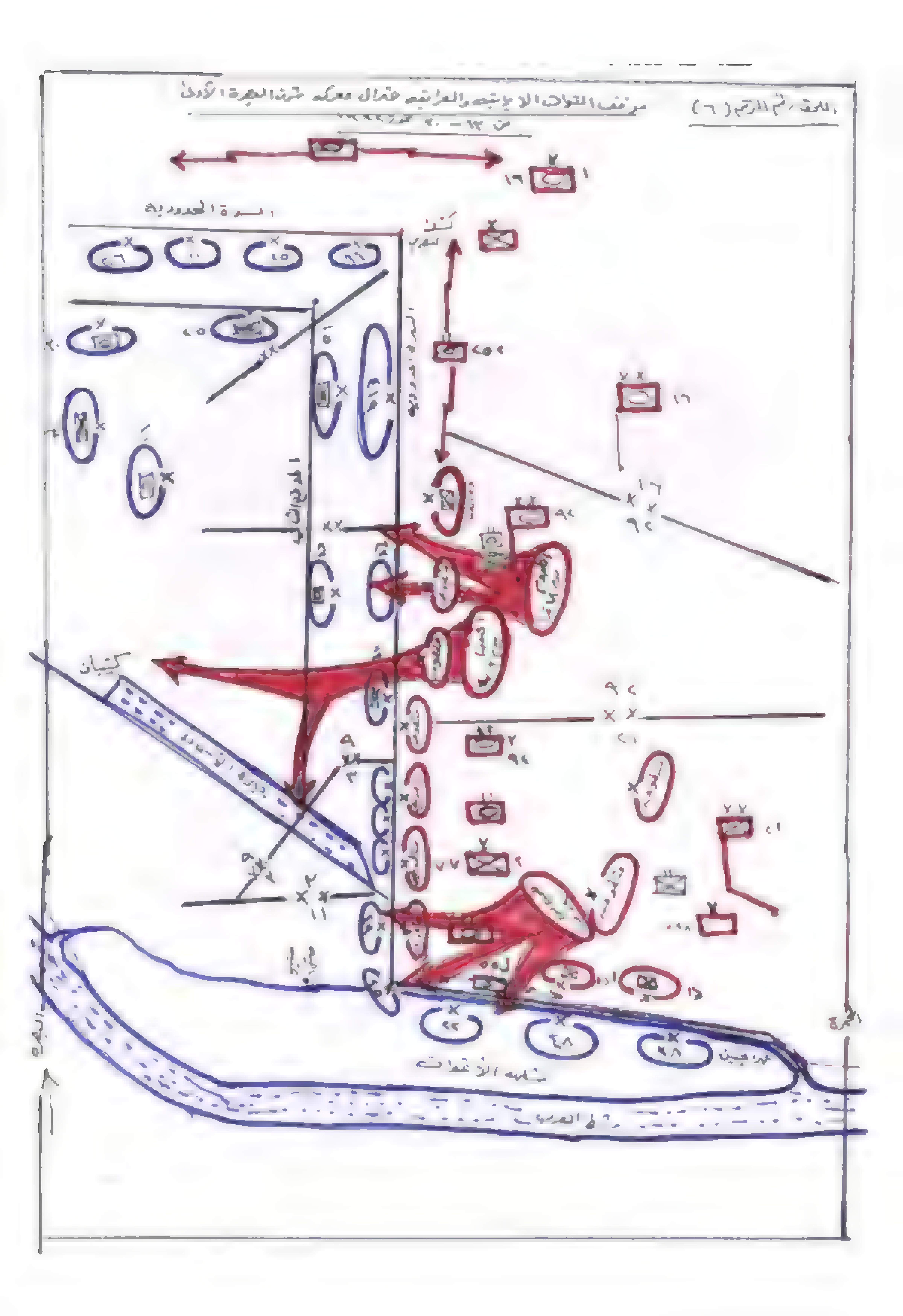
كانت عملية الفيلق الثالث تمثل نموذجا متكاملا لعملية تعرضية بمستوى فيلق، طبق فيها الفيلق مناورة ضرب الجناح والإحاطة، ثم تطبيق العملية العميقة التي أستهدفت عمق دفاعات العدو ولمدى يزيد على (30) كم. كما برز فيها الدرس التاريخي المهم وهو استهداف مقر قيادة العدو الذي بإكمال السيطرة عليه تفقد السيطرة على القوات وتنهار دفاعات العدو.

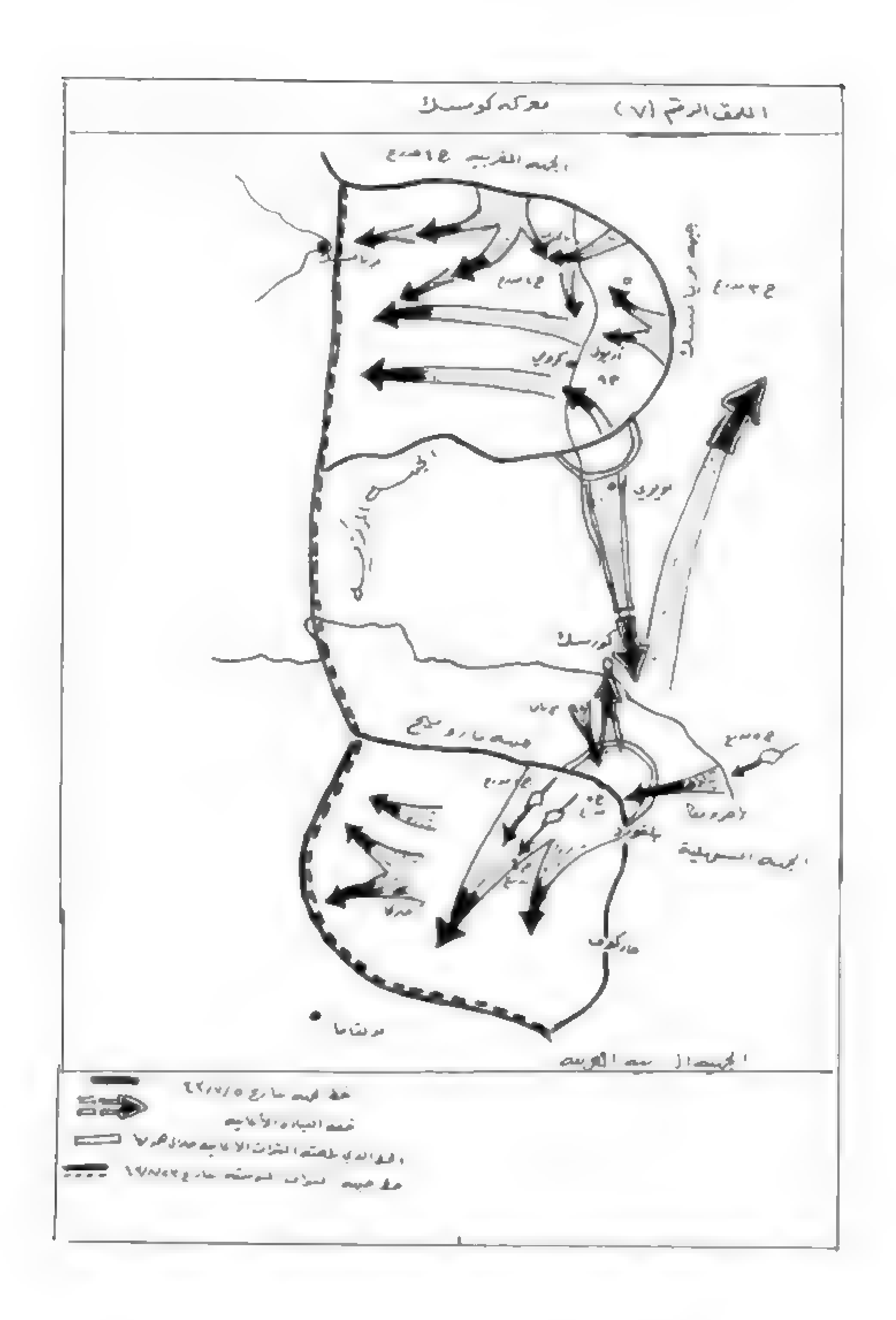


مخطط معركة توكلنا على الله (الرابعة) . يوم ٢٢ تموز



مخطط معركة توكلنا على الله (الرابعة) . يوم ٢٣ تموز


الملحق رقم (٦)
موقف القوات الإيرانية والعراقية خلال معركة شرق البصرة الأولى
كيتبان
البصرة
القرنة



الملحق الرقم (8) الفصل الثالث- المبحث الثاني

خلاصة لدراسة الجبهات والأعماق

1- أعدت دراسة الجبهات والأعماق لفوج مشاة عراقي في صفحة الدفاع على ضوء خبرة الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988) بقصد التوصل إلى قياسات يمكن الأسترشاد بها من قبل القيادات من مستوى الفوج - الفرقة. أستنادا إلى هذه الدراسة صدرت كراسمة رسمية تحمل نفس العنوان صدرت بموجب كتاب مديرية التطوير القتالي الرقم ش1419/2في 29إذار 1983.

2- اختصارا للدراسة سيتم التركيز على العوامل المؤثرة على قياسات الجبهة

والعمق، كونها تشكل المحور الرئيسي في تلك الدراسة أما الحسابات التفصيلية والقياسات المقترحة فيمكن الرجوع إلى الكراسة المذكورة لمن يرغب الأستزادة من المعلومات.

3- العوامل المؤثرة على قياسات الجبهة والعمق:

أ- طبيعة الأرض: تتحدد تأثيرات طبيعة الأرض بالعوامل التالية:

أولا. الأرض المفتوحة - تكون الجبهات فيها واسعة بسبب إمكانية الحصول على أقصى تأثير من الأسلحة إضافة إلى إمكانية الرصد الجيد والقدرة على المناورة بالقطعات والنيران.

ثانيا. الأرض المتكسرة والمتموجة - تكون الجبهات فيها ضيقة بسبب التحديدات التي تفرض على الأسلحة إضافة إلى تحديدات الرصد والمناورة سواء بالقطعات أو بالنار والحاجة إلى تامين عمق جيد.

ثالثا. الأراضي المشجرة والغابات - تكون الجبهات فيها ضيقة لنفس الاعتبارات المبينة في الفقرة (ثانيا).

رابعا. الأراضي الجبلية - تكون الجبهات فيها واسعة نسبيا في حالة عدم توفر طرق تقربية بأتجاه المواضع الدفاعية، بسبب ما تقدمه الأرض من إمكانيات رصد جيدة، مع القدرة على الدفاع بقطعات قليلة لمناعة الأرض.أما عند تيسر طرق تقربية فإن الجبهات تكون ضيقة بسبب الحاجة إلى العمق الذي سيكون العامل المؤثر في مثل هذه الحالة لتجنب عمليات الإحاطة، إضافة إلى ضرورة تأمين أعلى كثافة نارية على الطرق التقربية مع منظومات موانع قوية ومؤثرة، إن شكل الدفاع في مثل هذا النوع من الأراضي سيأخذ أسلوب النقاط الحصينة المتساندة القادرة على الدفاع إلى جميع الجهات وبمستوى لايقل عن السرية لكل نقطة.

ب- نوع الواجب:

يؤثر نوع الواجب على جبهة وعمق الموضع الدفاعي من خلال العوامل التالية:

أولا. إذا كان الدفاع تجاه جهد رئيسي معاد فعندئذ تقل الجبهة ويزداد العمق.

ثانيا. إذا كان الدفاع تجاه جهد معادي ثانوي فعندئذ تتسع الجبهة ويقل العمق، ويكون التعويض عن العمق بالأحتياطات.

ثالثا. إذا كان الدفاع بقصد منع العدو من أحتلال الأرض ذات الأهمية التعبوية، فإن الجبهات ستكون ضيقة والعمق كبير.

رابعا. إذا كان الدفاع بقصد تعويق العدو وإلحاق خسائر به، فعندئذ يمكن القبول بجبهات واسعة مع مواضع أعاقة متعاقبة.

ج- نوع وحجم التهديد المعادي

يؤثر هذا العامل على جبهة وعمق الموضع الدفاعي من خلال الأمور التالية:

أولا. إذا كان التهديد المعادي يعتمد الدروع بشكل أساسي فإن ذلك يعني إن هجماته ستكون سريعة وعميقة ويتطلب ذلك كثافة عالية من أسلحة م/دب بشكل أساسي إضافة إلى العمق الذي يجب إن يحوي أسلحة م/دب مع وجود أحتياطات مدرعة قوية. العامل الرئيسي في حساب الجبهة والعمق في مثل هذه الحالة سيعتمد على أسلوب انفتاح دروع العدو وكثافة هجومه، والمهم في ذلك هو إن كثافة أسلحة م/دب على قطاع الهجوم المتوقع ينبغي إن تكون كافية لتدمير دروع العدو ضمن ذلك القطاع إضافة للمدفعية وحقول الألغام التي سيكون لها تأثير كبير على العدو سواء من خلال التعطيل أو التدمير وهذا ينعكس بالتالي على الجبهات والأعماق، وتزداد الجبهات في حالة تيسر أسلحة م/دب متطورة وتقل إذا كان العكس.

ثانيا. إذا كان التهديد المعادي يعتمد المشاة بشكل أساسي فإن ذلك يعني بإن هجماته ستكون بطيئة نسبيا ومحدودة بالعمق أيضا. إن العامل الرئيسي في

حساب الجبهة في مثل هذه الحالة هو كثافة الهجوم المعادي، أي ما يمكن للعدو إن يقدمه ضمن كل (1كم2) من الجبهة (تحسب الكثافة بالرجوع إلى أساليب قتال العدو أو من خبرة المعارك) بعد تحديد هذه الكثافة يجري حساب مقدار التأثير المطلوب إحداثه على العدو من خلال (أسلحة المشاة والمدفعية والألغام)، إن كافة هذه التأثيرات يجب إن تحسب بشكل دقيق لضمان تحقيق التفوق التام على العدو وتدميره، المهم في الموضوع هو إمكانية تأمين نار كثيفة ضمن قطاع الهجوم المحتمل بما يضمن تدمير موجات العدو، مع حساب نسبة من الاحتياط لمواجهة احتمالات شل أو تدمير جزء من الموضع، بعد حساب كثافة الأسلحة المطلوبة يجري تحويلها إلى جهد ثم جبهات ومسؤوليات لحجم ونوع الوحدات وجبهاتها التي ستكلف بالدفاع عن الموضع وكذلك حجم الإسناد الناري وشكل منظومة الموانع بضمنها نوع حقول الألغام وكثافتها ودرجة التعويق أو الخسائر المطلوب إحداثها في قوة العدو المهاجمة، وكمبدأ عام كلما زادت كثافة هجوم العدو قلت الجبهات والعكس صحيح.

ثالثا. إذا كان للعدو إمكانية حشد نيران مدفعية بكثافة عالية مع هجوم كثيف بالمشاة فهذا يتطلب بالضرورة بعد حسابات الكثافات المبينه آنفا زيادة نسبة الأحتياط وعندها ستزداد الكثافة وبالتالي ستقل الجبهة وسيزداد العمق.

رابعا. إذا اعتمد العدو الهجمات الليلية بالمشاة بشكل أساسي فإن ذلك سيفرض على المدافع زيادة الكثافة النارية بقصد زيادة أحتمالية الإصابة، وتزداد الكثافة النارية عند الهجوم الليلي بمعدل((1.5 مرة عن الهجوم النهاري، وهذا بدوره سيفرض زيادة في عدد الأفواه النارية ضمن قطاع الهجوم المحتمل وبالتالي سيؤثر على جبهة الموضع الدفاعي التي ستقل عن القياس الاعتيادي، وإذا ما أضفنا إليه تقليل الثغرات بين مواضع الوحدات الفرعية أيضا بسبب الحاجة إلى السيطرة الجيدة على الأرض عندها ستقل جبهة الأفواج بشكل ملحوظ، أما إذا كان الهجوم المعادي نهاري فإن الجبهة ستزداد أيضا ولكن الحاجة ستزداد لعمق أكثر لمواجهت احتمالات الخرق المعادي.

خامسا. القدرة القتالية للعدو - وتشمل على التنظيم والتسليح ودرجة التكامل ومستوى التدريب والروح المعنوية، كل هذه العوامل تؤثر بشكل أو بأخر على جبهة الموضع، فإذا كانت قدرةالعدو القتالية جيدة فان ذلك سيفرض على المدافع جبهات قوية ومتماسكة مع تأمين أعلى كثافة نارية وعندها ستكون الجبهات أيضا ضيقة والعكس صحيح.

د- موقف القوات المدافعة

يؤثر موقف القطعات المدافعة على الجبهات والأعماق لمواضعها الدفاعية من خلال العوامل التالية:

أولا. التنظيم والتسليح

يؤثر تنظيم الوحدات على الجبهات والأعماق فمثلا هناك أفواج سهول رباعية السرايا وهناك أفواج مشاة ثلاثية السرايا وهناك أفواج آلية ثلاثية السريا، وعدد الوحدات الفرعية الموجودة في الفوج مثلا وما هو متيسر لديه من أسلحة خفيفة وساندة تؤثر على جبهته وعمقه، فالفوج الرباعي يستطيع أخذ جبهة أكبر من الفوج الثلاثي، كما إن وجود ناقلات الأشخاص المدرعة والرشاشات الموجودة في الفوج الآلي تمكنه من أخذ جبهة أوسع نسبيا بسبب توفر قابلية الحركة التي تمكنه من التعويض عن العمق الثابت بالأحتياط سريع الحركة،أما الأفواج المجهزة بعجلات قتال مدرعة فإن لها القدرة على أخذ جبهات أوسع خصوصا تجاه هجوم العدو المدرع، ولكنها غير كفوءة تجاه هجمات المشاة الكثيفة بسبب قلة عنصر المشاة فيها ولكونها لم تصمم للدفاع الموضعي الذي يفقدها الكثير من مزاياها المتمثلة بقابيلة حركتها الكبيرة وقدرتها على القتال مع الدروع، كما يؤثر التسليح أيضا على الجبهات والعمق من خلال عدة أمور منها الرشاشات بعيدة المدى وأجهزة الرؤيا الليلية والرمي الليلي.

ثانيا. القدرة القتالية.

القدرة القتالية كما سبق التطرق إليها وكما سيرد شرحها لاحقا هي عبارة عن معدل لعدد من المعاملات (القدرة النظرية للأسلحة ثم القدرة التدميرية أو العملية للأسلحة، تعامل مع العوامل الطبيعية وعوامل التشغيل) نتائج تلك القدرات لها تأثير كبير على الجبهات والأعماق فالفوج أو التشكيل الذي يتمتع بقدرة قتالية جيدة جدا يتمكن من إشغال موضع قياسي وقد يتعدى حدود تلك القياسات في بعض الأحوال خصوصا عندما يتعامل مع عدو له قدرة قتالية أقل منه، أما الوحدات التي تكون بقدرة قتالية متدنية فلا يمكن إن تأخذ الجبهات القياسية وإذا ما كلفت بواجبات في حالات معينة فينبغي عندئذ إن تكون جبهاتها ضيقة مع ضرورة تأمين العمق اللازم لها، كما ينبغي ملاحظة عدم وضعها تجاه هجوم رئيسي للعدو، لذلك يمكن القول بإن القدرة القتالية تعكس إمكانية القتال والتأثير على العدو ضمن القاطع المطلوب الدفاع عنه وبحساب كثافة الأسلحة المطلوبة ضمن الموضع يمكن التوصل إلى الجبهة الحقيقية بما هو متيسر من أسلحة ضمن الوحدات والتشكيلات، المهم في كل ذلك إن على القادة والآمرين وهيئات الركن تجاوز الأسلوب القديم في تقدير الواجبات وهو وحدات مقابل وحدات، بل ينبغي حساب القدرات القتالية لتلك الوحدات والتشكيلات بما يقابلها عند العدو.

ثالثا. الوضع القتالي:

الوضع القتالي هو موقف الوحدة أو التشكيل خلال عملية اتخاذ الوضع الدفاعي ويبرز تأثير هذا العامل من خلال الأمور التالية:

هل إن الموضع الدفاعي يجري إعداده تحت تأثير العدو أو خارج تأثيره، في الحالة الأولى ستبرز الحاجة إلى زيادة الكثافة النارية للتعويض عن النقص الذي سيحصل في إعداد الموضع وكذلك منظومة الموانع إضافة إلى الحاجة إلى تقليل الثغرات بين الوحدات الفرعية وهذه ستؤثر على الجبهة التي ستكون ضيقة في مثل هذه الحالة. أما في الحالة الثانية فيمكن أخذ جبهة

واسعة بسبب القدرة على إعداد دفاع جيد إضافة إلى إمكانية السيطرة على الأرض الحرام، وعندها يمكن أخذ الجبهات القياسية أو حتى أكثر منها في بعض الأحيان خصوصا إذا كان العدو أقل قدرة قتالية.

هل إن الوحدة مرهقة أو منتعشة – الوحدات المرهقة لا تتمكن من أخذ جبهات قياسية كما إن الحاجة تدعوا إلى تامين عمق جيد لها أيضا، وبالعكس بالنسبة للوحدات أو التشكيلات المنتعشة التي سيكون بإمكانها أخذ جبهات قياسية إذا ما تيسرت لها الظروف الأخرى المناسبة. هناك ناحية مهمة لها علاقة بالجانب النفسي وهو إن الوحدات المرهقة يميل جنودها إلى الاقتراب من بعضهم البعض بسبب الخوف من مواقف سابقة أو عدم الطمإنينة وهو رد فعل غريزي، عندها ستكون الجبهات ضيقة وهي حالة طبيعية ينبغي أخذها بعين الاعتبار لحين تحسن الموقف لها.

ملاحظة

(الدراسة أعدت في حينها من قبل قائد الفرقة /11- العميد الركن محمد عبد القادر التي كانت تدافع عن قاطع الشلامجة في المنطقة الجنوبية من العراق - ضمن تشكيلات الفيلق الثالث - عام 1982).

عقيدة مكافحة التمرد - الملحق الرقم (9) بالفصل الرابع - المبحث الأول

خلاصة لعقيدة التمرد - التي نشرها الباحث نبيل نايلي - باحث في الفكر الأستراتيجي - جامعة السوربون لدراسات الجيوبولتيك - باريس.

كانت عقيدة التمرد كما سميت محاولة لسد الثغرة في العقيدة العسكرية الأمريكية (الصدمة والترويع) التي اعتمدت في العراق وأفغانستان.

كان صاحب الفكرة هو الأسترالي د. دافيد كيلكولان (david kilcullan)- المهتم

بإنثروبولوجيا السلام الأصولي وحركات التمرد أو المقاومة والخبير ومستشار الحكومة الأمريكية والكندية في مكافحة التمرد والتي عرفت (coin) (counter insurgency fieldmanuel).

تبنى هذه العقيدة الجنرال(ديفيد بتريوس) - معتمدا على كتاب صدر عام (1964) مؤلفه (دافيد غالولا) (1919-1968)(david galula)، ومستعينا بالخبير(كيلكولان) والأخير هو يهودي من مواليد مدينة صفاقس التونسية عام(1919) ثم انضم للبعثة الفرنسية في الصين خلال صعود الزعيم ماو، ودرس التنظيم العسكري الصيني والأيديولوجية الصينية، ثم عمل آمرا لكتيبة المدفعية(45) في الجزائر عام(1956)، وعمل في منطقة القبائل وهناك شارك في قمع وتطويع التمرد والإنتفاضات وأصبحت أفكاره ذات صيت، حيث طوع أعداد من المواطنين في الجزائر ليصبحوا موالين، ثم أصبح محاضرا لضباط حلف الأطلسي، ثم أرسل إلى الولايات المتحدة لدراسة الأركان عام(1959)، ثم أصبح باحث ومدرس في جامعة هارفارد عام (1962) ثم التحق بالمركز الأمريكي للبحوث والأستراتيجيات (RAND)، ألف كتابين (إقرار السلام في الجزائر) والثاني (مقاومة التمرد،النظرية والتطبيق) الذي أعتمده(بتريوس)،وصاغ نظريته التي أصبحت باسمه علما لم يترجم كتاب (غالولا) إلى الفرنسية إلا في عام(2008)، أي سنتين بعد صدور عقيدة (بتريوس)، على يد دار النشر(إيكونوميكا) مع توطئة بإمضاء(بتريوس (نفسه، ترجمة خلت من قذفه للإسلام وتعدّيه على حرمته ليس حبّا في الإسلام طبعا، بل فقط لأعتبارات، الصوابية السياسية.

أما نظرية (غالولا) فقد ورثها عن الماريشالين: (غالياني - 1849-1916)، و (ليوتي- 1854-1934)، واعتمد فيها على ما ورد بكتاب: الحرب المعاصرة، La Guerre Moderne، لصاحبه الأستراتيجي العسكري الفرنسي(روجي ترنكيي) Roger Trinquier، والذي يحدّد فيه(3) مراحل لعملية مكافحة التمرّد، بدءا بالمدن فالقرى فمواقع تمركز القوى المتمرّدة. ليفصّل بعدها ما يجب القيام به:

عزل المدن بتسييجها لمراقبة المنافذ والتحكم في الحركة، تقطيع أوصالها إلى أحياء، تعداد السكان وترقيم منازلهم، توزيع بطاقات هوية وتموين، عزل المدنيين عن المتمرّدين، تنظيم حملات دهم وأستجوابات جماعية، إنشاء خلايا وشاية وتخابر، تجريم كل عمل نضالي ونسب كل حادث لـ«المجرمين» و«الشرذمة الضالة»، تصفية رؤوس الحركة، وأخيرا عند الإنتهاء من ضمان السيطرة المطلقة على المدينة يتمّ الانتقال للقرى وهكذا.

كل هذه النقاط أعتمدها(غالولا) ليضيف عليها تركيزه على طبيعة نقاط ضعف وقوة حركة التمرّد ومقارنتها وإمكانات الخصم، ليخلُص إلى(4) قوانين لمكافحة حركة التمرّد: بدءا بالغاية التي يجب إن تكون دائما كسب عقول الأهالي وقلوبهم لتحييدهم وضمان تعاونهم، دعم الأهالي يجب إن يكون منظّما، القضاء على حركة التمرّد يجب إن يعتبر النصر الحقيقي، إذ ليس النصر عسكريا بل سياسيا. وأخيرا ضرورة إن يتمّ صرف جهود العمليات بالتّدرّج: المنطقة تلو الأخرى. وذلك لقناعته إن عناصر نجاح حركات التمرّد هي: القضية ذاتها ومدى استقطابها للمناصرين، وجود حكومة محلّية فاشلة، حالة أزمة تذكّي جذوة التمرّد أو العصيان، العمق الاستراتيجي والدعم الخارجي، والخصائص الجغرافية والموارد البشرية والنظام الاقتصادي.

تدمير المتمردين أما كيف تتمّ عملية استئصال حركة التمرّد فدليله، الذي تبنّاه (بتريوس) بحذافيره ولم يفعل سوى تطويعه لواقع العراق وأفغانستان وتوظيف إمكانات الولايات المتحدة الهائلة، ينصح (غالولا) بالتالي: تدمير المتمرّدين أو شرذمتهم، نشر قوات ثابتة وأخرى متنقلة بالقدر الكافي لتأمين منطقة «خضراء» «مُحرّرة» للحيلولة دون عودة فلول التمرّد، إنشاء حلقات تواصل مع الأهالي مع مراقبة حركتهم وضبطها، إعطاء الانطباع بإن القوات الغازية هي ضامن الأمن الوحيد لكسب عقول الناس وقلوبهم، أجتثاث التنظيم السرّي للمتمرّدين بأستثمار المادة التي يوفّرها العملاء على إن تكون الضربة خاطفة حتى لا تؤلّب من «أُلّفت» قلوبهم، تنظيم إنتخابات «حرّة» لتعيين

حكومة محلّية مؤقتة، إشراك العنصر النسائي و«تحريره من سلطة الرجل»، اختبار مدى أهلية القيادة المحلّية بمنحها بعض المهام، فرز العناصر وتحييد عديمي الكفاءة والفاسدين والمحافظة على سلامة من أثبتوا ولاءهم دون السقوط في الوصاية، ضم القادة الذين تمّت تزكيتهم لحركة أو تنظيم أو حزب مع التحذير من السّقوط في هذا الامتحان لأنّ حركة التمرّد تتربّص، ضم أو أستئصال فلول التمرّد خلال الاشتباك الأخير للقضاء على النواة الصلبة بمشاركة الأهالي إنفسهم وقوات محلية تمّ تدريبها للغرض، سواء بقوّة السلاح أو من خلال مفاوضات «سلام شجعان» (والتعبير لغالولا وليس لكاتب هذه السطور)، وأخيرا إنجاح إعادة الإعمار لتأليف قلوب أكثر عدد ممكن من الأهالي وتنفيرهم من الفعل المقاوم.

استراتيجية الأفعى

ماذا عن إضافة بتريوس؟ إذا كنّا سنسلّم بأنّه أضاف فعلا، يعرّف (بتريوس) عقيدته بأنّها أستراتيجيا أفعى"الإناكوندا" «Anaconda» التي تعمل على خنق حركة التمرّد وذلك بأعتماد مقاربة شاملة تجفّف مصادرها وتقطع خطوط دعمها اللوجستي وتصفّي قادتها وتعزل العناصر المتشدّدة من المتمرّدين عمّن يمكن تأليف قلوبهم واستيعابهم. موضحا: «إن الأفكار الكبرى» حول العيش بين السكان وكسب قلوبهم وعقولهم فرضت نفسها وأدت إلى اعتماد مناهج تدريب جديدة». تحت اسم: دليل مكافحة التمرّد، صدرت هذه الوثيقة بتاريخ(15 ديسمبر 2006)، ووردت في (220) صفحة و(8) فصول تناوء فيها بالتحليل التوصيات الواجب أتباعها ونماذج الأشتباكات والخطوط العريضة لقيادة العمليات والتطبيقات العاجلة لإنجاحها. وكان قد جمع لها «فريقا من المتمرّدين على التقاليد، يشمل مجموعة من الضبّاط المستعدّين للتفكير خارج الإطار التقليدي كما يشير (ديفيد اغناتيوس). وتحتوي أستراتيجيته على (3) عناصر: هجومية ودفاعية وأخرى تثبيتية، تتوقّف ثلاثتها على مدى كسب ودّ الأهالي ومشاركتهم، حتى أنّه أوصى بوضع ملصق لضبّاطه كُتب عليه: «مإذا فعلت

اليوم لكسب قلوب العراقيين؟ ثم على الواقع والساحة والإمكانات والمهمة.يؤكدبتريوس على مسألة الشرعية..

كهدف أساسي، لإن وجود حكومة محلّية ستسفّه ما تعلنه حركة التمرّد، وعلى تظافر الجهود والتجديف بتوحيد الخطاب وإن اختلفت الأهداف، تغليب العملية السياسية على العمليات العسكرية التي يجب إن تراعي المضاعفات، تفهّم وتأقلم القوات المكافحة للتمرّد مع مسرح الأحداث، لإن معرفة طبيعة المجتمع وثقافته وأدق تفاصيل تركيبته الإثنية والدينية والأيديولوجية عوامل حاسمة ومهمة، جمع المعلومات الميدانية وكل شاردة وواردة تتعلّق بحركة التمرّد، بدون عملاء تظل العمليات مضيعة للوقت ومصدر نتائج معاكسة، العمل على عزل المتمرّدين عن مجتمعهم وتسفيه قضيتهم وقطع مصادر دعمهم، لا تقتيلهم وجعلهم أبطالا، المسألة الأمنية كحجر الزاوية لتأليف قلوب الأهالي وتجريم المتمرّدين، التعجيل بتكليف قوات محلية من الشرطة وغيرها لتتولى بنفسها تلك المهام وكسر الحاجز النفسي، إعداد القوات وتحضيرها نفسيا لتقبّل استراتيجية النفس الطويل وقادرة على التدمير والإعمار في الوقت ذاته، أستثمار المعلومات وسبرها وخلق تطلّعات معقولة، لإن الشعوب بتقديره «مصابة بعقدة الصعود إلى القمر»، لذلك تطالب الأميركيين بصنع المستحيل وفي أسرع وقت ! «ليحذّر بعدها من مغبّة السقوط في أمتحان الوعود غير المحققة الذي سيدفع الأهالي إلى حضن المقاومة من جديد، استعمال «معقول» للقوة بتحقيق المعادلة الصعبة بين حفظ أمن القوات والتخفيف من عدد قتلى الأهالي موصياً بضرورة تكليف القوات المحلية بالمهام القذرة، تشريك المرأة من خلال مشاريع مثل تلك التي تحدّثت عنها الكاتبة المناضلة هيفاء زنكة، «المصالحة» و«تمكين المرأة» وورشات الديموقراطية»، القدرة على التأقلم والتكيّف مع المحيط. وبتريوس أبرع من يفعل ذلك وهو من شهد له، ديفيد أغناتيوس، أنّه «حوّل زيارة روتينية لقرية باراكي باراك بأفغانستان إلى درس عملي في مكافحة التمرّد، كان يشرب كوباً بعد كوب من الشاي من أكواب متّسخة، ويأكل أرغفة خبز محلّي، معايشاً المكان بكل ما فيه، لإعطاء السكّان

المحلّيين شعورا شخصيا بجدية بالمهمة الأميركية»، وأخيرا تقديم الدعم للحكومة المحلية وخلق الانطباع بإن الولايات المتحدة لن تتخلّى عنها.

طبعا الترجمة العملية لكلّ هذه البروتوكولات كانت كارثية على العراق المحتل لا المحرّر، والذي يكاد يُمسح من الخارطة وتضرّر على كل الأصعدة ولم تسلم حتى الجينات من نفايات اليورانيوم والفوسفور، وعاثت فيه قوات الجنرال التي تلقّى بعضها تدريبهم تحت إشراف جنرالات الكيان الصهيوني الذين وفّروا تجسيدات لمدن عربية بقباب ومآذن، ولسنا نبالغ إذا قلنا إن بغداد وما يسمّى بالمنطقة الخضراء وتلك الأسوار تحاكي أسلوب ما يجري بفلسطين المحتلّة. وهذا حصر لبعض المضاعفات:

1 - توظيف حالة الفوضى والفتنة المذهبية للظهور بوجه المخلّص، والمحرّر وواهب الحضارة والديموقراطية والمثل السامية.
2 - استخدام ورقة الشحن المذهبي والأيديولوجي والتفريط في الذاكرة الوطنية وتدمير التراث والمواقع الأثرية، لتفتيت البنية الاجتماعية والعودة بها إلى ما قبل القبيلة
3 - إنشاء ما سمّي بـ«الصحوات» لضرب تنظيم القاعدة، شراء الذمم وتوزيع الأموال الطائلة على العشائر،
4 - عزل الأهالي عن المتمرّدين بكل السبل الوحشية ومراقبة حركتهم وزرع العملاء بينهم لمتابعة المتعاطفين والمناصرين والعناصر المساهمة في الفعل المقاوم.
5 - إقامة الجدران الكونكريتية العازلة بين أحياء بغداد العاصمة حولها إلى سجن ضخم، إنشاء معسكرات وسجون ومخيمات الاعتقال وتطويقها بالكتل الخرسانية العالية.
6 - تحويل العاصمة إلى كانتونات طائفية معزولة لإذكاء الشحن الطائفي.
7 - الحديث عن إقامة سور بغداد أكبر أسوار العراق المحتل»، والذي سوف

يمتد إلى مسافة (120) كيلومترا. مع مداخل أربعة مصمّمة بطريقة قد تجعل منها لاحقا «بوابات إلكترونية»، قد تستخدم معها بطاقات ممغنطة، تحوي كل المعلومات اللازمة والضرورية لمستخدمي المعابر، على شاكلة المعابر أو الحواجز «الأمنية» في الضفة الغربية من فلسطين المحتلة.

8 - تخريب الطابع العمراني وطمس جمالية المكان لتصبح المدن عبارة عن متاهات من الجدران، وذلك من أجل كسر الإرادة وتطويع الأشاوس والماجدات،

9 - تكريس التطهير المذهبي لفرض توازنات ديموغرافية تستخدم في المساومات حين تدق ساعة الرحيل عن البلاد،

10 - تجيير الوضع الميداني لفرضه كأمر واقع وتكريس إن المحتل هو ضامن الأمن الوحيد.

تجربة العراق أسوأ من فيتنام

لن تشفع للجنرال بتريوس «عقيدته»، عقيدة غالولا بالأحرى، ولا ما سمّوه بهتانا «نجاح تجربة العراق»، و توماس ريكس، صاحب كتاب المقامرة: الجنرال بتريوس والمغامرة العسكرية الأميركية في العراق: 2006-2008، The Gamble: General David Petraeus and the American Military Adventure in Iraq، 2006-2008: هو الآخر يخلُص إلى «إن تجربة العراق أسوأ من فيتنام لسببين: أولا، فيتنام كانت على هامش المصالح الأميركية، في حين إن العراق يقع في قلب منطقة مهمة جدا بالنسبة للاقتصاد العالمي. وثانيا، لإن الحرب في العراق لم تنته بعد، بل على العكس سوف تستمر لفترة طويلة». كذلك أفغانستان لن تكون العراق، لخصوصيات معطيات الواقع العراقي، التاريخي والطوبوغرافي والأجتماعي و الأقتصادي والثقافي والجيوبولتيكي... فلا الجغرافيا متشابهة ولا التركيبة السكانية ولا المذهبية متقاربة، ولا انعدام العمق الأستراتيجي أي التواطؤ والعمالة والتضييق والحصار.

الملحق الرقم (10) معركة الخفاجية الأولى (6 -7 كانون

ثاني 1981)

مع بداية عام(1981) كانت القوات العراقية لاتزال في مواضعها داخل الأراضي الأيرانية، ومنها الفرقة المدرعة التاسعة التي كانت تدافع عن قاطع الخفاجية، وكان لديها لواء مدرع هو اللواء الثالث والأربعون يدافع شرق نهر (الكرخة العمية) أما باقي قوات الفرقة فموزعة على مناطق أخرى متفرقة من القاطع.

يوم 5 كانون ثاني (1981) قامت القوات الأيرانية بهجوم واسع بقوات مدرعة ومتطوعين على قاطع اللواء المذكور وتمكنوا من أكتساح مواضع اللواء والعبور الى الضفة الثانية مستهدفة القضاء على قوات الفرقة المدرعة التاسعة، كان الهجوم سريعا ومؤثرا في بدايته.

كان الفيلق الثالث الذي يقوده الفريق(أسماعيل تايه النعيمي) مسؤولا عن المنطقة الجنوبية التي تشمل على قاطعي العمارة والبصرة وكان مقره الرئيسي في الميمونة ضمن قاطع العمارة.

أزاء هذا الموقف أتخذ قائد الفيلق القرار بأستخدام أحتياطه المؤلف من اللواء المدرع العاشر، الذي كان متحشدا في النشوة الواقعة ضمن قاطع البصرة.

كان اللواء المدرع العاشر من أفضل الآلوية المدرعة في الجيش العراقي من ناحيتي التسليح والتدريب، فدباباته كانت من طراز(تي 72)الحديثة وناقلات (بي ام بي /1) المدرعة. وكان ضباط ومراتب اللواء قد تلقوا أفضل إنواع التدريب وعلى كافة صفحات القتال وفي كل الظروف والأحوال، أضافة الى التدريب الراقي على الرمي ودقة الأصابة والقدرة على التحمل. يقود اللواء العقيد الركن محمود شكر شاهين.

كان الموقف حرج جدا بالنسبة لأمر اللواء المطلوب منه الوصول الى منطقة المعركة بأسرع ما يمكن والتي تبعد عن مكان تحشده بحدود (300) كم كانت السرعة هي العامل المؤثر قبل تطور الموقف وإنهيار باقي الدفاعات بالعمق.

بعد تخصيص عدد من ناقلات الدبابات بما يكفي لرفع مقر اللواء زائدا كتيبتي دبابات. تحركت القوة وتكامل وصولها صباح يوم 6 كانون ثاني في منطقة الأجتماع في (أم الغفاري).

حاول أمر اللواء الحصول على معومات أضافية عن العدو لإن المعوامات التي حصل عليها من مقر الفيلق ومقر الفرقة كانت محدودة جدا. وكان عليه إن يعرف جبهة العدو وطريقة إنفتاحه وأجنحته وكذلك حجم قوته الحقيقية. وأزاء ذلك وحسب سياقات المعركة المعتمدة كلف جحفل معركة القادسية (وهي كتيبة الدبابات التي كانت باقية بتماس مع العدو بعد سقوط مواضع اللواء الأمامية) للقيام بهجمات جس للعدو الذي أمامه من أجل الحصول على معلومات عن قوته. وقام الجحفل فعلا بأدامة التماس بالعدو. تمكن من تحديد قوته ب(60) دبابة. ثم بقي الجحفل يزيد من جبهة إنفتاحه في محاولة لجمع أكبر ما يمكن من المعلومات. وعلى ضوء تلك المعلومات تمكن امر اللواء من تحديد قوة العدو بلواء مدرع زائد مع أعداد من المتطوعين. أما غايته فهي الإندفاع على محور(العويسة - الجفير) لتدمير باقي قطعات الفرقة المدرعة التاسعة والوصول إلى مواضع الفرقة الألية الخامسة بالعمق.

كانت أرض المعركة المحتملة مفتوحة بشكل عام ولا يوجد فيها سوى مانع نهر الكرخة.. الذي تجاوزته قوات العدو مع بقاء قسم قليل من قطاعات الفرقة التاسعة تقاتل على الجناح الأيمن، اما الجناح الأيسر فكان مكشوفا.

كان هناك أحتمالا من وجود قطعات معادية شرق نهر الكرخة من اتجاه الحويزة يمكن إن تتدخل وتعزز الموقف، ما يتطلب تدخل القوة الجوية وطيران الجيش لتنفيذ عمليات تجريد لها.

وبضوء هذه الأعتبارات كان قرار أمر اللواء بضرورة مباغتة العدو من خلال تنفيذ عملية مروحية من العمق بأتجاه الجبهة لأيهام العدو إن القوة التي أمامه هي قوة كبيرة. مع السرعة في العمل قبل تطور الموقف بما لا يتيح للعدو من

أستكمال أجراءاته لأستئناف الهجوم وخلق موقف جديد. وعلى هذا الأساس وضع خطته بصفحتين:

الصفحة الأولى: تدمير قوات العدو غرب نهر الكرخة العمية (التي عبرت) والوصول إلى النهر بأسرع ما يمكن.

الصفحة الثانية: عبور نهر الكرخة العمية بعد تأسيس رأس جسر ثم الإندفاع لأستعادة مواضع اللواء الثالث والأربعين الساقطة.

تم أكمال وضع تفاصيل تنفيذ الخطة مع تحديد الواجبات لكتائب الدبابات بشكل دقيق، واتخذت الجحافل تشكيلات المعركة.

بالساعة 830 يوم 6 كانون ثاني 1981 شرع اللواء بالهجوم تحت أسناد ناري كثيف، وتمكنت جحافل المعركة من الإندفاع بسرعة عالية جدا مخترقة جبهة العدو والتغلغل إلى عمق تشيلاته مع أستخدام الرمي السريع للدبابات من الحركة، وخلال تلك الحركة السريعة كانت النيران تلتهم دبابات العدو ما تركه في حيرة من امره وعلى أثر تلك العملية شوهدت اعداد كبيرة من مقاتلي العدو تهرب من الدبابات بعد تركها ام بسبب التدمير او تركها صالحة.

خلال ذلك الوقت ظهرت اعداد كبيرة من الدبابات المعادية على خط الجبهة ما يعني وصول تعزيزات جديدة. وأزاء هذا الموقف وما ظهر على العدو من أرتباك، قررأمر اللواء تعزيز قوة الهجوم بجحفل معركة أخر بعد إن تمكنت الجحافل الأمامية من زيادة جبهة الخرق، وهكذا اندفعت جحافل الدبابات بكثافة ما بين دبابة وأخرى (75-100) م مع نيران كثيفة وسريعة لتقضي على كل قوة العدو غرب النهر.

يوم 7 كانون ثاني 1981 تمكن اللواء من عبو نهر الكرخة العمية وأستعادة مواضع اللواء الساقطة وإنسحب ما تبقى من قوات العدو.

كانت نتائج المعركة تدمير وأعطاب (120) دبابة مع (65) ناقلة أشخاص مدرعة

تركت في أرض المعركة مع أعداد كبيرة من الأسرى. أما خسائر اللواء فكانت عطب (10) دبابات من جراء الرمي السريع.

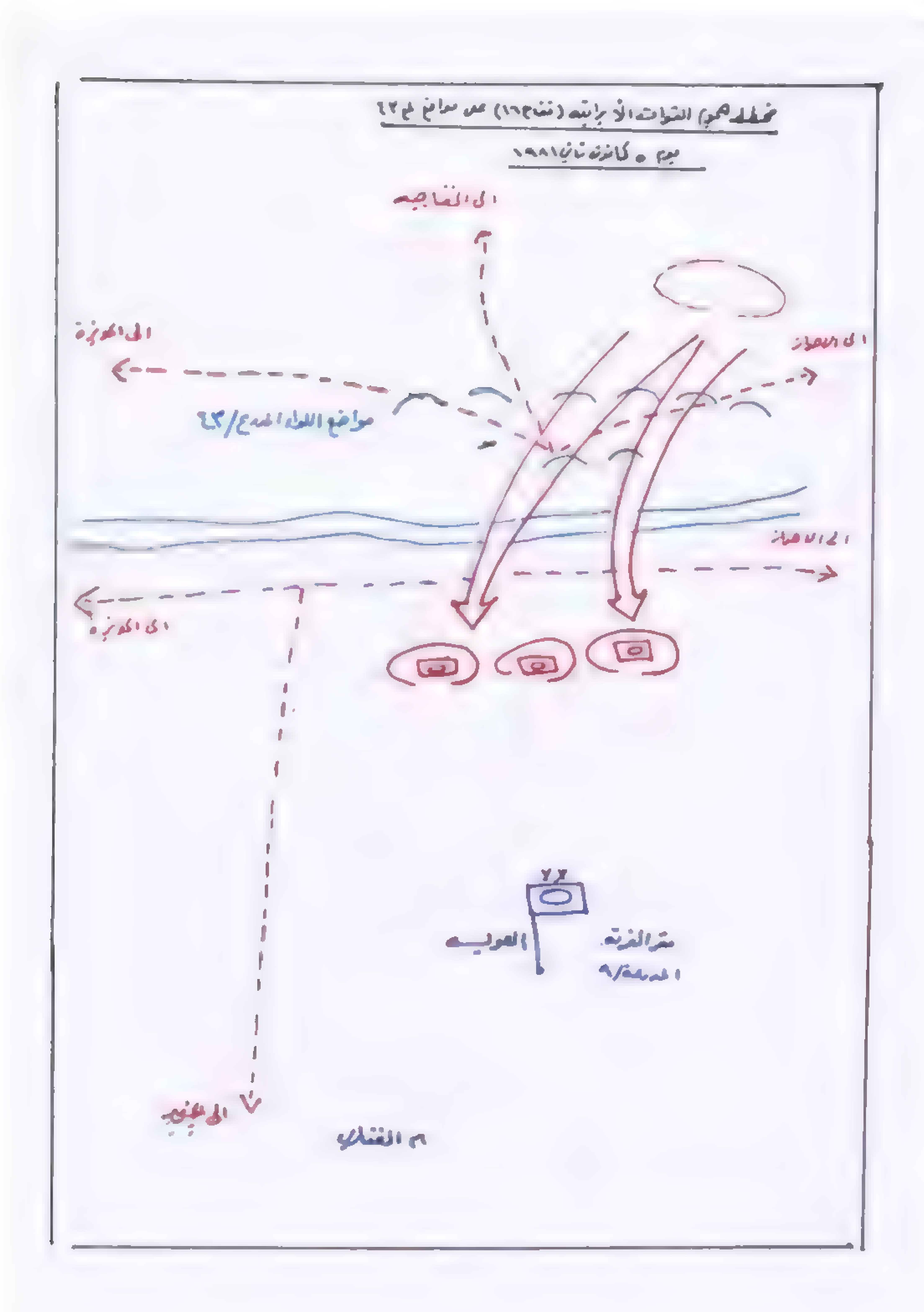
كانت تلك المعركة تعتبر أول معركة دروع كبيرة تحدث خلال المراحل الأولى من الحرب بين القوات العراقية والأيرانية. كما كانت أخر معركة دروع للقوات الأيرانية خلال الحرب، لإن القوات الأيرانية لم تقدر على خوض معركة دروع أخرى، وكان دور القوات المدرعة هو دور الصنف الساند في أغلب المعارك.

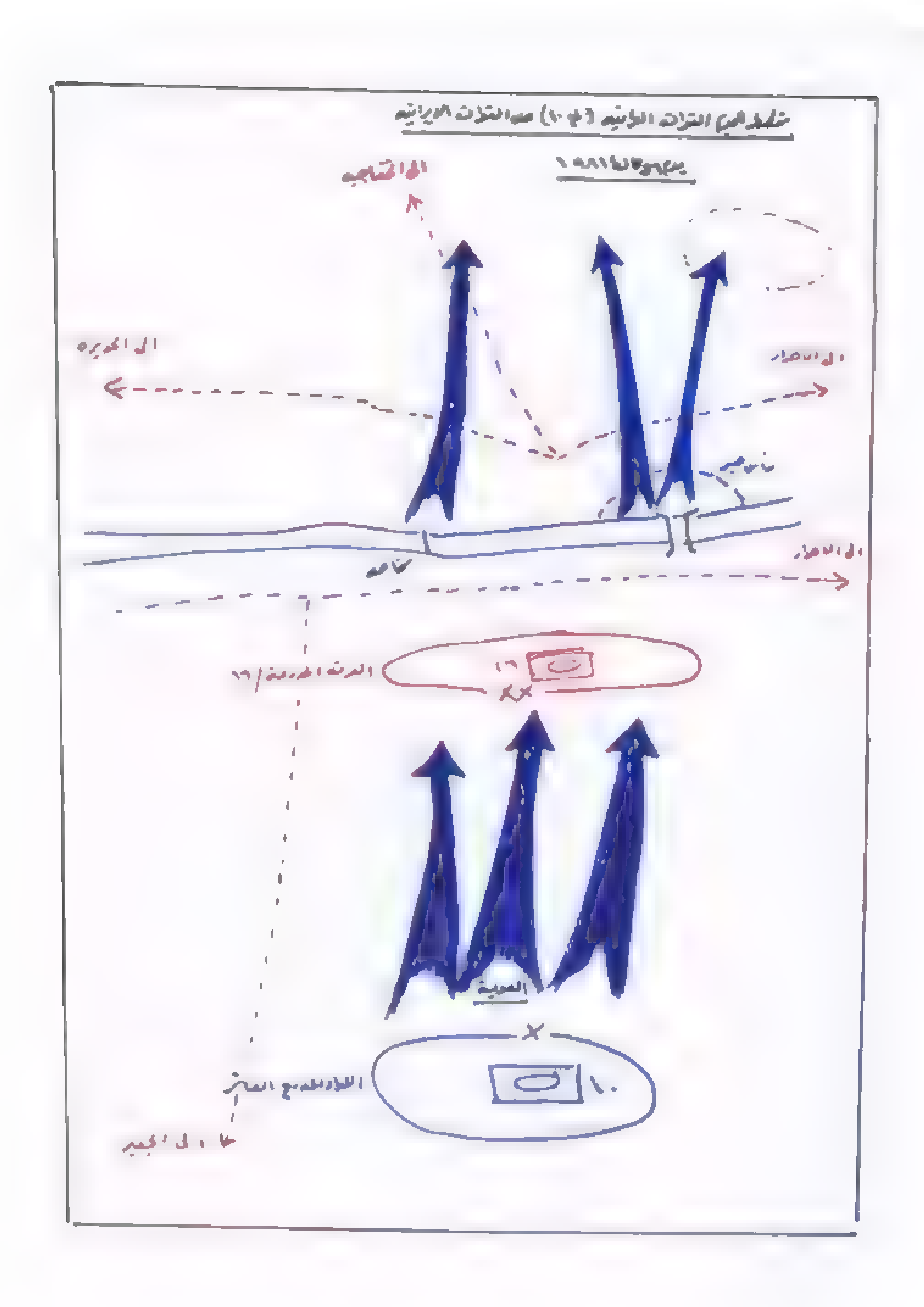
كانت تلك المعركة تمثل تحديا كبيرا لقوة بحجم لواء مدرع تهاجم قوة بحجم فرقة مدرعة هي الفرقة (16) الأيرانية التي تم تدميرها بشكل شبه نهائي.

الدرس المهم الذي ظهر خلال هذه المعركة هو أهمية النوع على الكم. فاللواء المدرع العاشر كما بينا يتميز بقدرة قتالية عالية جدا مقارنة مع تشكيلات الفرقة المدرعة (16) الأيرانية من ناحية التسليح وكفاءة الأستخدام.

يضاف إلى ذلك الأستخدام البارع لتلك القوة من خلال تطبيق مباديء وقوانين الحرب، التي أجتمعت وهي: المباغتة والسرعة والقوة كلها حققت فعل الصدمة والشل الفكري للعدو، الذي فقد حرية العمل وبالتالي فقد القدرة على ادارة المعركة رغم تفوقه في البداية.

أما بالنسبة للقوة الأيرانية فإن أهم نقطة ضعف بارزة عندها هي رد الفعل البطيء في أتخاذ القرارات وعدم القدرة على أستثمار ميزات القوة المدرعة، التي كان بأمكانها الأستمرار بالإندفاع حتى عمق المواضع العراقية خلال اليوم الأول وقبل ان تصل قوة الأحتياط. إن المبادءة وحرية العمل والمباغتة تبقى من أهم أركان نجاح العمليات التعرضية، كما إن فكرة المعركة العميقة التي تستهدف عمق المواضع المعادية هي الكفيلة بنجاح الهجوم. وهذا ما اكدته أغلب المعارك الناجحة ومنها معركة الخفاجية.


مخطط هجوم القوات الإيرانية (فتح ١٦) على مواقع ل م ٤٣
يوم ٥ كانون ثاني ١٩٨١
الى الحويزة
الى الاهواز
مواضع اللواء المدرع/٤٣
الى الاهواز
الى الحويزة
مقر الفرقة المدرعة/٩



الملحق الرقم (11) عملية تحرير الفاو (رمضان مبارك)

17- 18 نيسان 1988

1- تعتبر عملية تحرير (الفاو) من أهم وأكبر العمليات العسكرية التي وقعت خلال الحرب العراقية الأيرانية (1980- 1988) كما تعتبر من أهم معارك التاريخ الحديث لما أكتسبته من أهمية ليس من خلال قيمة الأرض المحررة فحسب بل لما تركته من تأثير كبير على مسار الحرب العراقية الأيرانية.

كانت عملية (الفاو) تمثل العملية النموذجية على كافة مستويات فن الحرب (أستراتيجيا وعملياتيا وتكتيكيا)، أمتازت بالتخطيط الدقيق والمحكم لكافة

مراحل العملية، مع التنفيذ الذي أتسم بالسرعة العالية والدقة.

كان لهذا الإنجاز إنعكاس كبير على مسار الحرب بشكل عام، وكانت البداية لتفعيل دورة الحرب من قبل العراق وأخراجه من المأزق الأستراتيجي الذي كان يراوح ضمنه طيلة أكثر من ست سنوات، كما إنعكست بالسلب على أيران بعد فقدانها للمبادأة وحرية العمل التي كانت بيدها طيلة الست سنوات الماضية والتي كان لها تأثير مباشر على كافة الجوانب بدءا من الأستراتيجية العليا ثم العسكرية والعمليات والتكتيك.

2- تقع (الفاو) في أقصى الجنوب الشرقي من العراق، وعلى الطرف الغربي من شط العرب، وتعتبر أقصى نقطة في جنوب العراق. أكتسب هذا الموقع أهمية أقتصادية وأستراتيجية مهمة لكونه ميناء التصدير للنفط العراقي من الجنوب، أضافة لسيطرتها على مدخل(خور عبد الله) المنفذ البحري الوحيد للعراق الذي يضم القاعدة البحرية وميناء أم قصر، ما يجعل منها المكان المناسب لأقامة موانيء بحرية وعسكرية، كما ان لهذا الموقع تأثير كبير على أمن الخليج خصوصا الكويت.

3- كانت أيران تسعى إلى السيطرة على(الفاو) حتى خلال الفترة التي سبقت الثورة الأيرانية لأعتبارات جيوسياسية خصوصا ما يتعلق بموضوع شط العرب. ولكن أهميتها أزدادت خللا فترة الحرب بين البلدين، لذلك عمدت إلى شن هجوم مفاجيء ليلة (7/8 شباط 1986) وتمكنت القوات الأيرانية بعد سلسلة هذه المعارك التي دامت (42) يوما من أحتلال مثلث الفاو بعمق (22) كم وصولا الى الحافات الشمالية للملحة. وبلغت المساحة الكلية للأرض المحتلة بحدود (235) كم2.

كان هدف القوات الأيرانية أحتلال كامل منطقة(الفاو) والوصول إلى(ام قصر) والسيطرة على كامل الساحل البحري العراقي وحرمان العراق بشكل نهائي من أي منفذ بحري مع إنهاء دور القوة البحرية العراقية أضافة إلى التأثير المباشر

على الكويت. تمكنت القوات العراقية أخيرا من أيقاف الزحف الأيراني إلى عمق المنطقة بعد تكبيد القوات الأيرانية ما يقارب (120) ألف مقاتل واكثر من (30) ألف مقاتل عراقي.

4- طبيعة منطقة الفاو عبارة عن أرض مفتوحة رخوة بشكل عام، القسم الشرقي منها المحاذي لشط العرب تكثر فيه بساتين النخيل بشكل شريط يمتد بموازاة شط العرب حتى راس البيشة (نهاية أرض الفاو) تتخلل تلك البساتين العديد من الأحوازات التي تتأثر بمياه المد والجزر ومنها يتم سقي تلك البساتين التي تحدد خلالها حركة الأليات، اما القسم الغربي فيضم الممالح وهي عبارة عن مسطحات ملحية كبيرة تحيط بها سداد ترابية وهي غير صالحة للحركة. اما باقي الأقسام وامتدادا الى ام قصر فهي ارض مفتوحة تساعد على الحركة في اغلب أقسامها ولكنها تتأثر بالأمطار بشكل كبير لرخاوة الأرض وتصبح الحركة فيها صعبة جدا وتتحدد على الطرق والسداد بشكل رئيسي. أما الساحل الموازي(لخور عبد الله) فهو عبارة عن ساحل طيني لا يساعد على الحركة وعلى عمليات الإنزال.

توجد في المنطقة عدد من الطرق هي طريق البصرة –الفاو القديم. الطريق الأستراتيجي الموازي لخط تصدير النفط وهذا الطريق يمر بأراضي مفتوحة. الطريق الساحلي الموازي لخور عبد الله. شبكة من الطرق الميدانية لخدمة المواضع الدفاعية.

5- قام الأيرانيون خلال أحتلالهم لمثلث(الفاو) بإنشاء مناطق مغمورة وقنوات أصطناعيةأمام وفي عمق الموضع الدفاعي، فغمرت المنطقة الواقعة أمام الخط الدفاعي الأول بعرض (300-1000) م مع إنشاء قناتين أصطناعيتين تمتد من شط العرب وتخترق طريق بصرة- فاو القديم وتصب غرب الطريق الأستراتيجي وفي المسطح المائي بأتجاه خور عبد الله، والثانية تمتد من شط العرب شمالي (الفاو) وتجه إلى الطريق الساحلي بعرض (75) م

6- تمتاز منطقة الفاو بمناخ حار رطب جدا خلال معظم فصول السنة، مع قلة الأمطار، مع تعرضها لرياح شمالية غربية وهي رياح جافة في الصيف، كما تكثر في المنطقة الزوابع الترابية خصوصا في موسم الصيف.

خلال الفترة التي أحتلت فيها الفاو كانت الظروف المناخية سيئة جدا بسبب الأمطار التي سقطت بشكل غير أعتيادي مما تسبب في معاضل كبيرة على القوات العراقية المدافعة التي كانت تخوض معركتها الدفاعية في أرض طينية مغمورة بالماء في اغلب أقسامها مع صعوبة في حركة الأليات.

الموقف العام

7- أستطاع الأيرانيون وفي ظروف خاصة من التعرض على منطقة(الفاو) ليلة (9/10 شباط 1986) بشكل مباغت (كانت القيادة العراقية تتوقع الهجوم على قاطع الفيلق السادس الذي كان يدافع عن قاطع شرق دجلة (العزير – القرنة). أستمرت المعارك بين الطرفين حوالي (42) تمكن الأيرانيون بنتيجتها من السيطرة على مثلث(الفاو) وحتى المملحة غربا بعد تكبد الطرفين خسائر كبير بالأرواح والمعدات.

حاول الأيرانيون توظيف تلك العملية أعلاميا مركزين على أهمية الأرض التي أستولوا عليها بأعتبارها من أهم الأهداف الأستراتيجية التي حصلوا عليها. لذلك قاموا خلال الفترة التي أمتدت من (شباط 1986- نيسان 1988) بإنشاء العديد من المواضع والتحكيمات وأجراء تغييرات واسعة على طبيعة المنطقة مع أغمار مناطق عديدة منها في محاولة لتكريس أحتلالهم لتلك المنطقة. كانت المواضع الأيرانية مواضع معدة اعدادا جيدا ومحكمة بدرجة عالية جدا، كما تم ربط تلك المنطقة بالبر الأيراني بعدد من الجسور أهمها جسر رأس البيشة (سمي بجسر الإنابيب لكونه إنشا من خلال حزم من الإنابيب التي توضع في الماء بشكل تدريجي ومن ثم يجري ربطها باللحام حتى تصبح بشكل جسر ثابت) وجسر الفاو الحديدي (غير مكتمل) وجسر الفاو الهندسي

(يتكون من جزئين يمكن ربطهما ليصبح جسر عائم) كما إنشأوا عدد من المراسي التي تؤمن النقل عبر شط العرب.

8- كانت القيادة العراقية تقدر قيمة وأهمية (الفاو) وتأثيرها على مجمل العمليات وعلى مسار الحرب بشكل رئيسي، لذلك أعطت القيادة أشارة البدء بالتخطيط لأستعادة الفاو حال توقف العمليات الدفاعية في شهر مايس (1986). وجرى تسمية مشروع العمل لتحرير(الفاو) بأسم المشروع الرقم(2) وشكل لهذا الغرض فريق عمل من مختلف فروع القوات المسلحة وصنوفها وعلى مدى أكثر من أربعة أشهر تم أعداد الخطة الأولية مع تحديد مستلزماتها من معدات قادرة على العمل في أرض (الفاو) وكذلك القوات المطلوبة وأسلوب تدريبها مع تهيئة ميدان معركة مشابه لأرض الفاو للتدريب عليه من قبل القطعات. لكن الأحداث تغيرت بشكل كبير حيث شنت القوات الأيرانية سلسلة من العمليات التعرضية في قاطع(مهران) وعلى قاطع(شرق البصرة) وقواطع أخرى في شمال العراق(منطقة اربيل). لذلك توقف العمل بالمشروع الرقم(2). ثم اعيد العمل بالمشروع مجددا تحت أسم المشروع الرقم (22) وبوشر بالعمل به أعتبارا من من (حزيران 1987) وحتى التنفيذ في (17نيسان 1988) مع تهيئة كافة مسلتزمات المشروع من قوات ومستلزمات وتدريب. بداية عام (1988) شنت القوات الأيرانية هجوما كبيرا في المنطقة الشمالية أستهدفت من خلاله السيطرة على سدي (دربندخان ودوكان) ضمن منطقة(السليمانية)، وتمكنت تلك القوات من تحقيق نتائج مهمة حيث سيطرت على مساحات كبيرة ووصلت على مقربة من تلك الأهداف الأستراتيجية. كانت القيادة العراقية منقسمة بين رأيين، أما المناورة بالأحتياطات التي كانت مهيئة لعملية(الفاو) لأيقاف الهجوم الأيراني على المنطقة الشمالية الذي أصبح يشكل خطرا كبيرا على الموقف العراقي وهورد الفعل التقليدي الذي يجري في كل مرة، وأما المناورة بتلك القوات الى المنطقة الجنوبية ومهاجمة (الفاو) لأستعادتها مستغلين وجود القسم الأكبر من تلك القوات في المنطقة الشمالية وقلة حجم القوات في قاطع (الفاو) بعد الترقيق منه لأعتقادهم إن القوات

العراقية لا يمكن إن تهاجم ذلك القاطع في الوقت الي تشن فيه قواتهم هجوما كبيرا في المنطقة الشمالية. بعد دراسة دقيقة للموقف من قبل القيادة العراقية ومن كافة الجوانب تم القرار على مهاجمة(الفاو) وتحريرها، بأعتبارها مركز الثقل الأستراتيجي في ذلك الوقت، وإن عملية تحرير الفاو فيما لو نجحت فإنها ستضع القيادة الأيرانية في موقف أستراتيجي معقد جدا، كما إن هذه العملية ستؤدي الى إنتزاع المباداة من القوات الأيرانية وتفقدها حرية العمل وبالتالي سيتغير الموقف كليا لصالح العراق. وهكذا تم أتخاذ هذا القرار رغم ما فيه من قدر غير قليل من المجازمة والخطورة على الموقف العام فيما لو فشلت تلك العملية. لذلك وضعت القيادة العراقية كل أمكانتها من أجل نجاح تلك العملية في محاولة أخيرة لتغيير موقف الحرب.

قوات الطرفين

9- القوات الأيرانية

ثلاثة فرق حرس مكلفة بالدفاع عن المنطقة، منها أثنتان غرب شط العرب وواحدة شرقه. كانت القوات المدافعة مكلفة بمسك السواتر (الخطوط الدفاعية) بشكل مواضع وعقد حصينة ومتعاقبة تستند في معظم أقسامها على مناطق مغمورة بالمياه وحقول ألغام.

أعتمد الأيرانيون في دفاعاتهم على فكرة السواتر المتعاقبة أعتبارا من الحافة الأمامية وحتى العمق في رأس البيشة والضفة الغربية لشط العرب كما إنشاوا سواتر عمودية تربط السواتر الأفقية لأستخدامها كمواضع كسر جناح. كانت تلك السواتر تضم المئات من الموضع المحكمة والملاجيء المهيئة لتحمل القصف المدفعي مع أسنادها بالدبابات. كما قاموا بتعزيز التحكيمات الموجودة أساسا على(خور عبد الله) بإنشاء عدد من الألسن والمراسي وإنشاوا فيها مواضع محصنة قادرة على القتال لأطول فترة ممكنة. كما إنشأوا قنوات مائية بعمق الموضع كموانع لعرقلة تقدم القوات المهاجمة. كما قاموا بزع العديد من

حقول الألغام اما المواضع الأمامية وبالعمق وعلى الأجنحة.

بلغ عدد المدافع المكلفة بأسناد القوات المدافعة غرب وشرق شط العرب بحدود (114) مدفع ميدان و (13) قاذفة انبوبية كراد وعدد من الهاونات المتوسطة والثقيلة وقسما منه محمول بالناقلات.

توجد ثلاثة ألوية بحرية ينفتح أحدهما على ساحل خور عبد الله والثاني شرقه وحتى رأس عبادان.

للأيرانيين القدرة من زج بحدود فرقة حرس في شرق شط العرب خلال (8-12) ساعة، مع أمكانية المناورة بحدود فرقة يوميا من القواطع القريبة.

تتواجد بحدود (150-170) كدس غرب وشرق شط العرب وتقع النسبة الكبيرة منها في الفاو.

لاتوجد أمكانية للقوة الجوية الأيرانية للقيام بفعاليات مؤثرة بأستثناء الطائرات المسيرة بشكل واسع.

كان للقوات الأيرانية (4) مقرات ميدانية أثنان منها شرق شط العرب وأثنان غربه.

10- القوات العراقية

قوات الحرس الجمهوري مؤلفة من:

قيادة قوات بغداد وبأمرتها (6) لواء زائد كتيبة دبابات

قيادة قوات المدينة المنورة وبامرتها (6) لواء زائد (2) فوج

قيادة قوات حمورابي وبامرتها (7) لواء

قيادة قوات نبوخذ نصر بالأحتياط

الفيلق السابع

كان الفيلق يدافع عن قاطع شط العرب من أبو الخصيب وحتى حدود المواضع الأيرانية في الفاو شمال المعامر، ولكنه شارك بالعملية بقوة مؤلفة من أربع فرق هي (الفرقة المدرعة السادسة والفرقة الألية الأولى وفرقة المشاة السابعة وفرقة المشاة الثانية)

القوات البحرية

شاركت بخمس الوية بحرية هي (1و 2 و 5 و 6 و 440 و 441) شكلت منها مجاميع واجب.

الخطة المجملة لتحرير الفاو

هدف العملية هو القيام بعملية تعرضية واسعة تستهدف أستعادة(الفاو) وطرد العدو منها بشكل نهائي يوم (17 نيسان 1988)

التنفيذ

يجري تنفيذ العملية على شكل أرتال وبأتجاهات محددة ضمن منطقة قطاع الأختراق مع القيام بعمليات مساعدة باتجاهات أخرى.

أتجاهات العمل

الرتل الشمالي. يقوده الفيلق السابع وبامرته القطعات التالية:

(2) مقر فرقة و(8) لواء مشاة لكافة المراحل

(1) فرقة مدرعة زائد لواء مشاة (احتياط)

مهمة الرتل: تطهير الجزء الشمالي لقطاع الأختراق وصولا إلى مدينة الفاو.

تطهير الطريق الأستراتيجي داخل وصولا إلى عقدة الفاو (هي عقدة تقاطع

الطريق الأستراتيجي مع طريق بصرة فاو) ومن ثم التطوير باتجاه مدينة الفاو.

الرتل المركزي. يقوده مقر قيادة قوات الحرس الجمهوري وبامرته القطعات التالية:

(2) مقر فرقة مشاة /مدرعة و(9) لواء مشاة و (1) لواء مدرع و(1) لواء مشاة آلي (لكل المراحل)

(1) فرقة مدرعة زائد لواء مشاة احتياط

مهمة الرتل:

تطهير الشريط الساحلي في المنطقة المحصورة بين الطريق الأستاتيجي خارج وخور عبد الله.

التطوير باتجاه عقدة الفاو ثم التطوير باتجاه ناحية الخليج ورأس البيشة.

الرتل الجنوبي

يقوده مقر القيادة البحرية والدفاع الساحلي. وبامرته القطعات التالية:

(1) لواء قوات خاصة للإنزال في منطقة المشروع (71) المقصود بها مواقع صواريخ بر بحر.

(2) لواء مشاة بحري للإنزال البحري في منطقة المشروع (71) عند القرار عليه.

(1) لواء قوات خاصة (احتياط)

مهمة الرتل:

تأسيس رأس جسر قوي في منطقة المشروع (71) واحتلاله

التطوير شمالا باتجاه رتل قيادة قوات الحرس الجمهوري.

التطوير والإندفاع جنوبا لتطهير المشروع (81) بعد إنجاز المرحلة الثانية للرتل المركزي.

العمل بأتجاه(رأس البيشة) لعزل أمدادات العدو والتأثير عليه من أتجاه البحر مع بداية المرحلة الأولى والأستمرار بتامين الأسناد للقطعات.

تنشيط العمل من أجاه مينائي البكر والعميق للتأثير على العدو شمال الخليج.

مراحل العملية

المرحلة الأولى: الى قناة الأغمار الأولى (داخل)

المرحلة الثانية: إلى قناة الأغمار الثانية (داخل)

المرحلة الثالثة: الى الفاو وراس البيشة وصولا إلى الضفة الغربية لشط العرب.

القوة الجوية

حددت مهمة القوة الجوية بما يلي:

التجريد الطويل الأمد للمحطات والجسور ومناطق التحشد في ساحة العمليات الجنوبية.

حركات التجريد الأعتيادية وتكون أمتداد للعمل الجوي في المنطقة وبأسلوب الغارات المتفرقة تجاه أهداف محددة.

الأستطلاع الجوي بإنواعه المختلفة.

أستمرار التحسب تجاه الدفاعات الجوية المعادية في المنطقة ومعالجتها بإنواعها المختلفة.

أستمرار المعالجات المتفرقة لبعض الجسور وعدم تواصل معالجة كافة الجسور بزخم عالي وذلك لعدم أفساح المجال لأيجاد البدائل.

11- الأستحضارت التي اتخذت لنفيذ العملية

تحرير عدد من مقرات الفرق والتشكيلات لأغراض التدريب والمناورة بها الى القاطع الجنوبي.

حشد قطعات الحرس الجمهوري في مناطق متفرقة من القاطع الجنوبي مع أستمرارها بالتدريب.

إنشاء ميدانين مشابهين لقاطع الفاو أحدهما لتدريب قطعات الحرس الجمهوري والأخر لقطعات الفيلق السابع.

المناورة بجهد مدفعي كبير وتخصيصه للقيادات المنفذة.

تخصيص جهد هندسي كبير وتخصيصه للقيادات المنفذة

تكليف القوة الجوية بواجبات التجريد المخطط لها بما يخدم العملية ضمن فترة اعداد طويلة لتدمير قوة العدو في القاطع.

وضع خطة مخادعة أستراتيجية وعملياتية وتنفيذها ضمن مراحل قبل واثناء العملية.

التحديد الدقيق للأهداف المهمة ضمن منطقة العمليات بالتنسيق بين القوة الجوية والأستخبارات العسكرية وتزويد القطعات المنفذة بأدق المعلومات عن مواضع وقوة العدو وبشكل مستمر.

المناورة بجهد طبي كبير للقاطع مع فتح عدد من المستشفيات.

تكليف الهندسة العسكرية بإنتاج جميع الوسائل المساعدة على حركة الأليات والمشاة في المناطق الطينية والمغمورة.

تهيئة جهد هندسي أحتياط (جهد طواريء) للحالات التي تظهر خلال المعركة وبضمنها معدات العبور.

تكليف التصنيع العسكري بتصنيع المعدات اللازمة لعمل القطعات والتي تتطلبها منطقة العمليات.

12- سير المعركة

بالساعة 0545 يوم 17 نيسان 1988 بوشر بالقصف التمهيدي على عموم القاطع من حوالي (1000) مدفع ميدان ومتوسط عدا الهاونات والراجمات ولمدة(45) دقيقة. وبالساعة 630 شرعت القطعات بالهجوم على المواضع المعادية. سبقتها عناصر الهندسة لفتح الممرات والمجازات..

بالساعة 800 شرعت القوة الجوية بتنفيذ الواجبات المكلفة بها لأسناد العملية وكانت الوجبة الأولى مؤلفة من (45) طائرة.

الساعة 1100 أكملت قوات الحرس الجمهوري أحتلال أهداف الصفحة الأولى. بعد إن تمكن لواء مغاوير الحرس من الوصول إلى (خور عبد الله) بعد قيامه بأحاطة لقطعات العدو. كما أكملت قوات الفيلق السابع أحتلال اهداف الصفحة الأولى أيضا.

بعد ظهور مؤشرا إنهيار العدو صدرت الأوامر بالأسراع بالتنفيذ مع تداخل الصفحات وعدم ألإنتظار لحين اكمال كل صفحة.

الساعة 2235 تمكنت الفرقة المدرعة السادسة من قوات الرتل الشمالي من تجسير قناة الأغمار الثانية واندفعت امامها وبذلك تكون قيادة الرتل الشمالي قد انجزت كافة اهداف الصفحة الثانية ودمرت كافة تواجد للعدو في المواضع.

يوم 18 نيسان

الساعة 0010 شرعت قطعات الحرس الجمهوري بقصف مدينة الفاو كما قامت بدفع قوة منها التي تمكنت الوصول قرب المدينة والسيطرة عليها، ومن ثم

الإندفاع الى الضفة الغربية لشط العرب شمال مدية الفاو لتامين الجناح الأيسر للقطعات.

الساعة 1215 ت تحرير مدينة الفاو من قبل قوات الحرس الجمهوري.

الساعة 1710 انجزت قوات الحرس الجمهوري أهداف الصفحة الثالثة وبذلك تم تطهير مثلث الفاو كاملا وتحرير الأراضي الوطنية ورفع العلم العراقي على رأس البيشة.

13- نتائج العملية

أستمرت العملية (35) ساعة إنجزت خلالها كامل العملية. تكبدت القوات الأيرانية خسائر كبيرة

مجمل القطعات العراقية المشاركة

(6) فرقة

(5) لواء مدرع

(3) لواء مشاة ألي

(18) لواء مشاة

(2) لواء قوات خاصة

(2) لواء مشاة بحري

بحدود (1000) مدفع ميدان ومتوسط عدا الهاونات والراجمات

(41) زورق صواريخ بحري وزورق مدفعية وسفن انزال وحوامات

بلغ عدد طلعات طيران الجيش (218) طلعة

بلـغ عـدد طلعـات القـوة الجويـة (330) طلعـة بلغـت اوزان الأعتـدة التـي أستخدمتها (655) طن أضافة إلى (13) صاروخ لمعالجة الجسور.

نسبة التفوق

المشاة 6/1

الدروع 5/1

المدفعية 8/1

كثافة المدفعية 300 مدفع /1كم

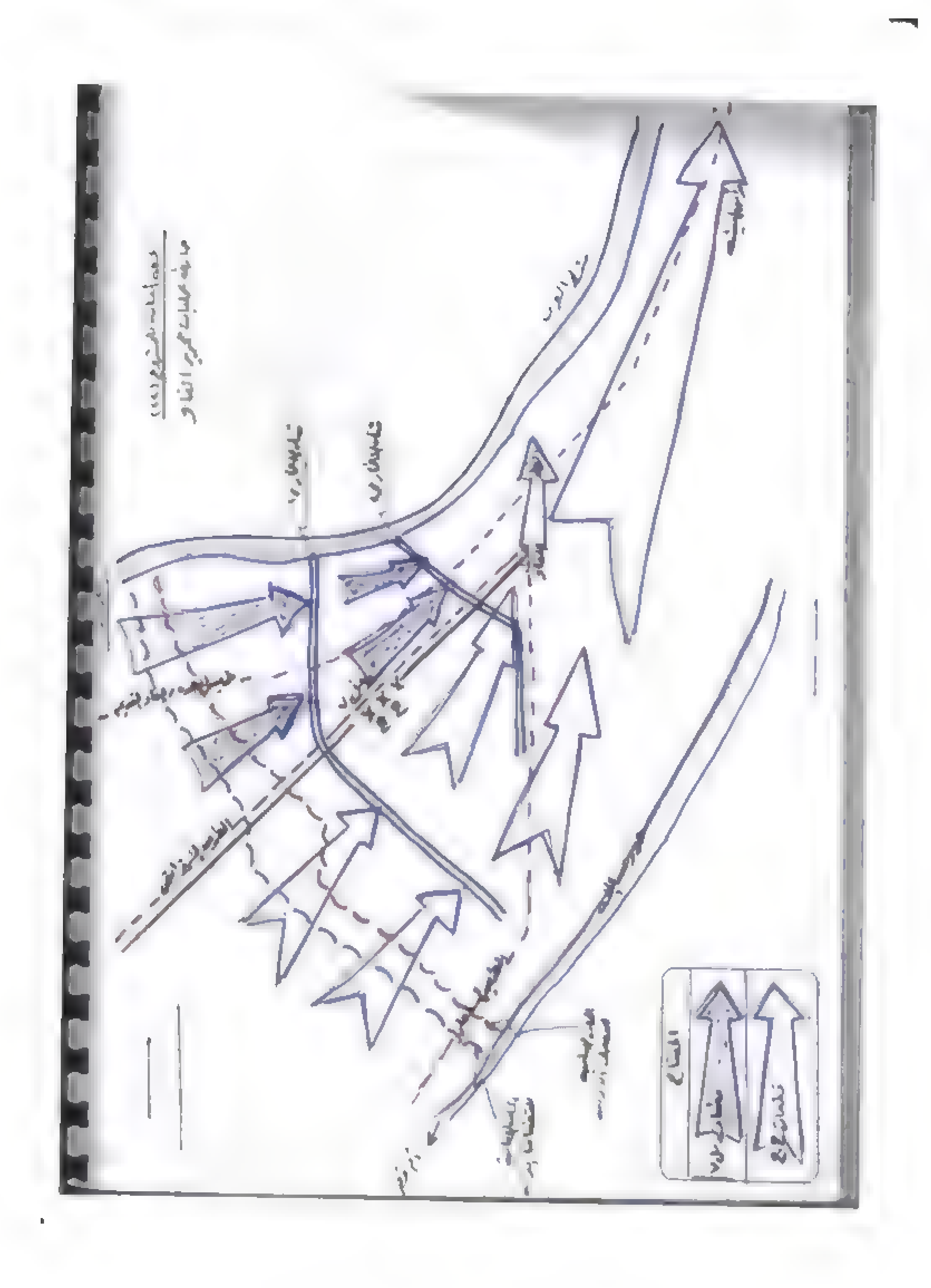
الخلاصة

كانت عملية الفاو مثالا للعملية التعرضية النموذجية التي طبقت فيها أغلب مبـاديء الحـرب والتـي أبرزهـا توخـي الهدف المباغتـة والتحشـد والمباغتـة والمبادأة والأمن.

كما كانت مثالا لتطبيق دورة الحرب بعد تعثر تلك الدورة وعلى مدى اكثر من ست سنوات حيث أضطر العراق إلى تبني خيار الدفاع بعد إن اخذت القوات الأيرانية المبادأة وحرية العمل.

حـاولت القيـادة العراقيـة وعلـى مـدى تلـك السنوات من تفعيل دورة الحرب والخروج من المأزق الأستراتيجي التي أصبحت عليه ولكن لم تنجح كل تلك المحـاولات كونها كانت محدود بأطار فن العمليات والتكتيـك، وكـان الموقف يتطلب قرار على المستوى الأستراتيجي لتغيير الموقف ولكن طريقة التفكير وأدارة الحـرب لـم تتوصل الى أتخاذ القرار المناسب، وكانت المعالجات تتم وبشكل دائم بناءا على رد الفعل (تهجم القوات الأيرانية وتقوم القوات العراقية بصد الهجوم وهكذا) حتى أصبحت تلك الطريقة تمثل رد الفعل المتوقع من قبل القوات الأيرانية، لذلك لم تتوقع القيادة الأيرانية وهي تنفذ أكبر عملية تعرضية في المنطقة الشمالية وتحقق نجاحات مستمرة، إن تقوم القيادة العراقية بهجوم كبير في الجنوب، لذا حققت تلك العملية مباغتة تامة للقيادة الأيرانيـة، وهنا نجد إن عامل اللامتوقع وهو من قوانين الحرب السلبية قد تفاعل بشكل كبير مع القوانين الأيجابية وهي الحركة والقوة والتعرض وتحول الى أحد مضاعفات القوة التي أعطت لتلك العملية زخما كبيرا وغير متوقع. كما برزالدور الفاعل لقانون القوة والتعرض اللذان حققا فعل الصدمة الكبيرة من خلال أستخدام الحجم الكبير من القوات مع القوة النارية الهائلة التي دمرت أغلب الدفاعات وشلت تفكير القيادات، وهكذا تحولت المباداة وحرية العمل بيد القيادة العراقية والتي كانت السبب المهم في نجاح تلك العملية وما تلاها

في العمليات اللاحقة حتى انتهاء الحرب. وهكذا نجد ان قوانين الحرب تثبت مرة اخرى قيمتها وأهميتها في تفعيل دورة الحرب وأخراج القوات العراقية من المازق الأستراتيجي وبالتالي تغيير مسار الحرب لصالح العراق.



ABSTRACT

War and its place in human thought

Analytical study

for the concept of war، its art and military belief

War as a social phenomenon and a political and military activity has accompanied human beings since ancient times until now. Human history is full of wars that are almost continuous.

This phenomenon is characterized by constant use of force، violence، bloodshed and destruction. Hence war became one of the most important topics that had occupied the human thought since ancient times until now، in an attempt to reach its essence، motives، reasons and ways for its management and prevention. An important question was occupying the mind of many researchers and intellectuals.... Is war a question of fatalism written on the humanity and there is no room to get rid of it or is it a necessity of life، survival and evolution of mankind? Is it a necessity of life، survival and development or is part of the formation of human character and nature، which often tend to conflict for the better، according to individual vision، regardless of the consequences on the type of act and its effects on others?

My aim from discussing this subject is to shed light on the war as a concept and philosophy، and how it evolved over time depending on the developments of human needs، aspirations and goals، as well as technical developments in the areas of armament and equipment and

r in an attempt to reach a realistic analysis that answers the important question of s what is war is، ? And why we fight?

I have tried through this research to gain significant results، both of which are related to the concept of war and the point of view that could be consistent with the reality of our nation، our faith and history. I have also tried to provide many real models through the presentation of the art of war، both the strategy and the art of operations، which I believe he needs more research in order to reach an accurate understanding. As for tactics، I tried to focus on its historical development first and then uh the principles adopted from ancient times to our times.

Then I addressed the issue of the expense of combat capabilities of the warring forces which accounts are based on mathematical methods that has become certified method by many of the advanced armies. This is an issue worthy of attention for its importance in modern warfare. The study also provided another complement example of accounts. The account of fronts and depths within the tactical level which is based on practical foundations built on the experience of the Iraq's war.

To complement the picture and the precise link between the concept of war and the art of war. The necessity requires the study of military doctrine، which is a router and the guide and which stem from the political theory of States and political regimes and their understanding to the concept of war. Necessity also requires knowing the practical relationship between faith as a concept and the art of war as an

applied part or what was termed in this study as the cycle of war that was explained and illustrated with several real examples from wars to give precise picture.

Finally، we addressed another issue which is how to end the war. This subject، did not take its right of research and studies as much as the issue of the war، and the art of war did because there are many people who made the decision to go to war but did not know how to end it.

STRUCTURE OF SEARCH

To achieve the goal that we have pointed out to، we have addressed the subject according to scientific structure involved in its first chapter the side foundational and theoretical meaning and concept of war. The first topic of the study addresses the meaning and concept of war. The second topic addresses war in the Islamic thought for reasons we will explain later in the study.

In the second part I address the art of war and the military strategy. To complete all the parts of the art of war the third part addresses operations and tactic. The fourth and the final part is a link between the theory and the practical chapters as it tackles the military belief. in the second topic of this chapter we address the topic of war cycle and ending war.

This study ends with a conclusion and several assumptions. The major ones are:

1 - War with all the tragedies and destruction it carries is a tool for Injustice and aggression، destruction and domination. However war has another face when it becomes a must to correct wrong paths or for self and national dignity defense. The symbolic meaning of heroism and patriotism of defending values and land and protecting the land and the homeland from external dangers came from these necessities. in this sense war is the only path for protecting all these meanings.

2 - Across history، wars are usually launched by strong nations. Small or weak nations especially these with economic wealth are usually justified targets for these forces. In these circumstances public or revolutionary wars or gang's war is the ideal way to face these forces because modern technology loses its power in these wars as was the situation in the Vietnam or Afghan war against the soviet. These wars require two fundamental corners: the unity of the frontier and national leadership that believes in the justice of its cause. The national was is the weapon of weak against the strong.

3 - After through study for many military operations I found out that there are subjective laws that regulate the war in all its phases. These laws applies equally on the sides of the combat therefore we can say that the concepts that leads us to the method of fighting controls our ability to fight or not. These laws are three positive laws; action، force، exposure. The negative laws are these that can impact the positive ones either by increasing or decreasing there impact. These are; protection، friction and the unexpected.

In the light of our addressing for the concept of the cycle of war we found out that the mutual relationship between the positive laws that we pointed out to earlier negatively or positively impact the management of war or what we have termed as the cycle of war. This cycle starts with the strategy then operations followed by tactic or the combat.

الهوامش

1 - رالف سوير. المؤلفات التراثية العسكرية السبع للصين القديمة – ترجمة فالح عبد القادر. وزارة الدفاع العراقية – مديرية التدريب العسكري والتطوير القتالي. سلسلة الثقافة العسكرية الرقم (178) ط1 أذار 1995.

2 - نفس المصدر. ص 49.(التايكونغ)الذي تعزى إليه هذه التعاليم، كان قائدا مشهورا في عهد سلالة(الشانغ) " القرن الحادي عشر ق. م " وكان موضع أجلال وتقدير طيلة التاريخ الصيني، ويعتبر الراعي الأول للدراسات الاستراتيجية، وفي عهد سلالة (الشانغ) منح معبد الولآية باعتباره راعي الشؤون العسكرية لذلك اكتسب مكانة مقدسة من الناحية الرسمية.

3 - نفس المصدر. ص 183. طرق سوما، تعني طرق الوزير، مؤلف الكتاب اسمه "(تاسوما)، كان قائدا بارزا في عهد سلالة(الشو) " القرن الرابع ق.م " أصبح وزير الحرب ولقب (بسوما)، وكان مسيطرا على حكومة الولايات التابعة لها، وكان يدير الجيوش الستة وفي البلاط كان يقدم المساعدة لابن ماء السماء " الإمبراطور " في إدارة الحكومة، وعندما يخرج يصبح القائد العام للحملات التصحيحية ويخمد المتمردين.

4 - نفس المصدر. ص 239. كان(صون تسو) الذي كان اسمه "وو" من أهالي مدينة "وو" شخصية بارعة في السوق العسكري وكان يسكن في منطقة نائية عن المدينة، لذلك لم يعرفه الناس العاديون،ولكن الحكيم (ووتسو هسو) الذي كان من المقربين لملك (وو) (هولو) نصحه باستقدام(صون تسو) أمامه ليتعرف على قابليته ويبدوا أنه اقتنع به وعينه قائدا عاما لجيوشه، وتمكن فعلا من تحقيق انتصارات كبيرة باستيلائه على ولآية)الشو)، يعتقد أنه ألف كتابه فن الحرب بحدود "القرن الخامس ق.م"

5 - نفس المصدر.ص331.كان)ووتشي) "400-361 ق.م " الذي أسمته الأجيال اللاحقة (ووتسو) شخصية تاريخية مشهورة، وصفت مأثره ومنجزاته

العسكرية والإدارية بأنها متميزة كان شخصا موهوبا إلى أبعد حد، وكان من المدافعين عن الكونفوشيوسية، اعتنق فكرة المروءة كأساس جوهري للحكم،وكان قائدا عاما لولآية (الشو) ولم يهزم في معركة أبدا، جمع سجلا مشهورا من الانتصارات الحاسمة على القوات المتفوقة للولايات المحصنة، واعتبر أول قائد عظيم للصين على نطاق واسع، هو مؤلف كتاب (ووتسو) ثم وسعه مريديه من بعده، النسخ الأصلية يعود تاريخها إلى القرن" الرابع ق.م" إلا أنه اتخذ شكله النهائي خلال(سلالة الهان)

6 - نفس المصدر.ص 387. يقال أن كتاب (وي لياو تسو)، سمي على اسم شخصية تاريخية كان اسمها الأول (ويي) وهي ليست الكلمة الصينية نفسها المستخدمة لولآية (ويي) كان اسمه الشخصي (لياو) وكلمة (سو) تعني المعلم، أضافها جامعوا كتابه احتراما له، كان (ويي لياو) سوقيا " لامعا ومنظرا سوقيا ولم يشار إليه كقائد، نادى بتكامل العلمين المدني والعسكري،يحتمل أنه عاش في النصف الأخير من القرن "الرابع ق.م".

7 - نفس المصدر. ص481. السوقيات الثلاث ل (هوانغ شيكونغ) ينسب الكتاب إلى حكيم صيني مسن، وهو يسجل أقوال الحكيم (هوانغ شيكونغ) بعد أن نصب ملكا على ولآية(الشي) عقب هزيمة سلالة(الشانغ)، جمعت الأقوال بطريقة غير مترابطة وعلى الأرجح قام بذلك المؤرخ الرسمي لبلاط ولآية (الشي) مع الاحتفاظ به سرا عبر الأجيال المتعاقبة بسبب قيمته العسكرية يعتبر آخر المؤلفات القديمة مع احتمال تأليفه خلال "القرن العاشر ب.م". يحتوي على ثلاث استراتيجيات العليا والوسطى والدنيا، وكل واحدة تختص بأمور معينه من إدارة الدولة إلى الشؤون العسكرية.

8 - نفس المصدر. ص 521. (تانغ تايزونغ)،هو أحد الثلاثة القادة البارزين من سلالة(الشانغ)، كان لهم الفضل في تأسيس الإمبراطورية الصينية وتوحيدها، أصبح أمبراطورا عام (627) م، أما (لي ويكونغ) كان استراتيجيا قاد العديد من الحملات العسكرية الناجحة، وكان الساعد الأيمن (للتايزونغ) ومستشاره. الكتاب عبارة عن محاورة، أسئلة وأجوبة بينهما لأن الإمبراطور كان يلجأ إليه

في كل قضية مستعصية، تاريخ الكتاب بحدود "القرن السابع م".

9 - الكونفوشيوسية : إن اسم (كونفوشيوس) هو الشكل اللاتيني لاسمه الأصلي (كونغ فو تزو). يحتمل أن ولادته كانت في منتصف القرن السادس ق.م وقد أطلق عليه الأوربيون اسم (كونفوشيوس) هذا في القرن السابع عشر. يعتبر من أكثر الفلاسفة الصينين توقيرا. كان(كونفوشيوس) ينتمي إلى عائلة من قراء الوحي النبلاء الأدنى. أمضى بعض الوقت وزيرا للدولة ومشرفا على أهراء الحبوب. كانت لديه أفكار وتوصيات حول الحكم العادل،ولكنه عجز عن أيجاد حاكم يطبقها بصورة عملية، فتحول عندئذ إلى التأمل والتعليم. كانت غايته أن يقدم صيغة نقية ومجردة للحقائق التي كان يؤمن أنها كامنة في جوهر الممارسات التقليدية وأن يعيد بذلك إحياء الاستقامة الشخصية والخدمة المنزهة عند الطبقة الحاكمة، كان(كونفوشيوس) رجلا محافظا مصلحا،وكان يؤمن أن هناك في الماضي عصرا أسطوريا كان كل إنسان فيه يعرف مكانه ويؤدي واجبه،وكانت العودة إلى ذلك العصر هي غايته الأخلاقية،وكان يوصي بمبدأ النظام أي وضع كل شيء في مكانه الصحيح ضمن تجربة الحياة الكبرى. كانت النصوص التي وضعها تعامل بخشوع يشبه الخشوع الديني وأصبح له الكثير من التلاميذ الذين اكتسبوا شهرة ونجاحا دنيويين مع أن تعاليمه تستنكر السعي المقصود نحو هذه الأهداف، وتحض على إنكار الذات،ولكنها نجحت أيضا من ناحية أعمق وأطول عمرا بكثير لأن أجيالا= =من الموظفين الصينيين صارت تتدرب على مبادىء السلوك والحكم التي وضعها.الصين القديمة.بحث منشور على موقع شبكة الصين

10 - الطاوية : ظهرت الطاوية كنظام فكري منافس(للكونفوشيوسية)على يد المعلم (لاوتسه) وهو حكيم ذائع الصيت جدا. يقال أنه مؤلف النص الذي يعتبر الوثيقة الأساسية في نظام فلسفي سمي فيما بعد(بالطاوية). يدعوا هذا النظام إلى الإهمال المقصود لأشياء كثيرة تؤيدها (الكونفوشيوسية)،مثل احترام النظام السائد واللياقة والتقيد الدقيق بالتقاليد والطقوس،كما تحض على الخضوع لمفهوم كان موجودا في الفكر الصيني أصلا ومألوفا

لدى(كونفوشيوس) هو مفهوم(الطاو) أو الطريق، وهو المبدأ الكوني الذي يتخلل الكون المتناغم ويدعمه، من الناحية العملية يؤدي هذا التفكير إلى الاستكانة السياسية والزهد واتخاذ البساطة والفقر مثالا. ثم أتى حكيم آخر فيما بعد اسمه(منشيوس) (منغ تزو) علم الناس أن يسعوا لخير البشرية، فكانت تعاليمه التي بلغت ذروتها بعد موته قد وضعت المعايير والمثل للنخب الإدارية في الصين حتى يومنا هذا.

11 - شن ويانغ أو ين ويانغ - - هناك عقيدة قديمة في الصين حيث يمثل شن أو ين ويانغ سلسلة لا حصر لها من الأضداد في الكون ففي الحرب نراهما يتجسدان بشكل أساسي في الثنائي (سو) (الجبن، الضعف، الفوضى، الجوع، الإرهاق، القلة العددية، عدم الاستعداد) و (شي) (الشجاعة، القوة، النظام، الشبع، وقت الفراغ، التقوى) وهناك ثنائي آخر معروف وهما(كي) غير عادي (وزنغ) عادي. وردت علاقتهما في حكمة صون تسو (شاغل العدو بقوتك العادية واهزمه بقوتك غير العادية) وعلى أساس هذين الضدين اعتمد الفن السري للحرب في الصين القديمة حيث يعتبر الرقم ستة وهو رقم (ين) الرئيسي الذي يرمز إلى الخدع السرية في السياقات العسكرية وستة تربيع تعني جعبة كبيرة من الخدع – وهناك إشارات عديدة عليها ضمن كتاب خدع الحرب (36 سوق عسكري) لصن هايتشن. خدع الحرب. دائرة التدريب. مديرية التدريب العسكري والتطوير القتالي العراقية. بغداد. ط1 أب 1994.

12 - عندما نفسر تلك العبارات من وجهة نظر عسكرية نجد أنه حدد إطارا لدراسة الحرب بشكلها الشمولي التي تعني الدولة والقوات المسلحة،وهذا المفهوم قريب جدا من الطريقة الحديثة لموضوع تقادير المواقف الاستراتيجية،ولم يكتفي بدراسة تلك العوامل،بل طلب إجراء تقويم لها من خلال الاستمرار بالبحث والتحليل عن أسبابها الحقيقية،وفي هذا إشارة مهمة إلى ضرورة معرفة الأسباب والدوافع الحقيقية للحرب والتي يمكن على ضوؤها إعداد الخطط النهائية لها.الباحث

13 - رالف سوير. المؤلفات التراثية العسكرية السبع للصين القديمة.مصدر سبق

ذكره. ص 356

14 - نفس المصدر. ص 493. (بييرو سودريني)، هو كان من أكبر موظفي دولى فلورنسا خلال الفترة من 1498- 1512، ثم أصبح حاكم فلورنسا.آدورد ميد آرل.رواد الأستراتيجية الحديثة.الكتاب الأول. ترجمة محمد عبد الفتاح. مكتبة النهضة المصرية. ص 44.

15 - إدورد ميد إيرل وآخرين. رواد الاستراتيجية الحديثة. الكتاب الأول. مصدر سبق ذكره. ص52

16 - نفس المصدر. ص56

17 - (هنري جوميني)، (1779- 1869)، مفكر ومؤرخ عسكري، ولد في سويسرا وعمل في الجيش الفرنسي ومستشارا لقيصر روسيا حيث منحه رتبة لواء، له العديد من المؤلفات العسكرية التاريخية ومؤلفات نظرية تحليلية وذلك في حدود "27 " مجلد، وأشهر كتبه " موجز فن الحرب "الذي أصبح مرجعا لأكثر من ربع قرن.والدراسة الموجزة

18 - كارل فون كلاوزفيتز، (1780-1831). شارك في سن مبكرة كعسكري في حملة الراين(1793-1794) ثم دخل أكاديمية برلين العسكرية لصغار الضباط عام(1801). خدم في حملة (1806) وكان برتبة كابتن مرافقا لأمير بروسي، أسر بعد معركة (أوزرتادت) بعد عودته من الأسر عمل في فرنسا وسويسرا، ثم عمل مساعدا(لشارنهورست) وساهم في إعادة تنظيم الجيش البروسي معه، وعندما أرغمت بروسيا عام (1811) على التعاون العسكري مع نابليون اتجه لخدمة روسيا، مع بدآية حرب (1813) كان برتبة كولونيل في الجيش الروسي، كما عمل رئيس أركان الفرقة الروسية الألمانية، عاد إلى ألمانيا بعد صلح باريس (1815) وشارك في معركتي (ليني ووافر) اللتين مهدتا للنصر في واترلو، أشغل منصب إدارة الأكاديمية العسكرية في برلين من عام (1818-1830). كان مراقبا ومحللا وناقدا جيدا للأحداث التاريخية التي عاصرها ومنها خرج بالعديد من المفاهيم والأراء، وكانت أهم كتاباته تلك المتعلقة بالحرب التي احتوتها مجلداته تحت اسم(في الحرب) و(الوجيز في الحرب). آدورد ميد آيرل. رواد

الأستراتيجية الحديثة. مصدر سبق ذكره. ص329.

19 - إدورد ميد إيرل. رواد الأستراتيجية الحديثة.مصدر سبق ذكره. ص290

20 - نفس المصدر. ص305و309.

21 - أنظر في كل ما تقدم حول اراء كلاوزفيتز.الوجيز في الحرب. ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.1974. ص104

22 - ادورد ميد آيرل.رواد الأستراتيجية الحديثة. مصدر سبق ذكره. ص280

23 - انظر فيما تقدم حول آراء ليدل هارت. د. حازم طالب مشتاق. التاريخ فكرا استراتيجيا وأدبا وقصصا. دار دجلة. عمان.2010. ص33و41و42. حول شخصية(تشرشل)(فيصفه بأنه رجل سياسة كان مغرما بالحروب ومتعطشا للدماء،ومحبا للمعارك وكان يتلذذ بمشاهد التحام الجنود والمقاتلين،وإزهاق الأرواح والأنفس). وهناك باحث آخر معروف بأعماله العلمية الموثقة هو (ديفيد أرفينج) تناول في كتابه (حرب تشرشل) شخصيته،وخلص إلى نتيجة واحدة أثبتها على غلاف موسوعته الضخمة مفادها (أن ونستون تشرشل كان رجلا دمر إمبراطوريتين أحداهما معادية، ثم وصفه بالقول،كان تشرشل لا يشعر بالغبطة والسعادة إلا في غمرات ولجج الحرب، ولم يخف هذا الميل من جانبه على الإطلاق،ولم يتردد في إعلانه صراحة لحظة واحدة في يوم من الأيام، ونادرا ما كان بانيا، ولكنه كان رجلا هادما للمدن والشعوب والدول والعروش،وهادما للشواهد التاريخية والنصب الفنية والروائع الأثرية والحدود الإقليمية، وأخيرا لم تفلت حتى الإمبراطورية البريطانية من معوله الهدام، فلم يتوقف عن نشاطه المتميز الدائب حتى أودى بها وقضى عليها القضاء المبرم).

24 - نفس المصدر -.ص 186

25 - نفس المصدر. 175

26 - نفس المصدر. ص202

27 - كلاوزفيتز. فن الحرب.ج1. ترجمة أكرم ديرلي والهيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ص 98.

28 - كلاوزفيتز. الوجيز في الحرب. مصدر سبق ذكره. ص480

29 - الجغرافية السياسية: تأخذ بعين الاعتبار الدولة وتعني بتحليل بيئتها الطبيعية والبشرية ومواردها القومية تحليلاً موضوعياً. أما الجيوبوليتكس: مادتها الجغرافية السياسية، التاريخ، الاستراتيجية العسكرية، دراسة الوضع الطبيعي للدولة لكل مشتملاته من ناحية مطابقتها مع السياسة. مع التأكيد أن الجغرافية السياسية هي الأصل الذي تفرعت منه الجيوبوليتكس.

30 - انظر في كل ما مر. زبغنيو بريجنسكي. رقعة شطرنج – ترجمة أمل الشرقي.الأهلية للنشر والتوزيع. عمان. 2007- ص56.

31 - مايكل هاندل. الحرب والسوق والاستخبارات. دائرة التدريب. مديرية التدريب العسكري والتطوير القتالي العراقية. سلسلة الثقافة العسكرية الرقم 175 ط1. 1994. ص14

32 - د. حازم طالب مشتاق. التاريخ فكرا استراتيجيا. مصدر سبق ذكره. ص32

33 - سيمون هيرش. ثمن القوة. ترجمة خالد إسماعيل الصفار. بيت الحكمة. المطبعة العربية. بغداد -2000. ص531.

34 - تريتا بارزي. حلف المصالح المشتركة، التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة. ترجمة أمين الأيوبي.الدار العربية للعلوم ناشرون.ط1.بيروت. 2008. ص133

35 - موسوعة الحرب العراقية الإيرانية. المجلد الأول. الدار العربية للموسوعات.ص103

36 - نفس المصدر. ص105

37 - نفس المصدر. ص106

38 - د. رعد البيدر. الصدى السياسي للظواهر التاريخية في العلاقات العراقية.الإيرانية. كتاب تحت الطبع.2011. ص 138و150

39 - محمد حسنين هيكل الموسوم (الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق).دار الشروق. 2003 ص182.

40 - في هذا المجال أود أن أشير إلى ملاحظة مهمة،وهي أنه لو كانت مبررات الحروب التي يشنها الغرب لدواعي الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان كما يدعون، لذهبوا إلى الصومال ليخلصوا الشعب الصومالي من المصائب التي حلت عليه.المؤلف

41 - ويليام بولك.لكي نفهم العراق. تقديم د. عبد الحي زلوم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى. عمان – 2006.ص7

42 - مايكل هاندل. الحرب والسوق والاستخبارات. مصدر سبق ذكره. ص396

43 - جيمس ريزن. حالة حرب. ترجمة بسام الكعكي دار الكاتب العربي. بيروت.2000. ص91

44 - جورج تنت. في قلب العاصفة. تجميع رياض القيسي. منشور على النت. ص65

45 - نفس المصدر - ص2

46 - نفس المصدر – ص 50

47 - نفس المصدر. ص 52

48 - نفس المصدر. ص 53

49 - نفس المصدر. ص58

50 - جورج تنت. في قلب العاصفة. تجميع رياض القيسي. منشور على النت. ص73

51 - مايكل هاندل. الحرب والسوق والاستخبارات. مصدر سبق ذكره. ص400

52 - نفس المصدر. ص403

53 - نفس المصدر. ص85

54 - نفس المصدر. ص85

55 - الماركسية اللينينية وقضايا الحرب. بإشراف د.ثيوشكيفيتش.ترجمة خيري الضامن- دارالتقدم. بيروت. 1974. ص9

56 - نفس المصدر. ص10

57 - نفس المصدر. ص10

58 - ج. فولـر. إدارة الحــرب. ترجمــة أكــرم ديــري. دار اليقضـة العربيـة. بيروت..1963ص 328

59 - نفس المصدر. ص328

60 - الماركسية اللينينية وقضايا الحرب. مصدر سبق ذكره - ص16

61 - ج. فولر. إدارة الحرب. مصدر سبق ذكره. ص 327

62 - منير شفيق. فن وعلم الحرب. الدار العربيـة للعلوم ناشرون. بيروت. ط1-2008. ص18.

63 - الدكتور أحمد علو، مجلسة الجيش اللبناني، العدد 260- شباط -2007.

64 - العسكرية الصهيونية. المجلد الثاني- العقيدة والاستراتيجية الحربية الإسرائيلية. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية مؤسسة الأهرام. القاهرة - 1974. ص14

65 - فـؤاد بطاينـة. شـيطانية الأسـفار وخطـأ الغـرب التـاريخي. ط1. دائـرة المطبوعـات والنشـر فـي المملكـة الأردنيـة الهاشـمية. عمـان. 2000. ص183 التواراة. إصحاح التثنية

66 - العسكرية الصهيونية. المجلد الثاني. مصدر سبق ذكره. ص15- 1: 7و8س

67 - العسكرية الصهيونية.المجلد الثاني. مصدر سبق ذكره. ص15

68 - فـؤاد بطاينـة. شـيطانية الأسـفار.مصدر سبق ذكـره. ص182. الإصـحاح الأول. سفر يشوع

69 - العسكرية الصهيونية.المجلد الثاني. مصدر سبق ذكره.ص16.

70 - نفس المصدر. ص22. سفر التثنية – 20: 16،14،10.

71 - العسـكرية الصـهيونية.المجلد الثـاني. مصـدر سـبق ذكـره ص23. سـفر أشعياء.13 : 1618.

72 - قلعة مسعدة: وهي قلعة تقع على الضفة الغربية للبحر الميت كانت من ضمن مملكة يهوذا.

73 - العسكرية الصهيونية.المجلد الثاني. مصدر سبق ذكره. 17

74 - نفس المصدر. ص23

75 - محمد حسنين هيكل (الأمبراطورية الأمريكية والأغارة على العراق). مصدرسبق ذكره – ص225

76 - نفس المصدر. ص225.

77 - جريس هالسل. النبوءة والسياسة. ترجمة محمد السماك. دار الشروق. بيروت.1998. ص7

78 - نفس المصدر. ص 7

79 - محمد حسنين هيكل. الإمبراطورية الأمريكية والغارة على العراق.. مصدر سبق ذكره. ص102

80 - القرآن الكريم. سورة البقرة –آية 216

81 - القرآن الكريم. سورة البقرة - آية 208

82 - نفس المصدر. سورة الأنفال. آية. 61

83 - نفس المصدر. سورة النساء. آية 90

84 - نفس المصدر. سورة النحل - آية 125

85 - نفس المصدر. سورة العلق

86 - نفس المصدر. سورة المدثر

87 - نفس المصدر. سورة الشعراء. آية 214و215

88 - نفس المصدر. سورة الشورى. آية 7

89 - نفس المصدر. سورة إبراهيم – 1

90 - القرآن الكريم. سورة الحجر – آية 94

91 - د. نادية حسن صقر. فلسفة الحرب في الإسلام. وزارة الأوقاف المصرية. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. دراسات في الإسلام. القاهرة -1990- ص15

92 - القرآن الكريم. سورة النحل. آية 125

93 - د.صالح أحمد العلي: تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة، منشورات المجمع العلمي العراي، 1969، ص16.

94 - القرآن الكريم. سورة الحج. آية 39

95 - القرآن الكريم. سورة التوبة. آية 25

96 - د. نادية حسن صقر. مصدر سبق ذكره. ص60

97 - د. نادية حسن صقر. مصدر سبق ذكره. ص 65

98 - د. نادية حسن صقر. مصدر سبق ذكره. ص 33

99 - القرآن الكريم. سوة البقرة ز ص216

100 - نفس المصدر. سورة الحج آية 39و40

101 - نفس المصدر. سورة التوبة.آية 29

102 - نفس المصدر. سورة البقرة. آية 190

103 - القرآن الكريم. سورة الأنفال. آية 38و 39و40

104 - حسان عبد المنان المقدسي. فلسفة الجهاد وأوضاعها المعاصرة. نقلا عن صحيح مسلم. الحديث 1731.

105 - د.وليد عبد الملك الراوي. المنهج السلمي في نشر الدعوة الإسلامية في صدر الأسلام. دار آمنة للنشر والتوزيع.عمان. 2011.ص258.

106 - إياد خليل زكي. فلسفة الجهاد في الإسلام بين النظرية والتطبيق. عمان. دار سراج للدعاية والنشروالتوزيع. ط1.2006. ص25و26

107 - القرآن الكريم. سورة البقرة.آية 208

108 - نفس المصدر. سورة البقرة. آية 216

109 - د. حازم طالب مشتاق. التاريخ فكرا استراتيجيا وأدبا قصصيا وأحاديث وآراء أخرى. مصدر سبق ذكره.ص204.

110 - المدخل في السوق والجغرافية العسكرية. وزارة الدفاع العراقية. بغداد 1965. ص5.

111 - فريق ركن محمد فتحي. قاموس المصطلحات العسكرية. المطابع العسكرية. بغداد. ص16

112 - محمود شيت خطاب. الرسول القائد. ط2. دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة. بغداد 1960. ص17

113 - الموسوعة العسكرية. ج1.المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

ط1. 1977. ص512

114 - نفس المصدر. ص512.

115 - د. إياد خليل زكي. فلسفة الجهاد بين النظرية والتطبيق. مصدر سبق ذكره. ص27-

116 - د.عبد القادر محمد فهمي. المدخل إلى دراسة الاستراتيجية. مصدر سبق ذكره. ص123.

117 - نفس المصدر. ص124.

118 - د.عبد القادر محمد فهمي. المدخل إلى دراسة الاستراتيجية. مصدر سبق ذكره. ص125.

119 - د حازم طالب مشتاق. التاريخ فكرا استراتيجيا. مصدر سبق ذكره. ص175.

120 - القرآن الكريم. سورة الأنفال آية 60و61.

121 - الجنرال آ.آ. ستروكوف. بروفسور ودكتور في العلوم التاريخية. أستاذ في معهد التاريخ العسكري في موسكو. ترأس لجنة من الضباط السوفيت عام 1966 لوضع كتاب تاريخ فن الحرب منذ العصور القديمة وحتى تاريخ كتابة الكتاب.

122 - يينظر في كل ماجاء عن الصين القديمة. كتاب المؤلفات التراثية السبع للصين القديمة. مصدر سبق ذكره..

123 - حول كل ما جاء عن السومريين والأكديين والبابليين والأشوريين ومصر القديمة. راجع كتاب.د عبد العزيز صالح.الشرق الأدنى القديم.مكتبة الأنجلو المصرية.مطبعة محمد عبد الكريم.القاهرة.2004.الصفحات. 47و401 و70 و458و90. وكتاب أحمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ. ط2.العربي للاعلان والنشر. الصفحات 71و79و81. وكتاب مونتغمري. الحرب عبر التاريخ. ترجمة فتحي عبد الله. الصفحات 51و65.

124 - ستروكوف. الجنرال آ.أ ستروكوف. تاريخ فن الحرب. منشورات أكاديمية العلوم السوفيتية.ترجمة عميد ركن صباح الدين الأتاسي. إصدار

إدارة التدريب في القوات المسلحة السورية. 1968- ص50
125 - ليدل هارت.الاستراتيجية وتاريخها في العالم.ترجمة الهيثم الأيوبي.دار الطليعة. بيروت.ص6
126 - ستروكوف.تاريخ فن الحرب. مصدر سبق ذكره. ص69.
127 - محمد خالد. قصة التعبية. مطبعة دار المعارف. بغداد. 1969. ص36.
128 - انظر في كل ما تقدم.إدورد ميد آيرل.رواد الاستراتيجية الحديثة الكتاب الأول مصدر سبق ذكره.الصفحات من27-30.وكتاب منير شفيق.الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب.مصدرسبق ذكره.ص37.
129 - إدرورد ميد آيرل. رواد الاستراتيجية الحديثة. الكتاب الأول. مصدر سبق ذكره. 186.
130 - إدرورد ميد آيرل. رواد الاستراتيجية الحديثة. الكتاب الأول. مصدر سبق ذكره. ص69.
131 - نفس المصدر. ص71.
132 - نفس المصدر. 65.
133 - ج. س. فولر. إدارة الحرب. مصدر سبق ذكره. ص38.
134 - نفس المصدر – ص22.
135 - ج. س. فولر. إدارة الحرب. مصدر سبق ذكره.ص24.
136 - نفس المصدر – ص38.
137 - ج. س. فولر. إدارة الحرب. مصدر سبق ذكره. ص38و39.
138 - تفس المصدر– ص41.
139 - نفس المصدر.ص46.
140 - نفس المصدر. ص60.
141 - ج. س. فولر. إدارة الحرب. مصدر سبق ذكره.59.
142 - نفس المصدر. ص70و71.وكتاب منير شفيق.الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب.مصدر سبق ذكره. ص43.
143 - كانت المعركة في البداية تمثل عنصر الحسم الرئيسي في الحرب،

وكانت مترابطة مع الاستراتيجية، لأن معركة واحدة كانت كافية لحسم الحرب لصالح الطرف المنتصر، ولكن بعد تطور المعارك من ناحية الحجم والفترة الزمنية جاء مصطلح الموقعة ليشمل عدة معارك وأصبحت الموقعة هي التي تحدد نتائج الحرب.الباحث

144 - ستروكوف. تاريخ فن الحرب. مصدر سبق ذكره. ص297و298.

145 - كان الروم قد اختاروا موقع اليرموك لأنه كان عبارة عن سهل منبسط يحيطه نهر اليرموك الذي يسير بشكل قوس قبل التقائه بنهر الأردن بثلاثين ميلا ولهذا السهل منفذ واحد، كما أنه محاط بالجبال من ثلاث جهات وعند مدخل القوس النهري تقع الواقوصة، رتب الروم جيشهم بثلاثة أقسام رئيسية،الميمنة ووضعت قرب فتحة الواقوصة وحفرت الخنادق أمامها،ثم القلب والميسرة،ثم الخيالة في الخلف. أما المسلمون فقسموا جيشهم إلى ميمنة وميسرةوقلب مع الاحتفاظ بالخيالة (3000) فارس احتياط.كانت خطة خالد هي استدراج الروم إلى أرض مكشوفة ومقاتلتهم،وعهد إلى الميمنة والميسرة تثبيت جناحي الروم ومنعهما من الالتفاف حول أجنحة جيش المسلمين، على أن يقوم القلب بالهجوم الجبهوي والتظاهر بالانسحاب لإغراء الروم بالخروج من= =مواضعهم. سارت الخطة كما رسمها خالد،عندها أوعز للجيش بالهجوم الشامل وفصل الخيالة عن المشاة بعد أن أمر بفتح الثغرة عند الواقوصة التي تسربت منها خيالة الروم،وعندها بقي المشاة لوحدهم فتم القضاء عليهم بالمشاة والخيالة.

146 - انظر معركة نهاوند.على موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة،وموقع الملاحم والفتن وموقع د. الشيخ ناصر الأحمد..

147 - شريف عبد العزيز. بحث منشور على موقع (shreef@islammemo.cc) تاريخ أكتوبر.2004

148 - على سبيل المثال،ما أحدثته السكك الحديدية في مجال قابلية الحركة. ففي عام (1833) قدم عالم ألماني يدعى (فردريك ويلهام هاركوت) أول مقترحات معقدة لاستخدام السكك لأغراض استراتيجية،وجرى إرسال الفيلق

البروسي السادس المؤلف من (12) ألف مقاتل مع خيولهم وأسلحتهم وعتادهم بالسكك الحديدية لإخضاع جمهورية (كركاو المستقلة).وفي زمن الحملة الفرنسية في إيطاليا والحرب الأهلية الأمريكية وحروب الوحدة الألمانية شكلت السكك الحديدية عنصرا رئيسيا في زيادة قابلية الحركة العسكرية،وكانت ذات أهمية حاسمة في الحرب.(راجع مايكل هاندل. الحرب والسوق والاستخبارات.مصدر سبق ذكره. ص79)

149 - مايكل هاندل. الحرب والسوق والاستخبارات. مصدر سبق ذكره. ص79و80.

150 - انظر. ستروكوف.تاريخ فن الحرب.مصدر سبق ذكره. ص307و308و311.

151 - شليفن – هو الفريد فون شيلفن – (1833- 1913) قائد ألماني برتبة مشير. ورئيس الأركان العامة الألمانية، درس في أكاديمية الحرب في برلين (1858-1861) أصبح ضابط ركن خلال الحرب النمساوية – البروسية عام (1866) ثم تولى مناصب في الأركان العامة برئاسة (مولتكة الكبير) ومهام الأركان في الميدان ومهام أخرى أثناء الحرب الفرنسية- البروسية. في عام (1891) أصبح خليفة لمولتكة.

152 - انظر.ستروكوف. تاريخ فن الحرب.مصدر سبق ذكره.ص368و369.

153 - ليدل هارت –الاستراتيجية وتاريخها في العالم.مصدر سبق ذكره. ص400.

154 - معركة كامبراي. حدثت المعركة في تشرين ثاني(1917) خلال الحرب العالمية الأولى. كانت غاية هذه المعركة التي خاضتها القوات البريطانية إنهاء الجيوش الألمانية في حين كان الفرنسيون يحاولون إعادة قواتهم المحطمة. تقرر تحقيق مباغتة بالامتناع عن القصف المدفعي التمهيدي. كما استخدمت طرق جديدة للمدفعية منها الاستمكان بالصوت والوميض وأمكن تحديد مواقع بطريات المدفعية الألمانية. كانت سمة المعركة الرئيسة هي استعمال الدبابات بالهجوم حيث قادت (9 كتائب و378)دبابة فيلقي مشاة في الهجوم على

الدفاعات الألمانية، وكانت تلك المرة الأولى التي تستخدم فيها الدبابات بهذا العدد وبشكل كتلة، تمكنت من شق طريقا عبر الخطوط الألمانية وتبعتها موجات المشاة من الجيش الثالث،تراجعت القوات الألمانية بسبب المباغتة.تمكنت الدبابات من تحقيق خرق بعمق (7-8)كم وعلى جبهة بحدود (9) كم مخترقة الموضعين الأول والثاني خلال ست ساعات، ولكن الهجوم توقف أمام الخط الثالث لعدم وجود احتياط.

155 - انظر ستروكوف. تاريخ فن الحرب. الصفحات.من 376-387.

156 - لود ندورف - هو أريك فريدريك لودندورف (1865-1937) قائد ألماني كان برتبة لواء عندما نشبت الحرب العالمية الأولى، بعد تفوقه بمعركة (بلجيكا) عين بمنصب رئيس الإمداد والتموين وعمل مع رئيس الأركان العامة (هندنبورغ) في الجبهة الشرقية، حقق الاثنان الانتصار في (تانينبيرغ). حل الثنائي(هندنبورغ – لوديندورف) محل(فالكنهاين) في قيادة الجبهة الغربية في (29 أب 1916) وتبنى هذا الثنائي استراتيجية دفاعية استمرت طوال عام (1918)، وخططا سلسلة هجمات بدأت بمعركة السوم. ولم تحقق الهجمات انتصارا حاسما. بعد هجوم الحلفاء في(أميان) أعلن(لوديندورف) (بوجوب إنهاء الحرب). اشترك في مؤامرة ميونخ الفاشلة عام(1923) بدفع من هتلر، رشحه النازيون لمنصب الرئاسة في عام (1925) إلا أنه لم يحصل على الأصوات اللازمة وفاز(هندنبورغ). استقال في عام(1928) وتنحى من الحزب النازي ولم يعد مؤيدا لهتلر، كتب رسالة إلى(هندنبورغ) قال فيها ((بتعينك لهتلر كمستشار لألمانيا سلمت أرض الأجداد الألمانية المقدسة لواحد من أكثر الرجال خطورة عبرالأزمنة، أنا أتنبأ لك بأن هذا الرجل الشرير سوف يغرق= =إمبراطورية الرايخ في جهنم ويصيب أمتنا ببلاء لاحد له، أجيال المستقبل سوف تلعنك في قبرك لهذه الخطوة) رشحه(هتلر) عام(1935) ليكون مارشال ميداني فقال له : بأن المارشال الميداني يولد ولا يصنع،استمر بقيادة الحملات على الكاثوليك واليهود والماسونيين. توفي في توتزنغ عام(1937) وأقيمت له جنازة ضد رغبته حضرها هتلر.

157 - ستروكوف. تاريخ فن الحرب. مصدر سبق ذكره. ص526.

158 - انظر ستروكوف. نفس المصدر. من ص531-537.

159 - انظر. فرنان شنيدر – تاريخ الفنون العسكرية – ترجمة فريد أنطونيوس – ط1. منشورات عويدات.بيروت.1970 ص118.ومنير شفيق.الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب.مصدر سبق ذكره. ص176و178.

160 - ج. ف. فولر ز التكنولوجيا والحرب الحديثة. دار القلم.بيروت.ترجمة نخبة من العسكريين العرب. 1969. الجزء الثاني. نظرية الحرب الآلية. ص75-96.

161 - فرنان شنيدر. تاريخ الفنون العسكرية. مصدر سبق ذكره. ص118.

162 - انظر فرنان شنيدر. تاريخ الفنون العسكرية. مصدر سبق ذكره. من ص122-126.

163 - أ. د عبد القادر محمد فهمي. مدخل إلى دراسة الاستراتيجية.مصدر سبق ذكره. ص170.

164 - كلاوزفيتز. في الحرب. ج1. ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. القاهرة. ص151

165 - كلاوزفيتز. في الحرب. ج1. ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي. مصدر سبق ذكره. ص153.

166 - نفس المصدر. ص153

167 - بوفر. ج بوفر – مدخل إلى الاستراتيجية – ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي - دار الطليعة– بيروت – ط2 -1970- ص28.

168 - ستروكوف – تاريخ فن الحرب – مصدر سبق ذكره ص15.

169 - نفس المصدر – ص15.

170 - محمد وليد الجلاد وهيثم كيلاني – الموسوعة العربية - بحث منشور على موقع الموسوعة العربية تحت عنوان الاستراتيجية.

171 - كلاوزفيتز – الوجيز في الحرب – ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر –بيروت – 1974ص171.

172 - كلاوزفيتز.المصدر السابق،ص143.

173 - إدورد ميد إيرل وآخرون - رواد الاستراتيجية الحديثة – الكتاب الأول. مصدرسبق ذكره. ص306و307.

174 - إدورد ميد إيرل وآخرون. مصدرسبق ذكره. ص307.

175 - منير شفيق- فن وعلم الحرب. الدار العربية للعلوم ناشرون. مصدر سبق ذكره. ص53.

176 - ليدل هارت. الاستراتيجية وتاريخها في العالم. مصدر سبق ذكره. ص 399.

177 - نفس المصدر. ص397.

178 - ليدل هارت. الاستراتيجية وتاريخها في العالم. مصدر سبق ذكره. ص400.

179 - أندريه بوفر – المدخل إلى الاستراتيجية العسكرية – ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي -- دار الطليعة – بيروت – ط2- 1970 ص28 ا10.

180 - أكرم ديري والهيثم الأيوبي – نحو استراتيجية عربية موحدة – دار اليقضة العربية – بيروت –ص 27و28.

181 - سكولوفسكي - الاستراتيجية العسكرية السوفيتية – ترجمة خيري حماد - عالم الكتب –بيروت – ص46.

182 - محاضرات الاستراتيجية العسكرية لكلية الحرب المصرية – ص12.

183 - ل.ر داود سليمان - نظريات الاستراتيجية العسكرية الحديثة -- ط1 1988 – ص42.

184 - د عبد القادر محمد فهمي – المدخل إلى دراسة الاستراتيجية – مصدر سبق ذكره –ص36.

185 - د عبد القادر محمد فهمي – المدخل إلى دراسة الاستراتيجية –.مصدر سبق ذكره.ص36و37.

186 - ليدل هارت – الاسترتتيجية وتاريخها في العالم – مصدر سبق ذكره- ص400.

187 - أمجد الزهيري – بحث الاستراتيجية العسكرية – جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا- كلية الحرب - 1985- ص12.
188 - أمجد الزهيري – بحث الاستراتيجية العسكرية –. مصدر سبق ذكره– ص12.
189 - ليدل هارت – الاستراتيجية وتاريخها في العالم – مصدر سبق ذكره - ص 413 و414.
190 - أمجد الزهيري. بحث الاستراتيجية العسكرية. مصدر سبق ذكره. ص13.
191 - الموسوعة العسكرية العربية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت -1981 – ج1 - ص47
192 - ليدل هارت. الاستراتيجية وتاريخها في العالم مصدر سبق ذكره. ص413و414.
193 - فريق ركن محمد عبد القادر. العقيدة العسكرية العراقية ومرتكزات السوق العراقي. دراسة معتمدة من قبل القوات المسلحة العراقية - 1989 – ص14و15و16.
194 - ليدل هارت. الأستراتيجية وتاريخها في العالم. مصدر سبق ذكره. ص339.
195 - روجر باركنسن. موسوعة الحرب الحديثة. مصدر سبق ذكره. ص 19و66.
196 - أشهر عمليات المظليين. موقع منتدى الجيش العربي.
197 - فولر. ج. ف.س.فولر.إدارة الحرب. مصدر سبق ذكره. ص113.
198 - انظر في كل ما تقدم حول أفكار جوميني. أدورد ميد أيرل وآخرين. رواد الأستراتيجية الحديثة. مصدر سبق ذكره. ص303و306.
199 - منير شفيق. الأسترتيجية والتكتيك في فن علم الحرب. مصدر سبق ذكره - ص42و43.
200 - أمجد حسن الزهيري. المجلة العسكرية. دائرة التديب مديرية التطوير القتالي في وزارة الدفاع العراقية. العدد 4لسنة 1986. مقالة بعنوان فن

العمليات.ص117.
201 - راجع الملحق الرقم (2) مخطط أسلوب المعركة عند نابليون.
202 - أمجد حسن الزهيري. المجلة العسكرية. مصدر سبق ذكره. ص122و123.
203 - معركة الغزالة. موقع مقاتل. http://www.moqatel.com.
204 - راجع الملحق رقم (3) معركة شرق ميسان (توكلنا على الله الثالثة).
205 - انظر في كل ما تقدم انفا. الفريق رعد الحمداني. قبل ان يغادرنا التايخ. الدارالعربية للعلوم ناشرون. ط 1. عمان. 2007 ص244.
206 - العمليات العميقة في العقيدة الشرقية - من منشورات موسوعة المقاتل -1/1/2001- ص5http://www.moqatel.com.
207 - العمليات العميقة في العقيدة الشرقية. مصدر سبق ذكره. ص6.
208 - راجع الملحق الرقم (4) معركة تحرير الشلامجة.
209 - راجع الملحق الرقم (5) معركة توكلنا على الله الرابعة. مع الخرائط.
210 - راجع الملحق الرقم (6) مخطط معركة شرق البصرة الاولى.
211 - راجع الملحق الرقم (7) مخطط معركة كورسك.
212 - ستروكوف - تاريخ فن الحرب - مصدر سبق ذكره - ص118.
213 - الموسوعة الحرة. ويكيبيديا. موضوع التكتيك.
214 - انظر في كل ما تقدم آنفاً.د. عبد العزيز صالح – الشرق الأدنى القديم. مصر والعراق: مكتبة الانجلو المصرية، 2004، ص47و70و90و401و458. د. أحمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ.ص71و79و81 مصادر سبق ذكرها.
215 - انظر في كل ما تقدم آنفاً.ستروكوف- تاريخ فن الحرب. مصدر سبق ذكره.
216 - أدوارد ميد أيرل. رواد الأستراتيجة الحديثة. مصدر سبق ذكره. ص65.
217 - نفس المصدر. ص65.
218 - نفس المصدر. ص66.
219 - أدوارد ميد أيرل. رواد الأستراتيجة الحديثة. مصدر سبق ذكره. ص226.

220 - نفس المصدر. ص66.

221 - ستروكوف. تاريخ فن الحرب. مصدر سبق ذكره. ص 224.

222 - انظر في كل ما مر أنفا. نفس المصدر. ص224-228.

223 - منير شفيق. فن علم الحرب. مصدر سبق ذكره. ص177.

224 - منير شفيق. فن علم الحرب. نفس المصدر. ص182.

225 - روجر باكنسن.موسوعة الحرب الحديثة. مصدر سبق ذكره. ص 217.

226 - أنظر في كل ما مر انفا.منير شفيق. مصدر سبق ذكره. ص183.

227 - أنظر في كل ما مر انفا.منير شفيق. مصدر سبق ذكره. ص 185.

228 - أدورد ميد آيرل. رواد الأستراتيجية الحديثة. مصدر سبق ذكره. ص229.

229 - نفس المصدر – ص308.

230 - كلاوزفيتز – الوجيز في الحرب – مصدر سبق ذكره – ص141.

231 - ليدل هارت - الأستراتيجية وتاريخها في العالم – مصدر سبق ذكره - ص339.

232 - منير شفيق - فن علم لحرب – مصدر سبق ذكره - ص40.

233 - ستروكوف – تاريخ فن الحرب- مصدر سبق ذكره - ص19.

234 - مجلة الحرس الوطني السعودي – العدد 226- تاريخ 1/4/-2001 دراسة تحت عنوان – المقارنة النوعية للجيوش وكيفية حسابها.

235 - دراسة الجبهات والعماق. الملحق الرقم (8).

236 - ليدل هارت – الأستراتيجية وتاريخها في العالم – مصدر سبق ذكره - ص401.

237 - أدورد ميد آيرل. رواد الأستراتيجية الحديثة – مصدر سبق ذكره - ص382.

238 - موقع البسالة – موضوع العقيدة العسكرية – تاريخ 1/1/2001 – ص2.
http;//www.albasalh.com

239 - محمد جمال محفوظ – العقيدة في الفلسفة الإسلامية – مقال منشور

علـــى مـــوقع فســـطاط -1/1/2001- ص1 http;//www.fustat.com_1hist/ askariyah.shtm

240 - موقع البسالة – موضوع العقيدة العسكرية – مصدر سبق ذكره – ص3

241 - موقع المنتدى العربي للدفاع والتسليح – دراسة تحت عنوان العقيدة العسكرية والعقيدة القتالية 10/4/2009

242 - موقع الباسل – موضوع العقيدة القتالية –ص3

243 - نفس المصدر – ص3

244 - محمد عوض السرحاني – مقالة منشورة في مجلة الحرس الوطني السعودي –تاريخ 3/1/ 200

245 - مـــــوقع البســـالة – موضـــوع العقيـــدة العســـكرية – تـــاريخ 1/1/2001www.albasalh.com

246 - د. عبد القادر محمد فهمي – المدخل إلى الأستراتيجية- مصدر سبق ذكره. ص326

247 - نشأت هذه العقيدة في الخمسينيات من القرن الماضي في مجال الطب النفسي التي وضع نظريتها وأسسها الطبيب النفسي الكندي (أيون كاميرون) والـذي مـولت أبحاثـه وكالـة المخابرات الأمريكية. كانت نظريته تعتمد على الصدمة الكهربائية على أدمغة المرضى بهدف تحويل أدمغتهم إلى صفحة بيضاء لإعادة كتابة المعلومات الملائمة عليها.أما في المجال السياسي لهذه النظريـة فكـان رائـدها (ميلتون فريـدمان) الـذي بـرز نجمـه مع صعود(ريغان وتاتشـر) فـي الثمـانينات فـي كـل مـن الولايـات المتحـدة وبريطـانيا.كانت مـهمة(فريدمان) كمـا كـانت مـهمة((كاميرون) هـي الحلـم بالعودة إلى الصحة الطبيعيـة التـي كـان التـوازن مستتبا فيها على نحـو كامل بعيدا عن تدخل الأنسان وأنتاجه انماطا مشوهة،وكما حلم (كاميرون)بإعادة ذهن الأنسان إلى حالته الطبيعية،كذلك حلم (فريدمان)بتفكيك نمط المجمع وتحويله إلى حالة من الرأسمالية النقية المطهرة من جميع التشوهات= =الخارجية. كانت نظرية (فريـدمان) تتمـيز بـالثالوث التـالي : الغـاء القطـاع العـام،منح الحريـة الكاملة

للشركات،الحد الكبير للأنفاق الأجتماعي. لكن نظريتة لم تطبق في العالم في ظـروف ديموقراطيـة، بـل رافـق كل التحـولات أنقلابـات عسـكرية وأنتشـار التعـذيب وأسـتغلال الحـروب والكـوارث الطبيعيـة، وهكـذا جـاءت نظريـة (فريدمان)العلاج بالصدمة بالكوارث على الكثير من دول العالم. لكن المفصل الحقيقي في تاريخ هذه العقيدة كما تقول الكاتبة (نعومي كلاين) في كتابها (عقيدة الصدمة) هو العراق ففيه بلغت هذه العقيدة ذروتها. تقول الكاتبة (ما جرى في العراق ب"فرط الصدم" فالهجوم الكمثف على هذا لبلد وتدمير بناه التحتيـة بشـكل تـام رغبـة فـي محـوه وأعادتـه صـفحة بيضـاء إلـى العصـر الحجري... ما حدث بالعراق كان تبنيا صريحا" لعقيدة الصدمة " الوقت الأفضل للأستثمار هو حين يكون الدم لا يزال على الأرض،هذا ما صرح به للكاتبة احد المندوبين في المؤتمر الثاني لإعادة أعمار العراق. فمهندسوا الغزو كانوا من أشد المؤمنين بعقيدة الصدمة، وكانوا متاكدين ان هذا البلد سيتم بيعه بالمزاد العلنـي، بينمـا يكـون العـراقيون تحـت تـأثير صـدمة القصـف،التي جاء بعدها الصدمة الاقتصادية. كانت عقيدة الصدمة والترهيب التي تفآخر بها أمريكا، أنها لا تستهدف قوات العدو العسكرية فحسب بل المجتمع بأسره، كما يشدد واضـعوها، فـالخوف الجمـاعي هـو جـزء مـن هـذه العقيـدة).أنظر في ما يتعلق بعقيـدة الصـدمة. نعومـي كلايـن. عقيـدة الصـدمة. الجزيـرة نـت. الناشـر شركة المطبوعات للنشر والتوزيع. بيروت

248 - موقع المنتدى العربي للدفاع والتسليح - قسم الدراسات والتحاليل - موضوع العقيدة العسكرية الجديدة لروسيا – تاريخ 5/6/2010ص8

249 - موقع المنتدى العربي للدفاع والتسليح - قسم الدراسات والتحاليل -. مصدر سبق ذكره. ص8

250 - نفس المصدر - أستنادا إلى ما نشرته وكالة نوفوستي للأنباء – بتاريخ 25/2/2010- ص7و40

251 - انظر في كل ما له علاقة بالعقيدة الروسية. موقع المنتدى العربي للدفاع والتسليح. قسم الدراسات والتحليل. مصدر سبق ذكره

252 - أنظر في كل ماله علاقة بالموضوع.المنتدى العربي للدفاع والتسليح. مقالة تحت عنوان العقيدة العسكرية الإسرائيلية تتغير تبعا لمفاهيم الحرب الجديدة.

253 - كلاورفيتر - الوجيز في الحرب. مصدر سبق ذكره. ص 341.

254 - القوانين الأساسية للحرب. سلسلة محاضرات الحرب. كلية الأركان العراقية. دورة الأركان (37)، 1970.

255 - موقع الموسوعة الكتاب، مبحث تحت عنوان مبادئ الحرب. ص5.

256 - حارث لطفي الوفي. مبادئ الحرب - دراة مقارنة. سلسلة بحوث عسكرية الرقم (47). دورة التطوير القتالي، بغداد،1985، ص154.

257 - كلاوزفيتز - الوجيز في الحرب - مصدر سبق ذكره - ص133.

258 - مـا يكـل هانـدل. الحـرب والسوق والاستخبارات، مصدر سبق ذكره،ص701.

259 - جدعون روز، كيف تنهي الحرب، اعداد خليل الخليل، صحيفة (ألا نيوز) بيروت، 16 تشرين ثاني 2010.

260 - مايكل هاندل، الحرب والسوق والاستخبارات. مصدر سبق ذكره، ص 704.

261 - مايكل هاندل، الحرب والسوق والاستخبارات. مصدر سبق ذكره، ص 705.

262 - مايكل هاندل، الحرب والسوق، (الاستخبارات، مصدر سبق ذكره)، ص710.

263 - ليدل هارت - القادة الألمان يتكلمون - ترجمة أكرم ديري والهيثم اليوبي - الطبعة الاولى - مكتبة النهضة - بغداد - 1983. ص12.

264 - انظر في كل ماله علاقة تحيط الموضوع. مايكل هاندل. الحرب والسوق والاستخبارات، مصدر سبق ذكره، ص 713-715.

265 - كلاوزفيتز - فن الحرب - مصدر سبق ذكره - ص125.

(1) نفس المصدر. ص 193.

(*) هنـاك ملاحظـة مهمة وهي:أن ما ذكر أنفا يبدوا انه طبق حرفيا من قبل الأمريكـان علـى العـراق بعـد أحتلالـه،فحل الجـيش وتـدميره هـي بمثابـة نـزع السلاح بالقوة.الباحث

(*) خطة شيلفن. في عام(1905) ظهرت ما تسمى بخطة (شيلفن)، والتي كانت تجسيدا لخطط وضعها بين عامي (1897- 1905) تقوم ألمانيا بموجب الخطة بـهجوم تطويق محدود عندما تنفصل القوات الروسية لتدور حول بحيرات (ماسـوريان) ثـم تنسـحب خلـف قـلاع (الفسـتولا)، أمل(شـليفن) أنـه بتجـاهل الـهجوم الروسـي مؤقتـا يسـتطيع مـع قـوات كافيـة لشـن هجـوم حاسم علـى الفرنسيين وبدلا من محاولة اختراق الأراضي الأكثر وعورة في الجنوب تطعن الجيوش الألمانية (فرنسا) من الشمال، فيكون ذلك خرقا لحياد بلجيكا ويؤدي على الأرجح إلى تدخل بريطانيا لذا أيد(شيلفن) في مذكرته عام (1905) أن تكون نسبة القوات بين جناحي اليمين (الشمال) واليسار(الجنوب)(7 / 1) وترك جنوبي(الألزاس) بلا حماية، ويدور الهجوم حول(ميتز) وتتقدم القوات الألمانية من خط يمتد من (فردان) إلى (دنكيرك) ثم يتجه نحو(باريس)لدفع القوات الفرنسية نحو قلاعها ونحو الحدود السويسرية. وقد يحاول الفرنسيون شن هجوم على منطقة (الألزاس – اللورين) ذات الحماية الضعيفة هذا الهجوم الذي عده شيلفن غير حاسم ويؤدي إلى سحب بعض القوة الفرنسية من المنطقة الحيوية في الشمال، أو قد يحشد الفرنسيون قواتهم في الشمال وكان هذا في الواقع ما دعا إليه الجنرال ميشيل عام(1911) إلا أنه رفض وبدلا من ذلك تبنت فرنسا الخطة(17) للتقدم في(الألزاس واللورين).

(2) راجع الملحق الرقم (10) خلاصة معركة الخفاجية.

(2) راجع الملحق الرقم (9) عقيدة مكافحة التمرد.